



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صلى
عليه
وآله
وسلم

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

تفسير

مَقْتَبَاتِ ابْنِ عَبْدِ الدُّنْيَرِ

ناهب

الخطيب الرفيع عن المفسرين المشهورين

تتميز

بأسلوبه الميسر

والشرح الوافي

بمعاني الآيات

والأخبار المشرفة

المختارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقتنيات الدرر و ملتقطات الثمر

كاتب:

على حائرى طهرانى

نشرت في الطباعة:

دار الكتاب الاسلامى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
12	مقتنيات الدرر و ملتقطات الثمر المجلد 1
12	هوية الكتاب
13	اشارة
19	سورة الفاتحة
19	[سورة الفاتحة (1): آية 1]
23	[سورة الفاتحة (1): آية 2]
27	[سورة الفاتحة (1): آية 3]
27	[سورة الفاتحة (1): آية 4]
28	[سورة الفاتحة (1): آية 5]
30	[سورة الفاتحة (1): آية 6]
31	[سورة الفاتحة (1): آية 7]
45	سورة البقرة مدنية
45	اشارة
45	[سورة البقرة (2): آية 1]
49	قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 2]
52	[سورة البقرة (2): آية 3]
73	[سورة البقرة (2): آية 4]
76	[سورة البقرة (2): آية 5]
77	[سورة البقرة (2): آية 6]
78	[سورة البقرة (2): آية 7]
80	[سورة البقرة (2): آية 8]
80	[سورة البقرة (2): آية 9]

83	[سورة البقرة (2): آية 10]
86	[سورة البقرة (2): آية 11]
86	[سورة البقرة (2): آية 12]
86	[سورة البقرة (2): آية 13]
87	[سورة البقرة (2): آية 14]
88	[سورة البقرة (2): آية 15]
89	[سورة البقرة (2): آية 16]
90	[سورة البقرة (2): آية 17]
93	[سورة البقرة (2): آية 18]
93	[سورة البقرة (2): آية 19]
96	[سورة البقرة (2): آية 20]
97	[سورة البقرة (2): آية 21]
99	[سورة البقرة (2): آية 22]
103	قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 23]
104	[سورة البقرة (2): آية 24]
105	[سورة البقرة (2): آية 25]
108	قوله تعالى [سورة البقرة (2): الآيات 26 الى 27]
115	[سورة البقرة (2): آية 27]
117	[سورة البقرة (2): آية 28]
118	[سورة البقرة (2): آية 29]
119	قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 30]
122	[سورة البقرة (2): آية 31]
123	[سورة البقرة (2): آية 32]
124	[سورة البقرة (2): آية 33]
129	[سورة البقرة (2): آية 34]

140	[سورة البقرة (2): آية 35]
145	[سورة البقرة (2): آية 36]
148	[سورة البقرة (2): آية 37]
153	قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 38]
155	[سورة البقرة (2): آية 39]
156	قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 40]
157	[سورة البقرة (2): آية 41]
162	[سورة البقرة (2): آية 42]
163	[سورة البقرة (2): آية 43]
166	[سورة البقرة (2): آية 44]
168	قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 45]
169	[سورة البقرة (2): آية 46]
170	[سورة البقرة (2): آية 47]
170	[سورة البقرة (2): آية 48]
171	[سورة البقرة (2): آية 49]
174	[سورة البقرة (2): آية 50]
176	[سورة البقرة (2): آية 51]
178	[سورة البقرة (2): آية 52]
178	[سورة البقرة (2): آية 53]
178	[سورة البقرة (2): آية 54]
183	[سورة البقرة (2): آية 55]
183	[سورة البقرة (2): آية 56]
185	قوله: [سورة البقرة (2): آية 57]
187	[سورة البقرة (2): آية 58]
189	[سورة البقرة (2): آية 59]

- 191 [سورة البقرة (2): آية 60]
- 194 قال تعالى: [سورة البقرة (2): آية 61]
- 197 [سورة البقرة (2): آية 62]
- 199 [سورة البقرة (2): آية 63]
- 200 [سورة البقرة (2): آية 64]
- 201 [سورة البقرة (2): آية 65]
- 203 [سورة البقرة (2): آية 66]
- 204 [سورة البقرة (2): آية 67]
- 210 قوله تعالى: [سورة البقرة (2): الآيات 68 الى 71]
- 212 قوله تعالى: [سورة البقرة (2): الآيات 72 الى 73]
- 215 قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 74]
- 219 قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 75]
- 220 قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 76]
- 222 [سورة البقرة (2): آية 77]
- 222 [سورة البقرة (2): آية 78]
- 223 [سورة البقرة (2): آية 79]
- 224 [سورة البقرة (2): آية 80]
- 225 [سورة البقرة (2): الآيات 81 الى 82]
- 233 [سورة البقرة (2): آية 83]
- 236 [سورة البقرة (2): آية 84]
- 237 [سورة البقرة (2): آية 85]
- 239 [سورة البقرة (2): آية 86]
- 240 [سورة البقرة (2): آية 87]
- 244 [سورة البقرة (2): آية 88]
- 246 [سورة البقرة (2): آية 89]

247	[سورة البقرة (2): آية 90]
249	[سورة البقرة (2): آية 91]
249	[سورة البقرة (2): آية 92]
250	[سورة البقرة (2): آية 93]
252	[سورة البقرة (2): آية 94]
253	[سورة البقرة (2): آية 95]
255	[سورة البقرة (2): آية 96]
258	[سورة البقرة (2): الآيات 97 الى 98]
260	[سورة البقرة (2): آية 99]
260	[سورة البقرة (2): آية 100]
261	[سورة البقرة (2): آية 101]
262	[سورة البقرة (2): آية 102]
271	[سورة البقرة (2): آية 103]
272	[سورة البقرة (2): آية 104]
273	[سورة البقرة (2): آية 105]
274	[سورة البقرة (2): آية 106]
277	[سورة البقرة (2): آية 107]
277	[سورة البقرة (2): آية 108]
289	[سورة البقرة (2): آية 109]
290	[سورة البقرة (2): آية 110]
291	[سورة البقرة (2): الآيات 111 الى 112]
295	[سورة البقرة (2): آية 113]
295	[سورة البقرة (2): آية 114]
299	[سورة البقرة (2): آية 115]
301	[سورة البقرة (2): الآيات 116 الى 117]

304	[سورة البقرة (2): آية 117]
305	[سورة البقرة (2): آية 118]
305	[سورة البقرة (2): آية 119]
306	[سورة البقرة (2): آية 120]
307	[سورة البقرة (2): آية 121]
307	[سورة البقرة (2): الآيات 122 الى 123]
309	[سورة البقرة (2): آية 124]
315	[سورة البقرة (2): آية 125]
319	[سورة البقرة (2): آية 126]
321	[سورة البقرة (2): آية 127]
323	[سورة البقرة (2): آية 128]
323	[سورة البقرة (2): آية 129]
324	[سورة البقرة (2): الآيات 130 الى 131]
329	[سورة البقرة (2): آية 132]
330	[سورة البقرة (2): آية 133]
331	[سورة البقرة (2): آية 134]
331	[سورة البقرة (2): آية 135]
332	[سورة البقرة (2): آية 136]
332	[سورة البقرة (2): آية 137]
333	[سورة البقرة (2): آية 138]
334	[سورة البقرة (2): آية 139]
335	[سورة البقرة (2): آية 140]
336	[سورة البقرة (2): آية 141]
336	[سورة البقرة (2): آية 142]
337	[سورة البقرة (2): آية 143]

- 340 [سورة البقرة (2): آية 144]
- 341 [سورة البقرة (2): آية 145]
- 342 [سورة البقرة (2): آية 146]
- 342 [سورة البقرة (2): آية 147]
- 343 [سورة البقرة (2): آية 148]
- 344 [سورة البقرة (2): الآيات 149 الى 150]
- 345 [سورة البقرة (2): آية 151]
- 347 [سورة البقرة (2): آية 152]
- 348 [سورة البقرة (2): آية 153]
- 349 [سورة البقرة (2): آية 154]
- 352 [سورة البقرة (2): آية 155]
- 353 [سورة البقرة (2): آية 156]
- 353 [سورة البقرة (2): آية 157]
- 354 [سورة البقرة (2): آية 158]
- 357 [سورة البقرة (2): آية 159]
- 357 [سورة البقرة (2): آية 160]
- 358 [سورة البقرة (2): آية 161]
- 358 [سورة البقرة (2): آية 162]
- 359 [سورة البقرة (2): آية 163]
- 360 [سورة البقرة (2): آية 164]
- 364 تعريف مركز

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفقنا لاقتناء الدرر من كلماته الغرر، وهدانا لمعرفة التقاط الثمر من الشجر، شجرة مباركة كثيرة النماء، أصلها ثابت و فرعها في السماء، قرأنا عربيا غير ذي عوج، ناطقا بالبينات و الحجج، تكاد الرواسي لهيبته تمور، و يذوب من خشيته الحديد و صم الصخور.

أنزله على عبده و حبيبه محمد المصطفى لرسالاته، و المرتضى بكلماته، أرسله بالهدى و دين الحق، و عرفه من شعائر الشرائع ما جل و دق، صلوات الله عليه و على ابن عمه و خليفته المخلوق من سنخه و طينته و جعله مستودعا لعلمه و على الأئمة الأحد عشر من أولاده، الذين لم يعصوا الله طرفة عين و هم بأمره يعملون، و بوحيه يحكمون.

يا بني الزهراء و النور الذي ظن موسى أنه ناراقبس

لا أوالي الدهر من عاداكم انه آخر حرف من عبس

و بعد فيقول الحقير الفقير «علي بن حسين الموسوي» الطهراني مسكنا و الحائري مسقطا و مولدا، لما رأيت أن يوسف الصديق يباع في سوق العدو و الصديق، و عرض كل غنى في شرائه أموالا خطيرة، و حضروا في ذلك السوق و الحظيرة، فساقني الطمع و شاقني حبي إلى ذلك المطعم، أن اقدم بين يدي نجوي صدقة بدراهم معدودة، استجديتها برهة من الزمان من هاهنا و هاهنا، و أنا ذو بضاعة مزجاة و ظلّي فيه اقلص من ظل حصاة، فلمت نفسي من هذه الإرادة و قلت لها قفي مكانك، من أنت و ما تمنيك و أنت أحقر

ص: 2

من ذرة، و الصففة أعلى من ملايين ذرة، لكني ما استطعت ان أمنعها لأن الذكرى تسوق و ذو الهوى يتوق و من يعلق به الحب يصبه.

فغلبني الغرام و الهيام، فألقيت دلوي في الدلاء، رجاء ان ينفعني حب الصديق، فما باليت عدل العدو و الصديق و أنا اعلم انه ليس من لمس درهما صيرفيا، و لا من اقتنى درا جوهريا، و معدلك اقنيت دررا من البحور الزاخرة، و التقطت ثمارا جيدة فاخرة من كتب التفاسير من الأساتيد و النحارير، مستعينا بالله و الفت الملتقطات، و سميته [بمقتنيات الدرر و ملتقطات الثمر] و أرجو من الله أن يتفضل علي بالغفران و يجعلني من أهل القرآن.

ص: 3

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وفي تقديم الاستعاذة على البسملة من باب تقديم التخلية على التحلية، فإن طيب القلوب يبدأ أولاً-بتنقيتها من العقائد الزائغة، ثم يعالجها بما يقويها على الطاعات، وكذلك طيب الأجسام، ومن أراد قراءة القرآن و الدخول في المناجاة مع الحبيب يحتاج إلى طهارة اللسان، لأنه قد تلوث بفضول الكلام، فيطهره بالاستعاذة. فهذه الكلمة فاتحة كلام المتقربين، على أنه امثال أمر رب العالمين، حيث قال: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ).

فإن قيل فاستعيذ بالله من الشيطان الرجيم أوفق دراية لمطابقتها المأمور به.

فالجواب انه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال هكذا أقرأنيه جبرئيل عن القلم عن اللوح، فمعنى أعوذ التجئ و استعصم و استنجير بالله، و اختلف في أن هذا الإسم الشريف علم فرد أو صفة مشتق أو غير مشتق، قيل هو من له لتحير العقول عن إدراك كنهه، وقال بعض أهل التحقيق مثل السعد التفتازاني في حواشي الكشاف، انه كما تحيرت الأوهام في ذاته و صفاته تعالى فكذا في اللفظ الدال عليه، و الاستعاذة تتناول جمع أقسام الشرور من مذاهب الباطلة و عقائد الزائغة و ما يضر في الدين؛ و هو منهيات للتكليف بل من جميع المكاره و البلايا النازلة كالغرق و الحرق و العمى و الزمانة و الفقر و أشباهه من المخاوف و الآفات، فأعوذ بالله يتناول الكل فالعاقل لما علم ان التحرز من مجموع هذه الأمور لا يمكن لعدم تناهيها، و ان قدرة الخلق لا تقىء بدفعها، فحمله و علمه العالم بأن يقول أعوذ بالله القادر على كل المقدورات من الشيطان اي: المبعّد من رحمة الله؛ و الاستعاذة من الجن و الإنس لازمة و عظة الإنسان نفسه الزم.

قال ابن عباس لَمَّا عصى لعن و صار شيطاناً وإنما سَمِّي بهذا الإسم بعد لعن الله له. و الشيطان من الشطن و هو البعد. او من شاط إذا بطل. و أمّا قبله فاسمه عزازيل او نأيل، و في روضة الأخبار الشياطين ذكور و إناث يتوالدون و لا يموتون، بل مخلّدون حتّى تنقر من الدنيا. لكن الجن ذكور و إناث يتوالدون و يموتون، و الملائكة ليسوا بذكور و لا إناث و لا يتوالدون و لا يأكلون و لا يشربون؛ و للشيطان و الجنّة حقيقة و وجود؛ و لم ينكر الجن إلاّ شذمة قليلة من الجهّال و حمقاء الفلاسفة، و حقيقتهم عند من لم يقل بالمجردات: هي أجسام هوائية؛ و قيل نارية قادرة على التشكّل بأشكال مختلفة من الحيوان و الطير و بنى آدم؛ لها عقول و افهام تقدر على الأعمال الشاقة كما كانوا يعملون لسليمان المحاريب و التماثيل و الجفان و القدور؛ و عند من قال لها مجردات ارضية سفلية و ذلك لأنّ المجردات اعني الموجودات الغير المتحيزة و لا الحالة في المتحيز اما عالية مقدسة، و هم الملائكة، و يسميها المشائون عقولا؛ و الإشراقيون أنوارا فاهرة أو متعلقة بتدبيرها؛ و يسمونها المشائون نفوسا سماوية و الإشراقيون أنوارا مدبّرة، و أشرفها حملة العرش ثم الحافون حوله، ثم ملائكة الكرسي، ثم ملائكة السماوات طبقة طبقة، ثم ملائكة كرة الأثير و الهواء الذي من طبع النسيم ثمّ ملائكة كرة الزمهرير، ثمّ ملائكة البحار ثم الجبال و هكذا (الرجيم) اي المرمى من السموات بإلقاء الملائكة حين لعن و طرد او المرمى بشهب السماء إذا قصدها. قيل من استعاذ بالله من الشيطان على وجه الحقيقة بحضور القلب و بشرائطها، جعل الله بينه و بين الشيطان ثلاثمائة حجاب، كل حجاب كما بين السموات و الأرض و من المعلوم أنّ الدعاء الذي لا يختلف عن الاستجابة المشار إليها في الآية بقوله تعالى ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ هو الذي يكون بلسان الاستعداد، فإنّه أجمع الفقهاء على أنّ الشرط إذا كان مناف لمقتضى العقد فذلك العقد فاسد، فتأمل في سبب حرمانك من الإجابة. قال ابن عباس: خرج النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم ذات يوم من المسجد فإذا هو بابليس فقال له النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: ما الذي جاء بك الى مسجدي قال: يا محمد جاء بي الله قال: فلم ذا قال: لتسألني عمّا شئت قال ابن عباس فكان أول شيء سأله الصلاة فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم له يا ملعون لم تمنع امتي عن الصلاة بالجماعة قال: يا محمد إذا خرجت أمتك للصلاة، تأخذني الحمى الحارة فلا تندفع حتى يتفرقوا فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: لم تمنع امتي عن

العلم و الدّعاء، قال: عند دعائهم يأخذني الصمم و العمى، فلا تندفع حتى يتفرقوا. و قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لم تمنع امتي عن القرآن قال: عند قراءتهم اذوب كالرصاص، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم تمنع امتي عن الجهاد قال: إذا خرجوا إلى الجهاد يوضع على قدمي قيد حتى يرجعوا؛ و إذا خرجوا إلى الحجّ اسلسل و اغلل حتى يرجعوا؛ و إذا همّوا بالصدقة توضع على رأسى المناشر فتشترني كما ينشر الخشب. و كل معروف صدقة.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أتاني جبرئيل و قال انّ الله يقول: و عزّتي انّ الله ليس من الكبائر كبيرة هي أعظم عندي من حبّ الدنيا و قال: ما عبد الله ابغض على الله من الهوى انتهى.

أقول: و من أبواب التخلّص من شرّ اللعين المراقبة و المحاسبة بمؤاخذة النفس و ملامتها، مثل أن يخاطبها يا نفس ويحك مضى ربيع الشباب فلا يفوتك خريف الشيب فإن فاتك الهرفى فلا- تحرم من الرجعى يا ظالم النفس و العباد أ ما سمعت قول الله: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ» أليس ورائك عقبة كئود و الرّجل حافية و ما لك مركب؛ و انّ قدامك يوما لو طلعت فيه شمس الضحى لعاد أظلم من ليك؛ و قد دنوت إلى منازل دونها حتوف و الطريق مخوف. قال عليّ عليه السّلام أيّها اليفن الكبير قد لهزه القنبر اي: خالطه الشيب كيف أنت إذا التجمت أطواق النّار بعظام الأعناق؛ فاعتنم مهلة قبل قدوم الغائب المنتظر.

أقول: و كيف يكون الإنسان عاقلا و لا يقسم أوقاته؛ و في الخبر انّ إبليس يرفع الدّنيا كلّ يوم في يديه فيقول: من يشتري ما يضرّه و لا ينفعه؛ و يهّمّه و لا يسرّه فيقول:

أصحاب الدّنيا نحن، فيقول: لا تعجلوا فإنها معيوبة، فيقولون: لا بأس بها، فيقول:

ثمّنها ليس بدراهم و لا دنانير، انّما ثمّنها نصيبكم من الجنّة؛ و انى اشتريتها بأربعة أشياء بلعنة الله و عذابه و قطيعته، و بعت الجنّة بها؛ فيقولون: يجوز لنا ذلك، فيقول: أريد أن تربحوني على ذلك و هو أن توطنوا قلوبكم على أن لا تدعوها أبدا، فيقولون: نعم فيأخذونها فيقول الشيطان: بسّست التجارة.

و سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن وسوسة الشيطان، فقال: السارق لا يدخل بيتا ليس فيه شيء فذلك من محض الإيمان. قال أمير المؤمنين عليه السّلام: الفرق بين صلاتنا و صلاة أهل الكتاب و وسوسة الشيطان، لأنّه قد فرغ من عمل الكفّار و أنّهم وافقوه؛ و المؤمنون

سورة الفاتحة

[سورة الفاتحة (1): آية 1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1)

(بِسْمِ اللَّهِ) قالوا: علوم جميع كتب السماوية في القرآن و علومه في الفاتحة و علومها في البسملة و علومها في الباء؛ و قد وقع الاختلاف بين فقهاء المدينة و الشام و البصرة و قراء مكّة و الكوفة و فقهاءهما، في أنّ البسملة هل هي آية من الفاتحة و غيرها فقال: فقهاء المدينة و البصرة و الشام أنّ التسمية ليست من الفاتحة و لا من غيرها من السور؛ و إنّما كتبت للفصل و التبرك؛ و هو مذهب أبو حنيفة و من تابعه؛ و قراء مكّة و الكوفة و فقهاءهما على أنّها آية من الفاتحة؛ و من كلّ سورة كما عليه ابن عباس فقال: هي آية في كل سورة؛ و هو الصحيح؛ و أول ما جرى به القلم في اللوح؛ و أول ما نزل على آدم؛ و كانت الكفّار و المشركون يبدءون باسم آلهتهم فيقول: باسم اللات و العزى فوجب أن يقصد الموحد، معنى اختصاص اسم الله بالابتداء فلذلك قدر المتعلّق متأخراً أى: باسم الله أتلو و اقرأ و استعين؛ و الابتداء يكون بالأهم نحو قوله: بسم الله مجربها و مرسياها؛ كقولك للمعرس باليمن و البركة؛ و التقدير أعروست باليمن و الاسم أحد اسماء التي بنوا أوائلها على السكون، فإذا نطقوا لها مبتدئين زادوا همزة لتلايقع الابتداء بالساكن. أو من الوسم محذوف الفاء؛ و طولوا الباء في كتابه بسم الله تعويضا من طرح الألف و كلمة «الله» أصله الإله، أو من لاه يليه إذا تستر من الستر ثم ادخلت عليه الألف و اللام فجرى الإسم العلم، مثل الناس أصله أناس فحذفت الهمزة و عوّضت منها حرف التعريف، و الصحيح أنّ: معنى الإله هو الذات الذي يحقّ له العبادة و إنّما حقّت له، لقدرته تعالى على اصول النعم؛ و لا يطلق هذا الاسم على غيره تعالى أبدا.

عن الصادق عليه السلام قال: من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة، و إخلاصه بها أن يحجزه لا إله إلا الله عمّا حرم الله؛ و عن حذيفة بن اليمان قال لا يزال لا إله إلا الله ترد غضب الربّ عن العباد ما كانوا لا يبألون ما انتقص من دنياهم إذا سلّم دينهم، فإذا كانوا لا يبألون ما انتقص من دينهم إذا سلمت دنياهم. ثم قالوا هذه الكلمة ردت عليهم و قيل لهم كذبتهم و لستم بصادقين. قال على عليه السلام: في تفسير الإمام في معنى البسملة استعين على هذا الأمر بالله الذي لا يحق العبادة لغيره إذا استغيث و المجيب إذا دعى.

وقد أودع جميع العلوم في الباء أي: بي كان ما كان وبي يكون ما يكون فوجود العوالم بي. وقال بعض أهل النظر لعلّ السرّ في أن جعل افتتاح الكتاب الكريم بحرف الباء؛ وقدمت على سائر الحروف لا سيّما على الألف مع تجرد الألف، بل يسقط الألف ويثبت مكانه الباء في بسم الله: إنّ في الباء تواضعا وانكسارا وفي الألف ترفّعا وتطاولا، فمن تواضع لله رفعه الله؛ و الباء للاتصال والإلصاق، بخلاف أكثر الحروف خصوصا الألف من حروف القطع؛ و الباء مكسورة فلمّا كانت فيها انكسار في الصورة والمعنى، وجدت شرف العندية من الله؛ و ذكروا فيها استحسانات أخر ليس هذا المختصر يسعها، مثل أنّ للباء علوّ الهمة بخلاف بعضها، فإنّه لما عرضت عليها النقط ما قبلت إلا واحدة، و من قبيل هذه المناسبات كثيرة ذكروها في شروحهم، قال أمير المؤمنين أنا النقطة تحت الباء لعلّ مراده بيان مرتبة دلالته وإرشاده على التوحيد، أو يصف نفسه عليه السلام في مقام معرفة التوحيد؛ ولذا وجبت ولايته.

قال محمّد بن صفوان عن ابن عباس قال: كنّا عند رسول الله فأقبل عليّ عليه السلام قال له النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مرحبا بمن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين ألف سنة، قلنا أ كان ابن قبل أبيه فقال: نعم أنّ الله خلقني و عليّ من نور واحد قبل هذه المدة، ثمّ قسمه نصفين، ثمّ خلق الأشياء من نوري و نور عليّ ... الحديث؛ أو مراده علمه بعلم الكتب الأولين والآخريين فيما أشرنا قبيل ذلك. قال صاحب التأويلات النجميّة أنّ الباء شفوي و كان أوّل انفتاح فم الذرة الإنسانيّة في عهد الست بالجواب بكلمة بلى، فاختصت الباء بهذه الاختصاصات، فجعلها سبحانه مفتاح كتابه و مبدأ كلامه و خطابه؛ و أسماء الله تذكر فيما يصح أن يطلق عليه بالنظر إلى ذاته أو باعتبار صفة من صفاته الثبوتية كالعليم أو السليبيّ كالقدوس أو باعتبار فعل من أفعاله كالخالق لكنها توقيفة عند الأكثر (الرّحمن) الرحمة في اللغة رقة القلب و الانعطاف و منه الرحم و المراد هنا هو التفضل و الإحسان فالمعني العاطف على خلقه بالرزق لهم و دفع الآفات عنهم؛ و الرحمن فعلاّن في الرحمن الذي يرحم و يبسط الرزق علينا الرحيم في ديانا و ديننا؛ و في الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم تلك المبالغة لشمول الرحمن في الدارين و اختصاص الرحيم بالآخرة أو بالمؤمنين. (الرّحيم)

اي المترحم إذا سئل اعطى وإذا لم يسئل غضب؛ وبنى آدم حين يسأل يغضب قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ان لله مائة رحمة اعطى واحدة منها لأهل الدنيا كلها وادخر تسعا وتسعين الى الآخرة يرحم بها عباده.

واعلم ان الرحمة من الصفات الإلهية وهي حقيقة واحدة؛ لكنها تنقسم بالذاتية والصفاتية اي تقتضيها اسماء الذات واسماء الصفات و كل منهما عامّة وخاصة فالرحمة العامة والخاصة الذاتيتان ما جاء في البسملة قيل ان لله تعالى ثلاثة آلاف اسم، ألف عرفها الملائكة لا غير؛ وألف عرفها الأنبياء لا غير، وثلاثمائة في التوراة؛ و ثلاثمائة في الإنجيل؛ و ثلاثمائة في الزبور؛ و تسعة وتسعون في القرآن؛ و واحد استأثر الله به ثم معنى هذه الثلاثة آلاف في هذه الأسماء الثلاثة الله والرحمن والرحيم فمن علمها وقال فكأنما ذكر الله بكل أسمائه.

وفي الخبر أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال ليلة اسري بي الى السماء عرض عليّ جميع الجنان، فرأيت فيها اربعة انهار: نهرا من لبن ونهرا من ماء ونهرا من خمر ونهرا من عسل فقلت: يا جبرئيل من اين تجيء هذه الأنهار والى اين تذهب قال نذهب الى حوض الكوثر و لا- ادري من اين تجيء؛ فادع الله ليعلمك او يراك، فدعا ربّه فجاء ملك فسلم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثم قال: يا محمد غمض عينك قال: فغمضت عيني ثم قال: افتح عينك ففتحت فإذا انا عند شجرة؛ ورأيت قبة من دره بيضاء ولها باب من ذهب وقفل لو أن جميع ما في الدنيا من الجن والانس وضعوا على تلك القبة لكانوا مثل طائر جالس على جبل، فرأيت هذه الأنهار الأربعة تخرج من تحت هذه القبة فلما أردت ارجع قال لي ذلك الملك:

لم لا تدخل القبة قلت: كيف ادخل وعلى بابها قفل لا مفتاح له عندي قال الملك مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم، فلما دنوت من القفل وقلت بسم الله الرحمن الرحيم انفتح القفل فدخلت في القبة فرأيت هذه الأنهار تجري من اربعة اركان القبة؛ ورأيت مكتوبا على اربعة اركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم؛ ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ورأيت نهر اللبن يخرج من هاء الله، ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل من ميم الرحيم فعلمت ان اصل هذه الأنهار الاربعة من البسملة؛ فقال الله سبحانه

يا محمد من ذكرني بهذه الأسماء من أمتك بقلب خالص من الرياء وقال: بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الأنهار؛ وفي الحديث: من رفع قرطاسا من الأرض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالا له ولا سمة عن ان يدنس كان عند الله من الصديقين، و خفف عن والديه و ان كانا مشركين. و عن الرضا عليه السلام: ان البسملة اقرب الى اسم الله الأعظم من سواد العين الى بياضها قال النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم إذا قال المعلم للصبي: بسم الله بالخلوص: كتب الله له و لا بويه و لمعلمه براءة من النار إذا كانوا مؤمنين و لا يحصل الخلوص الا- بهذه الأربع، قال النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم أوصيك بأربع خصال الاولى: الصدق فلا تخرجن عن فيك كذبة ابدا (الثانية): الورع و لا تجرى على خيانة ابدا و (الثالثة)، الخوف من الله كأنك تراه و الرابعة، كثرة البكاء من خشية الله ينبي لك بكل دمعة ألف بيت في الجنة.

قال الشيخ احمد البوني في لطائف الإشارات: ان شجرة الوجود تفرعت عن البسملة و العالم كله قائم بها و من اكثر من ذكرها رزق الهيبة عند العالم العلوي و السفلى قال الشيخ اكبر في الفتوحات إذا قرأت فاتحة الكتاب، فصل بسملتها معها في نفس واحد من غير قطع. قال النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم حالفنا عن جبرئيل حالفنا عن ميكائيل حالفنا عن اسرافيل قال الله: يا اسرافيل بعزتي و جلالتي و جودي و كرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة فاشهدوا على اني قد غفرت له و قبلت منه الحسنات و تجاوزت له عن السيئات و لا احرق لسانه بالنار و أجيره من عذاب القبر و عذاب النار و عذاب يوم القيمة و الفزع الأكبر.

(سورة فاتحة الكتاب): وجه التسمية بفاتحة الكتاب اما لافتتاح المصاحف بها، و اما لأن الحمد فاتحة كل كلام و اما لأنها أول سورة نزلت و سميت بأمر القرآن و أم الشيء أصله؛ و ذلك لان المقصود من كل القرآن تقرير امور اربعة: اقرار بالالوهية و النبوة، و اثبات المعاد، و اثبات الحكم، و الأمر له، و هذه السورة جامعة لهذه المراتب، و سميت بالسبع المثاني لأنها سبع آيات، او لان كل آية منها تقوم مقام سبع من القرآن، فمن قرأها اعطى ثواب قراءة الكل؛ او لان من قرأ آياتها السبع غلقت عنه أبواب النيران

السبعة. واما وجه التسمية بالمثاني فلأنها تثنى في كل صلاة، او لان نزولها مرتين مرة في مكة و اخرى في المدينة و سميت بسورة الصلاة و سورة الشافية و الكافية و الوافية و سورة الحمد و سورة السؤال و سورة الدعاء و سورة الكنز لما روي ان الله تعالى قال فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشى

سورة الفاتحة (1): آية [2]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)

قال الزمخشري: الحمد على الابتداء و خبره الظرف الذي هو لله و أصله النصب بإضمار فعله، على انه من المصادر التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة و معنى الاخبار كقولهم شكرا و عجا و ما أشبهه، و منها سبحانك و معاذ الله ينزلونها منزلة افعالها، و العدول بها عن النصب الى الرفع في الآية على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى و استقراره، و منه قوله تعالى قالوا سلاما قال ابراهيم سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم حيّاهم بتحيّة احسن من تحيتهم، لأن الرفع دالّ على معنى ثبات السلام لهم، فيؤول حقيقة المعنى نحمد الله حمدا فلذلك قيل إياك نعبد و إياك نستعين انتهى فقوله الحمد لله لانه اما للعهد اى الحمد الكامل؛ و هو حمد الله لنفسه و حمد الرسل او اللام للعموم و الاستغراق اى جميع المحامد و الاثنية من الملك و البشر خاص لله. و الحمد و المدح اخوان و هو الثناء الجميل من نعمة او غيرها. و الحمد و الثناء ذاتا خاص به تعالى شأنه على لسان أنبيائه، و التكليف من النعمة لان بقائك موقوف عليه، و اما الشكر فعلى النعمة خاصة، و الحمد ثناء المحمود و اظهار كماله و أفعاله و آثاره، و هو قولى و فعلى و حالى.

اما القولى فحمد اللسان و ثنائه عليه بما اثنى به نفسه على لسان أنبيائه.

و اما (الفعلى) فهو الإتيان بالأعمال البدنية من العبادات و الخيرات ابتغاء لمرضاته حتى يستعمل الحامد كل عضو فيما خلق لأجله على الوجه المشروع حتى يوافق ساير أعضائه لسانه (و اما الحالى) فهو بحسب القلب كالتخلق بأخلاق الله من الرضا و التسليم و الاتصاف بالكمالات العلمية و حب المعروف و بغض المنكر ورده و هو الجهاد الأكبر فيكون في حكم الشهيد ثوبا فمن ما روى في ثواب الشهداء يشمله فحينئذ يكون اهل الحال و يستحق

المواهب من الله الواردة عليه ميراثاً أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس وذلك بسبب العمل الصالح المزكى للنفس المصفى للقلب، وعبر بالحال لحول العبد به من الرسوم العادية الشهوية إلى الصفات الحقية، وأول قدم الحال الدخول في باب الأبواب وهو التوبة، لأنها أول ما يدخل به العبد حضرت القرب من جبان الرب* (رَبِّ الْعَالَمِينَ)* رَبِّهِ يَرْبُهُ فَهُوَ رَبِّ، ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة، كما وصف بالعدل؛ و الرب السيد المالك، ومنه قول صفوان لأبي سفيان لأن يرئني رجل من قريش أحب إلي من أن يرئني رجل من هوازن، ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا: بيان برهان على استحاقه تعالى الحمد بقوله مربي العالمين بإيجادهم و تربية أسباب وجودهم فيربي الظاهر بالنعمة و الباطن بالفيض و الرحمة و أحكام الشريعة التي بها قوام بقائهم في السعادة الأبدية و يربي سبحانه أجزاء العوالم كلا بحسبها فسبحان من ربي الإنسان بأحسن التربية فاسمع بعظم و بصر بشحم.

أعلم أنه اختلف في أفضلية نعمة البصر و السمع فقال قائل بأفضلية السمع لوجوه منها أن الله قدم في الذكر في أغلب القرآن السمع على البصر و التقديم في الذكر دليل على الشرف.

و منها أن العمى وقع في حق الأنبياء و أما الصمم فغير جائز لأنه مخلل بأداء الرسالة.

و منها ان السمع تدرك من جميع الجوانب دون البصر.

و منها أن الإنسان يستفيد من المعارف من المعلم و ذلك لا يمكن إلا بالسمع.

و منها أن امتياز الإنسان عن سائر الحيوانات بالنطق و الكلام، و انما ينتفع به السامعة لا الباصرة و متعلق السمع النطق الذي به شرف الإنسان و متعلق البصر الألوان و الأشكال و ذلك أمر مشترك بين الإنسان و سائر الحيوان.

و منهم من قال بأن البصر أفضل من السمع قالوا المشهور أنه ليس الخبر كالمعاينة و ذلك تدل على أن أكمل وجوه الإدراك البصر.

الثاني أن عجائب حكمة الله في العين أكثر من عجائب حكمته في تخليق الأذن فركب العين من سبع طبقات و ثلاث رطوبات و جعل لها عضلات كثيرة على صور مختلفة

و الأذن ليس كذلك، و كثرة العناية في التخليق في الشيء ء يدلّ على كونه أفضل من غيره.

الثالث أنّ القوّة الباصرة هي النور و آلة السّامعه هي الهواء و التّور أشرف من الهواء.

الرابع أنّ البصر يرى ما فوق سبع سماوات و السمع لا يدرك ما بعد على فرسخين فكان البصر أقوى.

الخامس إنّ بعض التّاس يسمع كلام الله و كلام الملائكة في الدنيا و لا يراه أحد و أنّ موسى سمع كلام من غير سؤال و لمّا سئل الرّؤية قال لن تراني فذلك يدلّ على أنّ حال الرّؤية أعظم و أعلى من السماع، على أنّ ذهاب العين ليس كذهاب السّمع و هي الكريمتان. و انطق بلحم و ربّ غذائه في النبات بحبوه و ثماره و في الحيوان بحياته و آثار نفعه، و في الأراضي بأشجاره و أنهاره و في الأفلاك بكواكبه و أنواره.

و لمّا علم أنّ النفوس لو يهملوا اهلكوا أنفسهم في مدّة قليلة لعدم علمهم في تدبير أمورهم و بقائهم، وضع لهم قانونا سماويا لحفظ نفوسهم و درك سعادة الفانية و الباقية لأنّهم خلقوا للبقاء لا للفناء، فسبحان من فلحت حجته و استظهر سلطانه و اقسطت موازينه فجعل السيئة ذنبا و الذنب فتنة و الفتنة دنسا، و جعل الحسنى عتبا و العتبي توبة و التوبة طهورا، فمن تاب اهتدى و من افتتن غوى ما لم يتب إلى الله و يعترف بذنبه و لا يهلك على الله هالك. الله الله فما أوسع ما لديه من التوبة و الرحمة و البشري و الحلم العظيم، و ما أنكل ما عنده من الإنكال و الجحيم و البطش الشديد، فمن ظفر بطاعته اجتلب كرامته و من دخل في معصيته ذاق وبال نقمته و عمّا قليل ليصبحنّ نادمين.

قال الباقر عليه السّلام صلّى عليّ عليه السّلام بالعراق صلاة الصبح ثمّ خطب خطبة فبكى و أبكى الناس من خوف الله ثمّ ما رؤي بعد ذلك ضاحكا إلى أن توفيّ فما ظنّك بنفسك.

و ربما يعتر بعض الجهّال ببعض ظواهر الأخبار بما ورد في ثواب الأعمال و هو غافل عن شرائطها الشرعية الواقعية أو يعتر بالنسب الرفيع كالسيادة و العالمية فيقول مثلا جدي يشفعني فلا يقوم بالشرعيات و لا يعمل بالفرعيات و لا ينفعه الحسب و لا النسب كما في روضة الكافي.

قال الباقر عليه السلام: لا تتخذوا من دون الله وليجة، فلا تكونوا مؤمنين فإن كل سبب ونسب وقرابة وليجة وشبهه منقطع مضمحل، كالغبار الذي يكون على الحجر الصلد إذا أصابه المطر الكثير إلا ما أثبتته القرآن ويكون بإطاعة الرسول؛ و«أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» ودع عنك الفضولي والمعضلات، وإن سنة الله لا تبدل.

و(العالمين) جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه. والعالم اسم لكل ما يعلم به في الأصل كالحاتم اسم لما يحتتم، ثم غلب استعماله فيما سوى الله.

قال وهب: لله ثمانية عشر ألف عالم والدينا عالم منها. قال كعب الأحبار: العوالم لا تحصى لقوله تعالى: «وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ». (1) وعن أبي هريرة: إن الله تعالى خلق الخلق من ذوي العقول أربعة أصناف:

الملائكة والشياطين والجن والإنس، ثم جعل هؤلاء عشرة أجزاء: تسعة منهم الملائكة وواحد الثلاثة الباقية، ثم جعل هذه الثلاثة عشرة أجزاء: تسعة منهم الشياطين وجزء واحد الجن والإنس، ثم جعلها عشرة أجزاء تسعة منهم الجن وواحد الإنس. ثم جعل الإنس مائة وخمسة وعشرين جزءا فجعل مائة جزء في بلاد الهند، منهم ساطوخ وهم أناس رؤوسهم مثل رؤوس الكلاب، و مالوخ وهم أناس أعينهم في صدورهم، و ماسوخ وهم أناس آذانهم كأذان الفيلة، و مألوف وهم أناس لا يطاوعهم أرجلهم يسمون «دواليبي» و هؤلاء كلهم كفره مصيرهم إلى النار. و جعل اثني عشر جزءا منهم في بلاد الروم: النسطورية والملكانية والإسرائيلية ومصيرهم إلى النار جميعا. و جعل ستة أجزاء منهم في المشرق: يأجوج ومأجوج وترك و خاقان، و ترك حد خلخ و ترك خضر، و ترك جرجر، و جعل ستة أجزاء في المغرب: الزنج والزط والحبشة والنوبة وبربر و سائر كفار العرب و مصيرهم إلى النار، و بقي من الإنس من أهل التوحيد جزء واحد، فجزأهم ثلاثا وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون على خطر و هالكة، و هم أصحاب البدع والضلالات و فرقة ناجية.

و في الحديث: إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين فرقة، و تفرقت أمتي

ص: 14

1- المدثر: 31.

على ثلاث و سبعين فرقة كلهم في النار إلا فرقة واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال:

من هم على ما أنا عليه- يريد في الاعتقاد و القول و الفعل-.

و بالجمله هو تعالى شأنه ربّ العوالم بأسرها، و «العالم» بفتح اللام اسم لذوي العلم من الملائكة و الثقلين و يطلق على كل ما علم به الخالق من الأجسام و الأعراض، فأقول: عالمون و عالمين جمع الواو و النون و هو جمع العقلاء.

اعلم أنّ العاقل من اجتمع فيه هذه الخصال العشرة: الاولى أن يحلم عمّن جهل عليه، و يتجاوز عمّن ظلمه، و يتواضع لمن هو دونه، و يسابق من فوقه في طلب البرّ، و إذا تكلم تدبّر؛ فإن كان خيرا تكلم فغنم، و إن كان شرا فسكت فسلم، و إذا عرض له فتنة استعصم بالله، و أمسك يده و لسانه، و إذا رأى فضيلة في الأذنية انتهز لها، لا يفارقه الحياء و لا يبدو منه الحرص فتلك عشرة خصال يعرف بها العاقل.

و أمّا الجاهل هو أن يظلم من خالطه: و يتعدّى على من هو دونه، و يتناول على من هو فوقه، كلامه بغير تدبّر؛ إن تكلم أثم، و إن سكت غفل، و إن عرضت له فتنة سارع إليها، فأردته، و أن رأى فضيلة أبطأ عنها، لا يخاف ذنوبه القديمة، و لا يرتدع فيما بقي من عمره من الذنوب، يتوانى عن البرّ غير مكترث لما فاتته من الطاعة فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حرم العقل بشهوته، هذا اسم لا صفة فكيف جمعت بالواو و النون؟

قالوا: ساغ ذلك لتضمّن معنى الوصفية فيه و هي الدلالة على معنى العلم أو للتغليب؛ لأنّ في هذه العوالم عالم العقلاء من الملك و الجنّ و البشر فصحّ أن يؤتى بجمع العاقل.

[سورة الفاتحة (1): آية 3]

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3)

و في التكرار إشعار بأنّ التسمية آية مستقلة؛ أيضا ندب العباد بذكر رحمته و يناسب الربّية الرحمانية السائقة إليهم أرزاقهم في الدنيا. و الرحيمية التي توجب الغفران لهم في العقبى، و لأنّ الرحمة تنال بعد الحمد أو بالرحمانية و الرحيمية المتعلقة بالذات، و في البسملة و هو المتعلقة بالصفات.

[سورة الفاتحة (1): آية 4]

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)

و قرئ «ملك يوم الدين» قال هرمس الهرامسه: أشدّ الأعمال ثلاثة: الجود عند القلّة، و الورع عند الخلوة، و العفو عند القدرة، و يقال لذي السلطة أيضا: ملك عادل.

و لا تدوم ملكيته هي في الدنيا إلاّ بأمر سنّة: الأوّل أن لا يتجاوز عن قانون

الكتب فانه متى ما عدل عنه عدل النظام عن ملكه لا محالة، الثاني فانه ان لا تأخذه في الله لومة لائم، الثالث صاحب شرطة توقف الرعية على حدودهم و ينتصف من الأقوياء للضعفاء و الثالثة صاحب خراج يستقصى و لا يخون و لا يظلم و الرابعة صاحب بريد صادق ينهى الاخبار بالصدق يوسع و لا يضيق على الحفد و الولد و إذا ملك الأراذل باد و قراءة اهل الحرمين ملك لقوله لمن الملك اليوم و لقوله ملك الناس و اصل الملكة الربط و الشدة و القوة و المراد من اليوم في الآية مطلق الوقت لا ما نعبر به من انه من الطلوع الى الغروب و اضافة اليوم الى الدين كاضافة سائر الظروف الى ما وقع فيها من الحوادث، كقولهم.

يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك الأمر في يوم الجزاء و قيل قراءة الملك ابلغ من المالك لان المالك هو الذي ملك شيئاً من الدنيا و اما ملك هو الذي يملك الملوك لكنه مع هذا قالوا مالك بالألف اكثر ثواباً من ملك لزيادة حرف فيه. حكى عن الثلجى أنه قال كان من عاداتي قراءة مالك فسمعت من بعض اهل الفضل ان ملك ابلغ فتركت عاداتي و قرأت ملك و رأيت في المنام قائلاً يقول لي لم نقصت من حسناتك عشراً اما سمعت قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم من قرأ القرآن كتب له بكل حرف عشر حسنات و محيت عنه عشر سيئات و رفعت له عشر درجات فلم اترك عاداتي حتى رأيت ثانياً في المنام أنه قيل لي لم لا تترك هذه العادة اما سمعت قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم اقرؤا القرآن فخمًا مفعماً اي عظيماً معظماً فأتيت قطرباً فسألته ما بين المالك و الملك قال الملك افخم معني من المالك و هو الأنسب بمقام الاضافة الى يوم الدين

[سورة الفاتحة (1): آية 5]

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)

أي ضمير منفصل للمنصوب و اللواحق التي تلحقه من الكاف و الهاء و الياء لبيان الخطاب و الغيبة و التكلم و تقديم المفعول لقصد الاختصاص و العدول عن لفظ الغيبة الي الخطاب يسمى الالتفات عادتا من كلام الفصحاء لان فيه فائدة للسامع و تطرية نشاط يحصل له في الافتتان و يحصل بهذه الصنعة في الكلام استدرار اصغائه اليه بحسن الإيقاظ فيبين الله سبحانه للعبد بيان الحقيق بالحمد و امره بالحمد و استشهاد سبحانه في استحقاقه الحمد و اختصاصه له تعالى بربوبيته و من صفاته برحمانيته فانكشف للعبد علم اليقين بمالكه و خالقيته فان من كانت هذه

صفاته لم يكن غيره يستحق العبادة والثناء إذ هو المختص بالحمد وهو الرب المالك للعالمين بأسرها لا يخرج احد من ملكوته وربوبيته و هو موصوف بولاية النعم الظاهرة والباطنة من الرحمة فالمعبودية خاصة به و الفائدة المختصة من صنعة الالتفات في الآية هي انه بعد بيان شئون* (الجلالة)* بالأوصاف المذكورة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن تحقيق بالعبادة والاستعانة به فخطوب ذلك المعلوم المتميز فليل إياك نعبد و انما قدم ذكر العبادة على الطلب لان تقديم الوسيلة يكون قبل طلب الحاجة ليستوجب العبد الهداية فقال: اهدنا الصراط المستقيم. وروي ان الصادق عليه السلام قرء اهدنا صراط المستقيم و اعلم ان المهتدي هو الذي ترك الدنيا و العادة ثم اشتغل بوظائف الطاعة و العبادة لا من اتبع هواه او خلط هواه بهداه. قال الشيخ البرسي: من استدام ذكر الهادي الخبير الممين عقيب سهر و جوع اطلع على اسرار الغيب. و كذا ذكر النور الهادي و يقول بعده اهدني يا هادي و أخبرني يا خبير فبهذا البيان الجلي صار العبد يشاهد بعين اليقين و يخاطبه و جاهها و يناجيه شفاها.

أيك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة و نستعين منك و لا نعبد غيرك و الضمير المستكن في نعبد و نستعين للقاري و من معه من الحفظة و حاضري الجماعة، اوله و لسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم و خلط حاجته بحاجتهم لعلها تجاب و تقبل ببركاتها و لهذا شرعت الجماعة؛ و العبادة هي العبودية على النهج الذي امر به المعبود فمن العبادة الصلاة بلا غفلة و الصوم بلا غيبة و الصدقة بلا منة و الحج بلا اراثة و الغزو بلا طمع و لا سمعة و العتق بلا اذية و الذكر بلا ملالة و سائر الطاعات بلا آفة و كك في الأخلاق الرضى بلا ملال و كدورة و الصبر بلا- شكاية و اليقين بلا شبهة و الإقبال بلا رجعة و الإيصال بلا قطيعة و يجمع كل هذه الأمور أتباع السنة و هو مفتاح السعادة، كما قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله. و لَمَّا أُنعمَ اللهُ على عبده بنعمة الصلاة قَسَمَ لها بينه و بين عبده كما قال على لسان نبيّه قَسَمَت الصلاة بيني و بين عبدى نصفين فنصفها لي و نصفها لعبدي و لعبدي ما سئل فنصفها الذي لحضرة جلاله: الصفات و الأسماء الحسنی و الحمد و الثناء و الشكر؛

[سورة الفاتحة (1): آية 6]

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)

بيان الطلب و المعونة المطلوبة إذ هو الذي سئله الأنبياء و الأولياء كما قال يوسف عليه السلام توفني مسلماً إذ لا يعتمد على ظاهر الحال فقد يتغير بالمآل كما لإبليس و برصيصا و بلعم، اى ارشدنا طريق الهداية و الصراط المستقيم استعارة عن ملة الإسلام و الدين الحق و أثبتنا على الهداية، و هداية الله على انواع منها الهداية بإرسال الرسل فانهم الدعاة الى الله في عالم الأمر و الخلق اى: الباطن و الظاهر قال تعالى ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان ان آمنوا بربكم فآمنوا و هذا سماع يعم المعنوي شامل للمعاني القلبية المساوق للإيمان بالغيب؛ و منها الهداية بانزال الكتب سيما الفرقان. ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين؛ و منها الهداية القلبية: في الحديث إذا أراد الله بعبده خيراً فتح عيناً قلبه لا يسمع بمعروف إلا عرفه و لا بمنكر إلا أنكره و منها الهداية بالإلهام الرباني المخصوص بالأولياء أو المعجزات الباهرات الجارية على أيدي الأنبياء و المعصومين و الى هذه الإشارة بقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا» و الالف و اللام في الصراط للعهد يشمل جميع انواع الهدايات بقرينة بعده في قوله «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» فيعم هذا المعنى الكلّي في هذا الفرد، فهو من قبيل الاشتراك المعنوي لكن ليس بمشترك معنوي، بل هذه الأنواع افراده و اعداده كعدد الاول و الثاني في معني العترة، فالصراط المتصف بالاستقامة مندرج تحت هذا المفهوم الكلبي، و هو صراط أوليائه. قيل فيه وجوه أخرى (أحدها) ثبتنا على الدين الحق، لأنّ الله قد هدى الخلق كلّهم على الفطرة إلا انّ الإنسان قد ينزل و ترد عليه الخواطر الفاسدة، فيلزم ان يسأل الله ان يثبتته على دينه و يدعه عليه و يعطيه زيادات الهدى التي هي احد اسباب الثبات على الدين كما قال تعالى: «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» و هذا كقول القائل لغيره و هو يأكل، كل: اى دم على الاكل. (و ثانيها) انّ الهداية هي الثواب او لازمها الثواب فمعناه اهدنا الى طريق الجنة ثواباً (و ثالثها) ان المراد دلنا على الدين الحق في مستقبل العمر كما دللتنا عليه في الماضي، قال امير المؤمنين يعنى آدم لنا توفيقك الذي أطعناك به في ماضى عمرنا، حتى نطيعك لذلك في مستقبل إيماننا.

وفي الكلام تحقيق آخر وهو ان العبد يحتاج الي الهداية في جميع أموره أنا فآنا و لحظة فلحظة، فادامة الهداية هي هداية أخرى بعد الهداية الاولى، فتفسير الهداية بادامتها ليس خروجاً عن ظاهر لفظها، وفي الآية الشريفة لفظ جامع يشتمل علي مسألة احكام المعرفة و التوفيق لإقامة الشرائع في الإسلام و معرفة من أوجب الله طاعته و اجتناب المحارم و الآثام و البرائة من احوال الزائلين المزيلين و الضالين المضللين ممن عاند الحق و عمى عن طريق الرشء، فقال:

[سورة الفاتحة (1): آية 7]

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)

: بدل من الصراط الاول بدل الكل، و المنعم عليهم الذي اصطفاهم من خلقه من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و الذين اقبلوا بالقبول من طلب رضاه حتى لو امر بذبح ولده كإبراهيم، او بأن ينقاد للذبح كاسماعيل، او بأن يرى نفسه في البحر كيونس، أو بأن يتلمذ مع بلوغه أعلى درجات الغايات كموسى، أو بأن يصير في الأمر بالمعروف على القتل و الشق بنصفين كيحيى و زكريا. و معلوم ان المنعم عليهم طبقات، و هؤلاء المذكورون و أمثالهم المكملون في الاهتداء بحسب قابلياتهم، فأنعم الله على ضمائرهم و أرواحهم أنوار العناية، و على هممهم اثار الولاية و على نفوسهم و طباعهم قمع الهوي و قهر الطبع و حفظ الشرع بالرعاية و من مكايء الشيطان بالمراقبة و الكلاية، و دونهم المؤمنون الذين معهم، و قالوا ربنا الله ثم استقاموا في اتباع السنة و انقياد النفس للأوامر و النواهي.

و في كتاب المعاني: عن الصادق عليه السلام الهداية هي الطريق الي معرفة الله و هما صراطان صراط في الدنيا و صراط في الآخرة، فأما الصراط في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا و اقتدى بهداه مر علي الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، و من لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، و عنه عليه السلام ان الصراط امير المؤمنين، و زاد في رواية أخرى و معرفته، و في أخرى نحن صراط المستقيم فمعرفة و اتباعه الصراط المستقيم فمن اصابه تلك المعرفة و ذلك النور فقد اهتدى، و من أخطأه فقد ضل، يا علي يا علي أنت أنت صراط الله لو انصفوك وقرأ صراط من أنعمت عليهم عن اهل البيت. و عن عمر بن الخطاب و عمر بن الزبير.

لكن الصحيح هو المشهور؛ والمنعم عليهم هم الذين خصهم الله بعصمته واحتج بهم على بريته وفضلهم على خليقته، فيكون ذلك شهادة لصراطهم بالاستقامة علي أكد الوجوه، كما تقول: هل ادلك علي أكرم فلان فيكون ذلك في وصفه بالكرم من قولك هل ادلك على فلان الأكرم، لأنك ذكرت كرمه مجملا أولا و مفصلا ثانيا وأوقعت فلانا تفسيرا للأكرم فجعلته علما في الكرم، و معني الكلام انه: من أراد رجلا- جامعا للكرم ففلان: والمنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله وقائدهم ورئيسهم الذي لم يشرك بالله طرفة عين، و هو الصراط الأعظم امير المؤمنين عليه السلام،

حبه موجب خلد و نعيم بغضه منشأ نار و سقر

ها على بشر كيف بشرنوره فيه تجلّى و ظهر

هو و المبدء شمس و ضياء هو و الواجب نور و قمر

علة الكون و لولاه لما كان للعالم عين و أثر

ما هو الله و لكن مثلامعه الله كنار و حجر

و له أبدع ما تعقله من عقول و نفوس و صور

فلك في فلك فيه نجوم صدف في صدف فيه درر

جنس الأجناس عليّ و بنوه نوع الأنواع الى الحادي عشر

كلّ من مات و لم يعرفهم موته موت حمير و بقر

ليس من أذنب يوما بإمام كيف من أشرك دهرا و كفر

قوسه قوس نزول و عروج سهمه سهم قضاء و قدر

حبه مبدء خلد و نعيم بغضه منشأ نار و سقر

من له صاحبة كالزهراء او سليل كشبير و شبر

من كمن هلّل في عهد صبي او كمن كبرّ في عهد صغر

أيها الخصم تذكر سندامتته صحّ بنصّ و خبر

إذ أتى احمد في خم غدِيرِ بعلِيّ و على الرّحل نبر

قال من كنت انا مولى له فعلى له مولى و مقر

قال شيخ الطائفة في اماليه باسناده عن الأصبح بن نباتة قال: دخل الحارث الهمداني علي امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في نفر من الشيعة و كنت فيهم، و ذكر الحديث و قال في آخره و أبشرك يا حارث و الذي فلق الحبة و برء النسمة ليعرفني وليي و عدوى في مواطن شتى ليعرفني عند الممات و عند الصراط، و عند المقاسمة، فقال:

و ما المقاسمة يا مولاي قال: مقاسمة الجنة و النار أقول: هذا وليي و هذا عدوي، ثم أخذ أمير المؤمنين بيد الحارث و قال يا حار أخذت بيدك كما أخذ رسول الله بيدي، فقال لي و قد اشتكيت حسدة قريش و المنافقين أنه إذا كان يوم القيمة أخذت بحجزة يعني عصمة من ذي العرش تعالى، و أخذت أنت يا عليّ بحجرتي و أخذت ذريتك بحجرتك و أخذت شيعتك بحجرتكم، فماذا يصنع بنيي، و ما يصنع نبيي بوصييه، و ما يصنع وصييه بأهل بيته و شيعتهم. خذها إليك قصيرة من طويلة، أنت مع من أحببت و لك ما اكتسبت قالها ثلاثا، فقام الحارث يجر رداءه جذلا و قال ما أبالي و ربّي بعد هذا متي لقيت الموت او لقيني.

و عن امير المؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله يا علي ان الله أعطاني فيك سبع خصال أنت أول من ينشق القبر عنه و أول من يقف على الصراط معي فتقول للنار خذي هذا فهو لك و ذري هذا، فليس هو لك، و أنت أول من يكتسى إذا كسيت و يحيي إذا حييت و أول من يقف معي عن يمين العرش و أول من يقرع باب الجنة و أول من يسكن معي عليين و أول من يشرب معي من الرحيق المختوم الذي ختامه مسك و في ذلك فليتنافس المتنافسون.

ابن بابويه قال: قال رسول الله معاشر الناس من أحسن من الله قيلا و اصدق من الله حديثا، معاشر الناس ان ربكم أمرني ان أقيم لكم عليا علما و اماما و خليفة و وصيا و ان اتخذه أخا و وزيرا، معاشر الناس ان عليا باب الهدى بعدي و الداعي الي ربي و هو صالح المؤمنين و من احسن قولاً ممن دعا الى الله و عمل صالحا و قال: انني من المسلمين، معاشر الناس ان عليا مّتي، ولده ولدي و هو زوج حبيبي، امره امري و نهيه نهبي،

أيها الناس عليكم بطاعته واجتناب معصيته، وإن طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي معاشر الناس ان علياً صديق هذه الامة و فاروقها و هارونها و يوشعها و شمعونها و آصفها، انه باب حطتها و سفينة نجاتها، انه طالوتها و ذوقرنيها، معاشر الناس انه محنة الورى و الحجة العظمى و الآية الكبرى و امام الهدى و العروة الوثقى، معاشر الناس ان عليا قسيم لا يدخل النار ولى له و لا ينجو منها عدو له، انه قسيم الجنة لا يدخلها عدو له و لا يتزحزح منها ولى له، معاشر اصحابي قد نصحت لكم و بلغتكم رسالة ربى و لكن لا تحبون الناصحين أقول قولي هذا و استغفر الله لي و لكم.

و أصل الصراط سراط من السين و ابدلوا السين بالصاد لما بين الصاد و الطاء مواخاة في الاستعلاء، و لكراهة ان يتسفل بالسين، ثم يتصعد بالطاء ابدلوا بالصاد.

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ جَرَّ غير على البدلية من الهاء و الميم في عليهم مثل قول الشاعر:

علي حالة لو ان في القوم حاتم على جوده لضمن بالماء حاتم

فجر حاتم على البدلية من الهاء من جوده، او يكون غير مجرورا علي البدلية من الذين، او يكون صفة للذين و كلمة غير يستعمل لمعني المغايرة و نفى الحكم. و معني الغضب ثوران النفس عند ارادة الانتقام و يحصل غليان في دم القلب لشهوة التشفى و الانتقام، و هذه الكيفية في حق الله تعالى محال، و المراد هنا نقيض الرضى، او ارادة الانتقام او الأخذ الشديد: و ذلك لأن القاعدة التفسيرية عند اهل التفسير ان الأفعال التي لها او ايل بدايات و أواخر غايات إذا لم يجر و لم يمكن إسنادها الى الله باعتبار البدايات يراد بها حين الاسناد النهايات كالغضب و الحياء و التكبر و الاستهزاء و السرور و الغم. و المراد من المغضوب عليهم هم اليهود، و الضالين، النصارى.

و يدل على هذا المعنى قوله تعالى: (مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ) و قال تعالى: (وَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ).

و اما النصارى بدلالة قوله: (وَ لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيرًا

وَصَّ لَمَّا عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ)، والآية في حقهم وقد اشتهر تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى، وفسر المغضوب عليهم بالعصاة في الفروع والضالين بالمختلين في الاعتقادات، فان المنعم عليه من وفق الجمع بين العلم والعمل بالاحكام الاعتقادية والعمل بالشريعة فالمقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة، ولفظة «لا» تفيد تأكيد النفي الواقع قبلها، وفي عدوله سبحانه عن اسناد الغضب الى نفسه تعالى مع التصريح باسناد عديله اعنى النعمة اليه تشييد لمعالم العفو والرحمة و اشارة لمباني الجود والكرم حتى كان الصادر عنه هو الانعام لا غير، وان الغضب صادر عن الغير بسبب ان الغير صار سبب الغضب والا فالمناسب ان يقول غير الذين غضبت عليهم، فصار الكلام في قوة التصريح في جانب الرحمة والتعريض في جانب العقاب.

وكذلك اغلب الآيات المتضمنة لذكر العفو والانتقام، فإنك تجدها ظاهرة في ترجيح جانب العفو: مثل قوله تعالى: «يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» مع ان ظاهر المقابلة ونسق الآية ان يقول وكان الله غفورا معذبا، وكذلك قال تعالى «غَافِرِ الذَّنْبِ وَ قَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلْوَلِ» حيث بعد بيان صفة الانتقام بقوله شديد العقاب جعلها محفوفة بنعوت الإحسان. وليس المراد تخصيص نسبة الغضب باليهود ونسبة الضلال بالنصارى بل جميع الكفار في بين النسبتين داخلون والكفر ملّة واحدة الا ان الله يخص كل فريق بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وان كانوا مشتركين في صفات كثيرة.

وقال عبد القادر الجرجاني ان حق اللفظ فيه ان يكون خرج مخرج الجنس وقيل المراد من المغضوب عليهم العصاة ومن الضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليهم هم الجامعون بين العلم والعمل فكان المقابل لهم من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمنخل بالعلم والعمل جاهل ضالّ.

فأن قيل انّ من المعلوم ان المنعم عليهم غير الفريقين فما الفائدة في البيان، أقول:

الفائدة اشعار مقام الخوف والرجاء.

قال محمد الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام أنّه كان يقرء ملك يوم الدين و يقرء اهدنا

صراط المستقيم وعند اهل السنة بعد فراغ الفاتحة يستحب القول بكلمة آمين و روى جميل عن ابي عبد الله عليه السلام قال: إذا كنت خلف امام ففرغ من قراءة الفاتحة فقل أنت من خلفه: الحمد لله رب العالمين. و روى فضيل بن يسار عنه عليه السلام إذا قرأت الفاتحة ففرغت من قراءتها فأنت في الصلاة فقل الحمد لله رب العالمين. و اعلم ان المصلّي إذا توجه بوجهه الى الله لأداء وظيفة العبودية و احرم بالكبيرة مع النية الخالصة لمولاه و التزم بحضور قلبه و عرف نعم الله بالمشاهدة و نفسه بذلك اعدل شاهد و اصدق رائد ابتداء بالتسمية استفتاحا باسم المنعم و اعترافا بالهيته و استرواحا الى ذكر فضله فبعد ان اعترف بالمنعم الفرد اشتغل بالشكر له و الحمد له فقال «الْحَمْدُ لِلَّهِ» و لما رأى نعم الله على غيره واضحة كما شاهد آثارها على نفسه لائحة عرف أنه رب الخلائق أجمعين فقال «رَبِّ الْعَالَمِينَ» و لذلك لما كان شمول فضله و عموم رزقه للمربوبين قال «الرحمن» و لما رأى تقصيرهم في واجب شكره و عدم مؤاخذته عاجلا بالعصيان قال «الرحيم» و لما رأى ما بين العباد من التباعي و الفساد و التكالب و التلاكم و ان ليس بعضهم من شرّ بعضهم بسالم علم أن ورائهم يوما ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال.

«مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ» و لما عرف هذه الجملة فقد علم ان له خالقا رازقا يحيى و يميت و يبدي و يعيد و لما صار الإله الموصوف بهذا الوصف كالمدرک بالحس و العيان تحول عن لفظ الغيبة إلى الخطاب فقال.

«إِيَّاكَ نَعْبُدُ» ثم سئله الاستعانة لأموره دينا و دنيا بقوله «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ثم سئله الاستدانة على دين الحق و الثبات عليه بل طلب أمرا جامعا لجميع مراتب الخير فقال «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» صراط أوليائك الذين اصطفيتهم فسأله ان يلحقه بهم و يسلك به سبيلهم لا سبيل الزائغين و المنحرفين فقال «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ».

و القرآن أعجز الأولين و الآخرين بالبلاغة و الفصاحة. اعلم أنه لا بد ان ان يكون لكلّ كلام مرغوب حظّ من البلاغة و قسط من الجزالة و البراعة فحينئذ ما ظنك بما في ذروة الاعجاز و أعلم ان شعب البلاغة في علم المعاني و البيان عشرة: الاستعارة، و التشبيه و الكناية و الإيجاز و الاطناب و المغالطة و التضمين و الاستدراج و المبادي و التخلص

والأولى: أي الاستعارة هو أن يحاول المنشي والمتكلم تشبيه شيء بغيره ولا يأتي بأداة التشبيه طلباً لزيادة الدلالة مع الإيجاز فيستعير اسم المشبه به ويكسوه الشبه من غير تعرض لذكر المشبه فيحصل به زيادة بلاغة مثاله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف. الضمير المؤنث راجع إلى مكة باعتبار أهلها ووجه الاستعارة أن الثوب لما كان يحيط بجوانب اللباس استعار اسم اللباس للخوف والجوع حيث أراد سبحانه الأخبار عن احاطة الجوع والخوف من جميع الجهات فهو ابلغ في المقصود إذ لو قال جعل الله الجوع والخوف محيطين بهم من جوانبهم كأنه لباس لهم لم يكن في الكلام من الحسن ما في الاستعارة.

الثانية: من أبواب البلاغة التشبيه وهو الدلالة على شئيين اشتركا في معنى لكن ذلك المعنى ثابت ومعروف في الاسم الذي دخلت عليه أداة التشبيه فيجعل المنشي والمتكلم الاسم الذي لم تدخل عليه الأداة كالاسم الذي دخل عليه الأداة مثاله زيد كالأسد ووجهه كالقمر كأنهم جراد منتشر شبهه سبحانه الناس عند خروجهم من القبور مضطربين متحيرين قد طبقوا الجهات بكثرتهم لا يلوى بعضهم على بعض بالجراد المنتشر لحصول هذا المعنى من هذا التشبيه.

الثالثة: الكناية وهو لفظ استعمل في معناه لكن المراد ما يلزم ذلك المعنى، مثاله في عيسى و أمه كانا يأكلان الطعام، كنى به عن خروج الخارج منهما لأنه من لوازم الأكل وهو افصح وأجز والطف، والمقصود من هذه الكناية أن من خرج منه هذا الخارج فهو بمعزل عن الإلهية وردّ محكم لقول النصارى.

الرابعة: الإيجاز وهو التعبير بالألفاظ القليلة عن المعاني الكثيرة وهو دليل على رجحان العقل، فكل نوع صحيح من الإيجاز معدود من الإعجاز، وقد اجمع أرباب المعاني والبيان أن أوجز كلمة استعملتها العرب هي قولهم: القتل أنفي للقتل، فلما نزل قوله ولكم في القصاص حياة أذعنوا برجحانه بل قولهم القتل أنفي للقتل هذا الكلام ليس بتامّ فإن بعض القتل هو موجب لكثرة القتل لا نفيه.

الخامسة: الإطناب وهو ذكر الشيء مرة أخرى بلفظ غير الأول لشدة الاعتناء به، مثاله: «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ»، فقوله بأفواهكم

اطناب لأنّ قوله يقولون دلّ على ما دلّ بأفواهكم فإنّ القول لا يكون الا بالفم ولكن تبه به على تعظيم هذا الأمر لشدة قبحه.

السادسة: المغالطة وهي ان يأتي المنشى المجيد بكلام يدلّ على معنى وله مثل او نقيض يكون المثل والنقيض احسن موقعا، مثاله في حق المنافقين وقد صدر منهم كلمات في حق النبي بالاستهزاء، فقال: «وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ» فغالطوا في الجواب بهاتين الكلمتين الموهمتين صدق ما كانوا فيه، فكذبهم الله بقوله: «قُلْ أ بِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤْنَ» السابعة: التضمين وهو ان يضمن المنشى كلامه شيئا من الأمثال او الشعرا والحديث وهو يزيد الكلام عذوبة وحسنا.

الثامنة: الاستدراج وهو ان يصوغ لغرضه ألفاظا يكسوها من اللطافة ما يحير الألباب، وهو الركن الأعظم في هذه الصناعات، مثاله في القرآن. «وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ»، فإنّ موسى عليه السلام لما أراد ان ينقل قومه من أرضهم الى غيرها أسمعهم ما سرهم ثم استدرجهم الى مطلوبه بقوله: «يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ».

التاسعة: المبادي وتسمى براعة الاستهلال، وهو ان يجعل أوّل كلامه دالّا على المقصود كقول النحوي: الحمد لله الذي رفع من انخفض لجلاله.

العاشرة: التخلّص وهو ان يجعل بين المعنى الذي ينتقل عنه و الذي ينتقل اليه ارتباطا وتعلّقا بحيث يكون الكلام المشتمل على المعاني المتعددة كالمنتظم في سلك واحد مثاله: «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْزِلُ لَهَا عَافِيينَ قَالَ هَلْ يَسِّرُ مَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ» الى ان يقول «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ»، فإنّ في هذه الآيات الى قوله: ثم يحيين من حسن التخلّص ما يدهش العقول فتأمل في حسن البلاغة.

قال اهل البيان انّ من البلاغة براعة الاستهلال و حسن الابتداء وهو ان يأتي المتكلّم بكلام يفهم غرضه من كلامه، عند الابتداء من كلامه، من استهل الصبي اى صاح عند الولادة،

و استهل رأى الهلال و استهلّت السماء اى جادت بالهلال و هو أول النظر و المقصود من إنزال القرآن حفظ الأصول التي عليها مدار الدين و الدنيا و الأصل الأول معرفة الله و صفاته، و الى هذا المعنى الإشارة برب العالمين الرحمن الرحيم من الصفات.

فيستحق الحمد و الإطاعة ثم الأهم معرفة النبوات، و اليه الإشارة بالذين أنعمت عليهم و معرفة المعاد، و اليه الإشارة بمالك يوم الدين، ثم علم العبادات و اليه الإشارة بآياك نعبد، و علم السلوك و هو حمل النفس على الآداب الشرعية و الانقياد، و اليه الإشارة باهدنا الصراط المستقيم، و علم القصص و هو الاطلاع على اخبار الأمم السابقة ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله و شقاوة من عصاه، و اليه الإشارة بقوله:

«صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» ففي فاتحة القرآن براءة و تنبيه على الغرض من إنزال القرآن، و كذلك سورة اقرأ فيها حسن الابتداء و البراعة، فان فيها الأمر بالقراءة و البدء فيها باسم الله لتعريف ذاته، و فيه اشارة الي علم الاحكام بقوله «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» مثال براءة الاستهلال في الشعر قول ابي تمام يهنئ المعتصم العباسي بفتح عمورية و كان المنجمون زعموا انها لا تفتح في هذا الوقت.

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحديين الجدّ و اللعب

بيض الصفائح لأسود الصحائف في متونها جلاء الشك و الريب

قيل في معنى التفسير أصله من التفسرة و هو ماء المريض يجعلونه في القارورة ليعلم و يستنبط الطبيب مرض المريض فيستكشف منه، و قيل غيره. و القرآن معانيه على اقسام منها ان المصلحة لا تقتضي ان يعلم علمه احد حتى الأنبياء، مثاله: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ» و قسم يعلمه من عرف العربية و هو المحكم، مثل: «قوله تعالى وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ * وَ لَا تَقْرَبُوا الزَّوْنِي وَ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ» * و اغلب القرآن من هذا القسم الثاني، و قسم ثالث و هو الذي لا يتبين المراد منه كاملا إلا إذا شرحه النبي، و هو الذي يسمّى بالمجمل نحو «أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ» * و مثل «وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» و قسم رابع و هو الذى لفظه مشترك و هو الذى يسمّى بالمشابه كه آن ذو احتمال بر معاني چند باشد، در

این صورت پس متشابه آن باشد که مراد از ظاهر فهمیده نشود بدون دلیل سمعی نه عقلی، بعبارة اخرى لا يقدم المكلف في العمل به الا باخبار الرسول و الامام من نقل الصحيح عنهم.

و مثال آیات متشابهه مثل و جاء ربك و قوله فثم. وجه الله. و قرآن ناسخ است و منسوخ یعنی آیه بعد نسخ حکم ما قبل را می کند مثل «و الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» که این آیه نسخ کرد آیه قبل را که این بود «و الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِدْيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ» و هذا الحكم منسوخ لكن التلاوة غير منسوخة، هذا قسم من النسخ و اما العام فهو لفظ يشمل جميع افراد جنسه و الخاص لا يشمل الا الفرد و اما أسامي القرآن أولها القرآن من الضم و الجمع و فرقان و كتاب و ذكر و تنزيل و حديث و موعظة و تذكرة و تبيان و بصائر و فصل و حكم و حكيم و ذكرى و حكمة و مهيمن و شافي و هدى و هادي و صراط مستقيم و نور و حبل و رحمت و روح و قصص و حق و بيان و عصمة و مبارك و نجوم لأنها نزلت نجما نجما قال الله فلا اقسام بمواقع النجوم و هو المراد من المعنى و مجيد و عزيز و كريم و عظيم و سراج و منير و بشير و نذير و عجيب و قيم و مبین و نعمة و علىٰ فهي ثلاثة و أربعون اسما لها مناسبات مع المسمى. و اما السورة سميت بها قيل السورة المنزلة العظيمة. قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب. اي منزلة شريفة عالية و كذا سور البلد لأنه مرتفع.

هذا إذا كان بغير الهمزة لكن إذا كان مهموزا فالمعنى بقية الماء و الطعام في الإناء، و اما الآية بمعني العلامة مثل و آية منك في كلام عيسى و بمعني الرسالة أبلغه عني آية اي رسالة و بمعني الجماعة كقولهم خرج القوم بأيّتهم اي بجماعتهم و بمعني الأعجوبة، كل هذه المعاني مناسبة للآية و اما الكلمة لفظ موضوع يدل على معني بالوضع.

في ثواب القراءة روى شهر بن حوشب عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، و قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القرآن غني لا غنى دونه و لا فقر بعده قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القرآن أفضل كلشي ء دون الله فمن قرّ القرآن فقد قر الله و من لم يوقر القرآن فقد

استخف بحرمة الله و حرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد عند ولده.

وعن أبي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قرأ ثلث القرآن كأنه أوتي ثلث النبوة. و من قرأ ثلثه كأنما أوتي ثلثي النبوة و من قرأ تمام القرآن فكأنما أوتي تمام النبوة، ثم يقال له اقرأ و ارقأ بكل آية درجة في الجنة.

وفي رواية عن نساء النبي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله الملبسون نور الله، المعلمون كلام الله، من عاداهم فقد عادي الله، و من و الأهم فقد والى الله، يقول الله تعالى يا حملة القرآن تحببوا الى الله بتوفير كتابه يزدكم حبا و يحببكم إلى خلقه و يدفع عن مستمع القرآن شر الدنيا و يدفع عن تالي القرآن بلوى الآخرة، و لمستمع آية من كتاب الله خير من مبشر ذهابا و لتالي آية من كتاب الله خير مما تحت العرش الى تخوم الأرضين السفلى، و في رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من تلا كتاب الله من الصفحة لا من ظهر الخاطر خفف الله عن والديه و لو كانا مشركين.

و في خبر آخر قال معاذ بن جبل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان أردتم عيش السعداء و موت الشهداء و النجاة يوم الحشر و الظل يوم الحرور، و الهدى يوم الضلالة فادرسوا القرآن فانه كلام الرحمن و حرز من الشيطان و رجحان في الميزان. و روى حارث الهمداني عن امير المؤمنين عن رسول الله: انه صلى الله عليه وآله وسلم ذكر فتنة بعده فقلنا يا رسول الله فيما الخلاص منها؟ قال: بكتاب الله، قال عطا أنزلت فاتحة الكتاب بمكة يوم الجمعة كرامة أكرم الله نبيه بها و كان معها سبعة آلاف ملك حين نزل بها جبرئيل، روى ان غير أقدمت من الشام لأبي جهل بمال عظيم و هي سبع فرق و رسول الله و أصحابه ينظرون إليها و أكثر الصحابة بهم جوع و عرى فخطر ببال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يسأل شيئا من الله لحاجة أصحابه فنزل قوله تعالى:

«وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي» أي مكان سبع قوافل لأبي جهل، و لما علم الله ان تمثيه لم يكن لنفسه بل لأصحابه قال: «وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ».

و فضائل هذه السورة كثيرة، قيل انه ليست فيها سبعة أحرف، ثاء الثبور و جيم الجهيم و خاء الخوف و زاء الزقوم و شين الشقاوة و ظاء الظلمة و فاء الفراق، و من قرأها

على التعظيم والحرمة أمن من هذه الأشياء السبعة. وفي الروضة من خطبة لعليّ بن الحسين عليه السلام: وأشعروا قلوبكم خوف الله و تذكروا ما وعدكم الله في مرجعكم اليه من حسن ثوابه كما قد خوّفكم من شديد العقاب، فإنّه من خاف شيئاً حذّره و من حذر شيئاً تركه، و لا تكونوا من الغافلين. قال الصادق عليه السلام: من عرف الله خاف الله، و من خاف الله سخط نفسه عن الدنيا، و ان حبّ الشرف و الذكر لا يكونان في قلب الخائف الهارب و المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى و عمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لا يصبح إلا خائفاً و لا يصلحه إلا الخوف و لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، حتى يكون عاملاً لما يخاف و يرجو.

روى الصدوق من ليث بن ابي سليم قال: سمعت رجلاً من الأنصار يقول: بينما رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر إذ جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرّمضاء يقبّل ظهره مرّة و بطنه مرّة و جبهته مرّة و يقول يا نفس ذوقى فما عند الله أعظم ممّا صنعت بك؛ و رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ينظر اليه ما يصنع ثم انّ الرجل لبس ثيابه ثم اقبل فأومى اليه النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بيده و دعاه فقال له: يا عبد الله ما حملك على ما صنعت قال:

مخافة الله فقال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: لقد خفت ربّك حق مخافته، فانّ ربّك يباهى بك اهل السماء ثم قال صلّى الله عليه و آله و سلّم لأصحابه يا معشر من حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم فدنوا منه، فدعا لهم فقال: اللهم اجمع أمرنا على الهدى و اجعل التقوى زادنا و الجنة مآبنا.

أقول و قلّة الخوف ناشية من ضعف الايمان و شدة الغفلة، أمّا ضعف الايمان لأنك ما استكملتته باليقين و إيمانك ظنيّاً تخمينياً و من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة، و العلاج ملازمة الفكر في احوال القيامة و التدبّر في سيرة الأنبياء و الكملين فإنّهم مع عصمتهم و جلاله شأنهم كيف يخافون الله و يأخذهم الغشوة من الخوف و يتململون تمللم السليم؟

و أما الغفلة فتزول بالتذكير و مجالسة الأخيار و مشاهدة أحوالهم فان فاتت المشاهدة فالسمع لا يخلو من تأثير. قال السجاد عليه السلام سبحانك عجباً لمن عرفك كيف لا يخافك؟

أقول: ان الخوف إذا كان صادقاً يظهر اثره في الظاهر و الباطن كما ترى المتصف بالغضب يحمر وجهه و يقف شعره و يشتد حركاته الى انتقام من ظلمه، كذلك من اتّصف بالخوف يصفر وجهه و من اتّصف بركة القلب تجرى دمة عينيه بمجرد سماع مصيبة، كلّ ذلك للعلاقة الذاتية بين الظاهر و الباطن. و هذا معنى قولهم بين الروح و الجسد علاقة طبيعية، ففي الروح كالأصل و اللب و في الجسد كالفرع و القشر و هما متلازمان، اما سمعت أنّه عليه السّلام كان إذا قام الى الصلاة تغير لونه حتى يعرف ذلك من وجهه و كذلك ابنه السجاد عليه السّلام كان إذا قام للوضوء تغيرت حاله و ذلك لأنّه قد غلب عقولهم على شهواتهم فتركوا اللذائذ الدنيويّة علما منهم بفنائها و خافوا من هيبة كبرياء الله و رجوا رضی الله و الرجاء مقام سنى. تمت سورة الفاتحة.

سورة البقرة مدنيّة إلا آية منها فإنّها نزلت في حجة الوداع بمنى وهي:

«وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مرّ تفسيره، و اعلم أنّ المراد من قولهم مكّيّة او مدنيّة أنّه كلّما نزل قبل الهجرة يقال: مكّيّة، و كلّما نزل بعد الهجرة يقال مدنيّة، سواء نزلت بالمدينة أو غيرها، وفي الكافي عن العياشي عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل القرآن على أربعة أرباع ربيع فينا و ربيع في عدونا و ربيع سنن و أمثال و ربيع في فرائض.

وفي رواية عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نزل القرآن أثلاثا ثلاث فينا و في عدونا و ثلاث سنن و أمثال و ثلاث فرائض و أحكام. و المثل إتيان لفظ جلي لا يوضح معنى خفيّ و فائدته التأكيد في اثبات الحكم للممثل مثل قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم:

مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجي و من تخلف عنها هلك.

[سورة البقرة (2): آية 1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (1)

و قد تكلموا في شأن فواتح السور الكريمة فقليل انها من الأسرار المحجوبة، و العلوم المستورة و من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه و هي سرّ القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها و نكل العلم فيها الى الله، و هذا هو المروري عن أئمتنا عليهم السلام و فسرها لآخرون على وجه: أحدها: انها أسماء السور.

و ثانيها: ان المراد الدلالة على أسماء الله فقوله الم معنى الالف: انا الله، و اللام:

اللطف، و الميم: المجيد كما في قوله «الر» * أنا الله أرى، و «كهيعص»: انا الله الكريم الهادي الحكيم العليم الصادق، فهي حروف مقطعة كل منها مأخوذ من اسم من أسمائه، و قالوا الاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربيّة كما قال الشاعر: قلت لها قفي فقالت: ق، أي وقفت. و القول الاول أقرب إلى القبول، فيكون من المواضع المعتميات بالحروف بين المحبين، لا يطلع عليها غيرهما.

قال الرازي في المفاتيح أن الألفاظ التي يتهجّي بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة، لأنّ الضاد مثلا لفظة مفردة دالة على معنى مستقل بنفسه من غير دلالة على الزمان المعين لذلك المعنى وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب، فثبت أنّها أسماء لذلك المسمّيات ولأنّها يتصرّف فيها بالتعريف والتكثير والجمع والتصغير والوصف والاضافة والاسناد، و حكمها ما لم تلها العوامل أن تكون ساكنة الاعجاز كأسماء الاعداد؛ فيقال:

ألف، لام، ميم، كما تقول: واحد، اثنان، ثلاثة، فإذا وليتها العوامل أدركها الاعراب كقولك هذه ألف؛ و كتب الفاء، ونظرت إلى ألف، وإنّما سكنت سكون ساير الأسماء حيث لا يمسه اعراب لفقد موجبه، و سكونها وقف لا بناء، لأنّها لو بنيت لحذي بها حذو كيف وأين، انتهى.

والذين قالوا: إنّ هذه الحروف المقطعة سرّ محبوب استأثر الله به، كما سئل الشعبي عن هذه الحروف، فقال سرّ الله فلا تطلبوه. و عن ابن عباس قال: عجزت العلماء عن إدراكها فقد ردّ عليهم المتكلمون وقالوا لا يجوز أن يرد في كتاب الله ما لا يكون مفهوما للخلق، واحتجوا بالآيات والابخار والمعقول مثل قوله تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» أمرهم بالتدبر في القرآن ولو كان غير مفهوم فكيف يأمرهم بالتدبر فيه، وكذلك قوله: «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» يدلّ على أنّه نازل بلغة العرب و إذا كان كذلك وجب أن يكون مفهوما، وكذلك قوله: «لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» والاستنباط منه لا يكون يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه، وقوله: «أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» و كيف يكون الكتاب كافيا؟ وهو غير مفهوم.

و أما الأخبار: قال علي عليه السلام: عليكم بكتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبهار قصمه الله و من اتبع الهدى في غيره أضله الله، و هو حبل الله المتين، و الذكر الحكيم، هو الذي لا يزيغ به الأهواء، و لا تشيع منه العلماء، و لا يخلق على كثرة الرد، و لا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، و من حكم

به عدل، و من خاصم له فلج، و من دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

أما المعقول أنه لو ورد شيء لا سبيل إلى العلم به لكانت المخاطبة به تجري مجرى مخاطبة العربي باللغة الزنجية ولما لم يجز ذلك فكذا هذا، واحتج مخالفوهم بالآية والخبر والمعقول.

أما الآية فهو انّ المشابه من القرآن و أنّه غير معلوم لقوله: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ» و الجواب عن هذا الجواب أنّه أنّما استدلوا على مدّعاهم بهذه الآية حيث أوجبوا الوقف بقوله إلا الله، و من أين ثبت وجوب الوقف، ثم من أين لزم فهم المتشابهات لكل احد بل كل احد يجب أن يفهم من القرآن ما بيّنه الشارع علي لسان النبي صلى الله عليه وآله و سلم و ذلك مفهوم من المحكمات بتعليم النبي و بيانه، و أما العلم بتأويله و ما لا يجب عليهم فذلك علمه عند رسوله و إنّما يعرف القرآن من أنزل عليه، فيكون علم فواتح السور من العلوم المخزونة عنده و عند نبيه، و من المعلوم أنّ معرفة كمال حقايق القرآن بأجمعها ليس من وظيفة عامة الناس لأن القرآن بحر له بطون، و أين الثريا من يد المتناول، و لكن يجب معرفته لأداء ما يجب على المكلف أدائه، فأني محذور يترتب إذا لم يفهم المكاري من قوله (حم عسق) و هو علم غير مربوط بالاحكام، و العلم المتعلق بالاحكام، فهو من المحكمات، و قد بينه الشارع؛ على أنّ القول بأن هذه الفواتح من السور غير معلومة مروى عن أكابر الصحابة.

و الأفعال التي كلفنا بها قسمان: منها ما نعرف وجه الحكمة فيها على الجملة كالصلاة، و الزكاة، و الصوم، مثل أن الصلاة تواضع محض و تضرع للخالق، و الزكاة سعى في دفع حاجة الفقير و الصوم سعى في كسر شهوة النفس و الاستغفار مثلا حطّ للذنوب، فمن استغفر السبعين بهذا الاستغفار المذكور في صحيفة العلوية الذي في آخره: اللهم و استغفر لكل ذنب جرى به علمك فيّ و عليّ الى آخر عمري بجميع ذنوبي لأولها و آخرها و عمدتها و خطائها و قليلها و كثيرها و دقيقها و جليلها و قديمها و حديثها و سرّها و علانيتها و جميع ما أنا مذنبه و أتوب إليك و أسألك أن تصليّ عليّ محمّد و آل محمّد و أن تغفر لي جميع ما أحصيت من مظالم العباد قبلي فإنّ لعبادك عليّ حقوقا أنا مرتهن بها تغفرها لي

كيف شئت وأنتى شئت يا أرحم الراحمين، غفر الله ذنبه.

ومنها ما لا نعرف وجه الحكمة فيه ولا يلزم لنا معرفة حكمة أفعاله، مثل رمي الجمرات، ومعرفة بعض متشابهات القرآن وفواتح السور يكون من هذا القبيل، انتهى رجعتنا الى التفسير.

الم. قيل إن فواتح السور أقسام أقسم الله بها وهي من أسمائه تعالى.

وقيل: إنها أسماء القرآن وقيل: إنها تسكيت للمشركين كانوا توأصوا فيما بينهم أن لا يستمعوا لهذا القرآن وأن يلغوا كما ورد به التنزيل من قولهم: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فربما صفقوا و صفروا ليغلطوا النبي، فأنزل الله هذه الحروف حتى إذا سمعوا شيئاً غريباً استمعوا إليه، وتفكروا، واشتغلوا عن تغليطه، فيقع القرآن في مسامعهم، ويكون ذلك سبباً لدرك منافعهم.

وقيل: إن المراد بها أن هذا القرآن الذي عجزتم عن معارضته من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم وكلامكم، فإذا لم تقدروا عليه فاعلموا أنه من عند الله لأن العادة لم تجر بأن الناس يتفاوتون في القدر من الكلام هذا التفاوت العظيم وإنما كررت في مواضع استظهاراً في الحجّة.

وقيل: إن كل حرف منها يدل على مدة قوم و آجال آخرين يعرفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي تأويلات القاسانية، «ألف» إشارة إلى الذات الذي أول الوجود، و «ل» إشارة إلى العقل الفعّال المسمّى بجبرئيل وهو أوسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ ويفيض إلى المنتهى، و «م» إشارة إلى محمد الذي هو آخر الوجود ولذا ختم به. وقيل وجوه آخر لا يسعها هذا المختصر.

و أما إعراب موضع «الم» فيختلف بحسب اختلاف هذه الوجوه، فيجوز الرفع على الابتداء أو على الخبر لمبتدأ مقدر ويجوز النصب محلاً على إضمار فعل، تقديره اتل أو اقرأ. و أما على قول من جعل هذه الحروف المقطعة قسماً موضعها النصب أيضاً بإضمار لأن حرف القسم إذا حذف يصل الفعل الى المقسم به فينصبه، فإن معنى قولك بالله: أقسم بالله، ثم حذف أقسم فبقى بالله فلو حذف الباء لقلت الله لأفعلنّ بنصب الله. و أما علي مذهب من جعل هذه الحروف اختصاراً من كلام يعلمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقائل ابن عباس فلا محلاً

لها من الاعراب لأنها بمنزلة قولك زيد قائم في أنّ موضعه لا محلّ له من الاعراب، وإنّما يكون للجملّة موضع إذا وقعت موقع المفرد، و هذه الحروف المتهجّية و اسماء الاعداد إذا أخبرت عنها أدخلتها في جملة الأسماء المتمكّنة و أخرجتها بذلك من حيّز الأصوات و الّا فحكمها على السكون كالمبنى؛ او هو المبني.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 2]

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)

إن جعلت الم اسما للسورة ففيه وجوه:

أحدها: ان يكون الم مبتدأ و ذلك مبتدأ ثانيا، و الكتاب خبره، و الجملة خبر المبتدأ الأول، فيكون المعنى: انّ ذلك الموعود به، الكتاب الذي يستأهل ان يسمّى كتابا، كانّ ما سواه بالنسبة اليه ناقص، كما تقول هو الرّجل اى الكامل في الرجولية.

و الوجه الثاني: ان يكون الكتاب صفة، فيكون المعنى الم هو ذلك الكتاب الموعود.

و الوجه الثالث: ان يكون التقدير هذه الم، فيكون جملة «ذَلِكَ الْكِتَابُ» جملة اخرى، «ذلك» يشار الى البعيد كما انّ هذا اشارة الى ما قرب، و الاسم ذا، و الكاف للخطاب و اللام مزيدة للتأكيد. قال الأخفش ذلك في الآية بمعنى هذا لأنّ الكتاب كان حاضرا.

قال الحفاف بن ندبه:

أقول له و الرمح ياطر متنه تأمل خفافا اني انا ذلكا

اى انا هذا، و هذا الاستشهاد غير تام لآئه يمكن اجرائه على أصله، اى أنّي ذلك الرّجل الذي سمعت به و بشجاعته.

قال الزمخشري الإشارة وقعت الى الم بعد ما سبق التكلّم به و تقضى، و المنقضى في حكم المتباعد، و هذا جار في كلّ كلام، يحدث الرجل بحديث ثم يقول: و ذلك ممّا لا شكّ فيه، و يحسب الحاسب ثم يقول: فذلك كذا و كذا، و قال تعالى: «لَا فَاْرِضُ وَلَا بِكُورٍ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ» و لآئه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حدّ البعد كما تقول لصاحبك و قد أعطيت شيئا: احتفظ بذلك.

و الحقّ انّ هذه البيانات لا يطمئن إليها النفس و أضعف من حجة نحوي، لكنّ الأوجه هو انّ الله وعد نبيّة ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء، و لا يخلق على كثرة الرد فلمّا انزل القرآن قال: هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتك او هذا القرآن (و القرآن يشمل على الكل و البعض و لو آية) ذلك الكتاب الذي وعدت به في الكتب السالفة و الكتاب مصدر بمعنى المكتوب، كالحساب بمعنى المحسوب، و الكتب بمعنى الضمّ لانضمام بعض الحروف ببعض، و منه يقال للجند كتيبة، و من قال انّ المراد من الكتاب في الآية: التوراة و الإنجيل فقول فاسد، لأنّه وصف الكتاب بأنه لا-ريب فيه و انه هدى، و وصف ما في ايدي اليهود و النصارى بأنه محرّف بقوله: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ»* و الكتاب جاء في القرآن على وجوه:

أحدها: الفرض مثل كتب عليكم الصيام و مثل ان الصلّاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا.

و ثانيها: الحجّة و البرهان مثل فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين.

و ثالثها: الأجل مثل و ما أهلكنا من قرية إلاّ و لها كتاب معلوم.

و رابعها: المكاتبة مثل كتابة السيّد عبده، و الذين يتبعون الكتاب ممّا ملكت ايما نكم.

قوله «لَا رَيْبَ فِيهِ»- اي لا ريب و شكّ كائن في الكتاب، و أنّه حقّ و صدق و معجزة، و ريب اسم لا، و فيه خبرها. و الريب من رابى الشىء إذا حصل فيه الريبة، و هي قلق النفس و اضطرابها، و الريب أقبح اقسام الشكوك.

فإن قيل: أنّه نفى الريب و نحن نرى انّ الكفار شكّوا فيه، و المبتدعون شكّوا في معاني متشابهه، فما معنى نفى الريب على سبيل الاستغراق؟ فالجواب انّ نفى الريب عن الكتاب يعنى انّ الكتاب ليس فيه سبب ريب و لا يتمكّن فيه ريب لصدقه، لا انّ الناس لا يشكّون فيه.

وقيل معنى الآية النهي و إن كان لفظها الخبر، اي لا ترتابوا و لا تشكّوا فيه كقوله:

«فَلَا رَفْتٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ».

هُدَىٰ اى القرآن رشد، او فيه هدى.

لِلْمُتَّقِينَ الْمُتَّقِينَ بالتقوى، و تخصيص الهداية بالمتقين و إن كان القرآن هدى لجميع الناس لأنهم هم المهتدون به، فالشمس شمس و ان لم يرها الضيرير، و العسل عسل و ان لم يجد طعمه المحرور و المتقين أصله الموتقين مفتعلين من الوقاية فقلبت الواو تاء و أدغمت تاء الاولى في الثانية التي بعدها و حذفت الكسرة من الياء استتقالا لها ثم حذفت لالتقاء الساكنين فبقي متقين، و التقوى أصله و قوى فقلبت الواو تاء كالتراث أصله وراث، و التقوى له ثلاث مراتب:

الاولى: التوقّي عن العذاب المخلّد بالتبرّي عن الكفر، و عليه قوله تعالى: و الزمهم كلمة التقوى.

و الثانية: التجنب عن كلّ ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر و هو المتعارف بالتقوى في لسان الشرع، و هو المعنى بقوله: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا»، و الثالثة: ان يتنزّه عمّا يشغل ضميره عن الحقّ و يتبتّل اليه بكليته و هو التقوى الحقيقية المأمور بها في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ» و هذا النوع من التقوى ما انتهى اليه همم الأنبياء و الأولياء، و ما عاقبهم التعلّق بعالم الأشباح عن العروج الى عالم الأرواح و لم تصدّهم الملابس بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق و لم يتعدوا الحدود، و لذا احتملوا في دين الله حتى شتموهم: يا مدلل المؤمنين.

و روى الصدوق في اماليه باسناده عن المفضل بن عمر قال سئلت الصادق عليه السلام عن العشق فقال قلوب خلت عن ذكر الله فأذاقها الله حب غيره.

قال أفلاطون الالهي العشق قوّة غريزية متولدة عن وساوس الطبع و أشباح التخيل للهيكل الطبيعي يحدث للشجاع جينا و للجبان شجاعة و يكسو كلّ انسان عكس طباعه قيل انّ بعض الصلحاء غسل ثوبه في الصحراء مع صاحب له فقال له: تعلّق الثوب في جدار الكروم، فقال لا تضرب الوتد في جدار الناس، فقال نعلقه في الشجر فقال انه لعلّ يكسر الاغصان او يضربها فقال نبسطه على الأرض، فقال انّها معلف الدواب لا نستره عنها فولى ظهره حتى جفّ جانب ثم قلبه حتى جفّ الجانب الاخر و كان بعض الصلحاء

لا يجلس في ظل شجرة غريمه، ويقول في الخبر كلّ قرض جرّ نفعاً فهو ربا.

[سورة البقرة (2): آية 3]

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)

: صفة للمتقين، فحينئذ الجملة محلّها الجر، ويجوز ان يكون محلّها نصب، تقديره اعنى الذين يؤمنون بالغيب، ويجوز أن يكون محلّه الرفع اي هم الذين يؤمنون بما غاب عن العباد علمه، و خفى عن حواسهم من التوحيد والبعث والجنة والنار وقيام القائم والرجعة وسائر الأمور التي يلزمهم الايمان بها ممّا لا يعرف بالمشاهدة، وانّما يعرف بدلائل نصبها الله عليهم. والايان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، وقد جاء هذا المعنى بلفظ آخر، وهو أنّ الايمان قول مقول وعمل معمول و عرفان بالعقول و اتباع الرسول، و قيل أنّ المراد من الغيب في الآية القرآن، فمن اخلّ بالاعتقاد به وحده فهو منافق، و من اخلّ بالإقرار والاعتقاد فهو كافر، و من اخلّ بالعمل دونهما فهو فاسق عندنا و كافر عند الخوارج و خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة: والغيب قسمان، قسم لا طريق عليه كما قال تعالى: «وَعِدَّةٌ مَّقَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ» و قسم نصب عليه دليل كالتوحيد والنبؤات واليوم الآخر وأمثاله وهو المراد هنا، والباء للملابسة، وقيل المراد بالغيب القلب لأنّه مستور، والمعنى يؤمنون بقلوبهم حقيقة، لا كالمنافقين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فحينئذ الباء للأكلة والاستعانة.

وقيل في معنى قوله «يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» اي غائبين عن مرأى الناس متلبسين بالغيب كقوله تعالى: «يَحْسَبُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ»*.

و عن عمر بن الخطاب قال: بينا نحن عند رسول الله إذا قبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه احد منا فاقبل حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وركبته يمس ركبة رسول الله، فقال يا محمد ا أخبرني عن الإسلام، فقال النبي ان تشهد ان لا إله إلا الله و انّ محمدنا رسول الله و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت ان استطعت اليه سبيلا، فقال: صدقت فتعجبنا من سؤاله و تصديقه، ثمّ قال فما الايمان؟ قال: ان تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و البعث بعد الموت و الجنة و النار و بالقدر، فقال:

صدقت، ثم قال فما الإحسان؟ قال: ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال صدقت، ثم قال فاخبرني عن الساعة؛ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال صدقت، قال فاخبرني عن اماراتها، قال ان تلد الأمة ربتها وان ترى الحفاة العراة دعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال صدقت، ثم انطلق فلما كان بعد ثلاثة، قال لي رسول الله: يا عمر هل تدري من الرجل؟ قلت الله اعلم ورسوله، قال: ذاك جبرئيل أتاكم يعلمكم امر دينكم، و ما اتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا صورته هذه:

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ- وإقامة الصلاة ادامتها على الوجه المأمور به، يقال أقام القوم سوقهم إذا لم يعطلوها عن البيع والشراء، ولعل معنى الصلاة مأخوذ أصله من رفع الصلاة في الرُّكُوع والسجود، والصلاة عظم في العجزة وللصلاة إطلاقات. للدعاء كما في قوله: «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ» اي ادع لهم، وللثناء كقوله: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» والقراءة مثل قوله: «وَلَا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ» وبالرحمة كقوله تعالى: (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ) وبالصلوة المشروعة المخصوصة بأفعال و اذكار- سميت بها لما في قيامها من القراءة وفي قعودها من الثناء والدعاء ولفاعلها من الرحمة والمراد في الآية المداومة على الصَّلوات الخمس المشتملة علي القيام والركوع والسجود والتسبيح و مراعاة حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن و حقوقها الباطنة من الحضور والإقبال بالقلب.

قال ابراهيم النخعي إذا رأيت رجلا يخفف الرُّكُوع والسجود فترحم على عياله يعني من ضيق المعيشة:

فاستمع آداب الصلاة حتى لا- تكون كالتاجر الذي اشترى حمل الابریشم ولم يره فلما اتى بالأحمال في معرض البيع راها التاجر كلها خرق الصوف فقاموا يضحكون من بضاعته وهو مطرق برأسه خجلان، وأنت كذلك يوم تبلى السرائر قال الله: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)

سرمایه عمر و کار و بار تو بحشربنجر چو گشایند چه خواهد بودن

فاعمل خالصا و تقحه عن الشوائب مثل الرياء فان الرياء يتصور بصورة الحيه في قبرك و تنهشك و كذلك البخل بصورة العقرب فتلسعك، و قليل من العمل إذا كان

خالصا يكشف سدود الغفلة و يدفع الشبه القلبية و يزيل سوادها فتثور بنور الصدق و و يتطهر عن قذارة المعاصي السالفة و عن لوث الأجسام الرذلة المعلولة، فيكون أول باب بدر الهداية رؤية كوكب ضعيف ثم ينسبط بالخلوص و العمل شيئا فشيئا فصار قمرا و شمسا فينقلب الليل من شمس و جودك نهارا فعند ذلك تدرك ذوق حلاوة الخلوة و المناجاة و انما منعك عن الذوق و صرف وجهك عن الباب عاداتك المألوفة و شهواتك النفسية و مخالطتك مع أبناء الدنيا.

و في كتاب تنبيه الغافلين انّ حاتم الزاهد دخل على عاصم بن يوسف فقال له عاصم: يا حاتم هل تحسن أن تصلي؟ فقال نعم، قال كيف تصلي؟ قال إذا تقارب وقت الصلاة أسبغ الوضوء ثم استوى في الموضع الذي أصلي فيه حتى يستقر كل عضو مني، و اري الكعبة بين حاجبي و المقام بحيال صدري و الله فوقي يعلم ما في قلبي، و كان قدمي على الصراط و الجنة عن يميني و النار عن شمالي و ملك الموت خلفي، و أظنّ أنّها آخر صلاتي في الدنيا ثم أكبر تكبيرا بإحسان و اقرأ قراءة بتفكير و اركع ركوعا بتواضع و اسجد سجودا بتضرع، فاجلس و أتشهد على الرجاء و أسلم علي الإخلاص فأقوم و انا بين الخوف و الرجاء و اتعاهد علي الصبر، قال عاصم يا حاتم أهكذا صلواتك قال كذا صلواتي منذ ثلاثين سنة فبكي عاصم و قال ما صليت من صلاتي مثل هذا قطّ.

و في ثواب الأعمال قال الصادق عليه السلام فضل الصلاة في أول وقتها خير للمؤمن من ولده و ماله، و في حديث آخر ايضا عنه عليه السلام كفضل الآخرة على الدنيا، و عن اصبح بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ان الله ليهمّ بعذاب اهل الأرض جميعا حتى لا يحاشي منهم أحدا إذا عملوا بالمعاصي و اجترحوا السيئات فإذا نظر الي الشيب ناقلي اقدمهم الى الصلاة و الولدان يتعلمون القرآن رحمهم فاخر ذلك عنهم. و النوافل لها آثار مخصوصة و هي مكملات لنواقص الفرائض. و للاذكار و للآيات آثار مخصوصة مثل ان آية الكرسي مع قطع النظر عن ثواب قراءتها يدفع كيد العفاريت.

قال رسول الله أتاني جبرئيل فقال يا محمّد انّ عفريتا من الجنّ يكيذك في منامك فعليك بقراءة آية الكرسي عند منامك فكان يقرئها حين منامه و إذا قام من نومه حرّ

لله ساجدا ثم يقول، الحمد لله الذي أحياني بعد موتي أن ربي لغفور شكور؛ ومن أفضل الطاعات الصلاة، والصبر علي الطاعات شديد مطلقاً لأن النفس بطبعها تنفر من العبودية وتشتهي الربوبية ومن الطاعات والعبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة فيحتاج الي الصبر ومنها ما يكره علي الطبع بسبب البخل وحب المال كالزكاة والانفاق وكذلك الحج والجهاد ويحتاج المطيع في أطاعته الي الصبر في ثلاثة احوال، الاولي قبل الطاعة بتصحيح النية والإخلاص، والثانية حالة العمل كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله لئلا يكون العمل جسدا بلا روح فلا يتكاسل في آدابه ويدوم علي ذلك الي الفراغ، والثالثة بعد الفراغ فيحتاج الي الصبر ايضا عن افشائه من السمعة والرياء والعجب، وكذلك المعاصي يحتاج الي الصبر عن تركها، فاشد أنواع الصبر عليها بالصبر عما كان مألوفاً بالعادة فإن العادة طبيعة خامسة فإذا انضافت الي الشهوة تظاهر جندان من جنود الشياطين علي جند الله فلا يقوى الجند جندين، ثم ان كانت تلك المعصية مما تيسر فعله كان الصبر عنه أثقل كالصبر عن معاصي اللسان من الكذب والغيبه والثناء علي النفس وجميع هذه المعاصي تحتاج الي الصبر وتركها شديد علي النفس، وهيئات فأين الثريا من يد المتناول، فمن لم يقدر علي حفظ لسانه كيف يتمكن من عفة بطنه وفرجه؟ مع أنه عرف ان الصمت سلم الخلاص والنطق يحبس الهزار في الاقفاص. ولن تدرك لذة العبادة إلا بالتدبر والتفكر في خلوص العمل، وهذه القطعة من اللحم إذا ما حبسته بطابقين لا تبقي لك عملاً في الغالب، أما سمعت ان الجرس آفة القوافل؟ خير القوس الكتوم وخير الشراب المختوم رشين الفتى يطرد الاحباء، وسواس الحلبي يوقظ الرقباء، يا اسفى على غفلة الملدوغ ومع الترياق يتداوله ولا يتناوله اما يعلم أن تأخير العمل عن العلم حبس الماء من النبت وإصلاح الظاهر مع فساد الباطن حيلة اصحاب السبت؟ دانق من الصلوات أحب اليه من الصلاة. أترجو نجاة المخفين باوزار جمععتها وحقوق منععتها؟ عرض عليك زخارف الدنيا فنسيت كلمة الله العليا، سترى حين تبدوا الضمائر وتبلى السرائر. ثوب مطوى تبصر خروقه يوم النشر و بز مكتوم تظهر عيوبه يوم الحشر ولو ان الحراثة ريعان الحداثة والزراعة في اول الخريف

لا في آخر المصيف، ولكن يا نفس لا تيأسي من روح الله ما دامت بقية فيك بشرط خلوص النية والإقبال الكلي الى الله و الاعراض عن غيره «وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ». و القرآن شفاء و يختلف الأثر باختلاف الكلام و المتكلم و قصة علقمة بن عطار و تنصّره بعد إسلامه في زمن أبي بكر حيث ناقش في اهدنا الصراط المستقيم فشكى أبو بكر الى أمير المؤمنين فكتب عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول، ثم فسّر معنى اهدنا الصراط المستقيم في الكتاب وبعثه الى علقمة فاسلم علقمة ورجع الى المدينة، فاستشف بالقرآن و تلاوته مع التدبر في فحوايه من الأمراض الروحانية و العقائد الفاسدة و الأخلاق المذمومة، فانه يهديك الى الذي ينفعك النفع الباقي لا الفاني، تأمل في قوله تعالى: «اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ» كيف عين لك الخير الباقي و هو اجابة ربكم بالطاعة، و وقت الاجابة في أيام عمرك، و اشارة الى أنّ الطريق إليه مفتوح، و عن قريب سيغلق الباب عليكم بالموت بغتة، تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار فشّم العرار في النجد فانك ان انتقلت الى حدّ البرزخ بزوال شمس الحيوة لا يمكنك التدارك و شمه فلا تغلق على نفسك أبواب المواهب و الفتوحات حيث أقدرك على تحصيلها، فتتبع القرآن في الليل و النهار يوصلك الى مقام الايمان و مرتبة اليقين و الاجابة فان الله جعل القرآن علاجاً للقلوب المريضة التي ناشئة من نسيان الله كما قال: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ»، و العلاج يكون بالذكر كما قال: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» فإذا ذكر الله و تدبّر في القرآن استشفي، و يكون قلب الذاكر عرش الرحمن و المنظر الإلهي، و القرآن أعظم نعم الله و هو حبل الله المتين، فالويل لمن انقطع عن هذا الحبل فما تنفعه شفاعة الشافعين و كان السلف إذا فاتهم بعض آداب الليل من الصلاة و التلاوة يبكون طول النهار لما فاتهم من الليل و يقول ما أشد المي باي مغلق و ستر الليل مسدل و لم أقرأ حزبي البارحة و ما ذاك الا بذنب أحدثته. في اخبار داود عليه السلام: ان الله اوحى الى داود. يا داود ابلي اهل الأرض اني حبيب لمن أحبني، مونس لمن أنس بذكري، جليس لمن جالسني، و صاحب لمن صاحبني و مختار لمن اختارني و مطيع لمن أطاعني، ما

احببني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي و احببته حبالا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني و من طلب غيري لم يجدني، فارفضوا يا اهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها و هلموا الى كرامتي و مصاحبتي و أنسوا بي أو انسكم و أسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابراهيم خليلي و موسى نجبي و محمد حبيبي، و روى ان الله اوحى الى بعض الأنبياء ان لي عبادا يحبوني و أحبهم و يشتاقون الي و اشتاق إليهم و يذكرونني اذكركم فان حذوت طريقهم أحببتك و ان عدلت عنهم مقتك قال يا رب و ما علامتهم قال سبحانه يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه و يحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فإذا جنهم الليل و اختلط الظلال و فرشت الفرش و نصبت الأسرة و خلا كل حبيب بحبيبه نصبوا اليّ اقدامهم و افترشوا اليّ وجوههم و ناجوني بكلامي و تملقوا الي بانعامي، فبين صارخ و باك و بين متأوه و شاك و بين قاعد و قائم و راع و ساجد بعيني ما يتحملون من اجلي و بسمعي ما يشكون من حبيّ اول ما أعطيتهم ثلاث: اذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم، و الثانية: لو كانت السموات و الأرض و ما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم، و الثالثة:

اقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما أريد أن أعطيه، و اوحى الى داود عليه السلام: اعلم بني إسرائيل انه ليس بيني و بين احد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم عندي ضعني بين عينيك و انظر اليّ ببصر قلبك، و خذ من نفسك لنفسك، و اقطع شهوتك لي فانما ابحت بعض الشهوات لضعفة خلقي، و اما الأقوياء فانّ نيل الشهوات المباحة تنقص حلاوة مناجاتي، فاني لا ارضى الدنيا لحبيبي و نزهته عنها، يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم و رفقني بهم و شوقي الي ترك معاصيهم لماتوا شوقا اليّ و تقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين عليّ و ما اجلّ ما يكون عندي إذا رجع إليّ.

قال قطب محيي: الخروج من زمرة الخاسرين بنص القرآن المجيد الايمان و العمل الصالح و التواصي بالحق اي المعروف و الصبر اي تحمل مشقة التكليف كما في سورة العصر «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ وَ الْعَصْرِ اِنَّ الْاِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ اِلَّا الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ»، فعلى هذا إذا كان المؤمن رأى أنّ أخاه جاهلا في امور دينه فلا يهتم له ولا يرفع جهله لا يخرج من زمرة الخاسرين ولو آمن وعمل صالحا لأنه مسامح في اقامة الحدود و مداهن في دينه بل يسري جهل الجاهل اليه فإنّ العالم والجاهل من نوع واحد والناس مشتركون في القعود في سفينة الدنيا فإذا كان واحد من اهل السفينة بسبب جهله أخذ قدوما و اشتغل بنقر السفينة ليشرب الماء من النقب فإذا ما منعه و ما أخذوا القدوم من يده فيغرق السفينة و أهلها جميعا كما أن البدن إذا أصاب عضوه مرض فجميع الأعضاء تكون مؤفة و ايضا يسرى الجهل و الضلالة الى ذلك المؤمن العالم الصالح لأنّ السيل إذا كان جارفا يذهب الفيل و النجار إذا لم يجده المنشار و الخشب من اين يصنع الباب فيكون بطالا و ينقطع صنعة النجارة و لا يكون باب و لا نجار، و بالجملة فهذان العمودان و هو الأمر بالمعروف و التّهي عن المنكر ان لم يكونا من اصول الدين كما قالته المعتزلة فهما قواما الدين و لولا هما ما بقي الدين فاكشفوا يا أهل الدين صحائف التعليم و صفائح التعلم و أحيوا السنة بتواصى الحق و أكثروا مجالس مذاكرة العلم النافع على طريقة محافظة السلف من دون الجدل و المراء من بيان اسباب المنجية من النار و المؤدية الى دار السلام من السنة النبويّة و القرآن العظيم الذي اخرجت آياته الفصحاء و حيّرت حكمته و معانيه العقلاء؛ لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ و لا تضئع الجوهر النفيس و هو ايام عمرك في تحصيل بعض العلوم، و اعلم ان اجلّ العلوم ما دخل معك في القبر و هو علم التوحيد و لا ينكشف لك هذا الباب الا بعد ان تعمل بقدر معلومك منه فما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا فالخرم التجنّب عن المعاصي حتى تكون النفس مطمئنة.

و أول ما يجب عليك بعد ان عرفت ان لك ربا صون النفس عن القبائح و الرذائل؛ ففي اقامة الفرائض فجاهد و على سنن الرسول فعاهد فمن لم يوقر السنة و لم يجلبها لم يعرف قدر الفريضة و لا محلّها فإنّ العروس يجب لها الزينة و السنة زينة الفريضة، ثم لا تغفل من هفوات تصدر منك و أنت غافل و لا تقل، اني اتقيت الكبائر فان السيل

أولها القطرة و ان شبل الزنبال تقطع أوصاله النمل ولا يقدر الزنبال دفع النمل الضعيف مع قوته عن شبله، ولا تقل انها صغيرة؛ النهاية الصغيرة تولد في قبرك حيّة؛ و الكبيرة ثعبانا، اما سمعت قول الله تعالى: (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)؟

وفي كتاب انس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ان بجانب الغربي من بيت المقدس مقبرة كانت معروفة بمقبرة ما ملا تصحيف ما من الله يسمونها اليهود بيت مملو فاتق يوما ان قارى قرأ هذه الآية في تلك المقبرة في ضمن تلاوته فسمع من قبر؛ وجدنا وجدنا، و كان ذلك القبر معروفا بقبر وجدنا و ما عرف صاحب القبر.

و بالجملة فان كنت في ريب فعافك الله و ان كنت من اهل اليقين فما هذه الغفلة فكما ان الحكم في القود و القصاص يختلف في تنوين و اضافة في قولك: انا قاتل غلامك و انا قاتل غلامك كذلك بحركة أو كلمة أو فعلة تكون في الآخرة من اهل الشقاوة أو السعادة فاعمل و لا تغفل و لا تيأس.

اما سمعت قوله تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» فان هذه الآية متضمنة كثرة الرحمة من وجوه الاول- خطاب اللطف بالنسبة الى ذاته، فقال يا عبادي و لم يقل يا أيها العصاة مع ان الخطاب إليهم.

الثاني- قال: لا تقنطوا و لفظ القنوط مستلزم تحريم اليأس من المغفرة مع الإسراف و التجاوز في ارتكاب المعاصي.

الثالث- انه تعالى لم يكتف بذكر لا تقنطوا بل أكد بقوله: ان الله يغفر الذنوب جميعا.

الرابع- وضع المظهر موضع المضمرة و قال ان الله و ذلك لاسناد المغفرة بصريح اسمه الذي قامت السموات و الأرض به.

الخامس- استوعب مغفرته بلفظ الجميع للتحقق و التأكيد في وقوع المغفرة السادس- إتيان ضمير الفصل بين الاسم و الخبر ليفيد معنى الحصر من رحمته

و مغفرته للدلالة على التأكيد في المغفرة.

السابع - ضمّ الرحمة بالمغفرة دلالة على سعة رحمته.

عن ثوبان مولى رسول الله قال: رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم بعد نزول الآية ما أحب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية. في المنهج عن أمير المؤمنين عليه السلام ان هذه الآية أوسع آية دالة على الرحمة وقيل ان الحسنات يذهبن السيئات أوسع آية في القرآن

قائم باشى بخدمت حق صائم باشى ز شر مطلق

و هذا معنى قوله تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)، فاسع ان تدرك المراتب الاربعة تخلية و تحلية و تجلية و فناء حتى يكون قلبك أزهر أجرد في الكافي: القلوب اربعة قلب فيه نفاق و ايمان إذا أدرك الموت صاحبه على نفاقه هلك و ان أدركه على إيمانه نجى و قلب منكوس و هو قلب المشرك و الكافر و قلب مطبوع و هو قلب المنافق و قلب أزهر أجرد و هو قلب المؤمن فيه كهيئة السراج ان أعطاه الله شكر و ان ابتلاه صبر فحينئذ أدرك مرتبة الرابعة من النفس و هي الامارة و اللوامة و الملهمة و المطمئنة في البحار من الحديث: ان في القيمة تنكشف خزانة ساعات يومك و ليلك، فساعة التي عملت فيها الخير و الحسنات يصيبك فرح و سرور لو قسم على اهل النار لما وجدوا الم النار و كذلك ساعة التي عصيت فيها يصيبك خوف لو قسم على اهل الجنة لا يستلذون من نعيمها، و كذلك ساعة اشتغلوا في المباحات يتحسرون غاية من تضييع الوقت فيا مغرور ترتكب الكبائر، فلو نصحك ناصح تعتل بالضرورة، ما أشبه عذرك بعذر السارق للغمر؛ فلو اغتررت بانتسابك التشيع و حب عليّ فما هذه النسبة مع إدمان المعاصي الا كذب محض و ادعاء، انما شيعة على عليه السلام من شايعه و تابعه فما أشبه كلامك بكلام ذلك المداح السكران لما قيل له لم تشرب الخمر و ما تصنع ان لم يغفرك الله؟ فقال ان لم يغفرني فعلى حتى يوم القيمة فيغفر لي آه، آه! فما رعوها حق رعايتها.

و الحاصل ان الله سبحانه سنّ في الصلاة أمورا فبالمدامدة عليها قال: «الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَدَائِهِمْ دَائِمُونَ» و بالإقامة عليها بقوله: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ»* و بأدائها في اوقات

مخصوصة بقوله: «كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا» وبادئها في الجماعات بقوله:

«وَازْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» وبالْحُضُورِ وَخُشُوعِ فِيهَا بِقَوْلِهِ: «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْأَمْرِ مِنَ اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ صَارَتِ النَّاسَ عَلَى طَبَقَاتٍ طَبَقَةٌ لَمْ يَقْبَلُوهَا رَأْسًا وَرِئِيسَهُمْ أَبُو جَهْلٍ، قَالَ اللَّهُ فِي حَقِّهِ: «فَلَا صَدَقَ وَلَا صَدَّقَ لِي» فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ مُصِيرَهُمْ بِقَوْلِهِ «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ» إِلَى قَوْلِهِ «وَكَذَّبْنَا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ».

وَطَبَقَةٌ قَبَلُوهَا وَ لَمْ يُوَدِّوا حَقَّهَا وَ هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ قَالَ اللَّهُ: «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ» فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ مُصِيرَهُمْ إِلَى النَّارِ فَقَالَ «فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» وَ هِيَ دَرَكَةٌ فِي جَهَنَّمَ أَهْيَبُ مَوْضِعٍ فِيهَا تَسْتَعِيثُ النَّاسِ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ كَذَا وَ كَذَا مَرَّةً، وَ طَبَقَةٌ آدَوْا بَعْضًا وَ لَمْ يُوَدِّوا بَعْضًا مُتَكَاسِلِينَ وَ هُمْ الْمُنَافِقُونَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ وَ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى وَ ذَكَرَ أَنْ مُصِيرَهُمْ إِلَى النَّارِ وَ الْوَيْلُ، وَ هُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ لَوْ جَعَلَتْ فِيهَا جِبَالٌ لَدُنِيَ لَمَاعَتْ وَ سَالَتْ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: مِنْ تَرَكَ صَلَاةً حَتَّى مَضَى وَ قَتَّهَا عَذَّبَ بِالنَّارِ حَقْبًا، وَ الْحَقْبُ ثَمَانُونَ سَنَةً، كُلُّ سَنَةٍ ثَلَاثُمِائَةٍ وَ سِتُونَ يَوْمًا، كُلُّ يَوْمٍ أَلْفُ سَنَةٍ مِمَّا تَعَدُّونَ وَ تَأْخِيرُ الصَّلَاةِ مِنْ غَيْرِ عِذْرٍ كَبِيرَةٍ.

وَ طَبَقَةٌ قَبَلُوهَا وَ رَاعَوْهَا بِشَرَائِطِهَا، وَ رَأْسَهُمُ الْمُصْطَفَى، قَالَ تَعَالَى «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ» وَ كَذَلِكَ أَصْحَابِهِ، فَذَكَرَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» وَ ذَكَرَ مُصِيرَهُمْ فَقَالَ: «أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ»، وَ هُوَ أَرْفَعُ مَوْضِعٍ فِي الْجَنَّةِ وَ أَبْهَاءُ، يَنَالُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ مِنْهُ وَ يَنْظُرُ إِلَى رَحْمَةِ مَوْلَاهُ.

وَ الصَّلَاةُ خَيْرٌ مَوْضِعٍ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَسْتَقِلْ وَ مَنْ شَاءَ فَلْيَسْتَكْثِرْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

«إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ». وَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: الصَّلَاةُ قَرْبَانٌ كُلُّ تَقَى.

وَ عَلَيْكَ بَعْدَ إِتْمَامِ الْفَرَائِضِ بِآدَابِهَا وَ إِتْيَانِ قِضَائِهَا مَا فَاتَ مِنْ عَمْرِكَ كَمَا فَاتَ الْإِشْتِغَالُ بِالنَّوَافِلِ خُصُوصًا نَافِلَةَ اللَّيْلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَ أَقْوَمُ

قِيلاً». وقد جاء في الحديث قم من الليل و لو قدر حلب شاة او قدر اربع ركعات او ركعتين. و قيل في تفسير «تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ» هو قيام الليل كسلا او تهاونا لقلّة الاعتماد بذلك يليك عليه فقد حرم من الخير الكثير، وقد يكون العبد شائقا و تائقا لقيام الليل و لا يتوفى فالسبب فيه ان ذنوب النهار قد قيّده فليحذر العبد في نهاره، حتي قال بعض المتهجّدين حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنب فقيل له ما كان ذلك الذنب، قال رأيت رجلا بكاء فقلت في نفسي هذا مرء، و قد يكون ينقطع عنك التوفيق خمسين سنة بسبب أداء حق من حقوق الله او حقوق الخلق مثل ان تطلق مثلا- امرأتك و هي تهب لك صداقتها بمحضر القاضي و أنت مديون لها و ما أوفيت صداقتها مع أنّها وهبتك، اما سمعت قول الله «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا»؟ و ابرائها لك بسبب سوء العشرة معها لا عن طيب نفسها و القاضي الفقير لا يعلم بذلك و قد حكم لك بالتخليص من الصداق.

و من آداب الصلاة أنّه إذا دخل الوقت يقدم السنة النوافل الراتبة ففي ذلك سرّ و حكمة، منها أنّ العبد تشعث باطنه و تفرق همّه بسبب المخالطة من الناس و الدنيا و قيامه بمهامّ المعاش من صرف همّ الى أكل أو نوم بمقتضى الحيلة فإذا قدم النافلة ينجذب باطنه الى الحضور و يتهيأ للمناجات فيذهب بالنافلة اثر الغفلة و الكدورة من الباطن فيصير مستعدّا حاضرا للفريضة يستزل بها البركات و تطرق النفحات، ثم بعد النافلة يجدد التوبة عند الفريضة عن كل ذنب عمله من الذنوب عامة و خاصة، فالعامة، الكبائر و الصغائر مما نطق الكتاب به، و اما الخاصّة ذنوب الحال فكلّ عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله و يعرفها صاحبها كما قيل:؛ حسنات الأبرار سيئات المقربين؛.

ثم إذا تمكّن لا يصلّي الآ جماعة، فإنّها تفضّل صلاة الغد بسبع و عشرين درجة.

و بعد ان استقبل القبلة بظاهره و الحضرة الالهية بباطنه يقرأ سورة الناس و آية التوجّه قبل الصلاة فتوجّه ظاهرا و باطنا ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث يكون كفاه حذو منكبيه و ابهاماه عند شحمة أذنيه و يضمّ الأصابع، و الضمّ اولى من النشر، و يكبّر

و يجزم راء اكبر و يجعل المدّ في الله و لا يبالغ في ضمّ الهاء من الله ثم يرسل اليدين مع التكبير من غير نقص.

وصفوة الصلاة التكبيرية. و يكون النيّة بالله لله و من الله. و قال السلف كيفيّة الدخول في الصلاة هو ان تقبل على الله اقبالك عليه يوم القيمة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك و بينه ترجمان و هو مقبل عليك و أنت تناجيه و تعلم بين يدي من أنت واقف، فان لله عبادا إذا كبر في الصلاة غاب في مطالعة العظمة و الكبرياء و امتلاً باطنه نورا فصار الكون بأسره في فضاء شرح صدره كخردلة في فلاة و إذا شرع في القراءة يطرق رأسه في قيامه و يكون نظره الى موضع السجود و يكمل القيام بانتصاب القامة و نزع يسر الانطواء عن الركبتين و يعاطف البدن و رعاية الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعا، و يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قبل البسملة في الركعة الاولى، و يقرأ الفاتحة و السورة بحضور قلب، و جمع همّ و خاطر، بين القلب و اللسان، بحظّ وافر من الوصلة و الدنو و الهيبة و الخشية و الوقار، و ان لم يكن كذلك و قال باللسان من غير مواطاة القلب، فما اللسان ترجمانا، و لا القاري متكلماً قاصداً، سماع الله حاجته، و لا مستمعا الى الله فاهما عنه سبحانه ما يخاطبه، فصلوته جسد بلا روح، و اقلّ مراتب الخاصّة الجمع بين القلب و اللسان في التلاوة، فتخرج الكلمة من لسانه، و يسمعها بقلبه، فتقع الكلمة من القرآن في فضاء قلب ليس فيه غيرها بكمال الرعي، و درك شريف فحواها من معان تلطّف عن تفصيل الذكر، فيكون الظاهر له من معاني القرآن قوت النفس، فالنفس المطمئنة متعوّضة من معاني القرآن، و يمثل هذه المطالعة يكون كمال الاستغراق في لجج الاشواق، كما حكى عن أمير المؤمنين أنّه صلّى ذات يوم فاستخرجوا كسرة النشارة التي كانت في رجله و هو لم يحسّ بذلك.

ثم إذا أراد الركوع يتأمّل قدرا يسيرا، فيركع و النصف الأسفل بحاله في القيام من غير انطواء الركبتين، و تجافي مرفقيه عن جنبه، و يمدّ عنقه مع ظهره، و يضع راحتيه على ركبتيه، منشورة الأصابع، و يستحب في الركوع نشر الأصابع و في السجود بالعكس و يقول سبحان ربي العظيم و بحمده ثلاثة، و هذا العدد ادنى الكمال، و الذكر يكون

بعد التمكن من الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو اقرب الى الخشوع من النظر الى موضع السجود، و إنما النظر الى موضع السجود حال قيامه و يقول بعد الذكر راعيا: اللهم لك ركعت و لك خشعت و بك آمنت و لك أسلمت خشع لك سمعي و بصرى و عظمي و مخي و عصبى، و يكون قلبه في الركوع متصفا بالتواضع و الإخبات.

قيل علامة الهداية الصلاة مع الخشوع و التواضع، ثم يرفع رأسه قائلا سمع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول، فإذا استوى قائما يحمد و يقول ربنا لك الحمد ملاً السموات و الأرض و ملاً ما شئت الي آخر الدعاء فان أطال في القيام فيكون ذلك في النافلة بعد الرفع من الركوع فليقل لربي الحمد مكرراً ما أراد، فأما في الفرض فلا يطول تطويلاً يزيد على الحدّ زيادة بيّنة تخرجه عن صورة الصلاة، ثم يهوى ساجدا و يكون في هويّه مستيقظاً حاضراً خاشعاً عالماً بما يهوى فيه و اليه و له، فانّ من الساجدين من يتصور و يكشف أنّه يهوى الي تخوم الأرضين متغيّياً في أجزاء الملك من الحياء، و اظهار الانكسار و الذلّة و استشعار روحه عظيم كبريائه تعالى، كما ورد أن جبرئيل يستر بخافقة من جناحه استصغاراً لنفسه، و حياء من الله، و يتفاوت الساجدون في مراتب العظمة و استشعار كنهها من الأنبياء و الأولياء و المؤمنين لكل منهم على قدر حظّه من ذلك، و فوق كل ذي علم عليم، فمنهم من يتّسع دعاؤه و ينشر صباؤه في سجوده و يخطى بالصنيعين و يبسط الجناحين فيتواضع بقلبه إجلالاً و يرفع بروحه إكراماً فيجتمع له الانس و الهيبة و الحضور و الغيبة و القرار و الفرار و الأسرار و الجهار فيكون في سجوده سابحاً في بحر معرفته و شهوده لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سوادي و خيالي الي آخره.

و يقول في سجوده الذكر ثلاثاً الي السبع الذي هو الكمال و في الهويّ يضع ركبتيه أولاً ثم يديه ثم جبهته و انفه، و يبشر بكفّيه من دون حائل من الأرض من ثوب و غيره، و يكون رأسه بين كفّيه و يدها حذو منكبيه من تيامن و تياسر منهما و لا يلصقهما بفخذيه، و يقول بعد التسبيح بالدعاء المأثور اللهم لك سجدت و بك أمنت إلخ؛ ثم يرفع رأسه بكراً و يجلس على رجله اليسرى موجهها بالأصابع الي الكعبة و يضع

اليدين على الفخذين ويقول: رب اغفر لي وارحمني، ولا يطيل هذه الجلسة في الفريضة، اما في النافلة فلا بأس بالاطالة ويكرّر قوله رب اغفر وارحم ثم يسجد السجدة الثانية مكبّراً ثم إذا أراد النهوض الى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة، وهكذا بقيّة الركعات، وفي الصلاة سرّ المعراج وهو معراج القلوب فليذهن ويفهم ما يفعل ويقول، فالتشهد مقرّ الوصول بعد قطع الهيئات على تدرّج طبقات السموات والدعوات والمناجاة ويدر ما يفعل وما يقول، فبعد الشهادة يسلم على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بأدب كامل، ثم على عباد الله الصالحين، فإذا صلّى وسلّم لا يبقى عبد في السماء ولا في الأرض من عباد الله الصالحين الاّ ويسلم عليه بالنسبة الروحية والخاصية الفطرية، ويدعو في آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين وان كان المصلّي اماما لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه ولمن ورائه وللمؤمنين فان الامام المتيقظ كحاجب دخل على سلطان وورائه اصحاب الحوائج يسأل لهم ويعرض على السلطان حاجاتهم، والمؤمنون كالبنين يشدّ بعضه بعضا ولهذا وصفهم الله بقوله كأنهم بنيان مرصوص، كلّما اجتمعت ظواهرهم تجتمع بواطنهم، فالبركات تسرى من البعض الي البعض بل جميع المؤمنين المصلّين في اقطار الأرض بالصلوة يقع بينهم تناصر وتعاقد بحسب القلوب، بل يمدهم الله بالملائكة الكرام كما امدّ رسول الله بالملائكة المسوّمين، وهذا الإمداد يقع لهم إذا اصطفوا للجماعة كما حكى عن كعب الاخبار أنّه سئل كيف تجد نعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال يولد بمكّة ويهاجر بطيبة ليس بفحّاش ولا يكافئ بالسيئة السيئة وليكن يعفوا، وامتّه الحمّادون لله ويكبرون الله علي كل نجد، يوضّئون أطرافهم ويأتزرون في أوساطهم، يصفّون في صلاتهم كما يصفّون في قتالهم، دويهم في مساجدهم كدويّ النحل، ومن اقام الصلوات الخمس في جماعة بحضور القلب فقد ملأ البرّ والبحر عبادة، وهي سرّ الدين وتمحيص للذنوب، لكن يجتنب المصلّي ان يكون باطنه مرتهنا بشيء و يدخل الصلاة، ولذا قيل من فقه الرجل ان يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ولا يدخل في الصلاة وهو مغضبا بل يكون خاشعا. قال ابن عباس ان الخشوع في الصلاة ان لا يعرف المصلّي من علي يمينه وشماله. قال بعضهم إذا كثرت التكبيرة الاولى ان الله ناظر الي شخصك عالم بما

في ضميرك فمثل الجنة عن يمينك و النار عن شمالك. وهذا التمثل يكون تداويا لدفع الوسوسة. قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من صَلَّى ركعتين صحيحتين و لم تحدّث نفسه بشيء من الدنيا غفر الله ما تقدم من ذنبه. و قد قيل وردان المؤمن إذا توجّأ للصلاة تباعد عنه الشيطان خوفاً منه لأنّه تأهّب للدخول علي الملك، و يضرب بينه و بين الشيطان سرادق، فإذا قال الله أكبر، أطلع الملك في قلبه، فإذا لم يكن في قلبه أكبر من الله و اهمّ منه يقول الملك صدقت، الله في قلبك كما تقول، و تشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش و إذا كان في قلبه شيء أكبر و اهمّ منه يقول له كذبت فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجاباً لقلبه من الملكوت، فيلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه و ينفث و يوسوس اليه حتى ينصرف من صلاته. و القلوب الصافية تصير سماويةً فيدخل بالتكبير في السماء، و الله تعالى حرّس السماويات من تصرف الشياطين، و المؤمن لا زال يكون يرفع الحجاب، و رفع الحجاب لا يحصل إلا بعد فناء نفسه في رضي الله.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يستكمل العبد الايمان حتى تكون قلة الشيء أحب اليه من كثرته و حتى يكون ان لا يعرف، أحب اليه من ان يعرف. و هذا مقام يحصل بعد مجاوزة عقبات، و طي مقامات كثيرة صعبة، أدناها الإخلاص و إلقاء حظوظ النفس بالكليّة ثم مكاتمة ذلك عن الخلق جملة، فإذا حصل هذا المقام لا يبقى للنفس اتيّة و صار تسليمها محضاً و رضياً بحتاً، و لا يريد إلا ما يريد الله، فيتخلّص حينئذ من الكبر و الرياء و الحرص و العجب و المهلكات جميعاً.

نردبان خلق اين ما و منيست عاقبت زين نردبان افتادنيست

حتى أنّهم إذا لم تحضرهم النية لم يقدموا على العمل لأنّ النية انبعثت النفس و توجّهها الى ما ظهر، و ذلك ممّا يقدر عليه و ممّا لا يقدر عليه في بعض الأحيان، فإنّ الدواعي لها اسباب مثل انّ إذا غلبت علي الإنسان شهوة النكاح كيف يتمكّن ان يكون غرضه ثواب كثرة النسل في امّة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بل الداعي دفع الشهوة و درك اللذة، فالقصد الشهوة لا السنّة، فمن مال قلبه الي الدنيا لم يتيسّر له القربة في غالب الأعمال حتى في الفرائض، و غايته ان يتذكّر النار و يحذّر نفسه عقابها، او نعيم الجنة و يرغب في

ثوابها، فيكون ثوابه ناقصا بسبب أنه انبعثت له داعية ضعيفة فيكون الثواب بقدر الرغبة والقصد، واما الطاعة على نية إجلال الله لاستحقاقه تعالى الطاعة والعبودية فلا يتيسر للراغب في الدنيا، وهي اعزّ النيات والعبادات ويعزّ على بسيط الأرض من يفهمها فضلا عن يتعاطاها، فافهم سبب قلة اثار الفيض من عبادتك، وقد غلط أقوام حيث اعتقدوا أنّ المقصود من الصلاة ذكر الله فإي حاجة الى الصلاة وقد سلكوا سبيل الضلال، وقوم اخرون سلكوا طريقا ادّتهم الي نقصان الحال فانهم راقبوا الفرائض ولكن أنكروا فضل النوافل و اغتروا بسير روح الحال وأهملوا فضل الأعمال ولم يعلموا أنّ لحكم الله في كلّ هيئة من الهيئات اسراراً وحكما لا توجد في شيء من الاذكار فالأحوال والأعمال روح وجسمان، فالاعمال تزكوا بالأحوال، والأحوال تترقى وتنمو بالأعمال، وصاحب الشريعة اعلم بصلاح الأمر منك يا فضول، وصاحب البيت ادري بما في البيت، وعليك بإجراء سنة الله، وعليك بالتناسب في الأحوال فمن المناسب ان يكون اللباس شاكلا للطعام والطعام شاكلا للكلام والكلام شاكلا للفعال، ترى بعض الناس يلبس عبائه بثلاثة دراهم، وشهوته في بطنه بخمسة دراهم، كل اكله ومنكحه بدنانير، فمن خشن ثوبه ينبغي ان يكون مأكوله من جنسه، فمتى اختلف الثوب والمأكل او القول والفعل فذلك دليل على كمون الهوى في احد الطرفين أما في طرف الثوب لموضع نظر الخلق الى زهده واما في طرف المأكل لفرط الشره وكلا الوصفين مرض، الم تعلم أنّ الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم تسوّد وجوههم؟ ومما ينسب الى السجّاد عليه السلام من الادعية؛ اللهم اني أعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما أخلو سريرتي فيحلّ بي مقتك؛ وحكي عن بعض الكاملين انهم لم يحضروا بعض الأوقات عند اساتيدهم فستلوا عن السبب فقال اني إذا رايتك احسن له كلامي وتظهر نفسي عنده بأحسن أحوالها وفي ذلك الفتنة والعجب، وكلّ ذلك لأجل التخلص من شائبة الرياء.

في بيان حكم العمل المشوب، هل يستحق به الثواب أم هدر؟ فقد اختلف فيه بان يقتضى ثوابا أم عقابا أم لا ثوابا ولا عقابا، و ظاهر بعض الاخبار تدلّ على أنه لا ثواب

له، و ليس بعض الاخبار يخلو عن تعارض و العلم عند الله، و لعل ان ينظر الى قدر قوّة الداعي فان كان الداعيين مساويا في القوّة تقاوما و تساقطا فصار العمل لا- له و لا- عليه و ان كان باعث الدنيا اغلب فليس بنافع و مفض للعقاب نعم العقاب الذي فيه أخفّ من الرياء الخالص، و ان كان قصد التقرب اغلب بالإضافة الى الباعث الديني و الرياء فله بقدر ما فضل من قوّة الباعث الديني، و الدليل عليه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و بقوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا» فيحبط منه قدر الذي يساويه و بقيت زيادة، فداعية الرياء من المهلكات، و داعية الخير من المنجيات، فإذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادّتان فان كان يقوّه هذا اغلب فهذا اغلب و كذلك بالعكس فكما ان المستضر بالحرارة لا يخلوا عن اثر فكذلك.

قال بعض اهل السلوك كن نجما فان لم تستطع فكن قمرا، فان لم تستطع فكن شمسا؛ اي كن مصليا جميع الليل كالنجم يشرق او كالقمر يضيئ بعض الليل او فصلّ بالنهار.

و أداء الفرائض بالجماعة من المستحبّات الاكيدة؛ خصوصا اليومية منها؛ و خصوصا لجيران المسجد؛ او من يسمع النداء، و قد ورد في فضلها و ذمّ تاركها من ضروب التاكيدات ما كاد تلحقها بالواجبات، ففي الصحيح الصلاة في جماعة تفضل على صلاة الفرد بأربع و عشرين درجة؛ قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أتاني جبرئيل مع سبعين ألف بعد صلاة الظهر فقال يا محمد ان ربك يقرنك السلام و اهدي إليك هديتين، قلت ما تلك الهديتان؟ قال الوتر ثلاث ركعات و الصلاة الخمس في الجماعة، قلت يا جبرئيل ما لأمتي في الجماعة، قال إذا كان اثنين كتب الله لكل واحد بكل ركعة مائة و خمسين صلاة، و إذا كانوا ثلاثة كتب الله لكل واحد بكل ركعة ستمائة صلاة، و إذا كانوا اربعة كتب لكل واحد الف و ماتي صلاة و إذا كانوا خمسة كتب الله لكل واحد بكل ركعة ألفين و اربعمائة صلاة، و إذا كانوا ستة فاربعة آلاف و ثمانمائة بكل ركعة، و إذا كانوا سبعة فلهم بكل ركعة تسعة آلاف و ستمائة صلاة، و إذا كانوا ثمانية كتب الله لكل واحد منهم بكل ركعة تسعة عشر الف و مأتي صلاة، و إذا كانوا تسعة كتب لكل واحد منهم بكل ركعة ستة و ثلاثين الف و اربعمائة صلاة، و إذا كانوا عشرة كتب الله

لكل واحد منهم بكل ركعة سبعين ألفاً وألفين وثمانمائة صلاة، فإن زادوا على العشرة فلو صارت السموات كلها مداً والأشجار أقلاماً والثقلان مع الملائكة كتاباً لم يقدرُوا ثواب ركعة، يا محمد تكبيرة يدركها المؤمن مع الإمام خير من ستين ألف حجة وعمرة، وخير من الدنيا وما فيها بسبعين ألف مرة، وركعة يصلّيها المؤمن مع الإمام خير من مائة ألف دينار يتصدق بها على المساكين وسجدة يسجدها المؤمن مع الإمام في جماعة خير من عتق مائة رقبة، وكذلك يتضاعف الثواب والأجر بتضاعف الأمانة والأئمة مثل مسجد الكوفة وسائر المساجد ومثل العالم الهاشمي وغيره. ولا يجوز ترك الجماعة رغبة عنها أو استخفافاً بها. ففي الخبر لا صلاة لمن لا يصلّي في المسجد إلا من علة، ولا غيبة لمن صلّى ورغب عن جماعتنا، ومن رغب عن جماعة المسلمين وجب على المسلمين غيبته وسقطت عدالته، ووجب هجرانه، وإذا دفع إلى إمام المسلمين أذره وحذره فإن حضر جماعة المسلمين والأحرقت عليه داره؛ وفي خبر آخر إن أمير المؤمنين عليه السلام بلغه أن قوماً لا يحضرون الصلاة في المسجد فخطب فقال: إن قوماً لا يحضرون الصلاة معنا في مساجدنا فلا يواكلونا، ولا يشاربونا، ولا يناكحونا، أو يحضروا معنا صلاتنا جماعة، واني لأوشك بنار تشعل في دورهم فأحرقها عليهم أو ينتهون. وأمثلة هذه الأخبار عندنا إمامية كثيرة. وأما عند أهل السنة: قال بعضهم: المراد من قوله تعالى: «يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ» المراد من الداعي المؤذنون الذين يدعون إلى الجماعة في الصلوات الخمس وتارك الجماعة شرٌّ من شارب الخمر وقاتل النفس بغير حق، ومن القتات ومن العاق لوالديه، ومن الكاهن والساحر، ومن المغتاب وهو ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وهو ملعون على لسان الملائكة، لا يعاد إذا مرض، ولا يشهد جنازته إذا مات قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم تارك الجماعة ليس مني، ولا أنا منه، ولا يقبل الله منه، صرفاً ولا عدلاً، أي نافلة ولا فريضة، فإن ماتوا على حالهم، فالنار أولى بهم كذا في روضة العلماء، قال ابن عباس بعث الله نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بشهادة أن لا إله إلا الله فلما صدّق زاد الصلاة فلما صدّق زاد الزكاة فلما صدّق زاد الصيام فلما صدّق زاد الحج ثمّ الجهاد ثمّ أكمل لهم الدين، قال مقاتل كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يصلّي بمكة ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشاء، فلما عرج به إلى السماء أمر بالصلوة الخمس

وانما فرضت الصلاة ليلة المعراج لأنّ المعراج أفضل الأوقات واشرف الحالات، و الصلاة بعد الايمان بالله أفضل الطاعات، وفي مرتبة العبودية احسن الهيآت، ففرض أفضل العبادات ولما اسرى به شاهد ملكوت السماء و عبادات سكانها من الملائكة، فاستكثرها صلّى الله عليه وآله وسلم غبطة، و طلب ذلك لامته، فجمع الله له في الصلوات الخمس عبادات الملائكة كلّها، لأنّ منهم من هو قائم، و منهم من هو راکع، و منهم من هو ساجد، و حامد، و مسبح، الي غير ذلك، فاعطى الله أجور عبادات اهل السموات لأمتّه إذا أقاموا الصلوات الخمس. و قيل انّ الحكمة في كونها خمس صلوات، لأنّها كانت في الأمم السالفة متفرقة فجمعها لنبیّه و أمته مجمع الفضائل كلّها، فأول من صلّى الفجر آدم عليه السّلام و الظهر إبراهيم عليه السّلام و العصر يونس عليه السّلام و المغرب عيسى عليه السّلام، و العشاء موسى عليه السّلام: و قيل صلّى آدم عليه السّلام الصلاة الخمس كلّها، ثم تفرقت بعده بين الأنبياء، و اول من صلّى الوتر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج، لذلك قال زاذني ربي صلاة اي الوتر على الخمس او صلاة الليل، و اول من بادر الى السجود جبرئيل و لذلك صار رفيق الأنبياء، و اول من قال: سبحان الله جبرئيل، و الحمد لله آدم، و لا إله إلا الله نوح، و الله اكبر ابراهيم، و لا حول و لا قوّة إلا بالله رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، ذكر هذا في كشف الكنوز و حل الرموز، و في بعض الشروح لمّا أراد الله افاضة الخيرات لنبیّه و تيسير الأمر لهم كي لا يملوا من العبادات لوّن لهم الطاعات ليستريحوا من نوع الى نوع، فجعل في اليوم خمسا و في السنة شهرا و في المأتين خمسة و في العمر نورة كيلا ينفكون عن العبودية و لا يملون، و وسع عليهم الوقت حتى لا يتأسفون بفوت أوقاتها، و تبقي لهم صفة الاختيار، و فرّق بين يد المرتعشة من الفلج و اليد التي تحركها و ترعشها أنت، فتأمل يا أخي في هذه الدقيقة كي تبين لك نكتة الجبر و الاختيار انتهى.

«وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» اي و من الذي رزقناهم و أعطيناهم ينفقون، و الرزق في اللغة العطاء، و الإنفاق إخراج المال يقال أنفق ماله اي أخرجته عن ملكه و صرفه، و تقديم المفعول في الآيه للاهتمام به، و المحافظة على رؤس الآي، و المراد بهذا الإنفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا، و من فسّره بالزكوة ذكر أفضل أنواعه او خصّصه بها لاقتترانه بما هي شقيقتها و أختها، و هي الصلاة. و الأظهر في الآيه انّ المراد من النفقة

الزكاة، وفي الانفاق فضائل لا تحصى قال الله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ» الآية. واعلم انّ انفاق المال في الخيرات إحدار كان الدين والسرّ فيه انّ المال محبوب الخلق وهم مأمورون بحبّ الله و مدعوون للحبّ بنفس الايمان فجعل تعالى بذل المال امتحانا لصدقهم في دعواهم فانّ المحبوبات تبذل لأجل المحبوب، فانقسم الخلق الى ثلاث طبقات: الطبقة الاولى الأقوياء وهم الذين أنفقوا جميع ما ملكوا ونصف ما ملكوا فهولاء صدقوا ما عاهدوا الله في دعواهم، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما، الطبقة الثانية المتوسطون وهم الذين لم يقدروا على أخلاء اليد عن المال دفعة ولكن أمسكوها لا للتعلم بل للانفاق عند ظهور محتاج، ويقنعون في حق أنفسهم بما يقوِّبهم على العبادة، وإذا عرض محتاج بادروا الى سدّ خلته، ولم يقتصروا على قدر الواجب من الزكاة، وانما غرضهم العمدة في الإمساك ترصد الحاجات. و الطبقة الثالثة الضعفاء وهم المقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليها ولا ينقصون منها ولا شكّ بأننا لسنا من الطبقة الاولى والثانية لكن ينبغي ان نتجاوز الدرجة الثالثة ولوالي أواخر طبقات المتوسطين، ونزيد على الواجب فانّ الاكتفاء بمجرد الواجب حدّ البخلاء. قال الله تعالى «إِنْ يَسْئَلْكُمْ عَنْهَا فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا» فاجتهد لا ينقصي عليك يوم الآ و تصدّق بشيء وراء الواجب ولو شيئا يسيرا فترتفع بذلك من طبقة البخلاء، وان لم تملك شيئا فمعوونة في حاجة او شفاعة خير فيكون بذلك في الخير ممّا تقدر عليه من جاه وكلمة طيبة إذا كنت فقيرا. وحافظ في صدقتك على خمسة امور: الأول الأسرار، فانّ صدقة السرّ تطفى غضب الربّ. وقد قال الله تعالى «وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» وبذلك تخلص عن الرياء، والرياء محبط ومهلك ينقلب في القلب في صورة حيّة إذا وضع في القبر او يولم بإلام الحيّة كما انّ البخل ينقلب في القبر في صورة عقرب. الثاني ان يحذر من المنّ و حقيقته ان ترى نفسك محسنا الى الفقير، و علامته ان تتوقّع شكر امته. قال الله تعالى: «لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذَى مع انّ أخذ الصدقة هو الذي يكون له على المعطى حق بقبوله منه، و الزكاة و الصدقات او ساخ الأموال فإذا أخذ الفقير منك فقد طهر لك طهرة فله الفضل عليك، أرايت لو انّ فصّادا فصدك مجّانا و اخرج

من باطنك الدّم الذى تخشى ضرره أليس هو المحسن لك؟ فالذى اخرج من الباطن رذيلة البخل مع ان ضرره في الحياة الآخرة اولى بان تراه متفصّلا عليك. الثالث، ان تخرج من أطيب أموالك قال الله تعالى: «وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مَا يَكْرَهُونَ» قال الله تعالى «لا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ»، و الإنسان يؤثر الأعزّ لحبيبه دون الأخس. الرابع ان تعطى بوجه طلق فرح غير مستكره، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سبق درهم بمائة ألف درهم، و أنّما أراد صلّى الله عليه وآله وسلّم به ما يعطيه عن بشاشة و طيب نفس من انفس أمواله فذلك أفضل من مائة ألف درهم مع الكراهية. الخامس ان تتحرّى بصدقتك محلاً تركوا به الصدقة مثل الرجل المتقى العالم الذى يستعين بها على تقوى الله و الصالح المعيل ذي الرحم، و ان لم تجتمع تمام هذه الأوصاف فباحادها ايضا تركوا الصدقة. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أطعموا طعامكم الأتقياء و أولوا معروفكم المؤمنين، و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم لا تأكل الآ طعام تقى و لا يأكل طعامك الآ تقى. و في ثواب الأعمال عن ابى جعفر عليه السلام قال انّ عابدا عبد الله ثمانين سنة ثم اشرف على امرأة فوقعت في نفسه فنزل إليها فراودها على نفسها فطاوعته فلمّا قضى منها حاجته طرق ملك الموت فاعتقل لسانه فمرّ سائل فاشار اليه ان خذ رغيفا كان في كسائه فأحبط- الله عمل ثمانين سنة بتلك الزنية و غفر الله له بذلك الرغيف، أظنّ ان ينفعلك في غنمته لا بل الربح في خير أمضيته او خصم أرضيته فأدّ قرضك و أوف فريضك و لا تسع لقاعد و لا تسهر لراقده. روي انه اوحى الله الى بعض أنبيائه أنّى قضيت عمر فلان نصفه بالفقر و نصفه بالغنى فخيره حتى اقدم له ايّهما شاء فدعى النبى و طلبه فجاء الرجل فأخبره النبى بما أخبره الله فقال الرجل حتى أشاور زوجتي فقالت زوجته اختر الغنى حتى يكون هو الأوّل فقال لها الرجل انّ الفقر بعد الغنى صعب شديد و الغنى بعد الفقر طيب لذيذ فقالت لا بل أطعني في هذا فرجع الى النبى فقال اختار نصف عمري الذى قضى لي فيه بالغنى ان يقدم، فوسّع الله عليه الدنيا، و فتح عليه باب الغنى، فقالت له امرأته ان أردت ان تبقى هذه النعمة فاستعمل السخاء مع خلق ربك، فكان الرجل إذا اتّخذ لنفسه ثوبا اتّخذ لفقيه ثوبا مثله، فلمّا تمّ نصف عمره الذى قضى له فيه بالغنى اوحى الله الى نبي ذلك الزمان أنّى كنت قضيت نصف عمره بالفقر و نصفه بالغنى لكنّى وجدته شاكر النعماني و الشكر

يستوجب المزيد فبشره أنّي قضيت باقي عمره بالغنى.

[سورة البقرة (2): آية 4]

وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)

ثم بين سبحانه صفة المتقين فقال: «وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» أي القرآن بأسره و الشريعة عن غيرها و التعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا و لم ينزل لتغليب المحقق وقوعه على المقدّر و لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحقيقه منزلة الواقع و لأنّ القرآن شيء واحد في الحكم، او الإنزال في هذه الآية بمعنى الوحي، و هذا النزول الثانوي على عالمه البشريّة و النزول الأوّل الى عالم نوره من غير واسطة جبرئيل و النزول الثّاني الي عالم الخلق زيادة في علمه غير مسبق بالجهل بل نزول علم على علم أو زيادة علم على علم، و اليه الإشارة بقوله تعالى: «وَ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» و «قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا». و يستفاد من هذه الآية و هي قوله: «وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» أنّ الكلام مخلوق لأنّ المنزل لا بدّ و أن يكون حادثا و ممكنا و لا يكون قديما خلافا للاشاعرة فإنّهم قالوا بالكلام النفسي فزعموا أنّ الله لم يزل متكلمًا مع وضوح أنّ الكلام غير المتكلم، و يمتنع اقترانهما كما يمتنع اتحادهما مع أنّه يستلزم تعدّد القدماء و هو ينافي التوحيد، فالكلام الإلهي المنزل على أنبيائه كلّ حادث و مخلوق، و المتكلم هو الخالق فيخلق الكلام بإرادته و مشيئته؛ و الاشاعرة يقولون بالصفات الزائدة مع ما يدعون من الإقرار بالتوحيد و يقولون بالقدماء الثمانية و منها الكلام النفسي، و هذا ينافي التوحيد ضرورة أنّ مفهوم الواجب لا يصدق على كثيرين، و حقيقة الوجود البحث لا يشوبه شيء من التركيب الذاتي و الخارجي و الذهني و الجنس و الفصل و ما قاله الاشاعرة يستلزم تركّب الواجب من الذات و الصفات بشهادة أنّ الصفة غير الموصوف. و القول بالصفات الزائدة يستلزم كون الذات فاقدا للكاملات الذاتية و افتقارها الى صفاتها، و كل محتاج ممكن و يستلزم النقص، و كل ناقص ممكن، قال امير المؤمنين عليه السلام و نظام توحيد الله تعالى نفى الصفات عنه، فمن وصف الله فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه، و من عدّه فقد ثناه، و من ثناه فقد جزّاه ايقاظ: و اما ما قرره الحكماء من أنّ الواحد لا يصدر عنه الا الواحد و أنّ العقل الأوّل هو المخلوق من غير واسطة و أنّ العقل الأوّل هو الخالق للعقل الثّاني، و هكذا إلى أن ينتهي إلى العقول العشرة، فهذه القاعدة مع

عدم ورود تصدیقها في شيء من الكتاب و السنة مخالفة لما ينساق من هذه الآية الكريمة لأنّ العقل الأول هو الحقيقة المحمّديّة كما يستفاد من الحديث، و هو أول ما خلق الله نور نبيك: يا جابر وقوله تعالى: «بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» صريح في أنّ المنزل بالكسر أنّما هو الله، و القول بأنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم خالق للعقل الثاني مخالف للدلالة الاربعه و هي الكتاب و السنة و الإجماع و دليل العقل، إذ نسبة الخلق و الصنع إلى غيره غير جائز، هل من خالق غير الله؟ و قد صحّ أنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم عبد و نبيّ و قوله: بما انزل إليك إشارة إلى الهدايات و الإفاضات و الوحي النازلة من الله بالنسبة إليه، و قد جعلهم الله مجرى للفيوضات، و ليس علمه ذاتياً مستغنيا عن الافاضة و اليه الإشارة بقوله تعالى:

«وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى، و لا شكّ انه صلّى الله عليه و آله و سلّم ممكن فيحتاج في هدايته و ساير صفاته الى الواجب، و الضالّة بمعنى الغيبوبة لأنّ مرتبته كانت خفيّة من أول الأمر، فهدى الله بإظهار تلك الحقيقة المقدّسة و اعلانها و إعلاء كلمتها و الله متمّ نوره و لو كره المشركون قال علىّ عليه السّلام أنا الأوّل، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطن، قيل في معناه و جوهه، الاول أنّه أول من آمن برسول الله في عالم الغيب و الشهادة و أنّه عليه السّلام أول من آمن في جميع العوالم من عالم الأنوار و المثال و عالم الأرواح و النفوس و عالم الذرّ الأوّل الآدى قال الله: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟»، و عالم الذرّ الثاني المتّصف بالاجابة المشروطة و الذرّ الثالث المشتمل على الاجابة المتخيّرة و عالم الملك و الناسوت، فأنّه عليه السّلام أوّل من دعى و أجاب.

الثاني أنّه أوّل من أجاب نداء ابراهيم حين اذن للناس بالحجّ، و هو و الأئمّة حقيقة الرّسول و هم و الرسول أوّل الأولياء و آخرهم وجود او رتبة و تمام الأنبياء، و الأولياء و الأوصياء أنّما خلقوا من اشعة انواره محمد و اهل بيته صلوات الله عليهم و من قبسات فيضهم و نورهم، و هو قوله عليه السّلام بكم بدأ لله و بكم يختم. و في الحديث قال الصادق نحن الأولون و نحن الآخرون، و ايضاً في الحديث عنهم أنّه اى عليّاً عليه السّلام الأوّل و الآخر اى مرجع الأولياء بدأ و ختما و إنّ له الولاية الكلّية في الدنيا و الآخرة و أنّه أوّل الخلق شرفاً و إياب الخلق إليهم لأنّه الواسطة في جميع الفيوضات.

«وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ» التوراة والإنجيل و سائر الكتب السالفة و الايمان بالكلّ فرض عين جملة، و بالقرآن فرض عين تفصيلا حيث انا متعبدون بتفاصيله.

«وَبِالْآخِرَةِ» تأنيث الآخر الذي يقابل الأول و سميت الدنيا دنيا لدنوّها من الآخرة، و سميت الآخرة آخرة لتأخرها و لكونها بعد الدنيا، و الآخر بفتح الخاء الذي يلي الأول.

«هُمْ يُوقِنُونَ» الإيقان إتقان العلم بالشيء بنفي الشكّ و الشبهة عنه نظرا و استدلالا.

و المراد من الآخرة الدار الآخرة بحذف الموصوف لأن الآخرة صفة، و لا بدّ لها من موصوف.

«وَيُوقِنُونَ» اي يعلمون، و ذلك لأنّ الكافرين ما كانوا متيقنين بها بل كانوا يقولون:

ان هي الا حياتنا الدنيا نموت و نحى، و لمّا كان اهل الكتاب عليه من الشكوك، و كانوا يقولون: لم تمسنا النار الاّ اياما معدودات و كذلك مختلفاتهم في انّ نعيم الجنّة هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا و هل هو دائم اولا؟ فقال فرقة منهم يجرى حالهم في التلذذ بالمطاعم و المشارب و المناكح على حسب مجراها في الدنيا، و قال آخرون انّ ذلك انما احتيج اليه في هذه الدنيا من أجل نماء الأجسام و التوالد و التناسل و اهل الجنّة مستغنون عنه فلا يتلذذون الاّ بالنسيم و الأرواح العبقة و السّماع اللذيذ و الفرح و السرور، فهم عن الاعتقاد في امور الآخرة بمعزل من الصّحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين، و اما المؤمنون فهم موقنون غير مختلفين و لا شاكين، قال علماء الأخلاق اليقين علي ثلاثة أوجه: يقين عيان و يقين خبر و يقين دلالة، فاما يقين العيان فهو أنّه إذا رأى شيئا زال عنه الشك في ذلك الشيء، و اما يقين الدلالة فهو ان يرى الرّجل دخانا ارتفع من موضع فيعلم باليقين انّ هناك نارا و ان لم يرها، و اما يقين الخبر فهو انّ الرجل يعلم باليقين انّ في الدنيا مدينة يقال لها بغداد و ان لم ينته إليها، فهيهنا يقين خبر، و العلم اليقين هو العلم الحاصل بالإدراك و الاستدلال و النظر. و درجات اليقين تكمل بدوام النظر و المجاهدات المشروعة مثل دوام الوضوء و قلّة الاكل و كثرة الذكر و السكوت بالفكر في ملكوت السموات و الأرض و بأداء السنن و الفرائض و ترك ما سوى الحق و تقليل المنام و أكل الحلال و صدق المقال و المراقبة بالقلب الى الله، فهذه مفاتيح العلوم و المشاهدة، و ثمرة اليقين، الاستعداد

للاخرة، ولذا قيل عشرة من المغرورين، من أيقن أنّ الله خالقه ولا يعبد، ومن أيقن أنّ الله رازقه ولا يطمئنّ به ومن أيقن أنّ الدنيا زائلة ويعتمد عليها ومن أيقن أنّ الورثة اعداؤه ويجمع لهم ومن أيقن أنّ الموت آت فلا يستعدّ له ومن أيقن أنّ القبر منزله فلا يعمره ومن أيقن أنّ الديان يحاسبه فلا يصحّ حسابه و حجته ومن أيقن أنّ الصراط ممرة فلا يخفف ثقله ومن أيقن أنّ النار دار الفجّار فلا يهرب منها ومن أيقن أنّ الجنة دار الأبرار فلا يعمل لها. قال رجل من الزهاد رأيت غلاما في البادية يمشى بلا زاد فقلت ان لم يكن له يقين فقد هلك، فقلت يا غلام أتمشي في مثل هذا الموضع بلا زاد؟ فقال يا شيخ ارفع رأسك، هل تري غير الله تعالى؟ فقلت له الآن فاذهب حيث شئت. قال ابراهيم الخواص:

طلبت المعاش لأكل الحلال فاصطدت سمكة وقعت في الشبكة وأخرجتها وطرحت الشبكة في الماء فوقعت اخرى فيها ثم عدت فهتف بي هاتف لم تجد معاشا الا ان تأتي الى ما يذكر الله فتقتلهم، فكسرت القصبه و تركت.

فعاشر اهل الرشده تهتدى ولا بدّ للمبتدي من منبّه

من الاولى فالاولى بالنسبة الى حال السالك.

[سورة البقرة (2): آية 5]

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)

أولاء جمع لا واحد له من لفظه، ومفردة ذلك والكاف للخطاب، وما في اشارة لفظ أولئك من البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل، وهو مبتداء اي الموصوفون بالصفات المذكورة كائون على هدى وتكبير هدى لكمال تفخيمه كأنه قيل على هدى اي هدى لا يبلغ كنهه كما تقول لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا «مِن رَّبِّهِمْ» من عنده تعالى، وانما قال من ربهم لأن كل خير وهدى من الله والهداية في اتباع الرسول.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ تكرير أولئك للتفخيم وللدلالة على أنّ كل واحد من الحكمين مستقلّ لهم في التميّز به عن غيرهم فكيف بهما، وكلمة هم في مثل هذه المواضع يسمّونه البصريّون فصلا والكوفيّون عمادا انما يأتون بها للدلالة على أنّ الواقع بعده خبر لا صفة وانّ المسند ثابت للمسند اليه دون غيره، فالقصر قصر الصفة علي الموصوف لا العكس. والمفلح الفائز بالبغية والفلاح الشق والقطع والفتح، ومنه سمّي الزارع فلاحا لأنه يشقّ الأرض، وحاصل المعنى هم الفائزون بالجنة والناجون من النار وتشبّث الوعيدية

بالآية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب، وأجيبوا بان المراد من المفلحين، الكاملون في الفلاح، فيلزم من المعني عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم، فاما عدم الفلاح لهم رأسا لا يلزم. هذا ما اجابه البيضاوي و تمسك المرجئة بهذه الآية من وجه آخر و احتجوا بان الله حكم بالفلاح على الموصوفين بالصفات المذكورة في هذه الآية فوجب ان يكون الموصوف بهذه الأشياء مفلحا و ان زنى و ان سرق و شرب الخمر، و إذا ثبت في هذه الطائفة تحقق العفو ثبت في غيرهم ضرورة إذ لا قائل بالفرق. و الجواب عن قول المرجئة ان وصفهم بالتقوى يستلزم اتقاء ترك الواجبات و المعاصي، و معلوم بالضرورة ان من اتقى من المعاصي كيف يسرق و يزنى؟ و هو متقي من المعاصي؟

[سورة البقرة (2): آية 6]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)

لما ذكر خاصة عباده بصفات الايمان و التقوي و الفلاح ذكر في هذه الآية العتاة المردة الذين لا يغني عنهم الآيات و النذر. و تعريف الموصول اما للعهد و المراد به ناس بأعيانهم كابي لهب و ابي جهل و احبار اليهود او للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميميا لا يرعوي بعده، و الكفر لغة الستر و التغطية، و في الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيئي الرسول به. و الكافر له إطلاقات.

أحدها نقيض المؤمن، قال الله تعالى: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»*، و يطلق على الجاحد قال: «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» اى جحد و جوب الحج، و يطلق نقيض الشاكر، قال تعالى: «وَاسْتَكْبَرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونَ» و يطلق علي المتبري، قال تعالى: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ» اى يتبرأ بعضكم من بعض.

سواء عليهم اى متساو، و سواء اسم بمعني الاستواء، و خبر لأن، أنذرتهم يا محمد أم لم تنذرهم و هذا مثل قولك، سواء على أقبلت أم أدبرت؛ و اللفظ لفظ الاستفهام و معناه الخبر اى الإنذار و عدم الإنذار سيان لهم، و اصل الإنذار الأعلام بأمر مخوف و كان هؤلاء القوم كقوم هود الذين قالوا لهود، سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين.

لا يؤمنون جملة مؤكدة مبيّنة لما قبلها من إجمال ما فيه الاستواء و تخفيف و تفرغ لقلبه صلى الله عليه و آله و سلم فان قلت لما علم الله انهم لا يؤمنون فلم امر نبيه بدعائهم، فالجواب؛ لئلا يكون

لناس علي الله حجة بعد الرسل؛ وقال؛ ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لو لا ارسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك.

[سورة البقرة (2): آية 7]

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)

لما ذكر هم بصفاتهم الخبيثة ذكر عقوباتهم فهو تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه. وفي معنى الختم وجوه.

أحدها ان المراد بالختم العلامة فإذا انتهى الكافر من كفره الى حالة يستحق الحرمان من الفيض الأقدس ختم وطبع على قلبه علامة ونكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها أنه لا يؤمن بعدها كما أنه يعلم ويكتب في قلب المؤمن علامة تعلم الملائكة بها أنه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له.

و ثانيها ان المراد بالختم ان الله شهد عليها و حكم بأنها لا تقبل الحق.

و ثالثها ان المراد بذلك انه ذمهم بأنها كالمختوم عليها في أنه لا يدخلها الايمان و لا يخرج عنها الكفر فتمكن الكفر في قلوبهم فصارت كالمختوم عليها.

و رابعها ان قلبه ضاق عن النظر و الاستدلال، فهو خلاف من ذكر في قوله: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ» و مثل قوله «أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» و الوجه بحسب المعنى متقاربة:

«وَعَلَى سَمْعِهِمْ» اي و ختم الله على آذانهم فجعلها بحيث تعاف استماع الحق و لا- تصغى الى خبر و لا- تعيه عقوبة لهم على سوء اختيارهم فعبر سبحانه من احداث هذه الكيفية و الهيئة بالطبع و الختم على الاستعارة، فلو قيل إذا ختم الله على قلوبهم و على سمعهم فمنعهم الهدى فكيف يستحقون العقوبة؟ فالجواب ان الختم و الطبع و الضلال و أمثال هذه الأمور عقوبة و مجازاة من الله بكفرهم، و هي مستندة الى الله من حيث ان الممكنات بقدرته و من حيث انها جزء منه تعالي لكن هذا الجزء مسبب مما اقترفوه بدليل قوله «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ»، و قوله تعالي، «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» فالختم لاستحقاق الكفر كالعذاب الواقع على الكافر، و الله تعالي قد يسر عليهم السبل فلو سلكوا سبيله لوقفهم، فحاصل معنى الختم عقوبة من الله لا تمنع العبد جبرا و لا تحمله على الكفر كرها بل هي زيادة عقوبة له على سوء إختياره، و تماديه

وغيه في الكفر تسبب عن هذا الطبع. والأمر لهم بالإيمان بقوله تعالى: «فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» يدل على أنهم متمكنين من الإيمان و الخطاب بقوله: «آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» * يدل على أنهم غير عاجزين عن الإيمان و الأ لزال الخطاب و سقط اللوم، فالعبد هو الذي أورد هذا الختم على قلبه و على سمعه. و في توحيد السمع قيل السبب فيه أنه في الأصل مصدر و المصادر لا تجمع لصلاحياتها للمفرد و الجماعة مثل أنهم يكيدون كيدا و أكيد كيدا لكن الأبصار جمع البصر و هو اسم عين لا مصدر فجمع و الاضافة الى الجماعة تغني عن الجماعة، و قال سيبويه أنه توسط جمعين فدلل على الجمع و ان وحد مثل قوله: «يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» * دل على الأنوار.

«وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ» أى غطاء و المراد حدوث حالة تجعل أبصارهم بسبب كفرهم لا تجتلى الآيات كما تجتليها أعين المستبصرين و معنى التنكير في الغشاوة بيان أنه على أبصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس و هي غشاوة التعامي عن الآيات، و ترتيب الذكر يوافق الخطابات حيث يقول: أفلا تعقلون، أفلا تبصرون، أفلا تسمعون.

«وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» و التنكير أى لهم من الآلام نوعا عظيما لا يعلم كنهه إلا الله نعوذ بالله من سوء الخاتمة. حكى ان ملكا شابا في بني إسرائيل، قال اني أجد في الملك لذة فلا ادري أ كذلك يجده الناس أم أنا أجده، فقالوا له كذلك يجده الناس، قال فماذا يقيمه و يديمه؟ قالوا يديمه و يقيمه لك ان تطيع الله و لا تعصيه فدعا من في بلده من العلماء و الصالحاء و قال لهم كونوا بحضرتي و مجلسي فما رأيتم من طاعة الله فأمروني و ما رأيتم من المعصية فاجروني عنها فعل ذلك فاستقام له الملك أربعمائة سنة ثم أن إبليس أتاه يوما على صورة رجل و قال له من أنت؟ قال الملك رجل من بني آدم قال إبليس لو كنت من بني آدم لمت كما يموت بنو آدم و لكنك اله فادع الناس الى عبادتك فدخل في قلبه شيء ثم صعد المنبر فقال أيها الناس اني أخفيت عليكم امرا حان و لزم إظهاره و هو اني ملككم منذ كذا سنة و لو كنت من بني آدم لمت و لكني اله فاعبدوني فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان، و قال أخبره اني استقمتم له ما استقام لي فتحول

من طاعتي الى معصيتي فبعزتي لأسلطن عليه بخت نصر و لم يتحول عن ذلك فسأطه عليه فضرب عنقه و اوقر من خزينته سبعين سفينة من ذهب.

[سورة البقرة (2): آية 18]

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)

لما افتتح الله السورة ببيان أحوال المؤمنين و اوصافهم و ثنى بذكر اضدادهم الماحضين في الكفر ظاهرا و باطنا ثلث في هذه الآية بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين و هم المنافقون الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم و هم أحبث الكفرة و أبغضهم الى الله لأنهم مؤهوا الكفر و خلطوا به خداعا و استهزاء. و الناس اسم جمع للإنسان سمي به لأنه عهد اليه فني قال الله: «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسْبِي وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا» و قيل سمي به لظهوره بخلاف الجن من انس أى ابصر لأنهم ظاهرون، و لذلك ايضا سموا بشر، و قيل من الانس الذي هو ضد الوحشة لأنهم يستأنسون بأمثالهم و اللام في؛ و من الناس؛ للجنس و من موصوفة، و تقدير الكلام؛ و من الناس ناس يقرّون باللسان و يقولون صدقنا بالله و باليوم القيمة؛ و سمي آخرا لأنه لا يوم بعده و لا ليلة بعده و متأخر عن جميع الأيام. و الناس أصله أناس و زنه فعال فأسقطت الهمزة منها لكثرة الاستعمال إذا دخله الألف و اللام و أدغمت اللام في التّون كما قيل لكننا في لكن أنا.

«وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» و ما حرف مشبّه بليس من حيث يدخل على المبتدأ و الخبر كما يدخل ليس عليهما. و فيه معنى نفى الحال كما في ليس فأجرى مجراه في العمل، و الباء زائدة مؤكدة للنفي أى ليسوا بمصدقين في دعويهم و اظهارهم الايمان.

[سورة البقرة (2): آية 19]

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ (9)

استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل ما لهم يقولون ذلك و هم غير مؤمنين؟- فقيل يخادعون الله و يخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم آمنوا و هم غير مؤمنين فأنهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على أسرار المؤمنين فيشيّعوها الى مخالفيهم و أعدائهم و ان يدفعوا أنفسهم ما يصيب ساير الكفار من القتل و النهب و الأسر و صنع الله معهم من اجراء احكام المسلمين عليهم و هم عنده أحبث الكفار و اهل الدرك الأسفل من النار استدراجا لهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المخادعين فتكون المخادعة بين الاثنين.

«وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ» النفس ذات الشيء و حقيقة أى ان ضرر مخادعتهم راجع إليهم لا يتخطاهم الى غيرهم و ما يضررون بذلك إلا أنفسهم فيستوجبون بذلك النفاق العقاب في العقبي وفي الحديث يؤمر بنفر من الناس يوم القيمة الى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصور الجنة و الى ما أعد الله تعالى لأهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بندامة و حسرة ما رجع الأولون و الآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل ان ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأوليانك فيقول ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتهم بي بارزتموني بالمعاصي فإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين و تظهرون خلاف ما تنطوي قلوبكم عليه هبتم الدنيا و لم تهابوني، اجللتم الناس و لم تجلّلوني، فاليوم اذيقكم اليم عذابي. قال الله لعيسى يا عيسى: ليكن لسانك في السر و العلانية واحدا و كذلك قلبك، و عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله: ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا نفاق انتهى. و المنافق قسم معادل للمشرك حيث قال: «وَيُعَذِّبُ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ» بل اشدّ عذابا لأنهم في الدرك الأسفل من النار.

«وَمَا يَشْعُرُونَ» حال من ضمير يخدعون اي ما يحسون بذلك الفعل القبيح لتماديهم في الغواية و نزلهم منزلة الجمادات و حطّهم من منزلة البهائم حيث سلب عنهم الحسّ الحيواني. اعلم انّ كل واحد نوع من الموجودات له كمال خاص و فعل لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشيء بمعنى انه لا يجوز ان يكون موجود آخر سواه يصلح لذلك نوعا، و هذا حكم مستمر في الأمور العلوية و السفلية كالشمس و الكواكب و أنواع الحيوان و أنواع النبات و المعادن و كالعناصر، إذا تقرر هذا فاذن نوع الإنسان له كمال و فعل خاص به لا يشاركه فيه غيره و هو ما يصدر عن قوته المميّزة، فكل من كان تميزه و اختياره أفضل كان أكمل في انسانيته لأنّ أفضل السيوف ما كان امضى، فمن كان اقدر على فعله الخاص به و اشدّ تمسكا بشرائط جوهره الذي تميّز به عن الموجودات كان أكمل، فانّ الفرس إذا قصّر عن كماله و لم تظهر أفعاله الخاصّة به و هو العد و حطّ عن مرتبة الفرسية و استعمل بالإكاف كما يستعمل للحمير، فإذا قصّر الإنسان عن أفعاله

التي خلق لها حظّ عن مرتبة الإنسانيّة الى مرتبة البهيميّة، هذا إذا صدرت أفعاله ناقصة غير تامّة، لكن إذا صدر منه أفعال ضد ما خلق له يستحقّ المقت والعذاب وان دام على الضدّ استحقّ العذاب الدائم كما إذا دام على فعل ما خلق له استحقّ النعيم الدائم، وسعادة كل موجود أنّما هي صدور أفعاله التي تخصّ صورته عنه تامّة كاملة فسعادة الإنسان تكون في صدور أفعاله التي خصّ بها وخلق لأجلها بحسب تميّزه ورويّته وان كان لهذه الرويّة و المروي فيه تفاوت، فأفضل الرويّة ما كان في أفضل مروى ثم ينزل رتبة رتبة الى ان ينتهي الى النظر في الأمور الممكنة من العالم الطبيعي والحسّي فيكون الناظر في هذه الأشياء اعرض عن خاصّته التي صار إنسانا وسعيدا واقبل في أشياء دنيّة لا فائدة له بها واستعمل نظره وفكره فيما لم يخلق لأجله فتتنزل عن درجته فإذا اشتغل بالشهوات صار في زمرة البهائم وإذا اشتغل في الفتنة والفساد صار في زمرة المؤذيات والسباع، وإذا تعطل صار في زمرة الجمادات وهكذا الى ان تقنى خاصّته ودخل في خاصّة غيره على حسب اعماله واختياره.

واعلم انّ الحكماء الإلهي و علماء الأخلاق اجمعوا على انّ اصول أجناس الفضائل اربع وهي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة و يتنوع منها فروع كما انّ اصول أجناس الفضائل اربع و يتنوع منها فروع وهي الجهل والشه والجبين والجور وهي أضداد الاربعة الاولى لكن اشخاص الأنواع من الطرفين بلا- نهاية. أما الحكمة فهي فضيلة النفس الناطقة المميّزة وهي ان يعلم الموجودات من حيث هي موجودة و ثمرة علمه ان يعرف أيّها يجب ان يفعل و أيّها يجب ان يترك و أمّا العفة فهي فضيلة الحسّ الشهواني و ثمرة هذه الفضيلة ان يصرف شهواته بحسب النظر حتى لا ينقاد لها و يكون غير متعبّد لشيء من شهواته الصارّة حتى يصير حرّاً مالكا لا مملوكا، و أمّا الشجاعة فهي فضيلة النفس الغضبيّة فيستعمل ما يوجب الرأى الحاذق و لا- يخاف من الأ-مور الهائلة المفزعة إذا كان فعلها جميلا و تحمّلها محمودا، و أمّا العدالة فهي فضيلة للنفس و يحدث للنفس بعد اجتماع هذه الفضائل الثلاث المذكورة فيحدث للإنسان بالعدالة سمة يختار بها دائما الإنصاف من نفسه على نفسه أو لا ثم الإنصاف و الانتصاف من غيره و الفضائل التي من فروع أجناس الأربع كثيرة مثل الفروع

التي تحت العفة، الحياء والصبر والقناعة والدمائة ومعنى الدماثة حسن انقياد النفس وتبرعها في الجميل وكذلك من فروع العفة الانتظام ومعناه حال للنفس تقودها الى تقدير الأمور، منها حسن الهدى وهو تكميل النفس بالزينة الحسنة، ومن فروع العفة الورع والوقار وهي لا- تعدو كذلك فروع الرذائل الأربع كثيرة، وهي اجمالاً ما يضاد الفضائل الأربع لأنه يفهم من كل واحدة من الفضائل الأربع، و فروعها ما يقابلها مثل ان الجهل يقابل العلم والوقاحة يقابل الحياء الى ما لا يتناهى.

[سورة البقرة (2): آية 10]

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)

المراد بالمرض في الآية الشك والنفاق و انما سمى الشك والنفاق مرضاً لأن المرض هو الخروج عن حد الاعتدال فالبدن ما لم تصبه آفة يكون صحيحاً وكذلك القلب ما لم يصبه آفة من الريب يكون صحيحاً، والمراد أنه في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في توحيد الله ورسالة رسوله مرض، وزاد يجيء متعدياً كما في هذه الآية، ولازماً كما في قوله: «وَأَرْسَلْنَا إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» فالمرض حقيقة فيما يعرض للبدن، فيخرجه عن الاعتدال ومجازي في الاعراض النفسانية التي يخلل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد وحب المعاصي من فنون الفسق والكفر المؤدى الى الهلاك الروحاني، وزوال الحياة الابدية وكانت قلوب المنافقين متألمة تحرقاً على ما فات عنهم من الرياسة، وحسداً على ما يرون من اثبات امر الرسول واستعلاء شأنه يوماً فيوماً فزاد الله غمهم بما زاد في إعلاء امره فزاد المرض بأن طبع على قلوبهم لعلمه بأنه لا- يؤثر فيها التذكير والإنذار وازدياد التكاليف الشرعية وتكرير الوحي وتضاعف النصر لأنهم كلما ازداد التكليف بنزول الوحي يزدادون كفراً ويشق عليهم التكلم بالشهادة حقيقة، وازدادوا بذلك اضطراباً وامتناعاً، وازدادوا بذلك في الآخرة عذاباً على عذاب كما قال سبحانه «زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ» يصل ألمه الى القلوب.

«بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» بسبب كذبهم المستمر، او بمقابلة كذبهم الدائم، وهو قولهم، آمناً؛ والكذب من قبائح الذنوب، وفواحش العيوب، لا سيما الكذب في الدين، ورأس كل معصية، به يتكدر القلوب، وأنه ابغض الأخلاق ومجانب للايمان، بمعنى ان

الايمان في جانب، والكذب في جانب آخر مقابل له. وفي الحديث: ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار، وبالجملة فقبح الكذب و حسن الصدق ضروريتان مطلقتان. انظر الى الصبح الكاذب طالما قتل القوافل و الصبح الصادق ظهر به تباشير الهداية و النور لأهل المراحل، فلا تكدرّ جوهر النفس بترك الفضائل فضلا عن ارتكاب الرذائل و يكون أول تجريد افعال النفس ان ترفعها عن رتبة الأخس التي يستحق بها المقّت من الله و العذاب الأليم ثمّ تكميلها بالعلوم الشريفة الاولى فالاولى، فإنّ كسب الفضائل كالصناعات في مراتب الشرف فإنّ في الصناعات ما هو اشرف و ما هو أدون كصناعة الطب و صناعة الدباغة التي يستصلح بها جلود البهائم، و السيف الصمصام، غير السيف الكهّام و اعلم ان وجود الجوهر الإنساني بقدره فاعله و خالقه تعالى، فأما تجويد جوهره فقوض الى الإنسان ليستعمل قوته اعنى العالمة و العاملة فيما خلقا له، فيختار الأشرف فالأشرف في العالمة، و هو العلم بمعرفة خالقه، و كذلك العاملة لخدمة مولاه حيث أنّه عبد؛ و ما خلقت الجنّ و الانس إلا ليعبدون؛ و لا يهمل دقيقة و لا ساعة من عمره هاتين القوتين، و لما كان هذا الإنسان مرّكب و محتاج الى امور يتعيّش بها فلا بدّ ان يصرف بعض قواه العاملة لمعاشه بقدر ما يتوقف معاشه عليه و الزائد عليه تفريط للنعمة و تقويت للسعادة الانسانية التي خلقه الله لها. و اعلم ان الإنسان من بين جميع الحيوان انسيّ الطبع لا يكتفى بنفسه في تكميل ذاته و لا بدّ له من معاونة قوم كثيري العدد حتى يجرى امره على السداد، و لهذا قال الحكماء، انّ الإنسان مدنيّ بالطبع؛ و كلّ انسان بالطبع و بالضرورة يحتاج الى غيره، و لا بدّ ان يعاشر الناس بقدر الضرورة لاحتياجه و لأنّهم يكملون ذاته و يتممون انسانيّته، و هو أيضا يفعل بهم مثل ذلك، فإذا كان الأمر كذلك كيف يؤثر الإنسان التفرّد و التخلّي بملازمة المغارات و الكهوف او الإسكان في الصوامع او التعيش الصعب في المفاوز و يمنع نفسه عن درك هذه الفضائل، و لذا قيل كن بين الناس و لا تكن مع الناس، و النهي بسبب ان الشرور فيهم غالبية على الخير لكن بالانفراد لا تظهر أفعاله الخاصّة و صار بمنزلة الجماد، و ليست الفضائل اعداما بل هي اعمال و افعال و هي تظهر عند مشاركة الناس و مساكنتهم من ضروب الاجتماعات لأنّ العفّة مثلا

او الحياء او الصبر أو السخاوة او الحلم و أمثالها كيف يتحقّق وجودها من دون ان يكون الإنسان متعاشرا في أمثاله؟ وبئس العادة الجهل، و الخلق حال للنفس داعية لها الى افعالها من غير فكر و رويّة، و هذه الحالة تنقسم الى قسمين، منها ما يكون طبيعيا من اصل المزاج كالإنسان الذي يحركه ادنى شيء نحو غضب و يهيج من أقلّ سبب او يجبن من السير شيء او يرتاع من خبر يسمعه او يغتم و يحزن من أيسر شيء يناله. و منها ما يكون مستفادا بالعادة أولا فأولا حتى يصير ملكة و خلقا. و اختلف الناس فقال بعضهم من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه، و قال آخرون ليس شيء من الأخلاق طبيعيا للإنسان بل تنتقل بالتأديب اما سريعا او بطيئا، و هو المختار لأننا نشاهد خلافه عيلنا و لأنّ القول الأول يؤدّي الى ابطال قوّة العاقلة و الى رفض السياسات و ترك الناس همجا مهملين، و هذا ظاهر الشناعة، و الرواقيون قالوا انّ الناس كلّهم يخلقون اختيارا بالطبع ثم بعد ذلك يصيرون اشرارا بمجالسة اهل الشرّ و الميل الى الشهوات الرديئة التي لا تقمع بالتأديب، و اما قوم آخرون قبل الرواقيين قالوا: انّ الناس خلقوا من الطينة السفلى و هي كدر العالم فهم لأجل ذلك اشرار بالطبع و انّما يصيرون اختيارا بالتأديب إلا انّ فيهم من هو في غاية الشرّ لا يصلحه التأديب، و فيهم من ليس هو في غاية الشرّ فيمكن ان ينتقل من الشرّ الى الخير بالتأديب، و اما جالينوس قال انّ الناس من هو خير بالطبع و فيهم من هو شرير بالطبع و فيهم من هو متوسط بين هذين و أفسد المذهبين الأوّلين و اثبت مذهبه بأن قال انا نرى من الناس من هو خير بالطبع و هم قليلون و ليس ينتقل هؤلاء الى الشرّ و منهم من هو شرير بالطبع و هم كثيرون و ليس ينتقل هؤلاء الى الخير، و منهم من هو متوسط بين هذين و هؤلاء قد ينتقلون بمصاحبة الأخيار الى الخير و قد ينتقلون بمصاحبة الأشرار الى الشرّ.

أقول انّ في كلام جالينوس نظرا بأن يكون من الناس شرير بالطبع لأنّه لو صح هذا لكان التكليف عليهم عبثا و لغوا، فانّهم يكونون بطبعهم خارجين عن حدّ تعلّق سياسة الله إليهم فانّ أحدا لا يروم ان يغير حركة النار التي الى فوق بأن يعودها الحركة الى أسفل، و لا ان يعود الحجر حركة العلو و لو رامه ما صحّ له، و بهذا البيان ثبت منع

الشرير بالطبع، وصحّ التوسط بينهما، فحينئذ الإنسان قابل الأخلاق في الخير والشرّ، فليتحلّق بأخلاق الله و سياسته التي بينها في الكتاب على السنة أنبيائه، فأبواب هذه السياسة متابعة الكتاب كما أنّ أبواب الشرّ مخالفة الكتاب و السنة، وبالمتابعة يظهر جوهر الإنسان و اسم الإنسان و ان كان يطلق على الطرفين من هذا الباب لكن البون بينهما كبون الاضداد. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم ليس شيء خيرا من ألف مثله إلاّ الإنسان، و قال صلّى الله عليه وآله و سلّم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة واحدة و لم أر أمثال الرجال تفاوتوا الى المجد حتى عدّ ألف بواحد. قال صلّى الله عليه وآله و سلّم وزنت بامتّي فرجحت بهم و لذا قال سبحانه (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) مع أنّه سلام الله عليه واحد فكأنّ الفا و لا تكن واحدا.

[سورة البقرة (2): آية 11]

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11)

اي و إذا قال المسلمون لهؤلاء المنافقين هذا القول و هو قولهم لا تفسدوا في الأرض. و الفساد خروج الشيء عن الصلاح، و الفساد في الأرض تهيج الحروب و الفتن المتتبعة لزوال الاستقامة في احوال العباد و اختلال النظام و المعاش و المعاد و المراد ما نهوا عنه من افشاء امر المسلمين و أسرارهم الى الكفار.

«قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ». جواب لإذا و ردّ للناصح انّ شأننا الإصلاح و حالنا متمحّضة عن شوائب الفساد، الا تنبيه اي اعلموا ايّها المؤمنون

[سورة البقرة (2): آية 12]

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12)

أثبت سبحانه لهم ما نفوه و نفى عنهم ما أثبتوه اي هم مقصرون على الفساد لأنفسهم بالكفر و للناس بالتعويق عن الايمان «وَ لَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ» و لا يحسّون فيدركون الصلاح عن الفساد فيفسدون صلاح آخرتهم بإصلاح دنياهم، و لا شعور لهم.

[سورة البقرة (2): آية 13]

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ لَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13)

من طرف المؤمنين بطريق الأ-مر بالمعروف آمنوا حذف المؤمن به لظهوره اي «آمنوا بالله و باليوم الآخر كما آمن الناس» إيماننا مماثلا لإيمانهم، و اللام في الناس للجنس و المراد به الكاملون في الانسانيّة، العاملون بعطيّة العقل او للعهد، و المراد به الرسول و من معه.

«قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ» الهمزة للإنكار، و إنما نسبوهم الى السفاهة مع انهم في الغاية من الرشد و الرزانة و العقل لكمال انهماكهم في الغواية، فمن حسب الضلال هدى فسُمى الهدى لا محالة ضلالا، و كان حينئذ كثير من المؤمنين فقراء صعاليك، و منهم موالى كصهيب و بلال و أمثالهم. فان قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم، أنؤمن كما آمن السفهاء؛ فالجواب أن المنافقين كانوا يتكلمون بهذا الكلام في أنفسهم سرا، دون ان ينطقوا به جهرا، لكن هتك الله أسترارهم، و اظهر أسرارهم، و كانوا يظهرن هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين، فردّ الله عليهم هذا القول بقوله:

«أَلَا- إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ لَكِن لَّا يَعْلَمُونَ» و الآية تنبيه، و ردّ، و مبالغة في تسفيهم و تجهيلهم، فإنّ الجاهل بجهله، الجازم على ما هو الواقع أعظم ضلالة و أتم جهالة من المتوقف، فأنه ربّما ينفعه الآيات و النذر، و قوله لا يعلمون، بيان على أن ذلك الجهل لازم لهم، لعدم علمهم بجهلهم، و ذلك لعدم تعقلهم بما ينفعهم و ما يضّرهم، فان العلم تابع للعقل، و بنس العادة و الخلق الجهل. روى أنّه لما خلق آدم أتى اليه جبرئيل بثلاث تحف: العلم و الحياء و العقل، فقال يا آدم اختر من هذه الثلاث ما تريد فاختر العقل فأشار جبرئيل الى العلم و الحياء بالرجوع الى مقرّهما فقالا انا كنا في عالم الأرواح مجتمعين فلا نرضى ان يفترق بعضنا عن بعض في الأشباح ايضا فنتبع العقل حيث كان فقال جبرئيل عليه السلام استقرّوا فاستقر العقل في الدماغ و العلم في القلب و الحياء في العين فليسارع العاقل الى تحصيل العلم و المعرفة، و للعقل نجوم و هي للشيطان رجوم و للعلوم أقمار و للقلوب أنوار و استبصار، و للمعارف شمس و لها في قلوب المتقين طلوع، و للعاملين بالتقوى مشارق ليس لها مغارب، فالعلم بلا عمل يتيم، و العمل بلا علم سقيم، و هما معا صراط مستقيم. في الكافي عن السجاد عليه السلام قال: انّ المنافق ينهى و لا ينتهى، و يأمر بما لا يأتي، و إذا قام الى الصلاة اعترض، قلت يا بن رسول الله و ما الاعتراض قال الالتفات و إذا رمض يمسي و همّ العشاء و هو مقطر و يصبح و همّ النوم و لم يسهر، ان حدّثك كذبك و ان اتّمنت خانك و ان غبت اغتابك و ان وعدك أخلفك

[سورة البقرة (2): آية 14]

وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (14)

روى انّ عبد الله بن ابي و أصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم

نفر من الصحابة فقال ابن ابي انظروا كيف اردّ هذه السفهاء عنكم فلمّا دنوا منهم أخذ عبد الله بيد علي بن أبي طالب فقال مرحبا بابن عمّ رسول الله وختنه وسيّد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال علي عليه السّلام يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فإنّ المنافقين شرّ خلق الله فقال له عبد الله مهلا يا أبا الحسن اتى تقول هذا والله أنّ أيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثمّ افترقوا فقال ابن ابي لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فإذا رأيتموهم فافعلوا ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما دمت فينا فنزلت الآية المعنى ساق القصة في تمهيد نفاقهم وبيان مذهبهم ومعاملتهم مع المؤمنين بأن يظهرن معهم الايمان وإذا اجتمعوا في الخلوة، والى في الآية بمعنى الباء او مع مثل خلوت بفلان واليه إذا انفردت معه والمراد من شياطينهم المشاركون في النفاق والتمرد وكل عات متمرد فهو شيطان وقيل المراد من شياطينهم كهنتهم في بنى قريضة كعب ابن الأشرف وفي جهينة عبد الدار وفي بني اسد عوف ابن عامر وفي الشام عبد الله بن سواد وكانت العرب تزعم فيهم انهم مطلعون على الغيب ويداؤون المرضى ويعرفون الأسرار وليس من كاهن الآ وعند العرب أنّ معه شيطانا «قالوا إنّنا معكم» موافقوكم على اعتقادكم ودينكم ولا يفارقكم في حال من الأحوال وكأنّه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم يوافقون المؤمنين بكلمة الشهادة والحضور في جماعاتهم ومساجدهم فقالوا أنّما نحن في اظهار الايمان عندهم مستهزؤون بهم و أنّما نكون معهم ظاهرا لشاركتهم في غنائمهم ونكح بناتهم ونحفظ أموالنا ونسائنا من أيديهم

[سورة البقرة (2): آية 15]

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)

فرد الله عليهم بقوله:

: اى يجازيهم على استهزائهم ويرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم في الآخرة كما أشرنا اليه سابقا يروى أنّه يفتح لهم باب الى الجنة وهم في جهنم فيسرعون نحوه فإذا وصلوا اليه سدّ عليهم وردّوا الى جهنم والمؤمنون على الأرائك في الجنة ينظرون إليهم فيضحكون منهم كما ضحكوا من المؤمنين في الدنيا فذلك بمقابلة هذا، ويفعل بهم ذلك مرّة بعد مرّة، ويمدهم اى يزيدهم من

ص: 75

مدّ الجيش و أمده إذا زاده، و المدّ الجذب، لأنّه سبب الزيادة في الطول و المادة، كلشي ء يكون مددا لغيره و قيل كلشي ء حدثت زيادته في نفسه فهو مدد بغير ألف و كل زيادة أحدثت في الشئ ء من غيره فهو امده و يمدّهم في طغيانهم قيل معناه يملئ لهم ليؤمنوا و هم معذلك متمسكون بطغيانهم و عمههم و العمه في البصيرة كالعمى في البصر و هو التحير و قيل المعنى يدعهم و يتركهم من فوائده و منحه التي يكرم المؤمنين ثوبا لهم و يمنعها الكافرين عقابا كشرح الصدور و تنوير القلب فهم في ضلالهم يتحيرون و ذلك بسبب انهم اعرضوا عن الحق

[سورة البقرة (2): آية 16]

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)

أولئك المنافقون الموصوفون الذين اشتروا الضلالة و هي الكفر و النفاق بالهدى و هو الايمان و قبول القرآن و استبدلوا بها فما ربحت تجارتهم فاسناد التجارة الى مثل هذا الأمر على الاتساع و لمشابقتها اياه من حيث انها سبب الربح و الخسارة و التاجر الربح من اتفق له في الصبا ان يربى على ادب الشريعة و أخذ بوظائفها حتى تعودها فقد بلغ مراتب الانسانية فليكثر حمد الله على هذه الموهبة العظيمة و من لم يتفق له ذلك في مبدأ نشوه و ابتلى بمعاشرة اهل الخلاعة و المجون و رواية الشعر الفاحش و نيل اللذات مثل اشعار امرئ القيس و النابغة و مال طبعه الى التغزل و التعشيق فقد أدركه الشقاء و الخسران فما ربحت تجارته و مهما تبته و هيهات فليجتهد على التدريج الى نظام نفسه منها ممّا لا يدرك كلّ لا يترك بعضه فإن فاته الربح فلا يفوته رأس المال و ادخل السفينة قبل ان تغرق.

«و ما كانوا مهتدين» الى طريق التجارة لأنه قد فات منهم الربح و رأس المال لأنهم اكتسبوا من طول العمر خذلانا و من كثرة الأموال و الأولاد حرمانا قال الله سبحانه لحبيبه ليلة المعراج انّ من نعمتي على امتك اتي قصرت أعمارهم كيلا تكثر ذنوبهم و أقللت أموالهم كيلا يشتدّ في القيمة حسابهم و أخرت زمانهم كيلا يطول في القبور حسبهم قال بعض علماء الأخلاق ينبغي للسالك ان يتحفّظ رأس ماله ثم يطلب الربح حتى إذا فاته الربح في صفقة فربما يتداركه في صفقة اخرى لبقاء الأصل حكى انه كان للشيخ أبي علي الدقاق مرید تاجر متمول فمرض يوما فعاده الشيخ و سأل منه سبب علته فقال

التاجر اشتغلت نهاري في التجارة حتى تعبت فقامت هذه الليلة لمصلحة التهجد فلما أردت الموضوع بدء لي من ظهري حرارة فاشتد امرى حتى صرت محمومًا فقال الشيخ لا- تفعل فعلا فضوليا ولا ينفك التهجد ما دمت لم تهجر دينك و تخرج محبتها من قلبك و تحرص عليها فاللائق لك أولا هو ذلك ثم الاشتغال بوظائف النوافل فمن كان به أذى من صداع لا يسكن ألمه بالطلاع على الرجل و من تنجست يده لا يجد الطهارة بغسل ذيله و كمّه و من علامة اتّباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات و التكاسل عن القيام بالواجبات ترى الواحد منهم يقوم بالأوراد الكثيرة و النوافل الثقيلة و لا يقوم بفرض واحد على وجهه.

و في قوله تعالى و ما كانوا مُهْتَدِينَ صِنعة الإيغال فأنّ الإيغال في اصطلاح البديعين ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها فأنّ في قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم تم المعنى و أفاد بقوله و ما كانوا مهتدين مبالغة في ضلالتهم لأنّ المطلوب في تجارتهم سلامة رأس المال و حصول الربح و ربما تضيع الطلبتان و يبقى لهم معرفة التصرف في طريق التجارة فبين هذه النكتة أنّهم ضلّوا الطريق، و ليس لهم طريق و معرفة في التجارة بعده أبدا، فتاجروا مع الله، بالأعمال الصالحة، و الصدقات، و اطلب التجافي عن دار الغرور؛ و اقرع باب الاستغفار و الاعتذار، و دع المباهات و الافتخار و لا يغرّك عرّك في دينك، و اقبال أيامك، فأنّ الإقبال مقلوب لا بقاء، فبموتك يذهب الذهب، و الغناء عناء، و الدرهم همّ، و الدينار نار، بل لا تضيع عمرك في تحصيل العلوم الفضول، فاقنع من العلوم بقدر حاجتك للعمل، فان النحو محو، و النجوم رجوم و الرياضي رياضة، و الفلسفة فلّ و سفه، و العلم النافع، علم القرآن و الحديث، و هما اصول الشريعة و قانون الطريقة، كل العلوم سوى القرآن مشغلة غير الحديث، و إلا الفقه في الدين، العلم ما كان فيه قال حدثنا و ما سوى ذلك و سواس الشياطين.

[سورة البقرة (2): آية 17]

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17)

: اي مثل هؤلاء المنافقين لما أظهروا الايمان و ابطنوا الكفر كمثل الذي أوقد نارا، و اصل المثل بمعنى النظر، ثم قيل للقول الناشر

و استعير لكل حال أو قصّة أو صفة لها شأن عجيب و غرابة، كقوله، ولله المثل الأعلى اى الوصف الذي له شأن من العظمة و الجلال، و التمثل الطف ذريعة الى تفهيم الجاهل و يجعل المعقول محسوسا، و الخفي جليّا، و لذا اكثر الله في كتبه الأمثال، و في الإنجيل سورة تسمّى سورة الأمثال، قيل و في القرآن قريب من ألف آية من الأمثال و العبر، اعلم ان التمثل الطف ذريعة الى تفهيم الجاهل الغبي، و قمع سورة الجامع الابي كيف لا، و هو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، و إبراز لها في معرض المحسوسات و كان من عادة الأنبياء و الرسل، بيان الحكم في بعض المقامات بالأمثال، و تصوير الحقائق الغامضة العقلية، بكسوة الامثلة الحسيّة، و ذلك لأنّ اكثر الناس يغلب عليهم الجهة الحسيّة؛ قال ابراهيم النظام، في المثل، اربع خصال، لا يجتمع في غيره من الكلام، إيجاز اللفظ، و أصابة المعنى، و حسن التنبيه، و جودة الكناية، ثمّ اعلم، أنّ الأمثال، تتفاوت في الدرجات، نازلة مثلا ما بعوضة فما فوقها، و صاعدة حتى ينتهى الى آل محمد صلوات الله عليهم، كما في فقرة الزيارة الجامعة، و المثل الأعلى، و ليس فوقهم مثل، و قد ضرب الله الأمثال، في السور، لهذه الحكمة، في البقرة، و آل عمران، و الانعام، و الأعراف و يونس، و هود، و الرعد، و ابراهيم، و النحل، و بنى إسرائيل، و الكهف، و الحجّ، و النور، و الفرقان، و العنكبوت، و الروم، و يس، و الزمر، و زخرف، و محمد، و الفتح، و الحديد، و الحشر، و الجمعة، و التحريم، و المدّثر، و غيرها، و التشبيه باعتبار المشبّه و المشبّه به، على اربعة اقسام.

الاول يقال له التشبيه الملقوف، و هو ان يؤتى على طريق العطف بالمشبهات أولا، ثمّ تمّ بالمشبه بها، يقول امرء القيس،

كان قلوب الطير رطبا و يابسالدى و كرها العناب و الحشف البالي

و الثاني يقال له التشبيه المفروق، و هو ان يؤتى بمشبّه، و مشبّه به ثمّ آخر و آخر، كقول المرقش، يصف النساء:

النشر مسك و الوجوه دنانير و أطراف الأكف عنم

الثالث التسوية، و هو ان يتعدد المشبه دون المشبّه به، كقول الشاعر:

الحبيب و حالي كلاهما كاللثالي و ثغره في صفاء و ادمعى كاللثالي

و الرابع المجمع، و هو ان يتعدّد المشبّه به دون المشبّه، كقول البخري.

كأثما يبسم عن لؤلؤ منضد او برد او اقاح

وقد مثّل الله حال المنافقين، في سورة البقرة، كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون: ثم انه لزيادة التوضيح مثل مثالا آخر: فقال او كصيّب من السماء فيه ظلمات و رعد و برق: فقوله او كصيب او هاهنا للاباحة، نحو جالس الفقهاء او المحدثين، يعنى كلا الفريقين اهل ان تجالس، كصيّب، اى كاصحاب مطر منزل من السماء، و تنكر الصيّب أريد به نوع تهويل شديد، كالنار في التمثيل الاول، فالمعنى مثل هؤلاء المنافقين، في جهلهم كاصحاب مطر منزل عليهم من السحاب، في هذا المطر ظلمات، لأنّ السحاب يغطى الشمس بالنهار، و النجوم بالليل، فيظلم الجو، و رعد و برق، فحاصل المعنى، انّ الله شبّه حالهم، في حيرتهم، بحال من أخذته السماء، في ليلة مظلمة، مع هذه الأحوال، من الرعد و البرق و خوف من الصواعق، فكلمّا دعوا الى خير و غنيمة، اسرعوا لطلب النفع، كما انّ أولئك كلكم أضاء لهم البرق مشوا بضوء البرق لكن إذا وردت شدّة على المسلمين، مثل يوم احد و ققوا و تحيروا لكفرهم، كما وقف أولئك في الظلمات متحيرين، تأمل في هذا التمثيل، كيف جمع بيانا شافيا و اوضحا مفيدا، يتعقله كل جاهل، و يفهم منه معان كثيرة، دون اطناب، مع وضوح المقصود المعنى به، و هذا التشبيه، من القسم الثالث، من الأقسام الاربعة، لأنّ القسم الثالث، هو ان يتعدّد المشبّه، دون المشبّه به انتهى. و قد يحذف آلة التشبيه، لأنّه يستنبط التشبيه، من الكلام، مثاله في القرآن، قوله تعالى: أ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا: فانه مثل الاغتيا بأكّل الإنسان، لحم انسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك، حتى جعله لحم الأخ، ثم لم يقتصر عليه حتى جعله ميتا، ثم جعل ما هو في غاية الكراهة، ففيه اربع دلالات، و فيه لطف آخر فانه تعالى جعل المغتاب بمعنى المفعول، بمنزلة الميت، لأنه كما لا يقدر الميت، الدفاع من السوء عن نفسه، كذلك حال الغائب الذي اغتيا، لا يعلم حتى يدفع عن نفسه ذكر السوء.

«اسْتَوْقَدَ نَارًا»: الاستيقاد طلب سطوع النار، وارتفاع لهبها، والمعنى أوقد في مفازة في ليلة ظلماء، «فَلَمَّا أَضَاءَتْ»: الاضاءة فرط الإنارة، «مَا حَوْلَهُ»: أى حول المستوقد من الأماكن والأشياء، واصل الحول، الدوران، ومنه الحول للعام، لأنه يدور، و جواب لَمَّا «ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» أى اذهب واطفأ نارهم التي هي مدار نورهم وضوئهم «وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ»: بحيث لا يبقى من النور عين ولا اثر أى صيرهم في ظلمات لا يبصرون ما حولهم فإن المنافقين أظهروا كلمة الايمان غدرا ومكرا، فاستناروا بنورها، واستعزوا بعزها، فناكحوا المسلمين، واورثوهم، وقاسموهم الغنائم، وأمنوا على أموالهم وأولادهم، فإذا بلغوا آخر العمر، كلّ لسانهم عنها وحرموا من فائدتها، وبقوا في ظلمة النفاق والكفر وسخط الله، وعادوا الى الخوف والظلمة

[سورة البقرة (2): آية 18]

صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرِجْعُونَ (18)

: أى هم صم عن الحق لا يسمعون، كأنه انسدت خروق مسامعهم، بكم، خرس، لا يقولونه، كأنهم لا يتمكنون ان ينطقوا به، مثل من به آفة في لسانه، «عُمِيٌّ» فاقدوا الأبصار عن النظر، وهم في الآخرة يعاقبون بجنسها؛ قال الله «وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا» لا يسمعون سلام الله، ولا يخاطبون الله، ولا يرون آثار رحمته، والمؤمنون يكرمون يومئذ بخطابه، ولقاء كرامته، وسلامه؛ «فَهُمْ لَا يَرِجْعُونَ» بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة، لا يعودون عن الضلالة الي الهدى و الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها،

[سورة البقرة (2): آية 19]

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19)

: مثل الله مثلا آخر، عن حال المنافقين، أى حالهم كحال أصحاب مطر يصوب ويقع، وصيب أصله صيوب، على وزن فيعل، فاجتمعت الواو والياء، والاولى ساكنة، فقلبت ياء، وأدغمت، مثل سيد وجيد، وأو في الآية للتخيير والتساوي، أى كيفية قصة المنافقين، شبيهة بهاتين القصتين، فان مثلت بأحدهما، او بهما جميعا، فأنت مصيب، وأو، يكون بمعنى الواو أووجه، مثل قوله تعالى: «أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ» قال الشاعر:

وقد زعمت ليلي بأنني فاجر لنفسي تقاها او عليها فجورها

«مِنَ السَّمَاءِ»: يتعلّق بصيّب، و الصيّب ليس بعاقل، و لا يعطف غير العاقل على العاقل، فالمراد اصحاب الصيّب المنزل من السماء، قال الامام الرازي: من الناس من قال: المطر انما يتحصل من ارتفاع ابخرة رطبة من الأرض، و من البحار الى الهواء، فينعقد هناك من شدة البرد، ثم ينزل مرة اخرى، و أبطل الله ذلك المذهب، بأنّ ذلك الصيب نازل من السماء، و مادته منها، و عن ابن عباس ان تحت العرش بحرا، ينزل منه أرزاق الحيوانات، بوحي اليه، فيمطر ما شاء من سماء الى سماء، حتى ينزل الى سماء الدنيا، و يوحى الى السحاب، ان غربله، فيغربله، فليس من قطرة يقطر إلاّ و معها ملك، يضعها موضعها، و لا ينزل من السماء قطرة، إلاّ بكيل معلوم، إلاّ ما كان من يوم الطوفان، فانه ما نزل بكيل؛ «فِيهِ ظُلُمَاتٌ»: اى في الصيب، أو في السحاب، فأيهما أريد، فظلمة المطر تكافئه، و انسجامه بتتابع القطر، و ظلمة لازمة، و هو الغمام، و كذلك ظلمة السحاب، تطيقه، و انسجامه، و تراكمه، و ظلمة الليل، و لما كان التعلّق بين السحاب، و المطر شديدا، جاز اجراء أحدهما مجرى الآخر، في بعض الاحكام، «وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ»: الرّعد هو صوت قاصف يسمع من السحاب، و البرق هو ما يلمع من السحاب، و المشهور بين الحكماء، أنّ الرعد يحدث من اصطكاك اجرام السحاب، بعضها ببعض، او من إقلاع بعضها عن بعض، عند اضطرابها، بسوق الرياح اياها سوقا عنيفا، و لا يعتمد على مثل هذه الكلمات، سواء صدرت من حكيم أو غيره، ما لم يوافق الروايات المأثورة عن الأئمة عليهم السلام، بل إذا خالف قول الحكيم، بما نطق به الأئمة المعصومون، فذلك ليس بحكمة، و القائل ليس بحكيم، بل هو حجاج قال المورج: الحكمة مأخوذة من حكمة اللجام، لأنّها تضبط الدابة، و لمّا كانت الحكمة تمنع السفه، فلذا سميت حكمة، فلو قيل أنّ الحكيم، يؤوّل الحديث، و لا ينكره، فالجواب، ان الضرورة باعثة على التأويل في امور لا يجوز ان يحمل على ظاهر حكمها، لا في كلّ محكم ورد في لسان الشرع، فأرادوا ان يوافقوا معنى أرادوا فأولوه فمثل هذه التأويلات، آخر باب التعطيل، و فتح أول باب الإلحاد، و حكمة المحمدية،

اغتننا عن كلِّ حكمة، وانفع الحكم ما أمرنا به، وهو الزهد في الدنيا، حتى يكون سلامة لنا في آخرتنا، قال عبد المؤمن الأصبهاني، في رسالته الموسومة باطباق الذهب وهي مائة مقالة، عارض بها اطراق الذهب للزخشي و قد صنع في تمام مقالات الماء، صنعة الاقتباس، قال في المقالة السابعة، طوبى للتمنى الحامل الذي سلم من إشارات الأنامل و تبا لمن قعد في الصوامع ليعرف بالأصابع، والكامل، كامن متضائل، و الناقص، قصير يتناول، و العاقل قبعة، و الجاهل طلعة، و الوجاهة فتنة، و الاشتهار محنة، اجعل كنزك في التراب، و سيفك في القراب، و لو علم الجزل، صولة النجار، و عضة المنشار، لما تناول شبرا، و لا تخايل كبرا، و سيقول البلبل العيقل، يا ليتني كنت غرابا، و يقول الكافر، يا ليتني كنت ترابا، قال الله، ليس لك من الأمر، و انّ الأمر كلّهُ لله، فلا تختر ما نهاك الله، و امثل ما أمرك الله و لا تعتذر بالضرورة، و بالجملة فالصحيح، الذي يعول عليه انّ الرعد صوت ملك السحاب، يزجرها، و هو يسبح، قال الطبرسي، روى ذلك عن ابن عباس، و مجاهد و هو المروى عن أئمتنا عليهم الصلاة و السلام و روى الترمذي، عن ابن عباس في روح البيان، قال أقبلت يهود، الى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، فقالوا أخبرنا عن الرعد، ما هو، قال صلّى الله عليه و آله و سلّم ملك من الملائكة، موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار، تسوقه بها حيث شاء الله فقالوا ما هذا الصوت الذي يسمع، قال زجره حتى ينتهي الى حيث امر، فقالوا صدقت فعلى هذا المراد بالرعد، صوت ذلك الملك، لا عينه، و أنّه يخور في نقرة إبهام الملك الماء و أنّه يسبح الله، لا يبقى ملك في السماء، الّا رفع صوته بالتسبيح، فعندها ينزل القطر؛ و في الحديث انّ الرعد، صوت ملك، اكبر من الذباب، و أصغر من الزنبور؛ و «برق»: قيل انه مخاريق الملائكة من حديد، يضرب بها السحاب، فينقذ منه النار، عن على سلام الله عليه؛ و قيل أنّه سوط من نور، يزجر به الملك السحاب، و امّا في مناسبة المثل، قيل وجوه: أحدها أنّه شبّه المطر المنزل من السماء بالقرآن، و ما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء، و الوعيد بزواجر القرآن، و من البرق، و الصواعق، ببيانه، و وعيده و الأقرب في بيان التشبيه، ما روى عن ابن مسعود، و جماعة من الصحابة، ان رجلين،

منافقين، من اهل المدينة، هربا من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فأصابهما المطر الذي ذكر الله في الآية، ورعد وبرق وصواعق، فكلما أضاء لهما الصواعق، جعلوا أصابعهما في آذانهما، مخافة ان تدخل الصواعق، في آذانهما، فتقتلها، وإذا لمع البرق، مشيا في لمعه، و إذا لم يلمع لم يبصرا، فندما، و جعلوا، يقولان يا ليتنا قد أصبحنا، فنأتي محمدا، فنضع أيدينا، في يده فأصبحا، فاتياه، وأسلما، و حسن إسلامها، فضرب الله شأن هذين الرجلين مثلا لمنافقي المدينة، فان منافقي المدينة، كانوا إذا حضروا النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم جعلوا أصابعهم في آذانهم، فرقا من كلام النبي ان ينزل فيهم شيء، كما كان ذلك الرجلان، يجعلان أصابعهما في آذانهما؛ من الصواعق: جمع صاعقة، و هي الوقع من السحاب، تسقط معه نار محترق، لكنّها مع حدّتها سريعة الخمود، قالوا بين السماء وبين الكلة الرقيقة، التي لا يرى أديم السماء، إلا من ورائها نار منها تكون الصواعق، تخرج النار، فتفتق الكلة و تكون الصوت منها؛ او جرم، ثقيل، مذاب، مفرغ من الاجزاء اللطيفة الارضية الصاعدة، المسماة دخانا، و المائية المسماة بخارا حارّ حاد، في غاية الحدة و الحرارة، لا تقع على شيء إلا تثقب و احرق، و نفذ في الأرض حتى بلغ الماء، فانظفاً و وقف؛ قال ابن عباس، من سمع صوت الرعد فقال، سبحان الذي يسبح الرعد بحمده و الملائكة من خيفته و هو على كل شيء قدير، فان أصابته صاعقة فعليّ ديتة، و كان النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم إذا سمع الرعد، و صواعقه، يقول، اللهم لا تقتلنا بغضبك و لا تهلكنا بعذابك و عافنا قبل ذلك.

«حَدَرَ الْمَوْتُ» منصوب يجعلون على العلة اي خوفا من الموت.

«وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ» الاحاطة الإحداق بالشيء من جميع جهاته و هو مجاز في حقه تعالى اي محقق بعلمه و قدرته لا يفوتونه فيحشرهم يوم القيمة و يعذبهم و الحيل لا ترد بأس الله و وضع الظاهر موضع الضمير للإيذان بانّ ما دهمهم من الأمور الهائلة بسبب كفرهم و التصريح بكفرهم.

[سورة البقرة (2): آية 20]

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)

الكلام وقع جوابا عن سؤال مقدّر كأنه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد

ذلك البرق يختلس ويستلب أبصارهم بسرعة، من شدة ضوئه، و كاد من أفعال المقاربة ولا يتم بالفاعل، و يحتاج الى خبره، و خبره الفعل المضارع، و يخطف أبصارهم في موضع النصب، و خبر يكاد؛ و كلما: أصله كلّ، و ضمّ إليه ما الجزاء، و هو منصوب بالظرف، و العامل فيه أضاء: فالمعنى متى ما أضاء البرق لهم؛ مشوا فيه: أى في ذلك المسلك و في مطرح نور البرق، خطوات يسيره.

«وَ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ»: و خفى البرق، و استتر صار الطريق مظلمًا، و وقفوا في أماكنهم متحيرين.

«وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ»: أى و لو أراد الله ان يذهب الأسماع التي في الرأس، و الأبصار لذهب بها بصوت الرعد و نور البرق عقوبة لهم لأنه لا يعجز عن ذلك و ذلك مثل قول الشاعر

فلو شئت ان ابكى دما لبكيتة عليه و ليكن ساحة الصبر أوسع.

«إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فاعل له بقدرته و حاصل المعنى إن الله شبه حال المنافقين في حيرتهم و ضلالتهم بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد و برق و خوف من الصواعق و الموت فكلمنا دعوا الى خير و غنيمة اسرعوا لطلب الخير و النفع كما إن أولئك كلما أضاء لهم البرق مشوا فيه لاهتدائهم الطريق بضوء البرق فكذلك حال المنافقين لكن إذا وردت شدة على المسلمين مثل يوم احد تحيروا و وقفوا لكفرهم كما وقف أولئك في الظلمات متحيرين و قيل المراد أنهم إذا آمنوا صار الايمان لهم نورا و مشوا باهتداء نور الايمان فإذا ماتوا عادوا الى ظلمة العقاب لان ايمانهم ليس عن حقيقة.

[سورة البقرة (2): آية 21]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)

ياء حرف نداء و ائ اسم مبهم يقع على أجناس كثيرة و لا يتم الا بان يوصف و صفته تكون باسم الجنس مثل الناس و ائ منادي مفرد معرفة لأنه وقع موقع حرف الخطاب و هو الكاف و انما بنى على الحركة مع ان الأصل في البناء السكون لأنه ليس بغريق في البناء و البناء عارض فيه و حرك بالضم لأنه كان في أصله ائ بالتونين فلما سقط التنوين أشبه

قبل وبعد الذي قطع عنه الغاية و الناس مرفوع لأنه صفة لا يفتبعه على حركة لفظه ولا يجوز هاهنا النصب وان كانت الأسماء المنادات المعرفة يجوز في صفاتها النصب والرفع لان هنا الصفة هو المنادى في الحقيقة و اى وصلة اليه و يدل على ذلك لزومها هاء التنبيه و بالجملة الناس يصلح اسما للمؤمنين و الكافرين و المنافقين و النداء تنبيه الغافلين و تعريف الجاهلين و تهيج المطيعين اعبدوا ربكم يقول للكفار و حدوا ربكم و للعاصين اطيعوا ربكم، و للمطيعين اثبتوا على طاعة ربكم و اللفظ قابل لهذه الوجوه كلها و هو من جوامع الكلم و العبادة استفراغ الطاقة في استكمال الطاعة.

«الَّذِي خَلَقَكُمْ» صفة تدل على التعظيم و التعليل و الخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق و خلق الذين من قبلكم من الأمم المتقدمة قبل زمانكم و ان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق أنفسهم «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» اى لعلكم تتقون الحرمان بينكم؛ و تكفون عما حرم الله؛ و هذا كقول القائل: اقبل لعلك ترشد؛ و انه ليس من ذلك على شك و إنما يريدان يقبل فيرشد. قالوا فائدة إيراد لفظة لعل هي: ان لا يحل العبد ابدا محل الآ من المدلّ بعمله، بل يزداد حالا فحالا حرصا على العمل و حذرا من تركه.

و الحاصل ان لعل للترجي و الأطماع؛ و هي من الله واجب لأنه تعالى لا يطمع الآ فيما يفعل و استعمال لعل مشعر: بان العامل لا ينبغي ان يغتر بعبادته و عمله، بل يكون ذا خوف و رجاء فعليك في مراقبة الواردات من خزانة الخيال عن كتاب اسعاف الراغبين ان الشيخ محمدا بالمواهب الشاذلى رأى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال النبي له إذا كان لك حاجة فأندر للطاهرة الخنسية و لو بدرهم يقضى الله حاجتك و هي بنت الحسن ابن زيد بن المجتبي عليه السلام زوجة الإسحاق المؤتمن ابي جعفر الصادق عليه السلام توفت بمصر و دفن بها و كانت حفرت قبرها بيدها تنزل فيه و تصلّى و قرئت فيه ستة آلاف ختمه توفت سنة ثمان و مأتين احتضرت و هي صائمة فالترموها لتفطر فقالت و اعجابه ائى منذ ثلاثين اسئل الله ان ألقاه و انا صائمة أفطر الآن هذا لا يكون ثم قرئت سورة الانعام الى

ان وصلت لهم دار السلام عند ربهم و ماتت.

[سورة البقرة (2): آية 22]

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)

صفة ثانية لربكم، الأرض بساط العالم و بسيتها، روى عن امير المؤمنين انه قال اتما سميت الأرض أرضاً لأنها تتأرض ما في بطنها يعنى تأكل ما فيها و قيل لأنها تتأرض بالحوافر و الاقدام، قال اهل المساحة: ان بسيتها من حيث يحيط بها البحر الذي يقال له المحيط اربعة و عشرون ألف فرسخ، كل فرسخ ثلاثة أميال، يصير اثنا عشر ألف ذراع و كل ذراع ست و ثلاثون إصبعا، كل إصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها الى بعض، فللسودان اثنا عشر ألف فرسخ، و للبيضان ثمانية، و للفرس ثلاثة، و للعرب ألف، كذا نقل صاحب الكتاب الملكوت و سمت وسط الأرض المسكونة حضرة الكعبة، و اما وسط الأرض كلها عامرها و خرابها فهو الموضع الذي يسمى قبة الأرض، و هو مكان يعتدل فيه الأزمان في الحرّ و البرد، و يستوي الليل و النهار ابدًا، لا يزيد أحدهما على الاخر فِرَاشًا جعلها متوسطة بين الصلابة و اللين، صالحة للتوطن و القعود عليها، و النوم فيها كالبساط المفروش، و ليس من ضرورة ذلك كونها سطحاً حقيقياً، فإنها و ان سلّمنا كرويتها لكن مع عظم جرمها قابلة للتسطيح و الافتراش، و جعل «السَّمَاء»: و هو ما علاك «بِنَاءً»: قبة مضروبة عليكم، و كل سماء مطبقة على الاخرى، مثل القبة، و السماء الدنيا ملتزمة أطرافها على الأرض كذا نقل في بعض التفاسير كما في تفسير ابى الليث.

«وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» اى مطرا ينحدر من السماء على السحاب و منه على الأرض و لعلّ حكمة نزوله على السحاب بدوا ثم على الأرض لأجل ان يغربله السحاب حتى ينزل على ترتيب التقاطر حسب ما نشاهده.

«فَأَخْرَجَ بِهِ» اى أنبت الله بسبب الماء المنزول.

«مِنَ الثَّمَرَاتِ»: اى المأكولات من الحبوب و الفواكه من الأرض و الشجر.

«رِزْقًا لَكُمْ» و ذلك بانّ أودع في الماء قوّة فاعليّة و في الأرض قوّة منفعة فتولد

من تفاعلها اصناف الثمار لتعرفوه بالخالقية والرازقية فتوحدوه.

«فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُذُنًا» : جمع ند و هو المثل اى أمثالا تعبدونهم كعبادة الله، قال ابن عباس لا تقولوا لو لا فلان لأصابني كذا و لو لا كلبنا يصبح على الباب لسرق متاعنا، وعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال اياكم و لو، فإنه من كلام المنافقين، قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا و ما قتلوا.

«وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»: انّ الله هو الذي خلقكم و خلق الأرزاق لكم لتعبدوه و تعرفوه باستحقاقه الوجدانية و التفرد، و الآية تقيد انّ الإنسان لا بدّ ان يخلص عمله لله فقط، و يترك ملاحظة الأغيار.

و اعلم انّ معرفة النفس من اهمّ الأمور فيكون نعرف ما هي، و اىّ شيء هي، و لايّ شيء أوجدت فينا، حتى نستعملها فيما ينبغي، و نمنعها عمّا لا ينبغي، و ما الذي يزكيها فنفلح و ما الذي يدسيها فنخيب، كما قال الله قد أفلح من زكّيتها و قد خاب من دسّ بها، و قد اتضح انّ فينا شيء ليس بجسم، و لا بجزء من جسم، و لا عرض، بل هو جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس، و له افعال تضاد افعال الأجسام، و لا يشاركها في حال من الأحوال، و الدليل على أنّه ليس بجسم و لا عرض، انّ كلّ جسم له صورة ما، فأنه ليس يقبل صورة اخرى، الا بعد مفارقة الصورة الاولى، مثل انّ الجسم إذا كان في صورة و شكل من الأشكال كالتثليث مثلا فليس يقبل شكلا آخر من التربيع و التدوير الا ان يفارقه الشكل الاول و ان بقي فيه شيء من رسم الصورة الاولى، لم يقبل الصورة الثانية على التمام بل يخلط به الصورتان، و لا يخلص له أحدهما على التمام، و نحن نجد أنفسنا تقبل صور الأشياء كلها على اختلافها من المحسوسات و المعقولات على التمام من غير مفارقة للأولى و لا زوال رسم، بل يبقى الرسم الأول تاما كاملا و تقبل الرسم الثاني ايضا تاما كاملا ثم لا تزال تقبل صورة بعد صورة دائما، و هذه الخاصة مضادة لخواص الأجسام و بهذه العلة يزداد الإنسان فهما كلما تخرج في العلوم و الآداب، فليست النفس جسما.

و اما أنّها ليست، بعرض لأن العرض في نفسه محمول ابداء، موجود في غيره، لا قوام له بذاته، فثبت ان طباع النفس و جوهرها من غير طباع الجسم و للبدن، و انها أكرم

جوهرها من كل ما في هذا العالم، من الأمور الجسمانية، والنفس و ان كانت تأخذ كثيرا من مبادي العلوم عن الحواس، لكن لها من نفسها مباد آخر، لا تأخذها عن الحواس، وهي المبادي العالية التي تبتنى عليها القياسات الصحيحة المقطوعة الصحة، بل الحواس تخطئ أحيانا مثل حركة السفينة و الشاطئ، لكن النفس العاقلة ترد علي الحواس هذا الحكم، و تغلظه في إدراكه، و تعلم انه ليس كما يراه، و هذا لعلم من ذاتها و جوهرها فهذه فضيلة النفس، و بهذه الفضيلة يدرك الإنسان السعادات، ما لم تتلوث النفس برذائل الشهوات الرديئة الجسمانية، فحينئذ تنقلب هذه الملكة الملكية الى ملكة الشيطانية، و خاب من دسيها.

فالعاقل ينبغي ان يقوى قوة ملكيته، و يضعف قوى بهيميته، حتى يستدرك من فيض النور المودع فيه، و هو المعبر بالنفس الناطقة، و بالروح القدسى و بالعقل، لان يستفيد من تلك القوة، السعادة الدائمة، و يبعد عن عالم البهيمية و الشقاوة الابدية، و لا يحصل هذا الفيض الا إذا كان حريصا في الإطاعة و العبادة، قنوعا في الدنيا، و لم يكن حريصا في المال و زخارف الدنيا، لأن من أحب المال و الدنيا حبا مفرطا فقد هلك هلاك الأبد، و يكون حاله أسوأ من البهيمة، لان البهيمة إذا ماتت و هلكت استراحت، و هو أول عذابه، و معلوم ان حرصه على المال يصده عن استعمال الرأفة و بذل ما يجب، و يضطره الى الخيانة و الكذب و الاختلاق و منع الواجب و الاستقصاء و استجلاب الحبة و الدائق، و ربما يسعى في قتل نفسه، بسبب معارضة خصمه، فليستعمل الإنسان نفسه فيما خلق له، و لا يغير جبلتها فيكون مستعملا الماء لإيقاد النار، و النار لدفع العطش، قد خسرو دسيها، و كان عليه ان يفلها، و معذلك جعل الله لك برحمته الواسعة مندوحة، و هي باب التوبة و الاستغفار، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم طوبى لمن وجد في صحيفته عمله يوم القيمة تحت كل ذنب استغفر الله، قال الصادق عليه السلام إذا أكثر العبد الاستغفار رفعت صحيفته و هي تتلأأ، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا يقوم من مجلس و ان خف، حتى يستغفر الله خمسا و عشرين مرة، و قال سلام الله عليه ان المؤمن ليذكره الله الذنب بعد بضعة و عشرين سنة، حتى يستغفر الله منه، فيغفر له، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قول لا اله الا الله و الاستغفار خير العبادة كما قال الله سبحانه فاعلم انه لا اله الا الله و استغفر لذنبك لا أقول تنسى طريقة الاستغفار من قول امير المؤمنين، أولها الندم، الثاني العزم على ترك العود،

الثالث أداء حقوق الناس، الرابع اذابة اللحم الذي نبت من الحرام، و ينبت لحم جديد، الخامس أداء فرائض المضیعة، السادس ان تذيق الجسم الم الطاعة، كما أذقتها حلاوة المعصية، ثم يقول استغفر الله.

و في توصية رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم لمعاذ يا معاذ اتي محدثك بحديث ان أنت حفظته نفعك و ان أنت ضيغته انقطعت حجبتك عند الله يا معاذ ان الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات و الأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بؤابا فيصعد عليه الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا طلعت به الملائكة إلى السماء الدنيا زكته و كثرته فيقول الملك الموكل للحفظة قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يتجاوزني انه كان يغتاب الناس و كذلك الى السماء الثانية ملك الفخر يرده و هكذا إلى السماء الثالثة فيرده ملك التكبر و كذلك إلى الرابعة فيرده ملك العجب و كذلك إلى السماء الخامسة فيرده ملك الحسد و كذلك الى السماء السادسة فيرده ملك الرحمة و كذلك الى السماء السابعة بعمله من صلاة و صوم و فقه و اجتهاد و ورع لها دوي كدوي النحل وضوء كضوء الشمس معها ثلاثة آلاف ملك فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه و اقلوا على قلبه انا احجب عن ربي كل عمل لم يرد به ربي انه كان يعمل لغير الله انه أراد به رفعة عند الناس و ذكرا عند العلماء و صيتا في المدائن أمرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري و كل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء قال النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم و يصعد الحفظة بعمل من زكاة و صوم و صلاة و حج و عمرة و خلق حسن و ذكر لله و يشيعه ملائكة السموات حتى يقطعون الحجب كلها الى الله عز و جل فيقفون بين يديه ليشهدوا له بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله أنتم الحفظة على عمل عبدي و انا الرقيب على قلبه انه لم يردني بهذا العمل و أراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملائكة كلهم عليه لعنتك و لعنتنا فتلعنه السموات السبع و من فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله كيف لي بالنجاة و الخلوص قال اقتدي بي و عليك باليقين و ان كان في عملك تقصير و حافظ على لسانك من الوقیعة ای الغيبة في اخوانك من حملة القرآن و لا ترك نفسك عليهم و لا تدخل

عمل الدنيا بعمل الآخرة ولا تمزق الناس فيمزقك كلاب النار يوم القيمة في النار ولا تراء بعملك الناس.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 23]

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)

اي في شك من القرآن الذي نزلناه على محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كونه وحيا منزلا من عند الله و التنزيل النزول على سبيل التدريج فاتوا جواب الشرط وهو امر تعجيز «بِسُورَةٍ» و حدّ السورة قطعة من القرآن معلومة الأول و الآخر أقلها ثلاث آيات و إنما سميت سورة لكونها أقوى من الآية مأخوذة من سورة الأسد اي قوته هذا ان كانت واوها اصلية و ان كانت منقلبة عن همزة فهي مأخوذة من السور الذي بقيت الشيء فالسورة قطعة مفرزة ما فيه من غيرها.

«مِنْ مِثْلِهِ» اي مثل القرآن في البيان الغريب و المعنى الجامع النافع و علو الطبعة في النظم و التركيب اي اتوا بمثل ما أتى هو، ان كنتم تزعمون أنه كلام البشر إذ أنتم و هو سواء في الجوهر و اللسان و الخلق و ليس هو اولى منكم بالاختلاق منكم.

تأمل في إبداع هذه الآية و قيل يا ارض ابلعي مائك و يا سماء اقلعي و غيض الماء و قضي الأمر و استوت على الجودي و قيل بعدا للقوم الظالمين و قد اجمع الفصحاء على أن هذه الآية اشتملت على اثنين و عشرين نوعا من البديع مع أنها سبعة عشر لفظة الأول المناسبة بين ابلعي و اقلعي الثاني الاستعارة الثالث الطباق بين الأرض و السماء 4 المجاز 5 الازداف 6 التمثيل 7 التعليل 8 صحة التقسيم 9 الاحتراس 10 حسن النسق 11 المساواة 12 ائتلاف اللفظ مع المعنى 13 الإيجاز فائه امر و نهى و اخبر و نادى و أهلك و أبقى و اسعد و أشقى و قصّ من الأنبياء ما لو شرح لاحتاجت الى الظواهر باخصر لفظ و ابلغ معنى 14 التسهيم 15 التهذيب لأن مفرداته موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سهلة المخارج سليمة عن التنافر بعيدة عن التباعد و عقادة التركيب 16 حسن البيان 17 الاعتراض و هو قوله و غيض الماء و استوت على الجودي 18 الكناية فائه لم يصرح بمن غاض الماء و لا بمن قضى الأمر و سوى السفينة و أتى على سبيل الكناية لأن تلك الأمور العظام لا تأتي إلا من ذي قدرة لا يغالب فلا مجال لذهاب الوهم إلى غيره تعالى

19 التعريض 20 التمكين 21 الانسجام 22 الإبداع أقول أنّ الفصيح التكلم يعرف أنّ هذه الصنائع في سبعة عشر لفظة في غاية الاعجاز مثلا المساواة هي ان اللفظ لا يزيد على معناها وهذه غاية لفصاحة لأنّ المعاني الدقيقة يحتاج بألفاظ كثيرة حتى يستخرج ذلك المعنى من تلك الألفاظ المتكثرة فحينئذ إذا كان اللفظ لا يتكثّر وأفاد المعنى غاية الفصاحة.

«وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ»: جمع شهيد بمعنى الحاضر و الناصر «مِنْ دُونِ اللَّهِ» متعلّق بادعوا اي ادعوا متجاوزين الله من حضركم كائنا من كان للاستظهار في معارضة القرآن او المراد الحاضرين في مشاهدكم و انديتكم من رؤسائكم و فصحاءكم و اشرافكم الذين تفرعون إليهم في الملمات و المهمات ليعينوكم في الإتيان بمثله و قيل ان الظرف متعلق بشهداءكم و المراد بالشهداء الأصنام و دون بمعنى التجاوز اي ادعوا أصنامكم الذين اتخذتموهم الهة و زعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق متجاوزين الله في اتخاذها.

«إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في أنّ محمدا صلّى الله عليه و آله و سلّم يقوله من تلقاء نفسه و جواب ان محذوف اي ما فعلوا كذلك من الإتيان بمثله.

[سورة البقرة (2): آية 24]

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)

فان لم تفعلوا ما أمرتم من الإتيان بالمثل بعد ما بذلتم سعيكم «وَلَنْ تَفْعَلُوا» فيما يستقبل ابدا فإنه معجزة النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم اعتراض بين الشرط و الجواب و قد وقع الأمر حيث اخبر بعدم وقوعه و لو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف.

«فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا»: و لما لم تؤمنوا به صرتم من اهل النار فاتقوها و اتركوا العناد و احذروا النار التي حطبها و هو ما يوقد به النار «النّاس» اي العصاة «وَالْحِجَارَةُ» اي حجارة الكبريت و اتما جعل حطبها منها لسرعة التهابها و بطوء خمودها و قبح رائحتها و لصوقها بالبدن او المراد من الحجارة الأصنام التي عبدوها و نحتوها من الحجارة و انما جعل التعذيب بها ليتحقّقوا أنّهم عذبوا بعبادتها و ليست نار الجحيم كلّها توقد

بالناس و الحجارة بل هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة.

«أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ»: و هيئت للذين كفروا بما نزلناه وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن خلافا للمعتزلة و في الآية اشارة الى ان ثمره الأخذ بالقرآن و القبول به و بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم هو النجاة من النار التي وقودها الناس و الحجارة.

[سورة البقرة (2): آية 25]

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُنزِلَ فِيهَا مِنْ أَنْبَاءِ غَيْرِهَا وَأَنْبَاءُ مِثْلِهَا وَأَنْبَاءُ مِثْلِهَا وَأَنْبَاءُ مِثْلِهَا وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)

البشارة الخبر السار الذي يظهر به أثر السرور أى فرح يا محمد قلوب الذين آمنوا بأن القرآن منزل من الله مثل قوله بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالى بالنور التام يوم القيمة.

«وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» و فعلوا الفعالات الصالحات و هي كل ما كان لله تعالى حسب ما امر به و في عطف العمل على الايمان دلالة على تباينهما و اشعار بأن مدار الاستحقاق مجموع الأمرين فان الايمان أساس و العمل الصالح كالبناء عليه و لا غناء بأساس لا بناء عليه و طلب الجنة بلا عمل حال السفهاء.

«أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ» بساتين فيها أشجار مثمرة قيل الجنة ما فيه النخيل و الفردوس ما فيه الكرم كذا قال الفراء، و لفرط التناف اغصان أشجارها و تسترهما سميت جنة كأنها ستره و الجنان ثمان دار الجلال كلها من نور، مدائنها و قصورها و بيوتها و اوائها و ابوابها و درجها و غرفها و أعاليها و أسافلها و خيامها و حليها، و دار القرار كلها من المرجان، و دار السلام كلها من الياقوت الأحمر، و جنة عدن من الزبرجد و هي قسبة الجنة و هي مشرفة على الجنان كلها و باب جنة عدن مصراعان من زمرد و ياقوت ما بين المصراعين كما بين المشرق و المغرب و جنة المأوى من الذهب الأحمر، و جنة الخلد من الفضة، و جنة الفردوس من اللؤلؤ كلها و حيطانها لبنة من ذهب و لبنة من فضة و لبنة من ياقوت و لبنة من زبرجد و ملاطها و ما يجعل ما بين اللبنتين مكان الطين المسك و قصورها الياقوت و غرفها اللؤلؤ و مصاريعها الذهب و ارضها الفضة و حصباؤها المرجان و ترابها المسك و نباتها الزعفران و العنبر و جنة النعيم من الزمرد كلها و في الخبران المؤمن إذا دخل الجنة رأى سبعين ألف حديقة

في كل حديقة سبعون ألف شجرة، على كل شجرة سبعون ألف ورقة، وعلى كل ورقة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله على ولي الله، امة مذبنة، ورب غفور، كل ورقة عرضها من مشرق الشمس الى مغربها- «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ»: و الأنهار جمع نهر بسكون الهاء و فتحها و هو مجرى الواسع و عن مسروق أنّ أنهار الجنة تجري من غير أخدود و شقّ في الأرض و أنزه البساتين و أكرمها منظرا ما كانت أشجارها مطللة و الأنهار في خلالها مطرّدة و الأنهار أربعة الخمر و العسل و اللبن و الماء فإذا شربوا من نهر الماء يجدون حيوة ثم انهم لا يموتون و إذا شربوا من اللبن يحصل في أبدانهم تربية ثم انهم لا ينقصون و إذا شربوا من نهر العسل يجدون شفاء و صحة ثم انهم لا يسقمون و إذا شربوا من نهر الخمر يجدون طربا و فرحا ثم انهم لا يحزنون.

روى أنّه كتب عرضا على ساق العرش بسم الله الرحمن الرحيم فعين الماء تنبع من ميم بسم و عين اللبن تنبع من هاء الله و عين الخمر تنبع من ميم الرحمن و عين العسل تنبع من ميم الرحيم هذا منبع الأنهار و أما مصبها فكلّها تصب في الكوثر و هو حوض النبي و هو في الجنة اليوم و ينتقل يوم القيمة الى العرصات لسقي المؤمنين ثم ينتقل إلى الجنة و يسقى أهل الجنة أيضا من عين الكافور و عين الزنجبيل و عين السلسبيل و عين الرحيق و مزاجه من تسنيم بواسطة الملائكة و يسقيهم الله الشراب الطهور بلا واسطة كما قال و سقاها ربهم شرابا طهورا.

«كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا»: اي متى أطعموا من الجنة «مِنْ ثَمَرَةٍ» ليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفضة و أنّما المراد نوع من انواع الثمار و من الأولى و الثانية كلتاها لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنة و من الجنة قد ابتدئ من ثمرة (رِزْقًا) مفعول رزقوا و هو ما ينتفع به الحيوان طعاما.

«قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ» اي هذا مثل الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا و لما استحکم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته و أنّما جعل ثمر الجنة كثمر الدنيا لتميل النفس إليه حين تراه فإنّ الطباع مائلة الى المألوف متنفّرة عن غير المعروف كأنهم

قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا مثلاً ان هذه الرّمانة مثل الرّمانة التي أكلناها في الدنيا فمن اين لها من اللذّة والطيب هذه اللذّة وهذا البيان لفرط استعجابهم واستغرابهم ممّا يجدون من اللذّة مع اتحادهما في الشكل واللون ولا يقدح فيه ما روى عن ابن عباس أنّه قال ليس في الجنّة من أطعمة الدنيا إلا الاسم فإنّ ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حسن اللذّة والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما أصلاً كيف لا واطلاق الأسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعاً وقيل معنى قوله هذا الذي رزقنا من قبل ان ثمار الجنّة إذا اجتنت من أشجارها عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل قاله يحيى ابن كثير و ابو عبيدة والقول الأول قال ابن عبّاس واختاره الشيخ أبو جعفر الطوسي.

«وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا»: على البناء للمجهول اي جيئوا بذلك الرزق والمراد جنس الرزق متشابه اي متشابه في الجودة خيار لا رذل فيه متساوي في الفصل كقول الشّاعر:

من تلق منهم فقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها الساري

وقيل المعنى متشابهها في الصورة واللون مختلفا في الطعم والقول الآخر في الآية ان التشابه في كل ما أتوا به من حيث الموافقة بالمسكن يوافق الساكن والخادم يوافق المخدوم والمسكن يوافق الفرش وكذلك جميع ما يليق به.

«وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ» قيل أنّها حور العين وقيل هن من نساء الدنيا مهذبة من الأحوال المستقدرة كالحيض والنفاس والبول والغائط والصداع والولادة وجميع الأدناس وكلمة مطهّرة ابلغ من طاهرة و اشعار بأنّ مطهّرات طهّرن الله قال الحسن هن عجائزكم العمش الغمص الرمص طهّرن من الأقدار والآثام وعن ابن عبّاس عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم خلق الحور العين من أصابع رجليها الى ركبتيها من الزعفران و من ركبتيها الى ثدييها من المسك الإدفى ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب اي الأبيض و من عنقها إلى رأسها من الكافور إذا أقبلت يتلألأ نور وجهها كما يتلألأ نور الشّمس لأهل الدنيا.

«وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»: اي في الجنّة دائمون يبقون بقاء الله لا انقطاع ولا نفاد

لأنّ النعمة تتمّ بالبقاء و الخلود كما تنتقص بالزوال و الفناء، و الخلود هو الدوام من وقت مبتدء و لذا لا يقال في حق الله خالد، قال عكرمة اهل الجنة ولد ثلاث و ثلاثين سنة رجالهم و نساؤهم و قامتهم ستون ذراعاً على قامه أبيهم آدم عليه السلام شباب جرد مرد مكحلون، عليهم سبعون حلّة، تتلون كل حلّة في كل ساعة سبعين لونا، لا يبتنون و لا يمتخطون، يزدادون كل يوم جمالا و حسنا، كما يزداد اهل الدنيا هرما و ضعفا، لا يفنى شبابهم، و لا تبلى ثيابهم.

قوله تعالى [سورة البقرة (2): الآيات 26 الى 27]

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (27)

وجه تعلق الآية بما قبلها أنه لما جاء في القرآن ذكر النحل و الذباب و العنكبوت و النمل أورد المنافقون و الكفار إنَّ مثل هذه الأشياء لا يليق ان يذكر في القرآن و كلام الفصحاء و ذلك يقدح في فصاحة القرآن فضلا عن كونه معجزا، فأجاب الله عن شبهتهم بان ذكرها مشتملا على حكم بالغة و لذلك ضرب الأمثال بالنار و الظلمات و الرعد و البرق ليس بقبيح، حتى يستحي ان يضرب بها المثل، فنزلت الآية دفعا لمقالهم، المعنى: اعلم ان الحياء تغيير و كيفية يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به، يقال حي الرجل كما خشي و نسي، فاستحال هذا المعنى على الله سبحانه لأنه تغير يلحق البدن و كيفية حاصلة، و ذلك لا يعقل الا إلى الجسم فيجب تأويله و هو انّ هذا الكلام جاء على سبيل أطباق الجواب على السؤال و الشبهة التي أوردوها حيث قالوا اما يستحي ربّ محمد ان يضرب مثلا بالذباب و العنكبوت، فردّ سبحانه كلامهم على طبق إيرادهم فقال ان الله لا يستحي الآيه.

ووجه آخر في الكلام و هو ان كل صفة تطلق للعبد إذا وصف الله تعالى بذلك فهو محمول على نهايات الاعراض، لا على بدايات الاعراض، مثاله ان الحياء له مبدأ و منتهى فالمبدأ هو التغيير الجسماني و المنتهى ترك ذلك الفعل الذي ينسب فاعله الى القبيح، فإذا ورد الحياء في حق الله ليس المراد ذلك الخوف الذي هو مبدأ الحياء و مقدمته، بل ترك

الفعل الذي هو منتهاه، وكذلك استعمال الغضب في حقه فان مبدأ الغضب غليان دم القلب و شهوة الانتقام و له غاية و هو إنزال العقوبة بالمغضوب عليه، فإذا وصف الله بالغضب فليس المراد ذلك المبدأ أعنى شهوة الانتقام بل المراد إنزال العقاب و هو المنتهي، فهذا هو القانون الكلى في نسبة هذه الأوصاف الى جنابه تعالى، و قيل وجه آخر في معنى لا يستحي اى لا يخشى ان يضرب مثلاً، و يستعمل الخشية بمعنى الحياء مثل هذا المورد، كما استعمل الخشية في معنى الحياء حيث قال: و تخشى الناس و الله أحق ان تخشيه، اى تستحيي الناس و الله أحق ان تستحييه، فالاستحياء بمعنى الخشية في هذه الآية، كما ان الخشية بمعنى الاستحياء في تلك الآية و استعمال المثل تفهيم المراد و تقريب الذهن الى المعنى، امر مستحسن شائع في العرب و العجم و لا استتلاف فيه و بالجملة.

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً» اى لا يخشى أن يضرب مثلاً يوضحه به لعباده المؤمنين بما هو المثل، يعنى اى مثل كان و كلمة- ما- في الآية لزيادة الإبهام و الشيع في النكرة، سواء كان المثل صغيراً او كبيراً «بَعُوضَةً» و تقدير الآية لا يستحيى ان يضرب مثلاً بعوضة فيكون بعوضة مفعولاً ثانياً ليضرب و ضرب بمعنى جعل، او يكون- ما- نكرة مفسرة بعوضة فيكون بعوضة بدلاً من ما و معنى، ما، شي ء، فحينئذ يفسر شيئاً بعوضة، و قال الفراء إنَّ معناه إنَّ الله لا يستحيى ان يضرب مثلاً، ما بين بعوضة الى ما فوقها و المثل يؤتى به لفهم المخاطب، سواء كان صغيراً كالبعوضة، او جليلاً كالفيل و قد ورد في كلام العرب و العجم فقالوا في التمثيل أجراً من الذباب و اسمع من القراد تزعم العرب انَّ القراد يسمع الهمس الخفى، من مناسم الإبل، على مسافة سبع ليال، او سبعة أميال، و في المثل فلان اعمر من القراد، و ذلك انها تعيش سبعمائة سنة، و أجراً من الذباب، لأنه يقع على أنف الملك، و جفن الأسد، فإذا ذبَّ و دفع، أب و رجع، و لذلك سمى بالذباب و في المثل يقال هو اجمع من ذرة يزعمون انها تدخر قوت سبع سنين، فانظر ايها المتأمل، كيف خلق الله الذباب و البعوض مع صغر حجمهما كل آلة و عضو أعطاه الفيل القوى الكبير بزيادة جناحين و اعطى البعوض و الذباب جرأة، أظهرها في طيرانهما، في وجوه الناس، مع مبالغة الناس في ذبهما و دفعهما بالمذبه، و كيف ركب الجبن في الأسد و اظهر ذلك الجبن فيه بتباعده عن

مساكن الناس، وطرقتهم، وأمكنتهم، ولو تجاسر الأسد، تجاسر الذباب و البعوض، لهلك الناس، فجعل بقدرته في الضعيف التجاسر و الجرأة، وفي القوى الجبن و اعجب من هذين الأمرين، عجزك عن هذا الضعيف، و قدرتك على ذلك الكبير.

حكى انه خطب المأمون ذات يوم، فوقع ذباب على عينه، فطرده، فعاد مرارا حتى عجز و قطع الخطبة، فلما صلى، احضرا با هذيل شيخ الاعتزال، فقال له: لم خلق الله الذباب؟ قال الشيخ: ليزل به الجبارة، قال: صدقت. و في خلق الذباب و أمثاله حكم و مصالح، قال وكيع: لو لا الريح و الذباب لا تنت الدنيا، فسبحان القادر الذي ليس خلق العرش مع عظمته عليه أعسر، و لا خلق البعوضة عليه أيسر، و أنت أيها الإنسان العاصي، إذا كان جزعك من هذا البعوض في الدنيا و عجزك عنه، فكيف حالك إذا تسلطت عليك الحيات و العقارب في لظى؟! اعلم انه لما ثبت بضرورة العقل و العيان الحسى، ان لنا خالقا حكيما، لزم معرفة ان الموجودات، لم تخلق عبثا و انما خلقوا ليعرفوا خالقهم، فيصيبوا بتلك المعرفة السعادة الدائمة و الفيض الدائم؛ و هذه المعرفة و العبادة تتوقف على بعث الرسل و انزال الكتب، كي يحصل هذا الغرض من الحكيم و يعرفوا ما يصلحهم و ما يفسدهم و الا لاختل النظام الأصلح، الواجب رعايته في مقام الحكمة، و بطل الغرض و ذلك لا- يليق بالحكيم القادر، فوجب وجود الحجّة للناس و قد قام الاتفاق من جميع المذاهب و الأديان انه اتى رجل اسمه محمّد صلى الله عليه و آله و سلم و ادعى النبوة و اتى بكتاب، مجموع فيه جميع ما يحتاجونه، من النظام الأتمّ و تحدّى بذلك الكتاب، الآيتان بمثله، لفظا و معنى، حكما و حكمة، ثم انه استقر في سنة الله و طريقته، من لدن آدم في جميع الأعصار، على نصب الحجّة، من رسول، او وصى، لثلا تبطل الحكمة و لا يفوت الغرض، و العلة الباعثة، لوجوب الدعوة النبوية، هي الباعثة لوجوب وجود وصى، يرشد الى بقاء دعوة النبي و مع القطع بعدم وجود وصى عن المسيح، نقطع بوجوب وجود النبي، إتاما للحجّة و معلوم بالبداهة، ان في هذا الزمان، لا يكفى وجود المسيح، في السماء الرابعة، كما لا يمكن الاكتفاء بوجوده تعالى عن البعثة، فلو قيل؛ ان شريعة عيسى

باقية، الى هذا العصر، فالجواب؛ انه لو كانت شريعته باقية، لوصل إلينا من طرف اوصيائه، لمعرفة مصالح الامة و لم يجتمعوا امته علي الشرك، لأنّ امته متفقون على القول بالثلاث، والحلول والاتحاد، كما صرحوا به في الأناجيل، المجعولة، المحرفة المشتملة على أنحاء الكفر والشرك و الارتداد و لم يبق عندهم شيء مما جاء به المسيح و لو كان لمسيح، حافظا لدينهم، لم يجمعوا على الباطل، ثم ان المسيح، باعتقاد النصارى، مصلوب مقتول و باعتقادنا أنّه رفع الى السماء، و لأجل عدم كونه متصرفا، في الشرعيات و عدم قيامه بمصالح العباد، بمنزلة النبي الميّت، فلا يكتفى به، في إتمام الحجّة، فالعدّة الباعثة لوجوب الدعوة من الأنبياء، هي الباعثة، لوجوب وجود الوصي، يرشد الى بقاء تلك الدعوة، في عصرنا، فمع القطع بعدم وجود وصي، عن المسيح، في آخر الزمان تقطع بوجود البعثة النبوية الحقية الكاملة المحمّدية، إتماما للحجّة، و هذه الحجّة منحصرة في محمّد و عترته المعصومين عليهم الصلاة و السلام.

و بوجه آخر نقول: كما انّ سائر الصفات، يستعلم من الأفعال و الأقوال و الحركات و السكنات، كذلك الصدق و الحق و العصمة و سائر كمالات الأنبياء و الأوصياء يستفاد من ملاحظة حالاتهم و سيرتهم و أقوالهم و من تتبّع و تأمل بعين الإنصاف، في اوصافهم و شئونهم، لا يبقى له ريب و لا شبهة، في حقانيتهم و يستعلم اوصافهم من التسامع و التواتر من اتصافهم بتلك الصفات الملائمة للنبوة و الوصاية، كما انّ العادل، يعرف بالمعايشة التامة؛ فانظر الى ما ظهر عنه و منه و به صلّى الله عليه و آله و سلّم من سيرته و أحواله و العلوم الكاملة و الحكم الربانية، التي اندرست من أجلها، الحكمة التي كانت متداولة بين الحكماء و اليونانيين و اتفقت العقلاء، على هجران كتبهم، لعدم حاجتهم، الى تلك الكتب و الحكم، بعد ظهور القرآن، في هذه الامة المرحومة، كما لا حاجة في الاستصباح بالسراج، عند طلوع الشمس، مع وضوح انّه، ما حضر عند معلّم، في مقام التحصيل، بل كان يتيما، ما بين قوم، لا يعرفون شيئا، من الحكم و الآداب، فهذه الحكمة، الربانية و التربية الإلهية، من أعظم المعجزات، الدالة على صدقه، و تماميّة هذه الشريعة و ناسختيه، لجميع الأديان فعلم انّ هذا الأمر، خارج عن الطبع البشري و الحكم البالغة، المستفادة من كلماته، و

أفعاله، من أعظم الشواهد على نبوته وحقية دينه، والحاصل: قد ورد كثير من الأمثال، في الإنجيل، فقد مثل سبحانه، غل الصدر، في الإنجيل بالنخالة، قال: لا تكونوا كمنخل، يخرج منه الدقيق الطيب، ويمسك النخالة كذلك أنتم، تخرج الحكمة من أفواهكم و تبقون الغل في صدوركم وكذلك مثل سبحانه، مخاطبة السفهاء، باثارة الزنايير، قال: لا تثيروا الزنايير، فتلدغكم، فكذلك لا تخاطبوا السفهاء، فيشتموكم وقال في الإنجيل: لا تدخروا ذخائركم حيث السوس و الارضة، فتفسدها و لا في البرية، حيث اللصوص، و السموم، فيسرقها اللصوص و يحرقها السموم و لكن ادخروا ذخائركم عند الله.

و جاء في الإنجيل مثل ملكوت السماء، كمثل رجل، زرع في قريته حنطة جيدة نقيه، فلما نام الناس، جاء عدوه، فزرع الزوان و هو بفتح الزاى و ضمها، حبّ، مرّ، يخالط البر، فقال الزارع لمولاهم: يا سيدنا، أليس حنطة جيدة، زرعت في قريتك، قال بلى، قالوا: فمن اين هذا الزوان قال غفلتم عن عدوكم و سامحتموه، فاخلط في زرعكم فالزراع، الإنسان و القرية، العالم و الحنطة الطاعة و الزوان المعاصي.

أقول لا يجوز لأحد من المسلمين - مطالعة كتاب الإنجيل و التوراة، إلا إذا كان مقصوده الاحتجاج على النصارى و اليهود، بسبب اثبات حقيقة القرآن، خصوصا إذا كان قليل المؤنة في العلم، فإن فيها التحريف و الأكاذيب المحكيّة، من لسان المسيح عن قول الله، فمنها ما في الأناجيل الاربعة، من الاختلافات في نسب المسيح، مع أنّ الإنجيل المنزل من الله كان منحصر في واحد:

و منها ما في الإنجيل، من أنّ المسيح، صنع خمرا و أعطاها لأمّه مريم، مرسلا آياها و الخمر لأهل المجلس.

و منها ما في الإنجيل، من أنّ الأبن في الأب حلّ، و الأب في الأبن و هذا يستلزم تضاد الحال و المحل و مناف لمراتب التوحيد، و منها ما في التوراة من أنّ نوحا، شرب الخمر، بعد خروجه من السفينة و منها ايضا في التوراة، من أنّ لوطا، شرب الخمر و زنا بابنتيه،

ومنها ما في التورية، من ان هارون، امر بصنع العجل، فمع هذه القبائح، التي دونوها و سموها، الإنجيل و التورية و نسبوا الأفعال القبيحة، الى الأنبياء، كيف يكون حال امّة، ينسبون الى أنبيائهم، ما يأنف الفاسق، المتجاهر من مثل هذه الأمور و ليس ذلك الا الإلحاد او تفسيقا لأهل الوحي و اشدّ حمقا من أولئك، بعض اهل السنّة حيث كتبوا هذه الأكاذيب، في مصنفاتهم، و اعتقدوها؛ و سموا كتابهم، بخطيئة الأنبياء و الحاصل ان الله سبحانه، مثل الأمثال، في هذه الآيات، لأن يتبّه بذلك المؤمنين على لطيف صنعه؛ ليقروا بوحدانيته، و كمال قدرته و حكمته، ليهتدوا.

«فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا» بالقرآن و بمحمد صلى الله عليه و آله و سلّم «فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ» اى: التمثيل «الْحَقُّ»: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره «مِنْ رَبِّهِمْ» يفكرون و يوقنون ان الله خالق هذه الأشياء؛ فيؤمنون به «وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا» و هم المشركون و اليهود «فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا» اى: لاعراضهم عن طريق الاستدلال، و انكارهم، و جحودهم؛ ماذا أراد الله، بهذا المثل و اى شي ء أراد، بهذا المثل الخسيس، فلمّا حذف الالف و اللام في المثل نصب على الحال، او التميز، فأجابهم الله بقوله: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا» فيه و جهان، قال الفراء انه حكاية عن قولهم، و من بقية كلامهم حيث قالوا، ماذا أراد الله بهذا مثلا يضلّ به كثيرا و يهدى به كثيرا؛ ثم قال الله: «وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» و هذا وجه حسن، استحسنة الطبرسي، و الوجه الاخر، انه كلامه تعالى و إذا كان كلامه تعالى، فمعنى قوله يضلّ به كثيرا، انّ الكفار يكذبونه، و ينكرونه، و يقولون: ليس هو من عند الله، فيضلّون بسببه، فإذا حصل الضلال بسببه، أضيف اليه، و كذلك لما حصلت الهداية بسببه أضيف، فمعنى الإضلال، على هذا، تشديد الامتحان الذي، يكون عنده، الضلال، لأنّ المحنة، إذا اشتدت على الممتحن، فضلّ عندها، سميت اضلالا، و إذا سهلت، فاهتدى عندها، سميت هداية، و حاصل المعنى: ان الله يمتحن بهذه الأمثال، عباده، فيضلّ بها، قوم كثير، لإنكارهم و يهدى بها، قوم كثير، لقبولهم و مثله قوله تعالى: رَبِّ إِنِّي نَسِيتُ مِنَ النَّاسِ

اي ضلوا عندها، وهذا كما يقال للرجل، إذا ادخل الفضة، النار، ليظهر فسادها، من صلاحها، فظهر فسادها، أفسدت فضنتك و هو لم يفعل فيها.

و إنما يراد أنّ فسادهم، ظهر عند امتحانه، وقريب من ذلك، قولهم، فلان أضل ناقته، و لا يريدون أنّه اضلها، و أنّما يريدون، من هذا الكلام، انها ضلّت عنه، لا من غيره، و يمكن ان يكون، الاضلال، بمعنى التخليّة، على وجه العقوبة، و منع الألفاف، التي تتعل بالمؤمنين، جزاء على ايمانهم، و هذا كما يقال، لمن لا يصلح سيفه أفسدت سيفك، أريد به، أنّك لم تحدث، فيه الإصلاح، في كل وقت، بالصيقل، و قد يكون الإضلال، بمعنى الإهلاك و العذاب و التدمير و منه قوله تعالى: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ وقوله تعالى: إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ اى: هلكنا، فعلى هذا، يكون المعنى، ان الله، يهلك و يعذب بالكفر به، كثيرا، بان يضلّهم، عن الثواب و طريق الجنة فبسببه، يهلكوا؛ و يهدى الى الثواب، و طريق الجنة، بالإيمان به كثيرا، و هذا القول، عن ابي على الجبائي، و يدل على ذلك، قوله: و ما يضل به الا الفاسقين. انتهى بيان وجه المعنى، في الإضلال من كلام علمائنا.

لكن علماء العامة، المعتزلة منهم، قالوا: و اسناد الإضلال، اليه تعالى، اى: خلق الضلال مبنى على ان جميع الأشياء، مخلوقة له تعالى، و ان كانت، افعال العباد، من حيث الكسب، مستندة إليهم.

و اما الاشاعرة، فتفسيرهم و عبائرهم، في مثل، موضوع الضلال و الهداية، غير قابل، للذكر، بسبب غلوهم في الجبر.

قال الطبرسي: و كلّ ما في القرآن، من الإضلال، المنسوب اليه تعالى، فهو بمعنى المذكور، من الوجوه و لا يجوز ان ينسب، الى الله تعالى، إضلال، أو لا لإضلال قبله، و لا يكون الإضلال، من فعله، بل إضلاله، سبحانه، تبعاً لضلال المكلف، و اما الإضلال التي يضاف، الى الشيطان، مثل قوله: وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا و قوله: وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ و كذلك اضافة الإضلال، الى السامري، و هو ان يكون، بمعنى التلبس و التغليط و التشكيك و الإيقاع في الفساد، ممّا يؤدّي الى التظلم، فذلك في حق الله، غير

جائز، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! انتهى بيان الإضلال.

وَأَمَّا الْهَدَايَةُ فِي الْقُرْآنِ، يَطْلُقُ عَلَيَّ وَجْوه:

فتارة، بمعنى الدلالة، والإرشاد، يقال هداه الطريق، والى الطريق، إذا دلّه عليه و هذا الوجه، عام لجميع المكلفين، فأنّه سبحانه، اهدى كلّ مكلف وأرشده، الى الحق، على لسان رسله و كتبه، كما قال: ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقوله «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ» وقوله «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى وَ تارة المراد بالهداية: زيادة الألفاظ، التي بها، تثبت على الهدى، و منه قوله.

«وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى»، اى شرح صدورهم و تثبتها.

و تارة يكون الهداية: بمعنى الاثابة، مثل قوله: «وَ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَدَّ يَهْدِيهِمْ وَ يُصَلِّحُ بِاللَّهِمْ» و معلوم، ان الهداية، التي تكون بعد القتل، هي الاثابة لا محالة، لأنه ليس بعد الموت تكليف، و رابعها الحكم بالهداية، كقوله «وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» و هذه الوجوه الثلاثة خاصّة بالمؤمنين، لإيمانهم.

و خامسها ان تكون الهداية، بمعنى جعل الإنسان، اى بخلق الهداية فيه، كما يجعل الشيء، متحركاً، بخلق الحركة، و الله يجعل، العلوم الضرورية، في القلوب فذلك هداية منه، و هذا المعنى الخامس، عام لجميع العقلاء كالوجه الاول.

وَأَمَّا الْهَدَايَةُ الَّتِي، كَلَّفَ اللَّهُ، الْعِبَادَ فَعَلَهَا، كَالْإِيمَانِ بِهِ، وَ أَنْبِيَائِهِ، وَ غَيْرِ ذَلِكَ، فَانَّهَا مِنْ فِعْلِ الْعِبَادِ، وَ إِنْ كَانَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، بِدَلَالَتِهِمْ، عَلَى ذَلِكَ، لَكِنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ عَلَى فِعْلِهِمْ، الْمَدْحَ وَ الثَّوَابَ، كَمَا أَنَّ الْكَافِرَ، بِفِعْلِهِ، يَسْتَحِقُّ الْهَوَانَ وَ الْعَذَابَ، وَ الْهَدَايَةَ، تَسْكُنُ فِي قَلْبِ، فَارِغٍ مِنَ الدُّنْيَا، نَسْتَلُّ اللَّهَ إِنْ لَا يَحْرِمُنَا، مِنْ الطَّافَةِ بِسُوءِ أَعْمَالِنَا.

[سورة البقرة (2): آية 27]

الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (27)

ثم وصف الله، احوال المنافقين، الموصوفين، في الآية السابقة فقال: «الَّذِينَ يَتَّقُونَ»: النقص، فك التركيب، و النسخ، و استعمال

النقض، في ابطال العهد، من حيث تسمية العهد، بالحبل، على سبيل الاستعارة، لما فيه من علاقة الوصلة، بين المتعاهدين، قيل: عهد الله ثلاثة، الاول، ما اخذه، على ذرية آدم، بان تقروا بربوبيته.

و الثاني، ما اخذه على الأنبياء، بان اقيموا الدين، ولا تفرقوا فيه، و الثالث، على العلماء، بان يبينوا الحق ولا يكتُموه،

در روز الست بلى گفتى امروز بيستر لا خفتى.

«مَنْ بَعْدَ مِيثَاقِهِ»: اى بعد الوثيقة و توكيده بالقبول، و الضمير، راجع الى العهد أوالى الله، اى: بعد توثيق الله، ذلك العهد، بإرسال الرسل، و إنزال الكتب، وقيل:

المراد في الآية، كفار اهل الكتاب، و عهد الله الذي نقضوه، هو ما أخذ عليهم في التورية من اتباع محمد صلى الله عليه و آله و سلم، و التصديق بما جاء به، و نقضهم لذلك، تركهم و جحودهم به بعد معرفته و كتمانهم ذلك، عن الناس، و مغالطتهم، على الناس، بعد ان بينه الله، في كتابهم و أمرهم ان لا يكتُمونه، فكتُموا و نقضوا العهد.

«وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» اى: يقطعون، ما امر الله، بوصله، و هو يشمل كلّ قطيعة، لا يرضى الله، قطعه، كقطع الرحم، و موالة المؤمنين، و إيقاع الفتنة و الفساد، بين المسلمين، و التفرقة بين الأنبياء و الكتب، في تصديق البعض و انكار البعض قال: صاحب كشف الغطاء، العجب، ثم العجب، من قوم يعترفون بنبوة موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام و غيرهما و ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه و آله و سلم فانّهم، ان ادعوا، عدم حجّية المعجزات، لزّمهم انكار جميع النبوات، فينتفى الوسائط، في اثبات الشرائع، بيننا و بين رب السموات، و ان ادعوا، نفى المعجزات: من نبينا، فما بالهم، لا ينفون المعجزات، بالنسبة الى أنبيائهم، مع تقدم عهدهم، و زيادة بعدهم، و زمانهم، فانّ انكار الاخبار، بالنسبة الى ما تقدم عهده، و طال سلسلته، اقرب من إنكاره، بالنسبة الى القريب.

و كلّ رفض خير، فهو قطيعة، بل تعاطى الشر، ايضا، فانه يقطع الوصلة، فيما بين الله، و العبد.

وفي الحديث: إذا أظهر الناس، العلم، وضيّعوا العمل، و تحابوا بالألسن و تباغضوا بالقلوب، و تقاطعوا الأرحام، لعنهم الله، عند ذلك، فاصمّهم و أعمى أبصارهم انتهى.

«وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ»: بالمنع عن الايمان، و الاستهزاء بالحق، و قطع الوصل، التي عليها يدور فلك نظام العالم، و صلاحه، و قيل: أراد كلّ معصية، تعدّى ضررها، الى غير فاعلها، و الاولى، حملة على العموم.

«أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»: المغبونون، بالعقوبة في الآخرة مكان المثوبة في الجنة لأنهم استبدلوا التقص بالوفاء و القطع بالوصل، و الفساد بالصلاح و عقابها بثوابها.

[سورة البقرة (2): آية 28]

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28)

الاستفهام انكارى، لا- بمعنى انكار الوقوع، بل بمعنى انكار الواقع، و استبعاده، و التعجيب منه لأنّ التعجب من الله، يكون على وجه التعجيب، كأنه يقول: الا تتعجبون انهم يكفرون بالله، و معهم ما يصرفهم، عن الكفر، الى الايمان، من الدلائل.

«وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ»: و الحال انكم كنتم أجساما، لا حيوة لها، عناصرا، و اغذية، و نطفاء، و مضغاً، و قبل هذه الحالات كنتم اعداما، «فَأَحْيَاكُمْ» بخلق الأرواح و نفخها فيكم، في أرحام أمهاتكم و هذا البيان الزام لهم بالبعث، فكما انّ الأحياء أمكن لهم بعد ان كانوا أمواتا، كذلك يمكن حصوله بعد ان يموتوا، و حاصل المعنى انكم لم تكونوا أشياء فخلقكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم يوم القيمة، و قيل انّ المعنى كنتم نطفاء في أصلاب آبائكم، و بطون أمهاتكم، و النطفة موات، فاخرجكم في الدنيا احياء، ثم يميتكم، ثم يحييكم في القبر للمسألة، ثم يحييكم و يبعثكم يوم الحشر للمجازاة على الأعمال، و سمي الحشر رجوعا الى الله، لأنّ رجوع أمركم اليه و في هذه الآية، دلالة على أنّه لم يرد من عباده الكفر و لا- خلقه، لأنّه لو أراد منهم او خلقه فيهم لم يجزان يضيفه إليهم، بقوله كيف تكفرون بالله، كما لا يجوز ان يقال لهم، كيف كنتم طوالا، او قصارا، او ذكرا او أنثى، ممّا هو فعله فيهم؛ «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» للسؤال في القبور

فيحيى حتى يسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين؛ و يقال له: من ربك و من نبيك؛ و ما دينك، و يدل كلمة، ثم، التي للتعقيب؛ على أنه لم يرد به حيوة البعث، فان تلك الحيوة يومئذ، بالرجوع الي الله، بالحساب، بقوله: ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

[سورة البقرة (2): آية 29]

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29)

: لما استعظم المشركون امر الإعادة، عرّفهم الله خلق السموات و الأرض؛ ليدلّهم بذلك على قدرته على الإعادة: اى قدر خلقها لانتفاعكم بها في دنياكم و دينكم.

و تمسك بعض الجهلة المتصوفة، من اهل الاباحة بهذه الآية، و حملوا اللام في لكم على الإطلاق و الاباحة، و قالوا لا حظر و لا نهى و هذا منهم كفر صريح، و مخالف لتمام كتب الله و رسله. و قد نهى الله، و امر و أباح و حظر و وعد، و أوعد و بشرّ و هدّد و النصوص ظاهرة، و الدلائل متظاهرة، و الاخبار متظاهرة، فمن حمل هذه الآية، على الاباحة المطلقة، فقد انسلخ من الدين بالكلية؛ «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ» قيل فيه وجوه أحدها و هو الأقرب قصد الى خلقها، بإرادته، و مشيئته، قصدا سويا بلا صارف يلويه و لا عاطف يثنيه، فسوّاها، و هذا كقول القائل: كان الأمير يدبر امر الشام، ثم استوى الى الحجاز: اى تحوّل تديره إليهم.

و ثانيها أنه بمعنى استولى على السماء كما قال لتستوا على ظهورها: اى تقهره، فيكون المعنى: ثم استوى الى السماء في تفرّده بملكها، و لم يجعلها كالأرض ملكا لخلقها.

و ثالثها ما روى عن احمد ابن يحيى ابن تغلب: أنه سئل عن معنى الاستواء في صفة الله، فقال الاستواء، الإقبال على الشيء، يقال فلان كان مقبلا على فلان ثم استوى اليّ يكلمني.

أقول: هذا المعنى، هو المعنى الأول الذي ذكره الطبرسي و هذا المعنى الثالث، ايضا ذكره الطبرسي، مع ان الإقبال و القصد متساويان، او متلازمان و لا يظن ظان ان بين هذه الآية و بين قوله «وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» تناقض، لأنّ الدحو، البسط.

روى انَّ الله خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر: اى الحجر ملئ الكف عليها دخان يلتزق بها، ثم اصعد الدخان، و خلق منه السموات و امسك الفهر في موضعه ثم بسط منه الأرض و قال اول ما خلق الله، جوهرة طولها و عرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة، فنظر إليها بالهيبة فذابت و اضطربت، ثم ثار منها دخان، فارتفع و اجتمع زبد فقام فوق الماء، فجعل الزبد أرضا و الدخان سماء فالسما من دخان خلقت، و بريح ارتفعت و باشارة تفرقت، و بلا عماد قامت، و بنفخة تكسرت «فَسَوَّاهُنَّ» اى: اتمهن، و قومهن مصونات عن العوج و الفطور، و الضمير فيه مبهم فسر بقوله: «سَبَّحَ سَمَاوَاتٍ» منصوب على التميز، نحو ربّه رجلا، قال سلمان الفارسي: هي سبع، اسم الاولى رفيع و هي من زمردة و اسم الثانية، ارقلون، و هي من فضة بيضاء و الثالثة قيدوم و هي من ياقوتة حمراء و الرابعة ما عون و هي من درة بيضاء و الخامسة دبقاء و هي من ذهب احمر و السادسة و قناء و هي من ياقوتة صفراء و السابعة عروياء و هي من نور يتلأأ.

«وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»: فيه تعليل كانه قال لكونه عالما بكنه الأشياء كلها، خلق ما خلق على هذا النمط الأكمل و الوجه الأنفع و في الآية دلالة على انَّ الأصل في الأشياء، الاباحة لأنه سبحانه ذكر انه خلق ما في الأرض؛ لمنفعة العباد.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 30]

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)

و إذ: مفعول اذكر مقدرة: اى اذكر لهم و اخبر وقت «قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ» قيل الخطاب لجميع الملائكة، و قال ابن عباس: الخطاب لسكنة الأرض بعد الجان من الملائكة لا جميع الملائكة: و الملائكة جمع ملك، و التاء لتأكيد الجماعة، و سموها بها، فانهم وسائط و رسل بين الله و الخلق، و اختلف في اشتقاقه: قيل من الالوكة و هي الرسالة، قال الخليل؛ الألوكة الرسالة، و هي المألكة على مفعله، مأخوذ من ألك الفرس

اللجام، وقيل، أنّما سمّيت الرسالة الوكا، لأنها تمضغ وتؤك في الفم تألك الشكيم واللجام، فالملائكة، وزنها معافلة مقلوبة، ووزن ملاك، معفل مقلوب، مألّك مفعل؛ وقال بعض: الكلمة مهموزة، وألّقت حركة الهمزة، على اللام وحذفت الهمزة فقليل ملك؛ وقال ابو عبيدة: إنّ أصله لأك، إذا أرسل، فملاك مفعل و ملائكة مفاعلة غير مقلوبة، والميم في هذه الصور زائدة، لكن ذهب ابن كيسان، ان الميم أصلية، وأنّه من الملك، وان وزن ملاك، فعال، مثل ثمال، و ملائكة فعائلة، و الهمزة زائدة، وقوله تعالى: اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا، يدل: على أنّ جميع الملائكة ليسوا برسل، فعلى هذا يكون اسم جنس؛ و الملائكة عند اهل الإسلام و اكثر المسلمين، أنوار و أجسام لطيفة، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، و الدليل على هذا، ان الأنبياء كانوا يرونهم روى في شرح كثرة الملائكة، أنّ بنى آدم، عشر الجن، و هما، عشر حيوانات البر، و الكلّ، عشر الطيور، و الكلّ، عشر حيوانات البحر، و هؤلاء كلّهم، عشر ملائكة السماء الدنيا، و كلّ هؤلاء، عشر ملائكة السماء الثانية، و هكذا الى السماء السابعة، ثم كلّ أولئك في مقابلة الكرسي، نزر قليل، ثم جميع هؤلاء، عشر ملائكة سرادق، و احدى سرادقات العرش، التي عددها ستمائة ألف، طول كلّ سرادق و عرضه و سمكه إذا قوبلت به السموات و الأرض و ما فيهما و ما بينهما، لا يكون لها، عنده، قدر محسوس و ما منه من مقدار شبر، إلا وفيه ملك، ساجد، اوراق، او قائم.

«إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»: الجعل، و الخلق، و الفعل، و الأحداث، نظائر، إلا أنّ الجعل قد يتعلّق بالشيء، لا على سبيل الإيجاد، بخلاف الفعل، و الأحداث يقول جعلته متحركا، و حقيقة الجعل تغيير الشيء عما كان عليه، و حقيقة الفعل و الأحداث الإيجاد، أنّي جاعل، اى مصيّر؛ قيل ان الله خلق السماء و الأرض و خلق الملائكة و الجن فاسكن الملائكة، السماء، و اسكن الجن، الأرض، و الجنّ هم بنوا الجن، و هو ابو الجنّ، كآدم ابو البشر، و خلق الله الجن، من لهب، من نار، لا دخان لها، بين السماء و الأرض، قيل: الصواعق تنزل منها، ثمّ لما سكنوا فيها، كثر نسلهم، و ذلك قبل آدم بسنين متطاولة، قيل بألفي عام، قال الحقي: في روح البيان بستين ألف سنة، فعمروا

دهرا طويلا، في الأرض، مقدار سبعة آلاف سنة، ثم ظهر فيهم، الحسد والبغي، فأفسدوا وقتلوا، فبعث الله إليهم، ملائكة سماء الدنيا، و امرّ عليهم، إبليس، فهزموا الجنّ، وأخرجوهم من الأرض، الى جزائر البحور، وشعوب الجبال، وسكنوا الأرض، واعطى الله إبليس، ملك الأرض، و ملك السماء الدنيا، و خزانة الجنة، و كان له جناحان، من زمرد اخضر، و كان يعبد الله، تارة في الأرض، و تارة في السماء، و تارة في الجنة، فدخله العجب، فقال في نفسه، ما أعطاني الله هذا الملك، الا لأتى أكرم الملائكة عليه.

و انما عبر سبحانه خليفة أراد بالخليفة آدم، لأنه خليفته في ارضه، يحكم بالحق و كان سبحانه قد اعلم ملائكته انه يكون من ذريته من يفسد فيها، عن ابن عباس و قيل انما سمى الله آدم خليفة لأنه جعل آدم و ذريته خلفاء للملائكة، لأن الملائكة كانوا من سكان الأرض؛ و قيل خليفة عن الجنّ الذين أفسدوا وقتلوا و اخرجوا، فجعل آدم بدلهم، و قيل عنى بالخليفة ولد آدم، يتخلف بعضهم، بعضا، و هم خلفوا آدم، في اقامة الحق، و عمارة الأرض، «قالوا أَتَجْعَلُ فِيهَا» استيناف لبيان ما قالته الملائكة، قالوا ا تجعل في الأرض «مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا» كما أفسدت الجن، و فائدة التكرار في الظرف تأكيد الاستبعاد، «وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ» ظلما كما فعل بنوا الجانّ او لأنّ الله أخبرهم بانّه سيكون من ذرية هذه الخليفة من يعصى و يسفك الدماء، و انما قالت الملائكة هذا الكلام، على سبيل الاستعلام، على وجه المصلحة و الحكمة، لا على وجه الإنكار؛ «وَنَحْنُ نَسَبِحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ»: اى و الحال انا ننزهك، عن كل ما لا يليق بشأنك، مشتغلين بحمدك، و التسييح نفى ما لا يليق، و التقديس اثبات ما يليق به، و السبوح هو المستحقّ للتنزيه، و القدوس المستحقّ للتطهير، و القدس السطل الذي يتطهر به؛ قال الله في جوابهم: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» من الحكمة، و المصلحة باستخلاف آدم، و انّ من ذريته، الطائع، و العاصي، فيظهر الفضل و العدل و اول شيء أظهره الله بنور قدرته من ظلمة العدم، كان نور محمد صلى الله عليه و آله و سلّم، كما قال صلى الله عليه و آله و سلّم اول ما خلق الله نوري ثم خلق العالم بما فيه من نوره، بعضه من بعض، فلما ظهرت الأنوار من وجود نوره،

سمّى نورا، وكلّما كان اقرب الى الاختراع، كان اولى باسم النور، كما أنّ عالم الأرواح، اقرب الى الاختراع من عالم الأجسام، فلما كان نور النبي صلّى الله عليه وآله وسلم اقرب نظر في فائدة خلقه، كان اولى باسم النور، ولهذا كان يقول، انا من الله و المؤمنون منى، قال صلّى الله عليه وآله وسلم كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم باربعة عشر ألف عام و كان يسبح ذلك النور و يسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه و لو لاه لما خلق الله آدم و لا العرش، فليس كلّ مخلوق يطّلع على غيب الخالق.

وروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال إنّ الملائكة سنلت الله و لم يكن جميعهم، بل بعضهم، ان يجعل الخليفة منهم و قالوا نحن نقدّسك، و نطيعك، و لا-نعصيك كغيرنا، قال فلما أجيوا بقوله انى اعلم ما لا تعلمون، علموا أنّهم تجاوزوا عن حدّهم، فلاذوا بالعرش استغفارا، يقولون لبيك، ذا المعارج لبيك، و سلّوه التوبة، فأمرهم ان يطوفوا بالضراح، و هو البيت المعمور، فمكثوا به سبع سنين، يستغفرون الله بما قالوا، ثمّ تاب عليهم من بعد ذلك، و رضى عنهم، فكان هذا اصل الطواف، ثم جعل الله البيت الحرام، حذاء البيت المعمور، توبة لمن أذنب من بنى آدم و طهورا؛ و في العلل عن الصادق عليه السلام فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فرحمهم و تاب عليهم.

[سورة البقرة (2): آية 31]

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31)

اي علم الله آدم معاني الأسماء، و المراد معانيها، إذ الأسماء بلا معان لا فائدة فيها، و في المجمع و العياشي عن الصادق عليه السلام أنّه عليه السلام سئل ماذا علّمه قال علّمه الأرضين، و الجبال، و الشعاب، و الأودية، ثمّ نظر الى بساط تحته، فقال و هذا البساط ممّا علّمه، و في تفسير الامام، عن السجاد عليه السلام علّمه اسماء كلشيء، و اسماء أنبياء الله و أوليائه، و عتاة أعدائه، فيكون المعنى، و علّم آدم اصحاب الأسماء، يعنى المسمّيات، فان قيل أنّه كان في المسمّيات، و اصحاب الأسماء ما لا يكون عاقلا، فلم قال عرضهم؛ و لم يقل عرضها، لأنّه لمّا كان في جملة الأنبياء و الائمة، و الملائكة، و الجن، و الانس، و هم العقلاء، فغلب الأكمل لأنّه جرت عادة اهل اللسان، و العرب بتغليب الكامل على الناقص.

وقال ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، أنه تعالى علّمه، جميع الصناعات وعمارة الأرضين، والأطعمة، والأدوية، واستخراج المعادن، وغرس الأشجار، ومنافعها وجميع ما يتعلق بأمور الدين والدنيا، وهذا القول، هو الحديث المنقول عن الصادق عليه السلام الذي ذكره العياشي؛ وفي كيفية تعليم الله، آدم الأسماء، فقيل علّمه بان أودع قلبه معرفة الأسماء والمسميات، وفتق لسانه بها، وعرفه خواص الأشياء وهوان الفرس يصلح لما ذا، والحمار لما ذا، فكان آدم يتكلّم بتلك الأسماء، ويعرف المعاني واللغات، وكان ذلك معجزة له، لكونه خارقا للعادة، واختلف في كيفية العرض على الملائكة، فقيل انما عرضها بان خلق معاني الأسماء التي علّمها آدم، حتى شاهدتها الملائكة، وقيل صوّر في قلوبهم هذه الأشياء، فصارت كأنهم شاهدوها، وقيل عرض عليهم من كل جنس واحدا نموذجا يتعرّف منه احوال البقية.

«فَقَالَ أَنْبُؤُنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»: إظهارا لعجزهم، وبيانا بأنّ آدم عليه السلام أصلح لامارة الأرض، وعمارته، الى ما يهتدى الملائكة اليه وتبكيته لهم عن اقامة ما علّقوا به رجائهم، من امر الخلافة، فان التصرف والتدبير، بغير وقوف على مراتب الاستعدادات و مقادير الحقوق، بما لا يكاد يتحقّق ويمكن.

«إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»: اي في زعمكم انكم أحقّاء بالخلافة ممّن استخلفته، فانّ ادنى مراتب الاستحقاق، هو الوقوف على العلم بأسماء ما في الأرض، وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام: اي ان كنتم صادقين فيما طننتم، فأخبروا بهذه الأسماء، وذلك لأنّه خطر بيالهم أنّه لم يخلق الله خلقا الا وهم اعلم منه، وأفضل في سائر انواع العلم، فخطوبوا بهذا الخطاب، فان قيل، كيف أمرهم الله وكلفهم بان يخبروا بما لا يعلمون، فالجواب انّ الأمر مشروط بالعلم لا مطلقا، كما يقول العالم للمتعلّم ما تقول في كذا، ويعلم أنّه لا يحسن الجواب، وليس غرضه الجواب بل غرضه، ان يتّجه على عدم علمه، فإذا تنبه المتعلّم، على أنّه لا يمكنه الجواب، اجابه حينئذ، فيكون جوابه بهذا الترتيب أوقع في قلبه واثبت، فالأمر بقوله انبؤوني، للتنبية لا للتكليف.

[سورة البقرة (2): آية 32]

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)

استيناف واقع موقع الجواب، كأنه قيل فماذا قالت الملائكة حينئذ، هل خرجوا من عهدة ما كلفوه، فقالوا سبحانك لا علم لنا، قيل، سبحان، علم للتسبيح، ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً، وقد يجيء غير مضاف على الشذوذ، وغير منصرف للتعريف، والالف والنون، المزيديتين، وقيل مصدر منكر، لا اسم، كغفران، ومعناه على الاول: نسبحك عما لا يليق، وعلى الثاني: تنزهت عن ذلك تنزهاً، وهي كلمة تقدم على التوبة، والمراد الاعتذار، قال موسى عليه السلام سبحانك تبت إليك، وقال يونس عليه السلام سبحانك انى كنت من الظالمين.

«لا-عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا»: اشعاراً بان سؤالهم، لم يكن اعتراضاً، ولا قدرة لنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا، وإنما علمنا، ما علمتنا، «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ» الذي لا يخفى عليه خافية «الْحَكِيمُ»: المحكم في مبتدعاته؛ سئل ابو يوسف القاضي عن مسألة، فقال لا ادري، فقالوا له ترتزق من بيت المال كل يوم كذا وكذا، ثم تقول لا ادري، فقال انما ارتزق بقدر علمي، ولو أعطيت بقدر جهلي، لم يسعني مال الدنيا؛ وحكى ان رجلاً عالماً، سئل عن مسألة، وهو فوق المنبر، فقال لا ادري، فقيل له ليس المنبر موضع الجهال، فقال انما علوت بقدر علمي، ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء.

[سورة البقرة (2): آية 33]

قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33)

ثم خاطب الله سبحانه، فقال يا آدم، اخبر الملائكة بأسمائهم، يعنى اسمائهم الذي عرضهم عليهم، وقد مضى بيانه، «فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ» روى انه رفع على منبر و أمران ينبئ الملائكة بالأسماء، فلما انبأهم بها وهم جلوس بين يديه وذكر منفعة كلشيء و خواصه، «قَالَ» الله تعالى: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»، والاستفهام للتقرير اى قد قلت لكم انى اعلم ما غاب فيهما «وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ». وتظهرون من قولكم، حيث قلت، أ تجعل فيها من يفسد الآيه.

«وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»: تسترون حيث زعمتم لن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منّا، وهو تعريض

بمعاتبهم على ترك الأولى من السؤال، وفي الآية، دلالة صريحة، بأن العلم شرط في الخلافة، بل العمدة فيها، وإن آدم. تفضل على الملائكة بالعلم، فالأعلم أفضل، لقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وليت شعري، كيف قدموا المفضل على الفاضل، مع ذلك العلم الجم، ولو لم يكن له من الفضائل إلا القضايا التي صدرت من أحكامه التي لا تعدّ، مثل صاحب الارغفة، والحالف ان لا يفك قيد غلّ عبده إلا ان يتصدّق بوزنه فضّة، و مثل جواب الأعرابي حين سأله، فقال انّي رأيت شاة فأولدها كلب ولدا، فما حكم ذلك في الحل، فقال عليه السّلام اعتبره في الأكل، فان أكل لحما فكلب، وان أكل علفا فشاة، فقال الأعرابي، رأيت يفعل تارة هذا، وتارة هذا، فقال عليه السّلام اعتبره في الشرب، فان كرع فهو شاة، وان ولغ فكلب، فقال الأعرابي رأيت يبلغ مرة، ويكرع مرة فقال عليه السّلام في المشي مع الماشية، فان تأخر عنها فكلب، وان تقدّم او توسّط فهو شاة فقال الأعرابي: وجدته مرّة هكذا ومرّة هكذا، فقال عليه السّلام، اعتبره في الجلوس، فان برك، فشاة وان ألقى فكلب، قال انه يفعل مرّة هكذا ومرّة هكذا، فقال عليه السّلام اذبحه فان وجدت له كرشا فهو شاة وان وجدت له أمعاء فكلب، فبهت الأعرابي وكيف لا وهم عيبة علم الله ووجهه.

روي في عدّة كتب كالقمي، والعياشي، والبرهان، ونور الثقلين، وغير ذلك في تفسير قوله تعالى «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ»:

قال عليه السّلام انّ في العرش تمثال جميع ما خلقه الله في البرّ والبحر، فتبصر في هذا الحديث كي تعلم، احاطة مرتبتهم، صلوات الله عليهم، علي العرش، بل العرش المعنوي هو حقيقتهم المقدسة المحيطة، على العرش الجسماني، فهم، مطلعون على تمثال جميع ما خلقه الله ولا شك، انهم نقطة العلم السارية في جميع الحروف الامكانية وهو النقطة تحت الباء و ألف الابتداء في الآلاء.

في معاني الاخبار وغيره انه جاء يهودي الى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال ما معنى حروف الهجاء، وما فائدتها، قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلي عليه السلام اجبه، فقال عليّ عليه السّلام ما من حرف من حروف الهجاء الا وله اسم من اسماء الله تعالى، اما الالف: فالله الذي لا اله

الآ هو، و الباء: باق بعد فناء خلقه، و التاء تَوَاب الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، و الثاء:

الثابت الكائن الذي تَبَّتْ الذين آمنوا بالقول الثابت، الجيم: جَلَّ ثَنَاؤُهُ، الحاء: حلِيم حَكِيم، الخاء: خَبِير بأفعال عبادِهِ، الدال: دَيَّان يوم الدين،
الذال: ذُو الجلال و الإكرام الرءاء: رُوْف بعبادِهِ، الزاء: زِين المعبودين، السين: سَمِيع بصير، الشين: شَاكِر لعبادِهِ المؤمنين، الصاد: صَادِق
الوعد، الضاد: الضار النافع، الطاء: الطاهر، الظاء: المظهر للآيات، العين: عالم بالأُمور، الغين: غياث المستغيثين، الفاء: فائق الحب و
النوى، القاف قادر على خلقه؛ الكاف: كاف لم يكن له كفوء، اللام: لطيف بعبادِهِ، الميم: مالك الملك، النون: نور السموات من نور عرشِهِ،
الواو: واحد احد لم يلد و لم يولد، الهاء:

هاد لخلقهِ، اللَّاء: لا اله الا هو، اليا: يد الله باسطة بالعباء.

قال الله تعالى «وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا» قال ابن عباس: رب الأرض امام الأرض وفي الزيارة و أشرقت الأرض بنوركم، و قوله عليه
السلام الصورة الانسانية هي اكبر حجج الله على خلقه، اشارة الى مرتبة المظهرية الجامعة، و تعبير الربية بمعنى الواسطة في الفيوضات
الرحمانية، و ليس المراد من ذلك الرب الحقيقي، بل الرب هنا بمعنى الولي و الهادي و المرشد و الأب و المربي و اطلاق ذلك كله على
الولي المطلق صحيح من باب الاشتراك المعنوي و هم في الممكنات بمنزلة القطب من الرحي، و الماء الذي به حيوة كلشيء، و خزنة
الجود، و ماء الوجود، و مجرى الفيوضات، قال صلى الله عليه و آله و سلم بنا عرف الله و لولنا ما عرف الله، و بنا عبد الله و لولا نا ما عبد
الله، و اليه الإشارة بقوله، كلشيء هالك الا وجهه؛ روى الصدوق في توحيدِهِ عنه قال نحن وجه الله الذي لا يهلك و ان كبر عليك هذا
المقال فأقول ان حقيقة نورانيتهم محيطة بسائر الأنوار الامكانية، كاحاطة النفس و القلب في بدن الإنسان و اعلم ان الاعتقاد باحاطة
علومهم لجميع الممكنات ليس مستلزما للتشبيه المنافي للتنزيه و التقديس، فان علمه تعالى، قديم، ازلي سرمدى، متحد مع ذاته تعالى، و
علمهم صلوات الله عليهم حادث، فقير، الى الله، حصلت بتعليم الله اياهم متصف بجميع لوازم الإمكان: محتاج في وجوده و بقائه الى
الواجب، و النسبة بين الواجب و الممكن تباين؛ و على هذا البيان فالقول بالعلم الحضوري للنبي و الائمة

في مقامهم النورانية و باعتبار حقائقهم المقدسة ليس مستلزما لشيء من الشرك و التشبيه لكن جماعة من الشيعة فصّـلوا بين مرتبتهم النورانية و الجسمانية، فقالوا بالعلم الحضوري في الأولى، و الحصول في الثانية، و اهل النظر و التحقيق من العلماء قالوا ان علمهم حصولي، يعنى انما يعلمون الممكنات كلها بتعليم الله اياهم، و احاطة علومهم بالجميع على ترتيب الحصول، و ليس لازما لذواتهم المقدسة، و ليس العلم متحدا، مع حقائقهم على سبيل الحضور حتى يكون حضوريا، و استدلل القائلون، بالعلم الحضوري، ببراهين عديدة، أحدها: انهم حقيقة الوجود الامكانى، و العقل الأول، و الفيض المقدس، و خزّان الله في ارضه و سمائه على علمه، و هذه المراتب مساوقة لمفهوم العلم، إذ العقل مقابل و ضد للجهل حيثما يستفاد من الأحاديث الواردة في العقل، فظلمة الجهل ضد لحقيقته، و الوجود المنبسط هو التور لأنه الظاهر في نفسه، و الوجود المنبسط هو الواسطة في جميع الفيوضات، و مجرى للرحمة الواسعة الرحمانية و الرحيمية؛ الثاني انهم النور و نور الأنوار الذى تورت منه الأنوار باعتبار العلل الثلاثة المادية و الصورية و الغائبة، و النور مساوق للعلم و ليست حقيقتهم مركبة من العلم و الجهل، كي تتركب من التور و الظلمة و ظلمة الجهل ضد لحقيقة النور، فساحتهم منزّهة من الجهل.

الثالث انهم الصادر الأول فمرتبتهم محيطة باللوح المحفوظ، و احاطتهم على ذلك دليل على الاحاطة العلمية إذ العالى مطلع على ما دونه، قال الله تعالى وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ و هذا مفسّر بعلی علیه السلام و الكتاب كناية عن اللوح المحفوظ و قد صحّ تنزيههم عن السهو و النسيان فكلمّا علمهم الله في العالم الأول من العلوم الربانية، و الفيوضات السبحانية من علومهم و اطلاعاتهم المحيطة باللوح المحفوظ فهي بأسرها باقية في حقائقهم الى السرمد لا يغفلون، و لا ينسون، و لا يجهلون، و هم عين الله الناظرة، منزّهون، و مقدّسون عن شائبة العمى المستلزم للجهل المعنوي.

في الحديث: أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر فصح انهم القلم الأعلى، و

بحقيقتهم حصل الانتقاش في اللوح المحفوظ، والاحاطة بالعالى يستلزم لإحاطته بما دونه وقد صحّ بالبرهان والسمع، انّ لهم الولاية الكلية، الى كافة الممكنات، وهذه الولاية محيطة بأم الكتاب واللوح مشتمل على تمام العلوم.

الحاصل فالعلم اشرف جوهر لكن بشرط العمل والانتفاع بثمرته، في الحديث روى أبو ذرّ حضور مجلس العلم أفضل من صلاة ألف ركعة، وعبادة ألف مريض، وشهود ألف جنازة، فقيل او من قراءة القرآن، قال وهل ينفع القرآن إلا بالعلم، ويكفيك ما في هذا الحديث الشريف من فضيلة العلم والعالم، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم النظر الى وجه الوالد عبادة، والنظر الى الكعبة المكرّمة عبادة، والنظر في المصحف عبادة، والنظر الى وجه العالم عبادة، من زار عالماً فكأنما زارني، ومن صافح عالماً فكأنما صافحني، ومن جالس عالماً فكأنما جالسني، ومن جالسني في الدنيا، أجلسه الله معى يوم القيمة؛ وفي الحديث من أراد ان ينظر الى عتقاء الله من النار، فلينظر الى المتعلّمين، فوالذى نفس محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بيده ما من متعلّم يختلف الى باب العالم إلا يكتب الله له بكلّ قدم عبادة سنة، وبنى له بكلّ قدم مدينة بالجنة، ويمشى على الأرض، والأرض تستغفر له، ويمسى ويصبح مغفوراً له، وبالعكس في الخبر الصحيح حكاية عن الله، من عادى لي ولياً، فقد بارزني بالحرب، واتى لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث لشبله، وفي التأويلات النجمية وأما كان آدم مخصوصاً بعلم الأسماء، لأنّه خلاصة العالم، وكان روحه بذر شجرة العالم وشخصه ثمرة شجرة العالم، وكان في كلّ جزء من أجزاء الشجرة له منفعة، ومضرة ومصلحة، ومفسدة، فسّمى كلّ شيء من تلك الاجزاء باسم ملائم تلك المنفعة والمضرة بعلمه الله، وهذا ما كان الله علّم آدم والملائكة لا يعلمون، أقول أنّما صار روحه بذر شجرة العالم وفضّل بهذه الفضيلة التي ما فضّل بها الملائكة من تعليم الأسماء باعتبار ثمرة التي كان في علم الله ان تحصل من تلك الشجرة، ومسميات حاصلة من تلك الأسماء، وهي ثمرة المحمدية المخاطبة بلولاك لما خلقت الأفلاك، ولذلك شرفه بهذا التشريف فاتّصف بسبب ذلك التور المستور في صلبه هذا المقام العالى، وكان من كمال حال آدم انّ تمام اسماء الله او أكثرها جاءت على منفعة فضلا عن

اسماء غيره تعالى، و بيان ذلك أنّه لمّا كان مخلوقا، كان الله خالقا له، و لمّا كان مرزوقا كان الله رازقا، و لمّا كان عبدا كان الله معبودا، و لمّا كان عاصيا كان الله غفّارا، و لما كان تائبا كان الله توّابا، و لمّا كان منتفعا كان الله نافعا، و لمّا كان متضرّرا كان الله ضارا، و لمّا كان مظلوما كان الله منتقما فعلى هذا قسّ البواقي؛ قال السيّد المرتضى ان قيل من اين علمت الملائكة صحّة قول آدم، و مطابقة الأسماء المسمّيات و هي لم تكن عالمة بذلك من قبل و الكلام يقتضى أنّهم لمّا انبأهم آدم بالأسماء علموا صحّتها، فالجواب أنّه جعل الله العلم الضروري بصحّة الأسماء و مطابقتها للمسمّيات أمّا عن طريق الى العلم، او ابتداء بلا طريق، فعلموا بذلك صحّة قوله لهم، و أمّا علم الملائكة بأنّه نبيّ فذلك ليس بالعلم الضروريّ، حصل لهم، بل حصل لهم بالاستدلال،

[سورة البقرة (2): آية 34]

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)

ثمّ بين تعالى: ما أتاه آدم من الإجلال فقال و اذكر يا محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم وقت قولنا، «للملائكة لجميعهم لقوله فسجد الملائكة كلّهم أجمعون» «اسجدوا لآدم» اي خرّوا له، و السجود في الأصل تدلّل مع تطامن، فالمسجود له في الحقيقة، هو الله، فجعل الله آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه، و هو المرويّ عن ائمتنا و جماعة مثل قتادة، و عليّ ابن عيسى و عيسى بن الرمانى، و استدلّوا بهذه الآية على أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة، لأنّه لا يجوز تقديم المفضول على الفاضل، و قال الجبائى، و ابو القاسم البلخى، و جماعة أنّه تعالى جعله قبلة للملائكة فأمرهم بالسجود الى قبلتهم، و اختلف في أنّ الأمر، للملائكة بالسجود: قيل: كان بخطاب من الله للملائكة و لإبليس و قيل بوحى من الله الى من بعثه من رسل الملائكة و هل كان لجميع الملائكة حيثما ذكر و قال قوم: إنّ الأمر كان خاصّا لطائفة من الملائكة كانوا مع إبليس، أولئك الذين طهر الله الأرض من الجانّ، ثم اختلف في إبليس، هل كان من الملائكة أم من الجنّ، فذهب قوم أنّه كان من الملائكة، و هو المرويّ عن ابن عبّاس، و ابن مسعود، و قتادة، و اختاره الشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي، قال و

هو المروى عن أبي عبد الله و الظاهر في تفسيرنا، ثم اختلف من قال انه من الملائكة، فمنهم من قال انه كان سلطان سماء الدنيا، و سلطان الأرض، و منهم من قال انه كان خازنا على الجنان، و منهم من قال انه يتردد ما بين السماء و الأرض، و قال الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان انه كان من الجن، و لم يكن من الملائكة، قال و قد جاءت الاخبار متواترة، عن ائمة الهدى، و هو مذهب الامامية، و هو المروى عن الحسن البصري و علي بن عيسى الرماني و البلخي و جماعة و احتجوا على صحة هذا القول بوجوه.

الأول قوله الا إبليس كان من الجن، و من اطلق لفظ الجن، لم يجز له ان يعنى به الا الجن المعروف، و كل ما في القرآن من ذكر الجن مع الانس يدل عليه، و الثاني قوله لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون فنفي المعصية عنهم نفيا عاما، و الثالث ان إبليس له نسل و ذرية، قال الله أفتتخذونه و ذريته اولياء من دوني و هم لكم عدو و الملائكة روحانيون، خلقوا من الريح على قول، و من النور على قول بعض، لا يتناسلون و لا يطعمون، و لا يشربون، و قالوا ان استثناء الله منهم لأنه كان مأمورا بالسجود معهم، فلما دخل معهم في الأمر، جاز إخراجه بالاستثناء، و قيل ان الاستثناء هنا منقطع، و عن جميل ابن دراج عن أبي عبد الله، قال سألت عن إبليس أكان من الملائكة او كان يلي شيئا من امر السماء، فقال لم يكن من الملائكة، و لم يكن يلي شيئا من امر السماء، و كان من الجن، و كانت الملائكة ترى انه منها، و كان الله يعلم به و يأمره، فلما امر بالسجود لآدم كان منه الذي كان، كذا رواه العياشي في تفسيره و اما من قال انه من الملائكة فانه احتج بانه لو كان من غير الملائكة، لما كان ملوما بترك السجود، فان الأمر انما يتناول الملائكة، دون غيرهم، فالجواب انه يمكن ان يكون مأمورا بالسجود و ما كان من الملائكة، و يزيد هذا القول بيانا قوله «ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك» و لا ملازمة بين كونه ملكا و مأمورا بالسجود فما كان ملكا، لكنه كان مورا بالسجود، و كان مخاطبا و لم يكن في جملتهم، و الدليل على كونه مخاطبا قوله «ما منعك ألا تسجد» و لما أجاب بقوله خلقتني من نار و خلقتني من طين، بل كان يجب انك ما أمرتني بالسجود، و الخطاب في الآية للملائكة و خصو

بالذكر لأنهم أكثر، وأجاب القائلون بأنه من الملائكة عن الاحتجاج الأول بأن قوله من الجنّ بأنّ الجنّ جنس من الملائكة لاجتنانهم عن العيون، وعن الثاني وهو قوله لا يعصون الله ما أمرهم بأنه صفة لخزنة النيران لا لجميع الملائكة، ولا يوجب عصمة لغيرهم، وعن الثالث بأنه يجوز ان يكون الله ركّب في إبليس شهوة النكاح تغليظا عليه في التكليف وان لم يكن لسائر الملائكة، او بعد ان اهبطه الله الى الأرض تغيّرت بنيته، وأما أنّ الملائكة خلقوا من النور، والجنّ من النار، والنار والنور سواء «فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» أباي واستكبر اللعين عن السجود، وإبليس، قيل اسم أعجمي، لا- ينصرف للعلمية والعجمة، وقيل انه عربيّ مشتق من الإبلاس، ووزنه افعيل، وله نظائر في لغة العرب كإذميل للشفرة و اعريض للطلع، واضريح لصبغ احمر، وسيف اصليب، ماض كثير الفرند، وثوب اضريح مشبع الصبغ، وقيل انه اسم كان أعجميّ فعربّ وسيله سبيل إنجيل في انه معرب غير مشتق و منصوب على الاستثناء المتّصل من الكلام الموجب، او المنقطع على اختلاف القول في المسألة.

الاستثناء من المحسّنات البديعية لكن ليس كلّ استثناء بل يشترط فيه اشتماله على معنى يزيد على المعنى الاستثناء اللغوي والآل لم يكن من البديع، مثل قوله تعالى فسجد الملائكة، فان في هذا الكلام معنى زائد على معنى الاستثناء اللغوي وهو تعظيم امر الكبيرة التي ارتكبتها اللعين، من خرق اجماع الملائكة المؤكّدين بلفظ كلّ واجمع وذلك مثل قولك امر الأمير بالمشول بين يديه فامثل امره جميع الناس من وزير و امير الآ فلانا، فأنت ترى ما في هذا التعبير معصية هذا العاصي، وليس كذلك قولك امر الأمير بكذا فعصى فلان.

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: خلقت الملائكة من نور و من شأن النور الانقياد والطاعة، واول من سجد جبرئيل، فأكرم بانزال الوحي على النبيّن، ثم ميكائيل، ثم اسرافيل ثم عزرائيل، ثم ساير الملائكة، وقيل اول من سجد اسرافيل فرفع رأسه، وقد ظهر كلّ القرآن مكتوبا على جبهته كرامة له على سبقة الى الاتّمار، و الفاء في قوله «فَسَجَدُوا» لإفادة مسارعتهم الى الامتثال الآ إبليس مرّ شرحه فما سجد

و انقاد طبعه الناري، و عن الحافظ انّ الجن و الملائكة جنس واحد، فمن طهر منهم فهو ملك، و من خبث فهو شيطان و من كان بين بين فهو جنّ؛ «أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ»: اى تعظّم و اظهر كبره، و التكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره، و الاستكبار طلب ذلك بالتتبع و بالتزيّن بالباطل و بما ليس له، فامتنع اللعين، و لم يتوجّه الى آدم، بل وّلاه ظهره و انتصب هكذا الى ان سجدوا و بقوا في السجود مائة سنة، و قيل خمسمائة سنة و رفعوا رؤسهم و هو قائم معرض لم يندم من الامتناع و لم يعزم على الأتباع فلمّا رأوه عدل و امتنع و لم يسجد، و هم و قفوا للسجود. سجدوا لله تعالى، فصار لهم سجدتان، سجدة للأمر، و سجدة لله شكرا، و إبليس ينظر ما فعلوه، قيل غيّر الله خلقه و هيئته، فصار أقبح من كل قبيح، و قيل جعل ممسوخا على مثال الخنازير، و وجهه كالقردة؛ و الممسوخ و ان كان لا يكون له نسل و لا يبقى، لكنّه لمّا سنل النظرة و انظر صار له نسل، و في الخبر، قيل له من قبل الحق اسجد لقبر آدم، اقبل توبتك، و اغفر معصيتك، فقال ما سجدت لجثته و قاله، فكيف اسجد لقبره، و في الخبر قال الحقي في تفسيره انّ الله تعالى يخرج على رأس مائة ألف سنة من النار، و يخرج آدم من الجنة و يأمره بالسجود لآدم، فيأبى ثم يردّ الى النار، «وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»: في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم و أنّما قال سبحانه من الكافرين و لم يكن حينئذ كافر غيره لأنّه كان في علم الله ان يكون بعده كفّارا و انّ الذي علم الله من حاله أنّه يتوفّى على الكفر هو الكافر على الحقيقة إذا لعبرة بالخواتم و ان كان بحكم الحال مؤمنا، في العيون عن امير المؤمنين عليه السلام أنّه أوّل من كفروا نشأ الكفر: و عن الصادق عليه السلام الاستكبار هو أوّل المعصية عصى الله به، قال عليه السلام فقال إبليس رب اعفنى عن السجود لآدم و انا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرب و لا نبي مرسل، فقال عزّ و جل لا حاجة لي في عبادتك، أنّما عبادتي من حيث أريد لا من حيث تريد، في الصافي قال على ابن الحسين عليه السلام حدّثني ابي عن أبيه عن رسول الله قال يا عباد الله انّ آدم لمّا رأى النور ساطعا من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من

ذروة العرش الى ظهره رأى النور ولم يتبين الأشباح. فقال يا رب ما هذه الأنوار، فقال تعالى أنوار أشباح نقلتهم من اشرف بقاع عرشي الى ظهرك ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح، فقال آدم لو بينتها لي، فقال الله انظر الى ذروة العرش فنظر آدم و وقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية فرأى أشباحنا، فقال ما هذه الأشباح يا رب، قال: يا آدم أفضل خلائقي وبريأتي هذا محمّد وانا الحميد المحمود في فعالي، شققت له اسما من اسمي، وهذا عليّ وانا العليّ العظيم شققت له اسما من اسمي، وهذه فاطمة وانا فاطر السموات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عمّا يضُرّهم ويشينهم، فشققت لها اسما من اسمي، وهذا الحسن والحسين، وانا المحسن والمجمل، شققت اسميهما من اسمي، هؤلاء، خيار خليقتي، وكرام بريتي، بهم أخذوا بهم اعطى، وبهم أعاقب، وبهم أثيب، فتوسل يا آدم بهم التي، وإذا دهتك داهية، فاجعلهم التي شفعاك. فأتى اليت على نفسي قسما حقّا ان لا اخيبّ بهم آملا، ولا اردّ بهم سائلا انتهى الحديث. فحقيقة الفيض والسعادة من أوّل وجود الممكنات وإيجادهم:

طاعتهم؛ و حقيقة الشقاوة مخالفتهم، فهم اصل الشجرة الطيبة، وسدرة المنتهى، و مرجع الكلّ إليهم، والهداية، بهم، وفيهم، ومنهم، و إليهم، و عنهم، وهذا معنى الزيارة، ن ذكر الخير كنتم أوّله وأصله ومعدنه، وكلّما كثرت الإطاعة قربت منهم، وبالعكس.

قال صدر الدين الباغنوي: يا هذا اجعل دنياك وقاية لآخرتك؛ ولا تجعل اخرتك وقاية لدنياك، يا هذا كلّ محنة الى زوال، وكلّ نعمة الى انتقال، مال لا ينفك وبال، وعلم لا يصلحك ضلال.

قال يحيى الرازي: الليل طويل فلا تقصره بالنوم، والنهار مضىء فلا تظلمه بالذنوب، قيل لبشر الحافي لم لا تنام بالليل، قال أتى سليم، و السليم لا ينام وما دمت مطيعا لهواك لا تحتاج الى أزر فلو كانت في الكعبة ثلاثمائة وستون صنما ففي صدرك أكثر، والنفس هي الصنم الأكبر،

مادر بتها بت نفس شما است زانکه آن بت مار و این بت اژدها است

و لا أقول لك قم الليل الآ قليلا، بل نم الليل الآ قليلا، ما هذه النسبة الكاذبة تدعي أنك شيعة عليّ و لا تتأسى به مطلقا، و ان كان لو بذلت جهدك كلّ المجهود لا تحتذى حذو عبيده فضلا عن ذاته الشريفة، فانه الامام المبين الذي باحرفه يظهر المضمّر، و هو مظهر الأسماء فانّ حروف الهجاء التي خزانة الكلمة و الاسم صفاته عليه السلام فأول الحروف، الألف: هو الأمر عن الله بالعدل و الإحسان، و الباء: هو الباقر لعلوم الدين، و التاء: التالي لسور القرآن، و الثاء، الثاقب لحجاب الشيطان و الباطل، و الجيم: الجامع لأحكام القرآن، و الحاء: الحاكم بين الخلق من الانس و الجنّ و الخاء: الخلى من المعصية و العيب و النقصان، و الدال: الدليل لأهل الايمان، و الذال: الذاكر ربّه في السرّ و الإعلان، و الراء: الراهب ربّه في الليالي إذا اشتدت الظلمان، و الزاء:

الزائد في الفضل بلا نقصان، و السين: الساتر لعورات العريان، و الشين: الشاكر لمنّ الواحد المتّان، و الصاد: الصابر يوم الضرب و الطعان، و الضاد: الضارب بحسامه رؤس اهل الشرك و الطغيان، و الطاء: الطالب بحق الله غير متوان، و الظاء: الظاهر كلمة الحق على اهل الخسران، و العين: العالي علمه على اهل الزمان، و الغين: الغالب بنصر الله للشجعان، و الفاء: الفارق بين اهل الحق و البطلان، و القاف: القوى الأركان و الكاف: الكامل بلا نقصان، و اللام: اللازم لا و امر الرحمن، و الميم: المتزوج بخير النسوان، و النون: النامي ذكره في القرآن، و الواو: الوليّ لمن و الاله بالإيمان، و الهاء الهادي الى الحق لمن طلب البيان، و الياء: اليسر السهل لمن طلب منه الإحسان و بالجملة فالحقّ احقّ ان يتّبع و لا تتّبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، و قد جعل الله الهداية في متابعتة كما انّ الغواية في مخالفتة، و لا تنقص الكيل و الميزان من عبادتك، فانّ بعض الناس استحوذ عليهم الهوى، فوقع في خاطرهم من الشبهات الفاسدة مثل ان يقول انّ الله غنى عن العالمين، و لا يتفاوت بشأنه تعالى الطاعة و المعصية، لكنّي محتاج الى الطاعة، و عن الاحتراز عن المعصية، قال الله سبحانه و من تزكّى فانّما

يتزكى لنفسه، وقال و من عمل صالحا فلنفسه؛ فمثل هذا الأحمق مثل المريض الذى يأمره الطبيب بالدواء والاحتماء، والمريض يتكاهل في الدواء ولا يحتمي، ويقول إذا لم اشرب الدواء ولا احتمى لا يترتب على الطبيب ضرر، ولا يحصل له نفع، نعم لا يترتب على الطبيب امر لكنتك تموت من مرضك؛ وايضا طائفة اخرى من الحمقاء يتجاوزون من حدود الله؛ معتمدين بقولهم ان الله كريم رحيم، هلا يقول ان الله شديد العقاب، اما يرى ان الخلق مادام لا- يزرعون ولا- يحصدون، ولا- يعبون، لا يأكلون فان الله كريم، فلم لا يعطيهم من غير حصاد، وبذر، وتعب؛ وايضا طائفة اخرى من الحمقاء اغتروا بالتقدير في الأزل، وعطلوا العمل ويقولون السعيد سعيد في بطن امه و الشقى شقى في بطن امه فاذن لا يتغير الحال بالطاعة والمعصية، اما سمعوا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اعملوا و كل ميسر لما خلق له، و كل هذه الترهات من حبال الشيطان، و طلب الراحة من النفس الخبيثة، و النفاق، الكامن في القلب، قال الله لعيسى ليكن لسانك و قلبك واحدا في السر و العلانية، قال الصادق عليه السلام قال رسول الله، ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا نفاق، فاستسلم مخلصا للأمر، فانه العلم النافع، و اعمل خالصا، و دع هذه الفضوليات و التصرفات فرب علوم لا تنفع، و اعمال لا ترفع، ليس لأهلها منها الا كد القرائح و كدح الجوارح، و ذلك لعدم الخلوص، لن ينال الله اعطاف تتهافت، و لا أطراف تتماوت، و ليكن يناله قلب مشفق من النار يتلظى، و شوق الى الجنة يتشظى؛ و عمل بالخلوص و الامثال مشفوع، و عن النقائص مدفوع، و المرء باكبريه، عمله و إيمانه، رب معروف بالمكارم و المساعي و هو عند الله اهل المكاره و المساوى، و موصوف بالحلم الراسى و العلم الراسخ و هو منها على أميال و فراسخ، لأنه يملأ عينه من زينة الحياة الدنيا، و تقر عينه برؤيتها و إقبالها، و العبادة فيها حكم و مصالح لا يعلمها الا من امر بها، منها انها طهرة للقلوب عن احداث الذنوب و اشتغال النفس بها عما فيه ضرر في الدين و النظم، و بها يكمل صلاح المعاد، و معرفتك لخالقك بالوحدانية، و بنبيك بالرسالة، و وصية بالخلافة، كل هذه نافعة لك، لأن العبد إذا لم يعرف مولاه و اسمه و رسمه، ممن يطلب رزقه و مسكنه،

والاسم ما دلّ على الذات الموصوفة بصفة معيّنة سواء كان لفظاً او حقيقة من الحقائق الموجودة في الأعيان فإنّ الدلالة كما تكون بالألفاظ، كذلك تكون بالذوات، من غير فرق بينهما بل كلّ موجود من الأعيان بمنزلة كلام، و دليل صادر عنه تعالى، دالّ على معرفته بالربوبية، و لسان ناطق بوحدايته، كما أنّ احتياجه شاهد، دالّ، ناطق بعبوديتك، و لما كانت النفوس جاهلة و قاصرة عن درك هذا المعنى، خلق في عالم الأنوار ابتداء نفوساً و ذوات مقدسة عن الجهل، كانوا يسبحون الله و يقدّسونه، فجعلهم سبلاً للخلق لمعرفة، ثم ادرجهم في عالم الهيكل النوراني العلوي، كي يعرفون الخلق خالقهم بسببهم، لأنّ الله لا يعرف من نحو ذاته لاحد، و الا لكان مدركا، و محاطا، و هو علامة الحدوث و انما تعرّف الى عباده، بما وصف به نفسه، و لذا قال امير المؤمنين عليه السلام معرفتي بالنورانية، و معرفة الله معرفتي بالنورانية، فحصر عليه السلام معرفة الله، في معرفته، و كما أنّ لفظ كلمة لا اله الا الله، يدلّ على التوحيد باللفظ، كذلك ذلك الهيكل النوراني، دالّ على توحيده تعالى بالعين، و هذا التقرير معنى حديث حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم يا حذيفة انّ حجّة الله عليكم بعدي على ابن ابي طالب، الكفر به كفر بالله، و الشرك به شرك بالله و الشك فيه شك في الله، و الإلحاد عنه الحاد في الله، الحديث على ما في الأمالي لشيخ الصدوق قال: في شرح قوله صلى الله عليه و آله و سلّم الكفر به كفر بالله إلخ ما هذا لفظه كاتي بالمتكلمين يرتكبون المجاز في توجيهه لأنّهم يثبتون كفرين، أحدهما غير الاخر، و ليس كذلك بل الكفر واحد، و الحاصل، افهم معنى قوله عليه السلام، معرفتي بالنورانية معرفة الله، ليس المراد أنّك تعرفه أنّه عليه السلام ختن رسول الله، او أنّه قلع باب خير، او أنّه كان يصليّ بالليل ألف ركعة بل أنّه من الله خليفة على الخلق، فإذا خالفت ذرّة من امره، فقد خالفت الله، تأمل كيف نصحك بكلمة جامعة لجميع الخير مانعة من جميع الشر، و هي الزهد في الدنيا لأنّ العبادة و العبودية، لا تحصل الا بالفراغة، فلو يتصوّر انسان، أنّه يتمكّن من الجمع بينهما، هيهات، فقد ضرب في حديد بارد، و يكون مثاله مثال العابد الذي تعبّد تحت شجرة، خضرة، عظيمة، كثيرة الاغصان، كلّما توجه في محرابه للصلاة، و قد اجتمعت عصفير كثيرة، و بلابل و صوّت، و شوّشت صلواته، و هو يطردها بعصاه، فيطردها

و يرجع الى محرابه، فترجع العصافير، الى ان أخذ مارسا فقطعها، فاستراح، وهكذا حال الدنيا، فاقلع شجرة محبة الدنيا حتى تتمكن من اقامة وظيفة عبوديتك، و الآفلا، و إذا استولت بك السلامة، فجدد ذكر العطب، و إذا اطمئن بك الأمن استشعر الخوف، و إذا أحببت نفسك فلا تجعل لها في الإساءة إليها سبيلا، و التزم بكلمة التقوى حتى يصبك من عمل قليل خير كثير، اما سمعت حديثا رواه الكفعمي عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال لعلي عليه السلام ما فعلت البارحة، فقال عليه السلام صليت ألف ركعة قبل ان أنام، فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم و كيف ذلك، فقال علي عليه السلام سمعتك يا رسول الله تقول: من قال عند منامه ثلاثا «يفعل الله ما يشاء بقدرته و يحكم ما يريد بعزته» فقد صلى ألف ركعة، فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم صدقت يا علي؛ أقول:

بشرط الولاية، و جميع الطاعات مرهونة تحت نطاق الولاية.

في الوافي عن الصادق عليه السلام قال: انّ الله تعالى خلقنا من عليين، و خلق أرواحنا من فوق ذلك! و خلق أرواح شيعتنا من عليين، و خلق اجسادهم من دون ذلك، فمن أجل تلك القرابة بيننا و بينهم تحنّ قلوبهم إلينا.

في امالي الطوسي عن الباقر عليه السلام: ما اثبت الله حبّ علي ابن أبي طالب في قلب احد فزلت له قدم الا ثبت له قدم اخرى، أقول انّ كلّنا يزعم أنه يحبّ عليّا لكنّ الأمر ليس بالدعوى و لكل امر حقيقة، و علامة محبّته صادقا، ان يكون المحبّ متطهّرا بطهارات الثلاث: صغيرة، و كبيرة، و وسطى، فالصغرى: غسل البدن الشهادى بالماء العنصري عن الخبث و الحدث، و الوسطى: غسل الخاطر و اللسان بماء الذكر التلقيني من خبث الشرك الخفى، و حدث الظلمة الطبيعي، و الكبرى: عبارة عن غسل القلب عن التعلق من تلويثات الدنيا، فهذه المراتب الثلاث، آداب غسل المحبّ، كما أنّه ينبغي ان يتوضّأ خمسة وضوء. الأول، وضوء القلب عن المكر و الخدعة و الحسد و الكبر و العداوة، و الثاني، وضوء اللسان عن الكذب و الغيبة و الزور و البهتان، و الثالث، وضوء البطن عن الحرام و الشبهة، قال الله كلوا من الطيبات، و الرابع، وضوء الطهر عن لبس الحرام قال الله و ريشا و لباس التقوى ذلك خير، و الخامس: وضوء الظاهر قال الله إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم و أيديكم الى المرافق، فحيثنذ و قيت نفسك عما يضرك، و دخلت في

حزب التقوى، وصرت من تبعة على عليه السلام، و الزمتك كلمة التقوى، ولا تصلح النفس، ولا ينجلي عنها غشوات العمى، إلا بهذه الآداب والتكاليف، وما من شيء يقرب العبد من الله، ويبعد من الطاغوت إلا وقد أمركم به الشرع، ونهاكم عنه حتى آداب بطنك و أكلك، قال عليه السلام: كلوا انصاف البطون، قال علماء الأخلاق لا تطعم ولا تشرب حتى تشتاق النفس إليهما، وان تناولت منهما شيئاً فلتبق من شهوتك لهما، و آدب لسانك ان تصمت عن كل كلمة لا يعينك، ولا تتكلم بكلمة إلا ان تقطع بعدم ضرر تلك الكلمة، و بدل كلامك بذكر الله، و لا تنساه، فأنك ان ذكرته ذكرك، و من ذكره لا يذل ولا يخزي و كن عند امره و نهيه كالميت بين يدي المغسل؛ هذا في الحال و أما المال ان لا ترى لنفسك بما حوّل الله ملكاً فأنك لو صرت كذلك، هان عليك الدنيا بما فيها، و عامل الناس كما تحب ان يعاملوك، و قدّل معاريفك بل تنكر ما عرفت فان اعلم طبقات الناس ذناب في ثياب، و اول مفاسد المخالطة ان اغلب طبقات الناس أبناء الدنيا إلا القليل من الاقل من الالف و احد، فإذا خالطت معهم تستكسب من طباعهم، و الطبع مكتسب من كل مصحوب، فتنهمك شيئاً فشيئاً في الدنيا فيضيع دينك، و لو تصوّرت أنك تقدر ان تجمع راحة الدنيا، و لذت النفس مع سعادة الآخرة، فهذا امر لم يخلقه الله و الجمع غير ممكن، و لعلك بحمقك زعمت ان أيام ظهور الحجّة تستريح من التعب و يطيب عيشك، فتستلذّ يوماً من الدنيا لأنك سمعت الحديث ان في دولة الحقّة يحملون الزكاة في القرى على رؤسهم فلا يجدون من يستحقّه و ما عرفت معنى الحديث فذلك لا لأجل اقبال الدنيا عليهم قال المحدث النوري في النجم الثاقب، انّ السبب كثرة قناعة المؤمنين، و الاقتصاد على قدر الضرورة، من المأكل، و الملبوس، و المسكن و النكاح، فلا يحتاجون الى الزائد عن قدر الحاجة، فلا يشتغلون في تحصيل كثرة المال و العقار، و ذلك لأنّه مناف مع الغرض من ظهوره عليه السلام لأنّه إنّما يأتي ليدعوا الناس الى الله، فيكمل علمهم، و عملهم، و حاشاه غير الزهد، كما في غيبة النعماني عن الصادق عليه السلام قال تطلبون خروج القائم، فوالله إذا خرج لا يلبس إلا الخشن، و لا يأكل إلا الجشب او من غير ادام و ليس له شغل إلا السيف، و في رواية اخرى: ذكر عند الرضا عليه السلام

خروج الحجّة، فقال عليه السّلام: اليوم أنتم في الراحة، وإذا خرج ليس إلا الدّم والعرق والقوم على متون الخيل؛ وفي رواية أخرى عن معلى بن خنيس، قال قلت للصادق عليه السّلام ان كان يتمّ هذا الأمر لكم كئنا في الراحة معكم، قال عليه السّلام: لو كان الأمر يردّ إلينا، ما كان عيشنا إلا عيش رسول الله وعلّي صلوات الله عليهما؛ فكن من اهل الهداية بان ترشد ضالاً، او من اهل الاهتداء بان تقبل نصيح ناصح في دينك، تكن من اهل الحكمة و من اهل القبول، قال الله و من يؤتى الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً، ومقرّ الحكمة، قلب فارغ من محبّة الدنيا، ولا تسكن في بطن مملوء من الحرام، ولا تكن من الذين قضوا بالغفلة أعوامهم وشهورهم ونبذوا الحق وراء ظهورهم، إذا وجدوا زخارف الدنيا نشطوا وتحلّوا، وإذا تلوت لهم آية من القرآن ولّوا، فانتبه يا نائم، أنسيت تاريخ عمرك، اما ترى في المرأة وجهك وقد جفّت غصون المورقات، أزعمت ان يعود العمر، وكيف للإنسان راحة وفرح وهو لا يدري انّ يوم القيمة حيث يقول الله هؤلاء في الجنّة و هؤلاء في النار وهو لا يدري من اى الفريقين، او حين يقال، و امتازوا اليوم ايّها المجرمون؟ فلا تحملك القدرة اليوم على تناول ما ليس لك، والشهوة في ارتكاب باطل، والراحة في العدول عن حقّ، فاخرج الفضل من مالك، ليوم لا ينفع مال ولا بنون و امسك الفضل من قولك، قال الصادق عليه السّلام قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه، و حضر عذابه، و ذلك لأنّ اللسان له تصرف في كلّ موجود و موهوم و معدوم و له يد، في العقليّات، و الخيالات، و المسموعات، و المشمومات، و المبصرات، و المذوقات و الملموسات فيجتمع عليه من كلّ وجه خطيئة فتكثر خطاياه، و اما غير اللسان فخطاياه محصورة قليلة مثل انّ السمع فقط خطيئته من المسموعات، و البصر من المبصرات، قال امير المؤمنين عليه السّلام من كثر كلامه، كثرت خطاؤه و من كثرت خطاؤه، قلّ حياؤه و من قلّ حياؤه، قلّ ورعه، و من قلّ ورعه، مات قلبه: و من مات قلبه، دخل النار؛ اما تعلم انّ اول منازل الآخرة، القبر، و هو لك بمنزلة المهد للطفل، و هو روضة دار، او حفرة نار، فما تلقاه من الكرامة فيه بواسطة الايمان والعمل، و ما يلقاه من العقاب بواسطة التقصير في العبادات و الحقوق، فأوثق نفسك بقيد التقوى، و لا تعثر بكثرة

الأسباب و طول الأمل، و كل رزقك باسنانك قبل ان تضرس، و أدر بالحق لسانك قبل ان تخرس، و استقم قبل ان يصير الطهر حينه و المنية منية.

رجعنا الى التفسير- فلذلك حين زلّت منه الزلّة دعا الله تعالى بهم فيتوب عليه و غفرت له، و هذا كان سبب فضيلة آدم على الملك، و سجدهم آياه، فاعترفوا بالعجز و القصور، و قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا لما قد بان لهم من فضل آدم و علمه و ما أودع فيه من الحكمة و الأنوار الطيبة، فصغر حالهم عند أنفسهم، فغرقوا في بحر العجز و فوضوا العلم الى الله، و قالوا انك أنت العليم الحكيم، قال الفيض: و انما لم يعرفوا حقائق الأشياء كلها لاختلافها و تباينها و هم وحدانية الصفة إذ ليس في جبلتهم خلط و تركيب و لهذا لا يفعل كل صنف منهم الا فعلا واحدا، فالراعي منهم، راعي ابداء، و الساجد منهم ساجدا أبداء، و القائم منهم كذلك، كما حكى الله عنهم بقوله: و ما منّا إلا له مقام معلوم و لهذا ليس لهم تنافس و تباغض الى أمثالهم مثال الحواس، فانّ البصر لا يزاحم السمع في ادراك الأصوات، و لا الشم يزاحمهما، و لا هما يزاحمان الشم، و الذوق، فلا جرم مجبولون على الطاعة، يسبحون الليل و النهار لا يفترون، فكل صنف منهم، مظهر لاسم واحد من الأسماء الالهية لا يتعداه و فاقهم آدم بمظهريته الشاملة. انتهى كلامه.

[سورة البقرة (2): آية 35]

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35)

قيل: انّ الله تعالى اخرج إبليس، عند كفره، و أبعدته عن الجنة، و بعد إخراجه قال يا آدم اسكن، أى لازم الإقامة، و اتخذها سكنا، و استقرّ الجنة و زوجك حواء، يقال للمرء الزوج، و الزوجة، و الزوج افسح، و انما لم يخاطبها أولا تنبيهها على أنّه المقصود بالحكم و المعطوف عليه تبع له.

«الجنة» هي دار الثواب، خلافا لبعض المعتزلة حيث قالوا المراد بالجنة هنا بستان كان في ارض فلسطين: او بين فارس و كرمان خلقه الله امتحانا لآدم، و اولوا الهبوط بالانتقال منه الى ارض الهند، كما في قوله تعالى مصرا، و قال ابو هاشم هي جنة من جنان السماء، غير جنة الخلد، لأن جنة الخلد أكلها دائم، و لا تكليف فيها، و استدل

بعضهم على أنّها لم تكن جنة الخلد، فقوله حكاية عن إبليس هل أدلك على شجرة الخلد فلو كانت جنة الخلد لكان آدم عالماً بذلك ولم يحتج الى دلالة، ولم يخرج منها، وهذا الكلام ليس بمحكم لأنّ ذلك إنّما يكون إذا استقرّ أهل الجنة فيها للشواب لا يخرج منها، فأمّا قبل ذلك فما ثبت و أنّما كان وسوسة إبليس لعلّ من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه، و اختلفوا في خلقه حواء، هل كانت قبل دخول الجنة او بعده، ويدلّ على الأوّل ما روى عن ابن عباس أنّه بعث الله جنداً من الملائكة، فحملوا آدم و حواء على سرير من الذهب مكلّل بالياقوت و اللؤلؤ و الزمرد و على آدم منطقة مكلّلة بالدر و الياقوت حتّى أدخلوهما الجنة، و يدلّ على الثاني ما روى عن ابن مسعود: أنّه لما خلق الله الجنة و اسكن آدم فيها، بقي فيها وحده، فالقى الله عليه النوم، ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه، من الجانب الأيسر، و وضع مكانه لحماً، و خلق منه حواء، و من الناس من يقول لا يجوز هذا، لأنّه يكون نقصاناً منه و لا يجوز ينقص الأنبياء، لكن هذا الكلام ليس بشيء لو كان واقعاً لأنّه جعلها سكنه، و أزال بها وحشته و حزنه، فلما استيقظ آدم من نومه، وجدها عند رأسه قاعدة، فسألها من أنت، فقالت أنّي امرأة، فقال و لم خلقت، قالت لتسكن اليّ، و اسكن إليك، فقالت الملائكة يا آدم ما اسمها، قال: حواء، قالوا: و لم، قال: لأنّها خلقت من حيّ، او لأنّها اصل حيّ او لأنّها كانت في ذنّها حواء، اي حمرة مائلة الى السواد، و سمّيت امرأة لأنّها خلقت من المرء، كما انّ آدم سمّي بآدم لأنّه خلق من أديم الأرض، و عاشت بعد آدم سبع سنين و سبعة أشهر، و عمرها تسع مائة سنة، و سبع و تسعون سنة، و اعلم انّ الله خلق واحداً من اصل دون أمّ و هو حواء، و آخر من أمّ دون أب و هو عيسى، و آخر من أب و أمّ و هو أولاد آدم، و آخر من غير أب و أمّ و هو آدم.

سبحان من اظهر من عجائب صنعه ما يتحير العقول، في كتاب السماء و العالم قال سيّد ابن طاوس وجدت في صحف إدريس من نسخة عتيقة في حديث المشهور، و هو خلق الله آدم على صورته ما هذا لفظه من حديث طويل و هو فخلق الله آدم على صورته التي صورتها في اللوح المحفوظ، قال سيّد بن طاوس: فاسقط بعض المسلمين، بعض هذا الكلام و قال انّ الله خلق آدم على صورته، فاعتقد التجسّم، فاحتاج المسلمون الى التأويلات في

الحديث، ولو نقله بتمام الحديث استغنى عن التأويل؛ وإنَّ الله خلق حواءَ لأمر يقتضيه الحكمة، ليدفع آدم وحشته بها لكونها من جنسه، و ليبقى الذريّة على ممرّ الأزمان، الى ساعة القيام، فإنَّ بقائها سبب لبعثه الأنبياء، وتشريع الشرائع، ونتيجة الأمر معرفة الله، وفي الزوجيّة منافع كثيرة دينيّة و دنيويّة و اخرويّة، قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد، وقالوا إنّ يحيى قد تزوّج لنيل الفضل، و اقامة السنّة، و لكن لم يجامع لكون ذلك عزيمة في تلك الشريعة، و لذلك مدحه الله بكونه حصورا.

وفي الحديث ركعة من المتأهل، أفضل من سبعين ركعة من عزب؛ قال الحقيّ في روح البيان: هذا كلّه لكون التزوّج سببا لبقاء النسل، و حفظا من الزنى، و الترغيب في النكاح يجرى الى ما يجاوز المائة الاولى من الالف الثاني، كما قال صلّى الله عليه و آله و سلّم إذا اتى على امّتى مائه و ثمانون سنة بعد الالف، فقد حلّت العزوبة و العزلة، و الترهّب على رؤس الجبال و ذلك لأنّ الخلق في المأتين اهل الحرب و القتل فتربية جرد حينئذ خير من تربية ولد و ان تلد المرأة حيّة، خير من ان تلد الولد.

«وَكُلًّا مِنْهَا» اى: من ثمار الجنة اكلا «رَعَدًا» واسعارافها من غير تقدير و لا تقتير، و الأمر امر اباحة، و قيل امر تكليف قاله قتادة.

«حَيْثُ شِدَّتُمْ»: اى مكان من الجنة أردتما؛ «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» بالأكل، و الشجرة منصوب على أنّه بدل من اسم الإشارة او نعت له بتأويلها بمشتق: اى هذه الحاضرة من الشجر، و علّق النهى بالقربان منها، مبالغة في المنع عن الأكل، و لزوم الاجتناب عنها، و المراد بها البرّ و السنبله عن ابن عباس؛ و قيل هي الكرمه عن ابن مسعود، و قيل هي التينة، و قيل هي شجرة الكافور، و قيل غير ذلك، و المراد بالسنبله، الحنطة، و هو اقرب عند الصوفية، لأنّ النوع الإنسانى ظهر في دور السنبله و كان عليها من كلّ لون، و ثمرها احلى من العسل، و ألين من الزبد، و اشدّ بياضا من الثلج، كلّ حبة من حنطتها مثل كلية البقر: و قد جعلها الله رزق أولاده في الدنيا فلمّا تناول هو السنبله، ابتلى أولاده بحرث السنبله.

قال الرازي: قوله و لا تقربا، أنّ هذا نهى تحريم، او نهى تنزيه، فيه خلاف،

فقال قائلون هذه الصيغة لنهى التنزيه، وذلك لأن هذه الصيغة وردت تارة في التنزيه واخرى في التحريم و الأصل عدم الاشتراك، فلا بد من جعل اللفظ حقيقة في القدر المشترك بين القسمين، وما ذلك إلا ان يجعل حقيقة في ترجيح جانب الترك على جانب الفعل من غير ان يكون دلالة على المنع من الفعل، او على الإطلاق فيه، لكن الإطلاق فيه كان ثابتا بحكم الأصل فان الأصل في المنافع، الاباحة، فإذا ضمنا مدلول اللفظ الى هذا الأصل صار المجموع دليلا على التنزيه، قالوا وهذا هو الاولي بالمقام لأنه حينئذ يرجع امر آدم الى ترك الاولي، و معلوم ان كل مذهب يفضى الى عصمة الأنبياء كان اولى بالقبول، وقال بعض: ان هذا النهى تحريم، واحتجوا بدلائل ضعيفة، مثل ان قالوا ان قوله و لا تَقْرُبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، مثل قوله وَ لا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ وقوله فتكونا من الظالمين وقالوا: لو ان هذا النهى نهى تنزيه لما استحق آدم بفعله الإخراج من الجنة، و الجواب عن الأول ان النهى و ان كان في الأصل للتنزيه، ولكنه قد يحمل على التحريم لدلالة منفصلة، و عن الثاني ان قوله «فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ» اى فتظلمنا أنفسكما بفعل ما الاولي بكما تركه، لأنكما إذا فعلتما ذلك، أخرجتما من الجنة التي لو كنتما فيها لا تظمئان و لا تجوعان، و عن الثالث انه: لا نسلم ان الإخراج كان لهذا السبب، أقول: ان جملة من الناس بسبب فرعونيتهم و كفرهم، يحسدون ذوى النعمة حيث أنهم فاقدوا تلك النعم، فيريدوا ان يسترؤوا قبائحهم و هي لا تستر فينسبون قبيحة الى غيرهم حتى إذا أرادوا ان يشاركوهم في الرتبة لا- يكون قبائحهم مانعة عن المشاركة و يأبى الله إلا ان يتم نوره؛ فمنهم الحشوية الذين يجوزون الكبائر، على جهة العمد للأنبياء، و منهم من لا يجوز عليهم الكبائر، لكنه يتجوز عليهم الصغائر، على جهة العمد، إلا ما ينفر كالكذب و التطفيف و أمثالها و هذا قول اكثر المعتزلة، و قال بعضهم انه لا يقع منهم الذنب، إلا على السهو و الخطاء و لكنهم مأخوذون بما يقع منهم على هذه الجهة، و ان كان ذلك موضوعا عن امتهم، و ذلك لأن معرفتهم أقوى و دلائلهم

اكثر و انهم يقدرون من التحفظ على ما لا يقدر عليه غيرهم، وهذه الأقوال كلها سخيفة، والقول الصحيح والمذهب الحق انه لا يقع منهم الذنب، لا الكبيرة ولا الصغيرة لا على سبيل القصد، ولا على سبيل السهو والخطاء ولا على سبيل التأويل، لأنه لو صدر الذنب عنهم، لكانوا اقل درجة من الامة، الا ترى الى قوله تعالى «يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين» وبتقدير اقدمه على المعصية والفسق وجب حينئذ ان لا يكون النبي مقبول الشهادة لقوله «ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا» لكنه مقبول الشهادة، و الا كان اقل حالا من عدول الامة، ولا معنى للنبوة والرسالة، الا انه يشهد على الله بانه شرع هذا الحكم وذاك، وايضا فهو يوم القيمة شاهد على الكل لقوله «لتكونوا لله هداة على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» وايضا فبتقدير اقدمه على المعصية يجب زجره عنها، فلم يكن إيذائه محرما، لكنه محرّم لقوله «ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة» والدليل الأقوى من الكل ان محمد صلى الله عليه وآله وسلم لو أتى بالمعصية، لوجب علينا الاقتداء به فيها لقوله فاتبعوني، فيفضى الى الجمع، بين الحرمة والوجوب، وهو محال، وإذا ثبت ذلك في حق محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثبت ايضا في سائر الأنبياء ضرورة أنه لا قائل بالفرق، ثم انه وقع الاختلاف في وقت العصمة فمنهم من قال ان وقت عصمتهم، وقت بلوغهم، ولم يجوزوا ارتكاب الكفر والمعصية منهم قبل النبوة، وهو قول اكثر المعتزلة، ومنهم من ذهب الى ان ذلك لا يجوز وقت النبوة واما قبل النبوة فجازز وهو قول اكثر اصحاب السنة والجماعة، وهذين القولين فاسد والصحيح انهم مهذبون معصومون من وقت مولدهم وهو قول الامامية، وكيف يجوز ان يكون صلى الله عليه وآله وسلم معصوما من حين بعثته ونبوته، واما قبل ذلك فلا وهو يقول:

كنت نبيا و آدم بين الماء والطين، ولأن الله تعالى قال في حقهم «وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» وقال: الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فهذه الآيات دالة على كونهم موصوفين بالخيرية والاصطفاء، وهو تعالى لا يختار من هو شأنه المعصية، ولا يصطفى الا الماحض الخير، وذلك ينافي صدور الذنب انتهى.

«فتكونا من الظالمين» اى: ان تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين،

قيل استحفاق اللوم بالنهي التنزيهي، من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقرّبين.

[سورة البقرة (2): آية 36]

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (36)

اى: اذهب آدم وحواء، وأبعدهما عن الجنة، والازلال: الازلاق، والزلة بالفتح: الخطاء والزوال عن الصواب وقد حصلت الزلة لهما بالوسوسة والغرور وفي كيفية وصول إبليس الى آدم حتى وسوس لهما بعد ان اخرج من الجنة، قيل انه لم يكن ممنوعا من الدنو منهما، بل منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة، ولم يمنع من الدخول للوسوسة، ابتلاء لآدم وحواء، وقيل انه يكلمهما من الأرض بكلام عرفاه وفهماه منه، وقيل انه دخل جانب الشدق من الحيّة، والقول الأول اصحّ لأنه لو يقدر ان يدخل في شدق الحيّة و يدخل في شدق الحيّة ويدخل الجنة يقدر ان يصير حيّة، وكذلك الوسوسة كلام خفي، والخطاب من الأرض بحيث سمعاه مناف مع معنى الوسوسة.

«فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ»: من النعيم والكرامة، وطريق وسوسته، بقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا ان تكونا ملكين، او تكونا من الخالدين فصدقه هو وزوجته، وسئل ابو مدين عن خروج آدم من الجنة على وجه الأرض، ولم تغذى بأكل الشجرة بعد النهي، فقال لو كان أبونا يعلم انه يخرج من صلبه مثل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم لكان يأكل عرق الشجرة فكيف ثمرها ليسارع في الخروج على وجه الأرض ليظهر الكمال المحمّدى والجمال الأحمدي صلّى الله عليه وآله وسلم.

وفي صدور الزلّة قال جماعة: انها صدرت عنه ناسيا، لا عامدا، واحتجوا عليه بقوله تعالى «فَنَسِيَ وَ لَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا» و مثلوه بالصائم، فيشتغل بأمر يستغرقه، فيصير ساهيا عن الصوم، ويأكل في أثناء ذلك السهو، قال الرازي: وهذا باطل لأنّ قوله تعالى:

ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين وقوله: وَقَسَدَ مَهُمَا إِنِّي لَكُ مِّنَ النَّاصِحِينَ يدلّ على انه كان ذاكرا حال الاقدام، و رواية ابن عباس يدلّ على ان آدم تعمّد لأنه قال لما اكلا منها فبدت لهما سوءاتهما، خرج آدم، فتعلقت بأدم شجرة من شجر الجنة فحبسته، فناده الله: افرار منّي، فقال: بل حياء منك، فقال له اما كان فيما

منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك، قال بلى و لكنني وعزتك ما كنت اري ان احدا يحلف بك كاذبا، فقال وعزتي لأهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا كدًا، ورد بعض تعمد آدم في الأكل، وقال كان على وجه النسيان كما في الآية فنسي ولم نجد له عزما، وقالوا وما روى عن ابن عباس في الحديث المذكور فهو مروى بالاحاد فكيف يعارض القرآن، وكيف نسلّم ان آدم وحواء قبلا- من إبليس ذلك الكلام، لأن اللعين القى إليهما سوء الظن بالله، ودعاهما الى ترك التسليم لأمره، ومثول الأمر بان يعتقد فيه كون إبليس ناصحا لهما، وان الله قد غشّهما، ولا شك مثل هذا الأشياء أقيح من أكل الشجرة، ثم ان آدم كان عالما ببغضه اياه لمسئلة السجود والحسد له، فكيف يقبل من مثل هذا العدو فان قيل إذا كان الأمر كذلك كيف مثل هذا العتاب قالوا انما حصل على ترك التحفظ من اسباب النسيان، ولعل هذا الضرب من السهو موضوع عن الامّة، وقد كان يجوز انه يؤخذوا به ولا يكون بموضوع عن الأنبياء لعظم خطرهم، ومثله بقوله: «يا نساء النبيّ لستنّ كأحد من النساء الآية» واشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم، الأولياء، ثم الأمثل، فالأمثل، قالوا ولقد كان على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من التشديدات في التكليف ما لم يكن على غيره (انتهى كلامهم) والحاصل انّ الجواب في الكلمات من اهل الطبقات، انّ النهى في الآية محمولة الى التنزيه، والأمر المترتبة بعد الأكل من مقتضيات الحكمة؛ والألا يسع هذا المختصر بيان مختلفات الكلام واستلثهم واجوبتهم.

«وَقُلْنَا اهْبِطُوا»: من قال انّ جنة آدم في السماء فسّر الهبوط بالنزول، من العلو الى السفلى، ومن قال انها كانت في الأرض فسره بالتحوّل من موضع الى غيره كقوله: اهبطوا مصرا، والخطاب بالجمع، خاطب آدم وحواء وإبليس، لأنّ إبليس ولو كان قبل ذلك مخرجا من الجنة، لكن ما كان إبليس ممنوعا من الدنو الى آدم امتحانا، فالخطاب شملهم جميعا او لأنهم قد اجتمعوا في الهبوط، وان كانت أوقاتهم متفرقة، وقيل انه أراد آدم، وحواء، وذريتهما، لأنهما لما كانا اصل الذرية، جعلنا- كأنهم الانس كلهم، والحكم عمهم وان لم تكن الذرية موجودين، وقيل اقلّ الجمع اثنان، فخطبا

بالجمع، قال الطبرسي ولم يكن اهباطهما الى الأرض على وجه العقوبة، لأنّ الدليل قد دلّ على أنّ الأنبياء لا يجوز عليهم القبائح على حال و من أجاز العقاب على الأنبياء فقد أساء عليهم الثناء، وأعظم الفرية على الله، وأنّما اهبطه ليكون خليفة الله في أرضه، وهذه منقبة عظيمة، وأنّ المصلحة قد تعيّرت بتناوله الشجرة، فاقترضت حكمته ابتلاء آدم بالتكليف والمشقة، وسلبه آياه من ثياب الجنّة، لأنّ انعامه عليه بذلك ابتداء كان على وجه التفضّل، فله ان يمنع ذلك بتشديد الامتحان والبلوى، وهو تعالى بحسب المصلحة، يسقم بعد الصّحة، و يفقر بعد الإغناء، و يعقّب المحنة بعد المنحة، وله ان يفعل ما يشاء، ثمّ أنّه تعالى إذا سلبه ثياب النعمة من الجنّة، البسه خلعة الخلافة الالهية.

«بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» يعنى: آدم وذريته، وإبليس وذريته، فعداوة آدم له إيمان، وعداوة إبليس له كفر، وقوله بعضكم لبعض عدوّ حال استغنى فيها عن الواو بالضمير، اى متعادين بعضكم لبعض، وليس في الآية امر بالتعادي، بل امر بالهبوط و اخبار بحصول العداوة، وأنّما أسس إبليس العداوة حيث استكبر و حسد آدم، فالعداوة حصلت بفعله اللعين، و لو أنّ آدم امر بعداوته بعد عداوة إبليس آياه، حيث قال سبحانه «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا» و العدو يصلح للواحد و الجمع.

«وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ» اى: موضع قرار، واستمتاع الى حين، قيل الى فناء الآجال، و حصول الموت، او المراد مدّة الحيوة، و القبر، الى يوم القيمة. وقوله الى حين، ليعلم آدم أنّه غير باق فيها، ولّمّا هبطوا وقع آدم بأرض الهند على جبل سرانديب، و لذلك طابت رائحة أشجار تلك الأودية لما معه من علاقة الجنّة، و وقعت حوّاء بجده، و بينهما سبعمائة فرسخ، و الحيّة بسجستان او بأصفهان، بناء على صحّة الحيّة، و الطاوس بمرج الهند، و إبليس بسدّ يأجوج و مأجوج فبعد الهبوط ابتلى آدم بالحرث و الكسب، و حوّاء بالحيض و الحبل و الطلق و نقصان العقل، و جعل الله قوائم الحيّة في جوفها و جعل قوتها التراب، و قبح رجلي الطاوس، و جعل إبليس بأفبح صورة، و افضح حالة، و كان مكث آدم و حوّاء في الجنّة، من وقت الظهر الى وقت العصر من يوم من ايام الآخرة، و كلّ يوم من ايام الآخرة كألّف سنة من ايام الدنيا.

فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)

التلقى نظير التلقن، تلقنت منه أى أخذت وقبلت منه، وأصله من لقيت خيرا، أى قبل وأخذ وتناول آدم على سبيل الطاعة من ربه كلمات واستقبلها بالقبول، وعلى قراءة من قرء فتلقى آدم كلمات لا يكون معنى التلقى، القبول، بل معناه ان الكلمات تداركته بالنجاة والرحمة، و اختلف في الكلمات ما هي، فقيل هي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية.

وفي الكافي عن أحدهما عليهما السلام ان الكلمات لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين، لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فتب عليّ انا أنت التواب الرحيم، وفي رواية بحق محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، وفي رواية آخر بحق محمد وآل محمد صلاة الله عليهم أجمعين، وفي تفسير الامام لما زلت من آدم، الخطيئة واعتذر الى ربه قال يا رب تب علي، و اقبل معذرتي وأعدني الى مرتبتي، و ارفع لديك درجتي، فلقد تبين نقص الخطيئة و ذلها بأعضائي و سائر بدني، قال الله يا آدم اما تذكر امرى اياك، بان تدعوني بمحمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم عند شدائدك و دواهيك و في النوازل تبهظك، قال آدم بلي، قال الله: فبهم اي بمحمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين خصوصا فادعني أجبك الى ملتمسك و ازدك فوق مرادك، فقال آدم: يا رب وقد بلغ عندك من محلهم اذك بالتوسل بهم تقبل توبتي و تغفر خطيئتي و انا الذى أسجدت له ملائكتك، و أبحته جنتك، و زوجته حواء أمتك، و أخدمته كرام ملائكتك، قال الله: يا آدم ائما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسجود لك، إذ كنت وعاء لهذه الأنوار و لو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك ان أعصمك منها و ان أفطنك لدواعى عدوك إبليس حتى تحترز منه، لكنت قد جعلت ذلك و لكنّ المعلوم في سابق علمي يجرى موافقا لعلمي، و لكنّ فالان فبهم ادعني لأجبك، فعند ذلك قال آدم: اللهم بجاه محمد و عليّ وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم لما تفضّلت بقبول توبتي و غفران ذنوبي و زلّتي، و إعادتي من كراماتك الى مرتبتي، فقال الله: قد قبلت توبتك، و أقبلت برضواني

عليك، و صرفت آلائي و نعمائي إليك، و أعدتكَ الى مرتبتك من كراماتي، و وقّرت نصيبك من رحماتي فذلك قوله: فتلقَى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه أنّه هو التّوّاب الرحيم انتهى. و قد صحّ بالبرهان و القرآن، افضليّة وجود محمّد و اوصيائه صلوات الله عليهم و أنّهم هم العلة الغائية لجميع المخلوقات، و تقدّم وجودهم في العوالم السّنة من الأنوار و العقول و الأرواح و الذّر و الطينة و هذا العالم الدنيوي؛ قال امير المؤمنين عليه السّلام انا الّذى ولايتي ولاية الله، و قال عليه السّلام: معرفتي بالنورانية معرفة الله، و معرفة الله معرفتي، فهم احقّ بوسائط الفيض من الله على العباد من كلّ خلق خلقه الله تعالى، فاحتاج آدم عليه السّلام الى التوسّل بانوارهم فإنّ حقائقتهم المقدّسة جامعة للمراتب النورانية و البشريّة، و أوّل الدرجات الامكانيّة، و فاق فضلهم فضل العالمين؛ و عن ابن مسعود: إنّ أحبّ الكلام الى الله تعالى، ما قال أبونا آدم عليه السّلام حين افترف الخطيئة سبحانك اللهمّ و بحمدك و تبارك اسمك و تعالى جدك لا اله الا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي أنّه لا يغفر الذنوب الا أنت.

قال الحقّي في روح البيان: و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم انّ آدم قال بحقّ محمّد ان تغفر لي، قال الله و كيف عرفت محمّدا، قال لمّا خلقتني، و نفخت فيّ الروح، فتحت عيني، فرأيت على ساق العرش، لا اله الا الله، محمّد رسول الله، فعلمت أنّه أكرم الخلق عليك حتّى قرنت اسمه باسمك، فقال الله نعم و غفر له بشفاعته، او الكلمات هي قول آدم عليه السّلام عند هبوطه من الجنّة: يا ربّ الم تخلقني بيدك من غير واسطة، قال بلى، قال يا ربّ الم تسكنني جنّتك، قال بلى، قال الم تسبق رحمتك غضبك، قال بلى، قال رأيت ان أصلحت و رجعت و تبت، أراجعني أنت الى الجنّة، قال نعم؛ فالكلمات هي العهود الانسانية و الموائيق الأدميّة، و المناجاة الربّانية، من الخليفة الى حضرت الحقّ تعالى، فتاب آدم الى الله بالرجوع و الاعتراف بذنبه و خطاه و سهوه، و قيل الكلمات: سبحان الله، و الحمد لله و لا اله الا الله، و الله اكبر.

«فَتَابَ عَلَيْهِ»: اي فرجع الربّ عليه بالرحمة و قبول التوبة؛ «إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»: اي كثير القبول للتوبة. يقبل مرّة بعد اخرى، و معنى فتاب عليه: فتاب عليهما

وَأَمَّا لَمْ يَقُلْ عَلَيْهِمَا لِلتَّغْلِيْبِ كَقَوْلِهِ «وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ».

و معنى التوبة: الرجوع فإذا وصف به العبد كان رجوعاً عن المعصية الى الطاعة، وإذا وصف به البارى أريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة؛ قال ابن عباس: بكى آدم و حواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، و لم يأكلا و لم يشربا، أربعين يوماً و لم يقترب آدم حواء مائة سنة، قال شهر ابن حوشب: بلغني انّ آدم لمّا هبط الى الأرض مكث ثلاثمائة سنة، لا يرفع رأسه، حياء من الله تعالى، قالوا لو انّ دموع اهل الأرض جمعت، لكانت دموع داود اكثر حيث أصاب الخطيئة، و المراد بالخطيئة ترك الأولى، و لو انّ دموع داود و دموع اهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم اكثر، فإذا كان حال من اقترب دون صغيرة و هو ترك الأولى، فكيف حال من انغمس في بحر العصيان و الكبائر، و معدلك فقد جعل الله برحمته لهذا الدرر و الوسخ صابوناً يزيله بشرط الرجوع و الإصلاح بالعمل الصالح فإنه يمحو الخطيئات و أنه تعالى يجيب المضطرّ إذا دعاه و يكشف السوء.

قال الغزالي: التوبة يتحقّق في ثلاثة امور، علم، و حال، و عمل، اما العلم: فهو معرفة ما في الذنب من الضرر و كونه حجاباً بين العبد و رحمة الربّ فإذا عرف ذلك معرفة محقّقه حصل له من هذه المعرفة تألّم القلب بسبب فوات هذا المحبوب، فإذا كان فواته بفعل من جهته تأسّف، فذلك التأسّف يسمّى ندماً، و ذلك التأسّف و الندم له تعلق بالماضي و الحال و المستقبل، اما تعلقه بالحال فيترك الذنب الذي كان ملابساً له، و اما بالمستقبل فالعزم على ترك ذلك الفعل المفوّت للمحسوب الى آخر العمر، و اما بالماضي فيتلافى ما فات بالجبر و القضاء ان كان قابلاً للجبر، فالعلم و الندم و القصد المتعلّق بالترك في الحال و الاستقبال، و تدارك ما فات بالقضاء و الجبران معان مترتبة في الحصول و يصدق اسم التوبة على مجموعها، و قد يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده، و يجعل العلم السابق كالمقدمة، و الترك كالثمرة، و بهذا الاعتبار قال صلى الله عليه و آله و سلّم الندم توبة إذ لا ينفك الندم عن علم أوجهه، و عن عزم يتبعه، و قيل، لا بدّ في التوبة من ترك ذلك الذنب، و من الندم على ما سبق، و من العزم على عدم العود الى مثله، و من الإشفاق فيما بين ذلك كلّ

لأنه مأمور بالتوبة، ولا سبيل له الى القطع بأنه اتى بالتوبة كما لزمه فيكون خائفا، قال الله تعالى: يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ فِي الْبَحَارِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الا أخبركم بدائكم وذنوبكم، وذنوبكم الذنوب، وذنوبكم الاستغفار، لكن اعلم ان المرض إذا لم يعالج سريعا، يصعب دفعه عن البدن ولعل إذا طال لم يقبل العلاج، ولا ينفع الدرياق كذلك الذنوب إذا كثرت يمرض الروح ولا يقبل العلاج ويهلك صاحبه وأنت سمعت امر التوبة وقبولها لكن تسامح فيها وتؤخرها وقد اغتررت برجاء كاذب، فإن من رجا شيئا تقدم اليه لا ان يتأخر ويقول أنا راج، فما أشبه حالك بالمداح السكران، نعم كما يحصل للبدن امراض تارئة وتدفعها بالأدوية، يحصل ايضا من الذنوب للروح امراض فعالجها سريعا كي لا يفسد، قال امير المؤمنين عليه السلام: التوبة اسم جامع لمعان ستة، أولهنّ الندم على ما مضى، الثاني، العزم على الترك في المستقبل، الثالث، أداء كلّ فريضة ضيّعتها فيما بينك وبين الله، الرابع، أداء المظالم الى المخلوقين في أموالهم واعراضهم، الخامس، اذابة كلّ لحم ودم نبت من الحرام، السادس، اذاقة البدن الم الطاعات، كما ذاق حلاوة المعصية فإن هذه التوبة اجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها و اختلفوا فيما عداها، وكلّ معصية الله فأنه يحب التوبة منها لكونها قبيحة، وعند الامامية يصحّ التوبة إذا كانت عن ترك المندوب ويكون ذلك على وجه الرجوع الى فعله وعليهذا يحمل توبة الأنبياء في جميع ما نطق به القرآن، قال الطبرسي وإسقاط العقاب عند التوبة تفضّل من الله، غير واجب عليه عندنا، لكن عند جميع المعتزلة واجب، وقد وعد الله بذلك، و ان كان تفضّلا، علمنا انه لا يخلف الميعاد، واما التوبة عن قبيح مع الإقامة على قبيح آخر يعلم او يعتقد قبحه، فعند اكثر المتكلمين هي صحيحة، وعند ابى هاشم وأصحابه لا يصحّ و اختلفوا في التوبة عند ظهور اشراط الساعة وعلاماتها هل تصحّ أم لا، فقال الأكثرون يحجب عنها عند الآيات كما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال بادروا بالأعمال ستا، طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، و دابة الأرض و خويصة أحدكم يعنى الموت، و امر العامة يعنى القيامة، فالعبد لا بدّ و ان يكون مشتغلا بالتوبة في كلّ حين و أوان، روى ان رجلا سئل امير المؤمنين عليا عليه السلام عن الرجل يذنب ثمّ يستغفر، ثمّ يذنب ثمّ يستغفر، ثمّ يذنب ثمّ يستغفر، فقال

امير المؤمنين، يستغفر ابدا حتى يكون الشيطان هو الخاسر، فيقول لا طاقة لي معه، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ توبوا الى رَبِّكُمْ فَآتَى
أتوب اليه في كل يوم مائة مرة، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم مائة مرة و تاب و آب بمعنى رجع،
و الغين شيء يغشى القلب فيغطيه بعض التغطية و هو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الجو فلا يحجب عين الشمس و لكن يمنع كمال
ضوئها و ذكروا لهذا الحديث تأويلات.

قال الرازي: أحدها ان الله اطلع نبيه على ما يكون في امته من بعده من الخلاف و ما يصيبهم فكان إذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر
لأتمته، و ثانياها انه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان ينتقل من حالة الى حالة ارفع من الاولى فكان الاستغفار لذلك، و ثالثها ان الغين عبارة
عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المعرفة و المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فإذا عاد الى الصحو، كان الاستغفار من ذلك
الصحو، و هذا المعنى تأويل اهل الحقيقة، و رابعها و هو معنى اهل الظاهر ان القلب لا ينفك عن الخطرات و الخواطر و انواع الميل و
الإرادات فكان يستعين بالرب في دفع تلك الخواطر انتهى.

و سئل ابن مسعود عن توبة النصوح قال: هو ان يهجر الذنب، و يعزم على ان لا يعود اليه ابدا؛ روى ان جبرئيل سمع ابراهيم و هو يقول، يا
كريم العفو، فقال جبرئيل او تدري ما كريم العفو، فقال لا يا جبرئيل، قال ان يعفو عن السيئة و يكتبها حسنة، أقول و هذا البيان مشروط
بالتوبة عن السيئة لا مطلقا، و في المفاتيح عن ابي سعيد الخدري قال، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان فيمن قبلكم رجل قتل
تسعة و تسعين نفسا فسأل عن اهل الأرض فدل على راهب، فأتاه، فقال انه قتل تسعة و تسعين نفسا، فهل للقاتل من توبة، فقال لا،
فقتله، فكمل المائة، ثم سئل عن اهل الأرض، فدل على رجل عالم فأتاه فقال انه قتل مائة نفس، فهل لي من توبة، فقال نعم، و من
يحول بينك و بين التوبة، انطلق الى ارض كذا و كذا، فان بها ناسا يعبدون الله، فاعبده معهم، و لا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق
حتى اتى نصف الطريق، فأتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة جاء تابئا مقبلا بقلبه الى الله،
وقالت

ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط. فاتاه ملك في صورة آدمي و توسط بينهم، فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايهما كان ادنى فهو له، فقاوه فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد وقصد فقبضته ملائكة الرحمة، رواه مسلم انتهى.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 38]

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)

استئناف مبني عن سؤال ينصحب عليه الكلام كانه قيل فما وقع بعد قبول توبته فقيل «قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا» من الجنة «جَمِيعًا» وفي تكرير الهبوط فقيل الهبوط الأول، من الجنة الى السماء وهذا لهبوط من السماء الى الارض، وقيل: التكرير للتأكيد والخطاب لآدم وحواء و ذريتهما باعتبار ما يكون، وقيل: الخطاب لآدم وحواء، وإبليس والحية، والطاوس، والمراد اهبطوا أتم أجمعون، ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد، وكرر الأمر بالهبوط إيدانا بتحقيقه لا محالة ودفعاً لما وقع في أميته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن الهبوط ولأن الأمر الثاني بالهبوط، مشعر بالتكليف والابتلاء بالعبادة، والثواب، والعقاب، ولذلك اقترن الهبوط الثاني بإتاء الهدى المؤدى الى النجاة، وما فيه من وعيد العقاب، فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين، قوله «فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ»:

الفاء لترتيب ما بعد الهبوط، وان، شرطية، ودخلت، ما، ليصح دخول نون التأكيد في الفعل، ولو أسقطت، ما، لم يجز دخول النون، كقولك زيد ليأتينك ولو قلت بغير لام لم يجز، فدخول، ما، هنا، كدخول اللام هناك، والمعنى أن يأتينكم «مِنِّي هُدًى» فيدخل في الهدى كل دلالة وبيان، فيشمل دليل العقل وكل كلام ينزل من الله، والحق أن المراد من الهدى، الأنبياء، فحينئذ المخاطب آدم وذريته، اى ان أتاكم رشد و بيان شريعة برسول ابعثه إليكم، و كتاب أنزله عليكم و جواب الشرط هو الشرط مع جوابه؛ «فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ» اقتدى بشريعتي، و كثر لفظ الهدى و لم يأت بالضمير بان يقول فمن تبعه لأنه أراد بالثاني اعم من الأول، و هو ما اتى به الرسل و اقتضاه العقل السليم بمتابعة الرسل من الأدلة الآفاقية و الأنفسية «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ»: في الآخرة

«وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» آمين عن الفزع الأكبر.

من آيات الدالة على عدم التفويض المطلق، وعلى عدم الجبر قوله تعالى «فَأَمَّا يَا تَبِيتُكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» وكذلك قوله تعالى:

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ* الآية، وكلّ هذه العبارات قاضية بطلان الجبر والتفويض، وإثبات الأمر بين الأمرين فإنّ قوله هدى يدلّ على بطلان التفويض المطلق، إذ مع كون الهداية من الله، مفتقرة الى الواجب في وجودها وبقائها و الممكن يحتاج الى المؤثّر كما قال عليه السّلام لو لا أنّنا نزداد لا نفدنا او لينفد ما عندنا، والحاصل أنّ إيصال الفيض من خزانة الأمر وعالم المشيئة، وهذا البيان مبطل للتفويض.

وأمّا ما يبطل الجبر فهو قوله: للمتّقين، إذ التقوى لا يتحقّق إلاّ بالاختيار والمدح المستفاد من الآية أيضا لا يصدق على التقوى الغير الاختياري لأنّ نسبة الفعل الى المتّقين يدلّ على اختيارهم في ذلك، و إلاّ لم يصحّ استناد الايمان بالعباد، ومع ملاحظة مجموع ذلك يستنبط معنى الأمر بين الأمرين، ومعرفة ذلك يتوقّف على معرفة حقيقة المشيئة والارادة، والاذن، والأجل، والقضاء والقدر، والاستطاعة، والتوفيق؛ والخذلان والسعادة والشقاوة، وغير ذلك مما يتعلّق بهاتين المسألتين.

تحقيق شريف- وهو أنّه قد ثبت بالبراهين أنّ الأئمّة كانوا عالمين بجميع ما كان وما يكون وأنّهم بمنزلة الزيت في المشيئة، ولا يجوز عليهم السهو والنسيان، وقد صحّ أيضا أنّ إلقاء النفس الى التهلكة غير جائز عقلا و شرعا، فكيف اقدموا على إهلاك أنفسهم، ولدفع هذا الأشكال وجوه: الأول أنّ إلقاء النفس الى التهلكة، حكم ظاهريّ وليس من المستقلات العقلية الغير القابلية للتخصيص، ولذا ترى أنّ الجهاد والدفاع واجبان وان استلزما الضرر، وذلك من جهة الرعاية المصلحة القويّة الراجحة على مفسدة إهلاك النفس، كما أنّ التمكين من القصاص والحدّ واجب شرعا والعقل لا يحيط بالمصالح الواقعيّة، وأنّما الملازمة بين حكمى الشرع والعقل ظاهريّة فالوجوب والتحرير ظاهريّان ثابتان ما لم يحكم الشرع بخلافهما فحينئذ مع علمهم بقضاء الحكمة البالغة

المتعلّقة بالشهادة وتعلّق القضاء الحتميّ الموجب للمصلحة لا مناص لهم من تحمّله كي تجرى تقادير الله.

الثاني: إنّ تلك القواعد مثل حرمة إلقاء النفس الى التهلكة او الضرر و ما أشبه ذلك من القواعد القابلة للتخصيص و هي من قبيل المقتضى فلوزاحمها المصلحة القويّة الراجحة على ذلك يقتضى التكليف ملاحظة الرجحان كما هو القاعدة في جريان قاعدة التضاحم في سائر المقامات.

الثالث: إنّ رضاهم و تكليفهم تابع لرضى الله، و لا يشاؤون الا ان يشاء الله، فعلمهم ليس مانعا من جريان قضاء الله، و ارادته، و اجله، و كتابه، عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بامرهم يعملون، الا ترى أنّهم كانوا يحفظون أنفسهم عن الضرر و الهلكة في عامّة المقامات و ربما دعوا الله سبحانه في دفعه و يدفعه عنهم لما علموا أنّ ذلك ليس محتوما عليهم، و ربما يسعون في سلوك مسالك الضرر لعلمهم بأنّ الله قد كان قدّر ذلك عليهم، و قضاه، و لا بدّ ان يجرى، و علموا أنّ ذلك التقدير مبنيّ على الحكم و المصالح.

الرابع: إنّ ذلك ليس ضررا، بل بمنزلة المعاوضة الرباحة، قال الله: إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنّ لهم الجنة، و أنّما هي تبديل الفاني بالحيوة الباقية الا ترى أنّ أداء الخمس و الزكاة و أشباههما ليس ضررا، بل تبديل بنفع عظيم، و الى هذا المعنى أشار على عليه السلام بقوله: فزت و ربّ الكعبة، و قال عليه السلام: ليس هذا موضع الصبر إنّما هو موضع البشرى انتهى. رجعنا الى التفسير.

[سورة البقرة (2): آية 39]

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)

«وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» ذكر سبحانه قسيم فمن تبع هداي اى: و من لم يتبع و إيراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة اى: و الذين كفروا برسلنا المرسلة إليهم «وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» المنزلة عليهم، و كفروا جنانا، و كذبوا لسانا، «أُولَٰئِكَ» اشارة الى الموصول «أَصْحَابُ النَّارِ» ملازموها، و ملابسوها، فسّموا بالأصحاب لاتصالهم بها و بقائهم فيها «هُمْ فِيهَا» اى في النار «خَالِدُونَ» دائمون، و الجملة في حيّز النصب على الحاليّة و في هاتين الآيتين دلالة على أنّ الجنة في جهة عالية،

دلّ عليه اهبطوا منها، و انّ متّبع الهدى مأمون العاقبة، لقوله فلا خوف، و انّ عذاب النار دائم، و الكافر مخلّد فيه، و انّ غيره لا يخلّد فيه، بمفهوم قوله تعالى «هُم فِيهَا خَالِدُونَ» فانه يفيد الحصر.

حكى انّ مالك ابن دينار مرّ يوماً على صبيّ و هو يلعب بالتراب يضحك تارة و يبكي اخرى، قال مالك فهمت ان أسلم عليه، فامتعت نفسي تكبراً، فقلت يا نفس كان النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم يسلم على الصغار و الكبار، فسلمت عليه، فقال و عليك السلام يا مالك، فقلت من اين عرفتنى و لم تكن رأيتنى، فقال حيث التفت روجي بروحك في عالم الملكوت، عرف بيني و بينك الحىّ الّذى لا يموت، فقلت ما الفرق بين العقل و النفس، قال نفسك الّتى منعتك عن السلام، و عقلك الّذى بعثك عليه، فقلت ما بالك تلعب بهذا التراب، فقال لأنّما منه خلقنا و اليه نعود، فقلت أراك تضحك تارة و تبكي اخرى، قال نعم: إذا ذكرت عذاب ربّي بكيت، و إذا ذكرت رحمته ضحكت، فقلت يا ولدي اىّ ذنب لك حتى تبكى، فقال يا مالك لا تقل هذا فانّى رأيت امّى لا توقد الحطب الكبار الّا و معه الحطب الصّغار، و نقل مثل هذه الحكاية يعنى فقرة الاخيرة منها عن يحيى بن زكريّا.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 40]

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40)

«يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» الابن، و الولد، و النسل، و الذريّة متقاربة المعاني، الّا انّ الابن للذكر، و الولد يقع على الذكر و الأنثى، و النسل و الذريّة يقع على الجميع، و الابن أصله من البناء، و هو وضع الشيء على الشيء و الأبن مبني على الأب، لأنّ الابن فرع الأب، فبنى عليه، و البنوة مصدر الأبن و ان كان من الياء كالفتوة مصدر الفتى؛ و إسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل، و اسرا معناه العبد، و ايل:

الله، بلغة العبرانيّة، فمعناه عبد الله، و كذلك جبرئيل و ميكايل، و لمّا ذكر انعاماته العامّة بذكر دلائل التوحيد و ما شرف به آدم عليه السّلام عقبها بذكر الإنعامات الخاصّة على إسلاف اليهود الذين في عهد محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و الخطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب و حولها من بنى قريضة و النضير و هم كانوا من أولاد يعقوب و

تخصيص هذه الطائفة بالذكر لما أنّهم أكثر الناس كفرا بنعمة الله.

«اذْكُرُوا نِعْمَتِي»: الذكر بضم الذال بالقلب خاصّة بمعنى الحفظ الذي يصادّ النسيان، والذكر بكسر الذال، يقع على الذكر باللسان، اى احفظوا بالجنان، واشكروا باللسان نعمتي، والنعمة اسم جنس بمعنى الجمع «الَّتِي أَنْعَمْتُ» بها «عَلَيْكُمْ» وفيه اشعار بأنّهم قد نسوها بالكليّة ولم يخطرورها بالبال، وأهملوا شكرها «وَأَوْفُوا» اتمّوا ولا تركوا «بِعَهْدِي» الذي قبلتم: وهو ما عهده إليهم في التوراة من اتّباع محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، والعهد حفظ الشيء و مراعاته حالا فحالا؛ «أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ»: اتمّم جزائكم بحسن الاثابة ودخول الجتّة، والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد، وهو هنا مضاف الى المفعول، كما انّ العهد الأوّل مضاف الى الفاعل، فانّ الله قد عهد إليهم وإلينا بالإيمان والعمل الصالح، بنصب الدلائل وإرسال الرسل ووعدهم للكفّ بالثواب على الحسنات، فأول مراتب العهد منّا، هو الإتيان بكلمتي الشهادة، وآخرها الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل عن أنفسنا، فضلا عن غيرنا، ومنه تعالى حقن المال والدم في الدنيا، والفوز باللقاء الدائم في الآخرة؛ «وَإِيَّايَ فَازْهَبُونِ»: اى اهربوني فيما تأتون وتذرون خصوصا في نقض العهد وحذف اليباء في فارهبون تخفيفا لموافقة رؤس الآي كأنه قيل: ان كنتم ترهبون شيئا فارهبوني، والآية متضمّنة على وجوب الشكر، والوفاء بالعهد، وان لا يخاف العبد الاّ الله للحصر المستفاد من تقديم اياي، والتضمّن للوعد بقوله: أوف، والوعد بقوله: وإياي فارهبون، والنعمة التي أنعمها على أسلافهم معلومة مثل انجائهم من فرعون، وكثرة الأنبياء منهم، وانجائهم من الغرق، وإنزال المنّ والسلوى عليهم وكون الملك فيهم منهم في زمن سليمان وغير ذلك؛

[سورة البقرة (2): آية 41]

وَآمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41)

ثمّ قال مخاطبا لليهود «وَآمَنُوا» يا بنى إسرائيل «بِمَا أَنْزَلْتُ» اى القرآن «مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ» اى حالكون القرآن مصدقا للتوراة، لأنّ القرآن نازل

حسبما نعت في التوراة، فإنّ إيمانهم بما معهم ممّا يقتضى الايمان بالقرآن.

قال الرازي: قد اثبت في التوراة وفي الكتب المتقدمة من وصف محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وكتابه، و البشارة بمقدمه مثل ما جاء في الفصل التاسع من السفر الأوّل من التوراة، أنّ هاجر لمّا غضبت عليها سارة، تراءى لها ملك، فقال لها يا هاجر، أنّي تريدن، و من اين أقبلت، قالت اهرب من سيّدتي سارة، فقال لها: ارجعي الى سيّدتك، و اخفضي لها، فان الله سيكثر زرعك و ذريتك، و ستحبين و تلدين ابنا و تسميه إسماعيل من أجل أنّ الله سمع بتبتلك و خشوعك، و هو يكون عين الناس، و يكون يده فوق الجميع و يد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع، و معلوم أنّ إسماعيل و ولده لم يكونوا متصرّفين في معظم الأمم، و لا كانوا مخالطين للكّل على سبيل الاستيلاء بحيث يكون يده فوق الجميع، و أنّهم كانوا قبل الإسلام محصورين في البادية و لا يتجاسرون على الدخول في أوائل العراق و أوائل الشام، الآ على خوف، و ليس يجوز ايضا للملك ان يبشّر من قبل الله بالظلم و الجور بناء على أنّ من أولاد إسماعيل من العرب كان فيهم مستولين بالغلبة و الجاهليّة، فلو لم يكن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ذلك المبشّر، لكانت هذه المخالطة منهم للأمم، و من الأمم منهم معصية لله و خروجا عن طاعة الله الى طاعة الشيطان، و الملك يتعالى من ان يبشّر بما هذا سبيله، فتحقّق أنّ المراد من بشارة الملك وجود محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي من نسل إسماعيل، و ايضا جاء في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس: أنّ الرّب إلهكم يقيم لكم نبيا مثلي من بينكم، و من إخوانكم، و في هذا الفصل: أنّ الرّب تعالى قال لموسى أنّي مقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوانهم، و ايّما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤدّيها عنّي ذلك الرّجل باسمي أنا أنتقم منه، و هذا الكلام يدلّ على أنّ النبيّ الذي يقيمه الله ليس من بنى إسرائيل، كما أنّ من قال لبنى هاشم أنّه سيكون من إخوانكم امام، فهم من هذا الكلام أنّه لا يكون من بنى هاشم، ثمّ أنّ يعقوب هو إسرائيل و لم يكن له أخ الآ العيص: و لم يكن للعيص ولد من الأنبياء سوى أيّوب، و أنّه كان قبل موسى، فلا يجوز ان يكون موسى مبشّرا به، و امّا إسماعيل فإنّه كان أخا لإسحاق والد يعقوب، ثمّ أنّ كلّ نبيّ بعث بعد موسى، كان من بنى إسرائيل، فالتبّى صلّى الله عليه وآله وسلّم

ما كان منهم لكنّه كان من إخوانهم لأنّه من ولد إسماعيل الّذى هو أخو اسحق، فان قيل قوله من بينكم يمنع من ان يكون المراد محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّه لم يقم من بين بنى إسرائيل، قلنا بلى: قد قام من بينهم لأنّه ظهر بالحجاز فبعث بمكّة، وهاجر الى المدينة، وبها تكامل امره، وقد كان حول المدينة بلاد اليهود كخيبر وبنى قينقاع والنضير وغيرهم والحجاز يقارب الشام وجمهور اليهود كانوا، إذ ذاك، هناك، فإذا قام محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالحجاز، فقد قام من بينهم، وايضا فأنّه إذا كان من إخوانهم، فقد قام من بينهم، فأنّه ليس ببعيد منهم؛ وقال في الفصل العشرين من هذا السفر: انّ الرّب تعالى جاء في طور سيناء، و وطلع لنا من ساعير وظهر من جبال فاران، وصفّ عن يمينه عنوان القديسين، فمنحهم العزّ، وحبّهم الى الشعوب، ودعا لجميع قديسيه بالبركة؛ ووجه الاستدلال انّ جبل فاران هو بالحجاز لأنّه مذكور في التوراة: إنّ إسماعيل (ع) تعلّم الرومي في بريّة فاران، و معلوم أنّه انما سكن بمكّة، إذا ثبت هذا فقوله فمنحهم العزّ لا يجوز ان يكون المراد إسماعيل (ع) لأنّه لم يحصل عقيب سكنى إسماعيل هناك عزّ ولا اجتمع هناك ربوات المقدّسين، فوجب حملة على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال الرازي: وفي كتاب حبقوق بيان ما قلنا، وهو جاء الله من طور سيناء والقدس من جبل فاران، لو انكشفت السماء من بهاء محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وامتلاّت الأرض من حمده، يكون شعاع منظره مثل النور، يحفظ بلده بعزّه، تسير المنايا امامه؛ ويصحب سباع الطير اجناده، قام فمسح الأرض، وتأمّل الأمم، وبحث عنها، فتضعضت الجبال القديمة، واتضعضت الروابي الدهريّة، وتزعزعت ستور اهل مدين، ركبت الخيول، وعلوت مراكب الانقياد والغوث وستنزع في قسّيك إغراقا ونزعا، وترتوى السهام بأمرك يا محمّد ارتواء وتخور الأرض بالأنهار ولقد رأيتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنك شؤبوب السّبل؛ ونفرت المهاري نفيرا ورعبا، ورفعت أيديها وجلا وفرقا، وتوقّفت الشمس والقمر عن مجراهما، وسارت العساكر في برق سهامك ولمعان بيانك، تدوخ الأرض غضبا، وتدوس الأمم زجرا، لأنك ظهرت بخلاص أمّتك وإنقاذ تراب آبائك، هكذا نقل عن ابن رزين الطبري.

قال الرازي: واما النصارى فقال ابو الحسين في كتاب الغرر قد رأيت في نقولها

و ظهر من جبال فاران لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود، و ترتوى السهام بأمرك المحمود، لأنك ظهرت بخلاص امتك، و إنقاذ مسيحك، فظهر من هذا الكلام انّ قوله تعالى في التوراة: ظهر الرب من جبال فاران ليس معناه ظهور النار منه، كما زعمه اليهود لأنهم يقولون انّ النار لما ظهرت من طور سيناء ظهرت ايضا من ساعير نار و من جبل فاران، و هم لا يقاع الشكوك في محمد صلى الله عليه و آله و سلم أوّلوا هذه العبارة بظهور النار في جبل فاران، فظهر ممّا نقل ابو الحسين عن نقول النصارى أنّه ليس معناه ظهور النار منه و لو كان ظهر منه النار على قول اليهود؛ بل معناه ظهور شخص موصوف بهذه الصفات، و ما ذاك الا رسولنا محمد صلى الله عليه و آله و سلم لأنّه كيف يوصف الله بأنّه يركب الخيول، و جاء في كتاب اشعيا في الفصل الثاني و العشرين منه قومي فازهرى مصاحبك يريد مكّة، فقد دنا وقتك، و كرامة الله طالعة عليك، فقد تجلّل الأرض الظلام، و غطى على الأمم، الضباب، و الرب يشرق عليك إشراقا و يظهر كرامته عليك، تسير الأمم الى نورك و الملوك الى ضوء طلوعك، و ارفعى بصرك الى ما حولك، و تأملي فاتهم مستجمعون عندك، و يحجونك و يأتينك ولدك من بلاد بعيدة لأنك امّ القرى فأولاد ساير البلاد كأنهم أولاد مكّة، يميل إليك ذخائر البحر، و يحجّ إليك عساكر الأمم، و يساق إليك كباش مدين، و يأتينك اهل سبا، و يتحدثون بنعم الله، و تسير إليك أغنام فاران، و يرفع الى مذبحى ما يرضيني، و أحدث حينئذ لبيت محمدتى حمدا، و وجه الاستدلال انّ هذه الصفات كلّها موجودة لمكّة، فأنّه قد حجّ إليها عساكر الأمم، و مال إليها ذخائر البحر، و قوله و أحدث لبيت محمدتى حمدا: معناه انّ العرب كانت تلبى قبل الإسلام فتقول لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك، تملكه و ما ملك، ثم صار في الإسلام لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، فهذا هو الحمد الذى حدّده الله لبيت محمدته؛ روى السمان في تفسيره في السفر الاول من التوراة: انّ الله تعالى اوحى الى ابراهيم (ع) قد أجبت دعائك في إسماعيل (ع)، و باركت عليه، فكبرته و عظّمته جدّا، و سيلد اثنى عشر عظيما و اجعله لامّة عظيمة، و الاستدلال به أنّه لم يكن في ولد إسماعيل (ع) من

كان لأمة عظيمة غير نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واما دعاء ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام فكان لرسولنا لَمَّا فرغا من بناء الكعبة، فهو قوله ربنا وبعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم أنك أنت العزيز الحكيم، ولهذا كان يقول صلى الله عليه وآله وسلم انا دعوة ابراهيم (ع) وبشارة عيسى (ع)، وهو قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال المسيح للحواريين: انا اذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه و الفارقليط معناه الذي يميز بين الحق والباطل وقيل: معناه الشافع المشفع وهذه الكلمة فاروقليط وفاروق المميز، وليط معناه التحقيق في الأمر.

(فائدة) ولو قيل لو كان الأمر كما قلتم، فكيف يجوز من جماعتهم جحد هذا الأمر، فالجواب ان هذا العلم كان نصا خفيا لا جليا في اغلب آياته، فجاز إيقاع الشكوك والشبهات فيه، ودواعي إيقاع الشبهات كانت لأهلها كثيرة، وايضا ان هذا العلم كان حاصلًا عند العلماء بكتبهم، لكن لم يكن لهم العدد الكثير، فجاز منهم كتمانته انتهى.

قوله: و«آمنوا» يا بني إسرائيل «بما أنزلت مُصدقا لما معكم» من كتاب ورسول تجدونه مكتوبا في التوراة والإنجيل، اي حالكون القرآن مصدقا للتوراة، ومذكور في القرآن ان موسى وعيسى حق، وان التوراة والإنجيل حق، فكان الايمان بالقرآن مؤكدا للايمان بالتوراة والإنجيل، هذا احد الوجهين في تفسير مصدقا لما معكم، والوجه الثاني: انه حصلت البشارة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن في التوراة والإنجيل، فالإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن، ايمان وتصديق للتوراة والإنجيل، وتكذيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن، تكذيبا للتوراة والإنجيل، والوجه الثاني انسب.

«و لا تكونوا أول كافر به»: اي بالقرآن، فان وزر المقتدى يكون على المبتدي، فان قيل كيف قال اول كافر وقد سبقهم مشركو العرب: اي لا تكونوا اول كافر به من اهل الكتاب، وقيل وجه آخر وهو ان هذا تعريض لهم بأنه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن، لمعرفتهم بخبر نزول القرآن، لأنهم كانوا هم المشركون بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبكتابه، فلما بعث كان أمرهم على العكس، لقوله: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا وقيل ولا تكونوا مثل اول كافر به، وقيل الضمير راجع الى كتابهم، يعنى لا تكونوا

أول من كذب كتابه، لأنّ تكذيب محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تكذيب التوراة، لأنّ فيه بشارة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فتكذبه تكذيب كتابهم، وقيل وجه آخر: أي لا تكونوا أول من جحد مع المعرفة، لأنّ كفر قريش وغيره في الغالب مع الجهل، لامع المعرفة، بخلاف أهل الكتاب، فإنّ فيهم علماء، نحارير، احبار، وفيهم من يستفتح بمقدمه الشريف، و يبشّر بزمانه.

«وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي»: أي لا تأخذوا لأنفسكم بدلا منها «ثَمَنًا قَلِيلًا» من الحظوظ الدنيويّة، وكانت عامتهم يعطون الأحبار و علمائهم، من زروعهم و ثمارهم و يهدون إليهم الهدايا و الرشى على تحريفهم الكلم، و تسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع و الحدود، و كان ملوكهم يجرون عليهم الرواتب و الأموال ليكتموا و يحرفوا حكي أنّ كعب ابن الأشرف قال لأخبار اليهود و هم جماعة، ما تقولون في محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالوا أنّه نبيّ، قال لهم كان لكم عندي صلة و عطية لو قلت غير هذا، قالوا أجبناك من غير تفكّر، فأمهلنا نتفكّر و ننظر في التوراة، فخرجوا و بدّلوا نعت النبيّ، ثم رجعوا و قالوا غير قول الأول، فاعطى كلّ واحد منهم صاعا شعيرا و اربعة اذرع من الكرباس، فهو القليل الذي ذكره الله في هذه الآية.

«وَأَيَّيَّ قَاتِقُونَ»: بالإيمان و الاعراض عن حطام الدنيا، و إعادة لأنّ معنى الأوّل اخشوني في نقض العهد، و هذا معناه في كتمان نعت النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

و في الآية دلالة على تحريم أخذ الرشى في الدين، لأنّه لا يخلو أمّا ان يكون امرا يجب إظهاره او يحرم إظهاره، فالأخذ على مخالفة كلا الوجهين حرام، و هذا الخطاب يتوجّه ايضا على علماء السوء من هذه الامّة إذا اختاروا الدنيا على الدين، فتدخل فيه الشهادات، و القضايا، و الفتاوى، و غير ذلك؛

[سورة البقرة (2): آية 42]

وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42)

«وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ»: أي لا تخلطوا الحقّ المنزل، بالباطل الذي تخترعونه، و تكتبونه، حتّى لا يميّز بينهما، و تجعلوا الحقّ ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في خلاله، و تأولونه بغير ما هو صحيح؛ «وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ»: بإضمار، لا، و هو نهى عن الكتمان، في اظهار الحقّ؛

«وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»: حالكونكم عالمين بأنكم، لابسون، كاتمون، و الخطاب وان كانت خاصة ببني إسرائيل، فهي تتناول من فعل فعلهم، من تغيير حق وإبطاله؛ فمن أخذ رشوة، على تغيير حق وإبطاله، او امتنع من تعليم ما وجب عليه، او أداء ما علمه، وقد تعيّن ووجب عليه ادائه، حتّى يأخذ عليه اجرا، فقد دخل في مقتضى الآية، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يمتنع أحدكم هيبة احد، ان يقول، او يقوم بالحق حيث كان، وقيل: معنى قوله «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ». اي وأنتم تعلمون ما نزل ببني إسرائيل، حين عصوا، من المسخ وغيره، مثل كفار اهل المائدة، ولعنهم عيسى عليه السلام، فمسخوا خزازير، وكانوا خمسة آلاف رجل، ما فيهم، امراة، ولا صبي، وعمدة السبب، انهم اصطالحوا على الكف عن نهى المنكر، كما قال الله: كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، اي: لا ينهى بعضهم بعضا عن قبيح يعلمونه، في الحديث: قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يحشر يوم القيمة، أناس من امتي، من قبورهم الى الله، على صورة القردة، و الخنازير، و ذلك بما داهنوا اهل المعاصي، و كفوا عن نهيبهم، و هم يستطيعون، او، وأنتم تعلمون البعث و الجزاء.

سورة البقرة (2): آية 43

وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ اذْكُرُوا مَعَ الرَّاِكِعِينَ (43)

قوله تعالى: الصلاة عند اكثر اهل اللغة، الدعاء، وقيل، أصلها لزوم، فكان معنى الصلاة في الأصل ملازمة العبادة على وجه امر الله به، و في اصطلاح الشرع، اسم لهذه الهيئة المخصوصة بأدائها؛ «وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ»: خطاب لبني إسرائيل، اي، ادّوها، و اقبلوها، و اعتقدوا وجوبها، و افعلوها كصلوة المسلمين، فان غيرها، كلا صلاة، «وَ آتُوا الزَّكَاةَ»: كزكاة المسلمين، على ما بيّنه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لكم، و هذا حكم جميع ما ورد في القرآن من الاحكام مجملا، فانّ بيانه موكول الى النبي، كما قال: و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهىكم عنه فانتهوا، فلذلك أمرهم بالصلوة، و الزكاة، على طريق الإجمال، و أحال في التفصيل الى بيانه،

«وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ»: و أنّما خصّ الركوع بالذكر، و هو من افعال الصلاة بعد قوله و اقيموا الصلاة لاحد وجوه، الأوّل: أنّ الخطاب لليهود، و لم يكن في صلاتهم ركوع، و كان الأحسن ذكر المختصّ، دون المشترك؛ و ثانيها: أنّه عبّر بالركوع عن الصلاة بقول القائل فرغت من ركوعي، اي صلاتي، و أنّما قيل للركوع، الصلاة، لأنّ الركوع أوّل ما يشاهد من الأفعال التي يستدلّ بها على أنّ الإنسان يصلّي فكأنّه كرّر ذكر الصلاة و الأمر بها تأكيدا، و اشارة الى الصلاة الشرعيّة اي صلّوا مع هؤلاء المسلمين، الراكعين، حتّى تكون الصلاة متخصّصة بالصلوة المتقرّرة في شرع محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، لا صلاتهم، و ثالثها: أنّه حثّ على صلاة الجماعة، فإنّ صلاة الجماعة، تفضّل صلاة الفرد بسبع و عشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في التعبّد، فإنّ الصلاة، كالغزو، و المحراب كمحلّ الحرب، و لا بدّ للقتال مع العدو، من صفوف الجماعة، فالجماعة قوّة قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ما اجتمع من المسلمين في جماعة، أربعون رجلا، آلا و فيهم رجل، مغفور له، فالله تعالى أكرم من ان يغفر له، و يردّ الباقي خائبين، و في الحديث: ما افرض الله على خلقه، بعد التوحيد، فرضا أحبّ اليه من الصلاة، و لو كان شيء أحبّ اليه من الصلاة، لتعبّد به ملائكته، فمنهم راعع، و ساجد و قائم، فكان من شأن المصلّي، ان يبالغ في الحضور، فكان السلف، لو شغلهم في الصلاة ذكر مال، يتصدّقون به تكفيرا، و لا ينظر الله تعالى، الى صلاة، لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه، و بعد قبول العبد، التوحيد، و هو الركن الأعظم، كلّف بالصلوة، ثمّ بالزكوة؛ لأنّ فيها إصلاح النفس، بازالة شحّها، و إصلاح الغير، بقوام معيشته، و إيصال حقه اليه:

و الصلاة: قربان كلّ تقيّ، و خير موضوع، فاجتهد في هذا العمل، و دع الكسالة، حتّى توثّق نفسك بقيد التقوى، فان تكن رأيت احوال السابقين المتداركين ليومهم الآتي، كيف تحمّلوا المشقّات، خوفا من التقصير، و الحرمان، من ذخيرة المعاد فقد سمعت بأحوالهم، قال محمّد التستري: رأيت كهلا اجهد به العبادة في الطواف، و

اصفرّ لونه، ويده عصا، وهو يطوف معتمدا بعصاه، قال: فسئلت عنه، من اين أنت، قال: من أقصى بلاد خراسان، من نواحي المشرق، فقلت له، في كم قطعت هذه المسافة، قال خرجت من بلدي، ولم يكن في رأسي ولحيتي شيب، فقلت هذه والله الطاعة، فضحك، وإنشاء يقول:

زر من هويت وان شئت بك الدارانّ المحب لمن يهواه زوّار.

واعلم أنّ خراب الدين، بشهوتين الفرج والبطن، والاولى هي الكبرى، فان كنت تحبّ الدين، فاحكم الحصنين، ومعلوم أنّ الدنيا والآخرة، ضربتان، ولك إليهما كرتان، لكن إحداهما، حرّة خريدة، والآخرى امة مريدة، فاجعل للحرّة يومين، فإنّ لها قسمين وللامّة قسما، فاضعف نصيبك من العقبي، ولا تنس ان لم تقدر، نصيبك من الدنيا، واحفظ القسمة العادلة، ولا تكن ممّن يحبّون العاجلة، فالويل ثم الويل، ان تميلوا كل الميل، والآخرة خير لك من الاولى، وأنت عنها مسؤولا، فان خفت على دينك، فطلق الدنيا، فإنّها زائدة، وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة.

رجعنا الى التفسير «أَقِيمُوا الصَّلَاةَ»: وهي عبادة عن الأفعال المنصوصة، بناء على ثبوت الحقيقة الشرعيّة، او الحقيقة المتشرّعة، او المجاز المشهور، والمراد خصوص الصحيح، إذ الفاسد لا يخرج عن عهدة التكليف، ولا مدح له، وهي بعد التوحيد اصل العبادة والعبوديّة، وبوجه آخر تنطبق الصلاة، مع حقيقة الولاية، من وجوه كثيرة، منها: أنّ الصلاة، كمال العبودية، وتمام مراتب العبوديّة، مندرجة في الولاية، بل لا تتحقّق إلاّ بها، ومنها: أنّ الصلاة ذكر الله، قال الله تعالى: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي وهم اهل الذكر، ومذكّر، وذاكر، ومنها: أنّ الصلاة، تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولايتهم، تنهى عن الكفر والشرك، وعن المعاصي، بل عن مطلق الذنب، لأنّها كفّارة للذنوب كما في الحديث: حبّ عليّ حسنة لا يضرّ معها سيئة، ومنها:

انّ الصلاة، بمعنى الرحمة، وهم معدنها، واصل الرّحمة، ومنها: أنّ الصلاة، قربان كلّ تقويّ، وهم الوسيلة بين الله، وبين عباده الأتقياء، في مقام القرب، لأنّهم أبواب الله التي لا يؤتى إلاّ منها، وبهم يسلك إلى الله، ومنها: أنّ الصلاة، تشتمل على أسرار التوحيد، والمعارف الربّانية، وفي الزيارة وأحكمتم توحيد، ومنها: أنّ الصلاة،

أفضل من سائر العبادات، وولاية محمد وآله أفضل الولايات، ومنها: أنّ الصلاة، عمود الدين، إن قبلت قبل ما سواها، والولاية أيضا كذلك، ومنها: أنّ الصلاة، شافعة للمصلين يوم القيمة، والولي أيضا شفيع الخلائق؛ والحاصل: أنّ تمام الفضائل، المأثورة الثابتة، للصلاة، فهي بعينها جارية، وثابتة للإمام والولاية، ولهذا أولوا الصلاة، اهل التفسير، بأمير المؤمنين، والمتقين مفسر بشيعتهم، فانهم الذين أقاموا امر الولاية، وبالجملة، فكل خير خلقه الله، انما يفيض إليهم أولا، ثم بهم، وعنهم إلى من سواهم، لأنهم مساكن بركة الله حتى الأرزاق، ولهم الولاية على ميكائيل الذي هو الواسطة في قسمة الأرزاق، وفي قوله تعالى: و السماء و الطارق: ففي الحديث، السماء، أمير المؤمنين، و الطارق، ما يطرق فيه من العلوم البدائية، وبهذا الاعتبار، أنّ الرزق نزل بواسطة، لأنه الواسطة في كافة الفيوضات، و الرزق من الفيوضات، لكن خالق الرزق، و الفيض، و مقدّره، هو الله، و لا رازق، و لا معطى إلا الله، الله ييسط الرزق لمن يشاء و يقدر.

[سورة البقرة (2): آية 44]

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ (44)

«أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ»: الهمزة للتوبيخ و التعجيب، و الخطاب لعلماء اليهود، و المراد بالناس سفلتهم «بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ»: و البرّ، التوسّع في الخير، من البرّ الذي هو الفضاء الواسع، و المراد في الآية، الإيمان بنبوّة محمد صلى الله عليه و آله و سلّم، و ذلك لأنهم كانوا يقولون لفقرائهم، و أقربائهم من المسلمين، اثبتوا ما أنتم عليه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله و سلّم، و هم لا يؤمنون، و يخفهم الله على ما كانوا يفعلون من امر الناس بالإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله و سلّم و ترك أنفسهم عنه و قال أبو مسلم كانوا يأمرون العرب بالإيمان به إذا بعث، فلمّا بعث أنكروا، و قال قتادة كانوا يأمرون الناس بطاعة الله و هم يخالفونه.

و روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هم خطباء من أهل الدنيا، ممّن كانوا يأمرون الناس بالبرّ و ينسون أنفسهم؛

وقال بعضهم: المراد تأمرون الناس بالصدقة، وتركونها أنتم، وإذا أتتكم الصدقة لتفترقوها على المساكين ختمت فيها «وَأَنْتُمْ تَتَلَوْنَ الْكِتَابَ»: والحال أنتم تتلون وتقرءون التوراة، الناطقة بنعوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أو الامتناع عن مثل هذه القبائح؛ الكتاب وعاء مليء علما، وظرف حشى ظرفا، إن شئت كان اعني من باقل ولو أردت أبلغ من سبحان وائل، والكتاب نعم الظهر والعدة، ونعم الكنز والعدة، وهو الأنيس في الوحدة، والجلس الذي لا يغويك، والصديق الذي لا يغريك، ومتى رأيت يافتي بستانا تجمل في ردن، وروضة تقلب في حجر، ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء، ناسك، فاتك وساك، ناطق، طبيب اعرابي، فارسي، يوناني، قديم، مولد ميت، حي، ولولاه لبطل العلم والفكر، وغلب سلطان النسيان على جنود الذكر، الكتاب معقل العقلاء، إليه يلجئون وبستانهم فيها يتزهون؛ «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» وتعرفون بعقلكم أنه قبيح منكم، والعقل في الأصل، المنع والإمساك، ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير إلى ذراعيه، لحبسه عن الحراك سمي به النور الروحاني الذي به تدرك النفس الإنساني، العلوم الضرورية والنظرية، لأنه يحبس عن تعاطي ما يقبح، ويعقل على ما يحسن، ومحلّ الدماغ عند بعض، وعند البعض محلّ القلب، وعند البعض هو نور منبسط في بدن الآدمي؛ قال المولى إسماعيل الحقي، في تفسيره «روح البيان»: إن هذا التويخ والإنكار في قوله تعالى: تأمرون، ليس على أمر الناس بالبر، بل الترك العمل به، فمدار الإنكار، جملة تنسون أنفسكم، دون تأمرون الناس، فلا يستقيم قول من لا يجوز الأمر بالمعروف، لمن لا يعمل به، لهذه الآية، بل يجب العمل به، ويجب الأمر به، وهذا لأنه إذا أمر به مع أنه لا يعمل به، فقد ترك واجبا، وإذا لم يأمر به فقد ترك واجبين، فالأمر بالمعروف، معروف، ولكن قلما نفعت موعظة من لم يعظ نفسه، ومن نهى غيره، فليكن أشد الناس انتهاء عنه، وهذه الآية ناعية على من يعظ غيره، ولا يعظ نفسه، سوء صنيعه، وعدم تأثره، والمراد، حثّ الواعظ على تركية النفس و

الإقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق، و تقيم غيرها، لا- انّ الفاسق ممنوع عن الأمر بالمعروف و المواعظ الشافية، فانّ الإخلال بأحد المأمورين، لا- يوجب الإخلال بالآخر؛ حكى الله كان عالم من العلماء، قوى التصرف في القلوب، مؤثر الكلام، وربما يموت من اهل مجلسه واحد و اثنان، من شدة تأثير وعظه، و كان في بلده، عجوز لها ابن صالح رقيق القلب، سريع الانفعال، و كانت تحرز عليه، و تمنعه من حضور مجلس - الواعظ، فحضره على حين غفلة منها، فوقع من امر الله ما وقع، ثم انّ العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق، فقالت:

أ تهدي الأنام و لا تهتدى الا انّ ذلك لا ينفع

فيا حجر الشخذ حتى متى تسنّ الحديد و لا تقطع

فلما سمعها الواعظ، شهق شهقة، فخرّ مغشياً عليه، فحملوه الى بيته فتوفى!! قال الأوزاعي: شكت النوايس الى الله، ما تجده من جيف الكفار، فأوحى الله إليها، بطون العلماء السوء، أتن ممّا أنتم فيه- انتهى؛ أقول: انّ الواعظ سواء كان عاملا، او غير عامل، لا بدّ منه إن يلاحظ هذه النكتة الدقيقة، و هي انّ يثبت للمستعين جهلا، و لنفسه فضلا عليهم، و هو محض كبر و عجب و حيل النفس و الشيطان كثيرة، و هذا الأمر يهلكه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 45]

وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45)

قيل: الخطاب لليهود، و كان حبّ الرياسة و أخذ الأموال يمنعهم عن اتباع النبي، فأمرهم الله بان استعينوا على الوفاء بعهدي الآدى عاهدتكم عليه من طاعتي، بالصبر على ما أنتم عليه من ضيق المعاش، الآدى كنتم تأخذون عن عوامكم بسببه، و روى عن ائمتنا عليهم السلام انّ المراد بالصبر، الصوم، فيكون فائدة الاستعانة، كسر سورة النفس و الشره، كما قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: الصوم و جاء، و فائدة الاستعانة.

«وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ» الاستعانة بالصلوة، انّ يتلى فيها ما يرغب فيما عند الله، و يزهّد في الدنيا و حبّ المال و الجاه، كما قال: انّ الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر، و كان النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم إذا حزنه امر، استعان بالصلوة و الصوم.

حكى أنّ ابن عباس نعي له بنت، وهو في سفر فاسترجع، وقال عورة سترها الله، ومؤنة كفاها الله، و اجرا ساقه الله، ثمّ تنحّى عن الطريق، وصلى ثمّ اتى راحلته، وهو يقرأ واستعينوا بالصبر والصلاة؛ و من قال أنّ الخطاب للمسلمين: قال: المراد: استعينوا على مشقة التكليف بالصبر؛ اى بحبس النفس على الطاعات وبالصلوة، وليس في افعال القلوب أعظم من الصبر، ولا في افعال الجوارح أعظم من الصلاة، فأمر الله سبحانه بالاستعانة والاستمداد بهما، و روى عن الصادق عليه السلام أنّه قال: ما يمنع أحدكم إذا ورد عليه غمّ من غموم الدنيا ان يتوضأ ثمّ يدخل المسجد، فيركع ركعتين، يدعو الله فيها، اما سمعت، الله يقول واستعينوا بالصبر والصلاة.

«وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ»: اى أنّ الاستعانة بهما لكبيرة ثقيلة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الآ على الخائفين و الخاشعين، و الخشوع بالجوارح، و الخشوع بالقلب، و قيل الخشوع بالبصر، و الخشوع بسائر الأعضاء، و أنّما لم يستثقل عليهم لأنّهم يستغرقون في مناجاة ربّهم، فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاقّ و التعب، و لذلك قال صلى الله عليه وآله و سلّم: و قرّة عيني الصلوة، او في الصلاة، لأنّ اشتغاله بالصلوة، كان راحة له، و بعض قال: الضمير راجع الى الصلاة، لأنّها الأغلب، الأفضل، و قيل: انّ المراد الاثنان، و ان كان اللفظ واحد، مثل قوله: و الذين يكتزون الذهب و الفضّة و لا ينفقونها في سبيل الله.

[سورة البقرة (2): آية 46]

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46)

الظنّ، يكون بمعنى اليقين و بمعنى الشكّ الراجع، فهو من الاضداد، كالرجاء، يكون أمنا و خوفا، و هنا بمعنى اليقين، و الظنّ ما قوى عند الظانّ كون المظنون على ما ظنّه، مع احتمال على خلافه، و بالاحتمال ينفصل عن العلم، و بالقوّة ينفصل عن الشكّ، «الَّذِينَ يَظُنُّونَ» في موضع الجرّ، صفة للخاشعين، «أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ» اى الخاشعين يوقنون أنّهم ملاقوا ما وعد ربّهم؛ و قيل:

انّ الظنّ في الآية، بمعنى الظنّ غير اليقين، و المعنى: أنّهم يظنون انقضاء آجالهم، و سرعة

موتهم، و ملاقوا ربهم بذنوبهم، و لشدة إشفاقهم من ذنوبهم، يكونون على وجل و حذر، و لا يركنون الى الدنيا؛ و المراد من اللقاء ليس لقاء الرؤية، بل لقاء ما يسره و يضره.

«وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»: فان قيل انهم ما كانوا قط في الآخرة، فيعودوا و يرجعوا إليها، فالمراد انهم بالإعادة راجعون في الآخرة، و قيل يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المتقدمة على حياتهم لأنهم كانوا أمواتا و اعداما ابتداء، فأحيوا ثم يموتون، فيرجعون بحال الأول أمواتا كما كانوا، او المعنى انهم يرجعون الى موضع لا يملك لهم احد ضراً و لا نفعاً، لأنهم في حال حياتهم قد يملك عليهم الأمر و الحكم، و رجوعهم الى المحشر و حكمه رجوع اليه تعالى.

[سورة البقرة (2): آية 47]

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47)

«يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا»: اي اشكروا «نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ» بها «عَلَيْكُمْ» بانزال المنّ و السلوى، و تظليل - الغمام، و تفجير الماء من الحجر و غيرها، و ذكر النعم على الآباء الزام الشكر على الأبناء، فاتهم يشرفون بشرفهم، و لذلك خاطبهم بقوله «وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ»: اي فضلت ايامكم على عالمي زمانهم بما منحتم من العلم و الايمان، و العمل الصالح، و جعلتم انبياء و ملوكا مقسطين، و هذا كما قال في حق مريم: و اصطفاك على نساء العالمين، اي نساء زمانك فالاستغراق في العالمين عرفى لا حقيقى

[سورة البقرة (2): آية 48]

وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (48)

و كان اليهود يقولون نحن من اولاد الانبياء، و الله يقبل شفاعتهم فينا، فانزل الله هذه الآية رداً عليهم، فقال «وَ اتَّقُوا»: و اخشوا يا بنى اسرائيل، «يَوْمًا» يوم القيمة اي حساب ذلك اليوم، فهو من ذكر المحلّ، و ارادة الحال «لَا تَجْزِي» و لا تؤدى، و لا تغنى و العائد محذوف «نَفْسٌ» مؤمنة «عَنْ نَفْسٍ» كافرة «شَيْئًا» ما من الحقوق التي لزمتم

عليها، وإيراد، شيئاً، منكراً مع تنكير النفس، للتعميم والاقناظ الكلّي «وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا» أي من النفس الأولى المؤمنة «شَفَاعَةً» ان شفعت للنفس الثانية الكافرة عند الله، لتخليصها من عذابه، و الشفاعة مصدر الشافع، و الشفيح مأخوذ من الشفع، لأنه يشفع نفسه، بمن يشفع له في طلب مراده، و لا شفاعة في حق الكافر، بخلاف المؤمن؛ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من امتي، فمن كذّب بها لم ينلها.

و الآيات الواردة في نفى الشفاعة، خاصّة بالكفّار «وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا» أي من المشفوع لها، وهي النفس الثانية الكافرة «عَدْلٌ» أي فداء من مال، او رجل مكانها، او توبة تنجو بها من النار، و العدل بالفتح مثل الشيء من خلاف جنسه، و بالكسر مثله من جنسه، و سمّي به الفدية لأنها تماثله و تساويه «وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ»: و لا يمنعون من عذاب الله، و من أيدي المعدّيين، فلا نافع و لا دافع، و لا شافع.

[سورة البقرة (2): آية 49]

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)

أي اذكروا وقت تنجيتنا إياكم أي آبائكم، فإنّ، تنجيتهم، تنجية لأعقابهم و النجو: المكان المرتفع من الأرض لأنّ من صار إليه، يخلص، ثمّ سمّي كلّ فائر ناجيا بخروجه من ضيق إلى سعة «مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ»:

و اتباعه، و فرعون لقب من ملك العمالقة، ككسرى لملك الفرس، و قيصر لملك الروم، و تبع لملك اليمن، و العمالقة، الجبابة، و هم أولاد عمليق بن لاوذ ابن آدم بن سام بن نوح، سكّان الشام، سمّوا بالجبابة، و ملوك مصر منهم سمّوا بالفراعنة و لقبوه، يقال تفرعن الرّجل إذا عتا و تمرد، و فرعون موسى هو الوليد بن مصعب بن الرّيان، و كان من القبط، و عمّر أكثر من أربعمئة سنة، و قيل أنّه كان عطاراً أصفهانياً، ركبته الديون، فأفلس فاضطرّ إلى الخروج، فدخل مصر فرى في ظاهرها حملاً من البطيخ بدرهم، فتوجّه إلى السوق، فرأى يبيعون بطيخة بدرهم، فقال في نفسه ان تيسّر لي أداء الديون فهذا طريقه، فخرج إلى السواد فاشتري حملاً

بدرهم فتوجّه به إلى السوق، فكلّ من لقيه من المكاسين أخذ بطيخة فدخل السوق و ما معه إلا بطيخة فباعها بدرهم، و مضى بوجهه، و رأى أهل البلد متروكين سدى، لا يتعاطى أحد سياستهم، و كان قد وقع بمصر و باء عظيم، فتوجّه نحو المقابر، فرأى ميتا يدفن فتعرض لأوليائه، فقال: أنا أمير المقابر، فلا أدعكم تدفونه حتى تعطوني خمسة دراهم، فدفعوها إليه و مضى لآخر و آخر حتى احرز في مقدار ثلاثة أشهر مالا-عظيما، و لم يتعرض له أحد قط، إلى أن تعرض يوما لأولياء ميت، فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم، فأبوا ذلك فقالوا من نصيبك هذا المنصب، فذهبوا به إلى فرعون فقال: من أنت، و من أقامك بهذا المقام، قال لم يقمى أحد و إنما فعلت ما فعلت، ليحضرني أحد إلى مجلسك، فاتبتهك على اختلال حال ملكك، و قد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار العظيم من المال، فأحضره و دفعه إلى فرعون، فقال: ولّني أمورك ترني أمينا كافيا، فولاه إياها، فسار بهم سيرة حسنة، فانتظمت مصالح العسكر، و استقامت أحوال الرعيّة، و لبث فيهم دهرا طويلا، و ترى امره في العدل و الصلاح، فلما مات فرعون أقاموه مقامه، فكان من امره ما كان، و كان فرعون يوسف اسمه الرّيان، و بينهما أكثر من أربعمئة سنة؛ «يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ»: اى يبغونكم و يكلفونكم، و قيل يؤلونكم سوء العذاب و سامه خسفا إذا أولاه ذلّا، و قيل معناه يعدّبونكم، و أصل الباب السوم الذي هو إرسال الإبل في الرعي، أو من سام السلعة إذا طلبها، فمعناه الطلب، و تقدير الكلام نجيناكم مسؤمين منهم أفبح العذاب كقولك رأيت زيدا يضربه عمرو، اى رأيت حالكونه مضروبا لعمرو؛ قال وهب بن منبه: كانوا أصنافا في أعمال فرعون، فصنف يبنون، و صنف يحرثون و صنف يخدمون، فذو و القوة ينحتون السواري من الجبال، حتى قرحت أيديهم و أعناقهم و دبّرت ظهورهم من قطعها و نقلها، و طائفة يضربون اللبن و يطبخونها للآجر و كذلك و الضعفة من الناس يضرب عليهم الحراج ضريبة، و يؤدّونها كلّ يوم، فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدّي ضريبته، غلّت يمينه إلى عنقه شهرا، و النساء يغزلن الكتّان و ينسجن

وقيل: يفسر قوله يسومونكم سوء العذاب، قوله: «يُدَّبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ»:

كأنه قيل ما حقيقة سوء العذاب الذي يبغونه لهم، فأجيب بأنه يذبحون أبناءكم، والتشديد للتكثير، كما يقال فتحت الأبواب، والمراد من الأبناء، الذكور خاصة، وإن كان الاسم يقع عليهما في غير هذا الموضع، كالبنين في قوله: يا بني إسرائيل، و كانوا يذبحون الغلمان لا غير، و كذا الصغار دون الكبار.

«وَيَسَّ تَحِيُونَ نِسَاءَكُمْ»: و يستبقون بناتكم، و ذلك أنّ فرعون رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس، فأحاطت بمصر، و أخرجت كلّ قبطني بها، و لم تتعرض لبنى إسرائيل، فهاله ذلك، و سأل الكهنة و السحرة عن الرؤيا، فقالوا يولد في بنى إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك، و زوال ملكك، فأمر فرعون بقتل كلّ غلام يولد في بنى إسرائيل، و جمع القوابل فقال لهنّ، لا يسقط على ايديكنّ غلام يولد في بنى إسرائيل الا قتل، فكنّ يفعلن ذلك، حتّى قتل في طلب موسى اثني عشر ألف صبيّ، و تسعون ألف وليد، ثم اسرع الموت في مشيخة بنى إسرائيل، فدخل رؤس القبط على فرعون، و قالوا انّ الموت وقع في بنى إسرائيل، فتذبح صغارهم، و يموت كبارهم، فيوشك ان يقع العمل بنا، فأمر فرعون ان يذبحوا سنة، و يتركوا سنة، فولد هارون في السنة التي لا يذبح فيها، و ولد موسى في السنة التي يذبحون فيها، و قد شمر فرعون عن ساق الاجتهاد و حسر عن ذراع العناد، فأراد ان يسبق القضاء، هيهات و يابى الله الا ان يتمّ نوره.

«وَفِي ذَلِكَكُمْ»: اشارة الى التذبيح و الاستحياء، «بلاءً»: محنة و بليّة، لأنّ الأعمال الشاقّة و ذبح الأولاد و الاسترقاق ممّا يشقّ على الإنسان، غاية، لا سيّما بعد ذبح الولد «مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ»: يحتمل ان يكون من الله هذا الامتحان، بان خلّى بينكم و بين فرعون، حتّى فعل هذه الأفاعيل، فيكون هذا الامتحان لمحنته لكم، و يحتمل ان يكون الإشارة في قوله و في ذلكم، الي التخلّص من فرعون، فيكون نعمة و منحة عظيمة من الله عليكم لا محنة، و البلاء، الاختبار، و الله تعالى يختبر عباده، تارة بالمنافع، و تارة بالمضارّ، ليشكروا و يصبروا، كما قال و نبلوكم بالشرّ و الخير، و سنّة الله تعالى استدعاء العباد بعبادته، بسعة الأرزاق، و دوام

المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته، ويشكروه بالطاعة و لزوم الايمان، فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء و الصراء لعلمهم يرجعون.

[سورة البقرة (2): آية 50]

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)

: و اذكروا يا بنى إسرائيل وقت تفريقنا و تفصيلنا بسبب انجائكم، فالباء للسببية، وقيل بمعنى اللام لقوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق، أى لأن الله؛ «الْبَحْرَ»: هو بحر القلزم من بحار فارس، او بحر يقال له اساف، حتى حصل اثني عشر مسلكا بعدد أسباط بنى إسرائيل، و السبط ولد الولد، و هم أولاد يعقوب، «فَأَنْجَيْنَاكُمْ»: من الغرق، باخراجكم الى الساحل، و فرقنا بين المائين، فوقع بين كل فريقين من البحر، سبط من الأسباط يسلكون طريقا يابسا، بسبب هبوب الريح دفعة؛ «وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ»: يريد فرعون و قومه للعلم بدخوله فيهم، و كونه اولى به منهم، «وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ»: بابصاركم انفراق البحر لكم، و انطباقه على آل فرعون حين رمى موتاهم البحر الى الساحل.

روى انه لما دنا هلاك فرعون، أمر الله موسى ان يسرى ببني إسرائيل من مصر ليلا، فأمرهم ان يخرجوا و ان يستعيروا الحلي من القبط، و أمر ان لا- يناد احد صاحبه، و ان يسرجوا في بيوتهم الى الصبح، و من خرج لطخ بابه بكف من دم، ليعلم انه قد خرج، فخرجوا ليلا، و هم ستمائة ألف و عشرون ألف مقاتل، لا يعدون فيهم ابن العشرين لصغره، و لا ابن الستين لكبره، و القبط لا يعلمون بذلك، و كان قد وقع في القبط موت فجعلوا يدفنونهم، و شغلوا عن طلبهم، فلما أراد بنو إسرائيل السير، ضرب عليهم التيه، فلم يدروا اين يذهبون، فدعا موسى مشيخة بنى إسرائيل، و سألهم عن ذلك، فقالوا ان يوسف لما حضره الموت، أخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم، فلذلك انسد عليهم الطريق، فسألهم عن موضع قبره، فلم يعلمه أحد غير عجوز، قالت لو دللت على قبره أ تعطيني كلما سألتك، فأبى عليها موسى و قال حتى اسئل ربي، فأمره الله بإيتاء سؤالها، فقالت انى عجوز كبيرة، لا أستطيع

المشي، فاحملني وأخرجني من مصر، هذا في الدنيا واما في الآخرة فأسئلك ان لا تنزل غرفة إلا نزلتها معك، قال موسى نعم، قالت انه في جوف الماء في النيل، فداع الله ان يجيز عنه الماء، فدعا الله ان يؤخر طلوع الفجر الى ان يفرغ موسى من امر يوسف فحفر ذلك الموضع، و استخرجه في صندوق من صنوبر، و سبب ان قبره كان جوف النيل لأمر يطول شرحه، و المجمعل منه استبرك اهل مصر بماء النيل، بمجاورة الماء قبره، حتى تعم البركة، الفقير و الغنى، و القريب و البعيد من صعيد مصر، فاستخرج تابوت يوسف من قعر النيل، و حملة و دفنه في أرض الشام، ففتح لهم الطريق، ثم ساروا، فكان هارون أمام بني إسرائيل، و موسى على ساقتهم، فلما علم بذلك فرعون جمع قومه، و خرج في طلب بني إسرائيل، و على مقدمته هامان في ألف ألف و سبعمائة ألف جواد ذكر ليس فيه رمكة، على رأس كل واحد منه بيضة، و في يده حربة، فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا الى البحر، فأدركهم فرعون حين أشرقت الشمس، فقال فرعون في اصحاب موسى، ان هؤلاء لشردمة قليلون، فلما نظر اصحاب موسى إليهم، بقوا متحيرين، فقالوا لموسى أنا لمدركون يا موسى أوذينا من قبل ان تأتينا و من بعد ما جئتنا اليوم نهلك، فان البحر أمامنا، ان دخلناه غرقنا، و فرعون خلفنا، ان أدركنا قتلنا، كيف نصنع، و اين ما وعدتنا، قال موسى كلا ان معي ربي سيهدينى، فأوحى الله الى موسى، أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فلم يطعه، و اوحى الله اليه ان كنه فضربه، و قال انقلق يا أبا خالد، فانقلق فصار فيه اثنا عشر طريقا، كل طريق كالجبل العظيم، فكان لكل سبط طريق يأخذون فيه، فخاضت بنو إسرائيل البحر، و لا يرى بعضهم بعضا، فقالوا ما لنا لا نرى إخواننا، و قال كل سبط قد قتل إخواننا، قال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم، قالوا لا نرضى حتى نراهم، فقال موسى اللهم أعطني على أخلاقهم السيئة، فأوحى الله الى موسى اشر بعصاك يمتة و يسرة فصار فيها كوى ينظر بعضهم بعضا، و يسمع بعضهم بعضا، فساروا حتى خرجوا من البحر.

فلما جاز آخر قوم موسى، هجم فرعون على البحر، فرآه منفلقا، قال لقومه

انظروا الى البحر، انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين ابقوا، فهاب قومه ان يدخلوه وقيل له ان كنت صادقا فادخل البحر كما دخل موسى، وكان فرعون على حصان أدهم، ولم يكن في قوم فرعون فرس أنثى، فجاء جبرئيل على أنثى وديق، وهي التي تشتهي الفحل و تقدمه الى البحر، فاقتحم أدهم فرعون خلفها البحر و دخله و لم يتملك فرعون من أمره شيئا، و هو لا يرى فرس جبرئيل و تبعته الخيول، و جاء ميكائيل على فرس خلف القوم يسوقهم حتى لا- يشدّ رجل منهم، حتى خاضوا كلّهم البحر، و دخل آخر قوم فرعون، و جاز آخر قوم موسى، و همّ اولهم بالخروج، فأمر الله البحر أن يأخذهم، فانطبق البحر على قوم فرعون فاغرقوا، فنادى فرعون، لا اله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل و أنا من المسلمين، القصة؛ و قالت بنو إسرائيل الآن يدركنا فرعون، فيقتلنا، فلقط منهم البحر ستمائة و عشر الفا الذين عليهم الحديد، و لفظ البحر جثّة فرعون، فذلك قوله تعالى فالיום ننجيك بدنك، و هو كأنه ثور أحمر فبعد هذه المعجزة العظيمة، ما مضى وقت حتى اتخذوا العجل إليها بعد الإنجاء، ثم صار أمرهم الى ان قتلوا أنبيائهم، فهذه معاملتهم مع ربّهم، ثم بدلوا التوراة و افتروا على الله و كتبوا التحريفات و اشتروا به ثمنا قليلا و كفروا بنبوّة محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم مع علمهم بصدقه، فيا لها من عصابة ما اعصاها و طائفة ما أطغاها.

و كان يوم الإنجاء و الإغراق، يوم عاشورا و لذا كان اليهود يصومونه و يتخذونه عيدا، و قيل: و كان رسول الله يصومه، فلما فرض صوم رمضان في المدينة، ترك صيام يوم عاشوراء.

[سورة البقرة (2): آية 51]

وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51)

و اذكروا يا بني إسرائيل، وقت وعدنا، و صيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي، أو على أصلها، فإنّ الوعد و ان كان من الله تعالى، فقبوله كان من موسى، فقبول الوعد، شبه الوعد، أو ان الله تعالى وعده الوحي و موسى وعد المجيء للميقات إلى الطور؛ «موسى: مفعول أول لواعدنا، مو، بالعبرانية، الماء، وشى، بمعنى الشجر فقبلت شين المعجمة، سينا في العربية و إنما سمّي به لأنّ الله جعله في التّابوت،

حين خافت عليه، وألقته في البحر، فدفعته أمواج البحر، حتى أدخلته بين أشجار، عند بيت فرعون، فخرجت جوارى آسية، امرأة فرعون يغسلن، فوجدن التابوت، فأخذنه، فسمى باسم المكان الذي أصيب به وهو الماء والشجر، ونسبه موسى بن عمران ابن يصهر بن فاهث ابن لاوى ابن يعقوب إسرائيل الله ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام؛ «أزْبَعِينَ لَيْلَةً»: على حذف المضاف، امره الله تعالى بصوم ثلثين و هو ذو- القعدة ثم زاد عليه عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي، لأنها غرر الشهور، وشهور العرب، وضعت عليها سير القمر ولذلك وقع التاريخ بها، فالليالي، أول الشهور، والأيام تبع لها، أو لأن الظلمة اقدم من الضوء؛ «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ»: وهو ولد البقرة، بتسويل السامري، إلهها ومعبودا «مِنْ بَعْدِهِ»: أى من بعد مضيئه من الميقات؛ «وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ»: باشراككم ووضع عبادة الله، في غير موضعها، قال ابن عباس: كان السامري رجلا صانعا من اهل باجرمى، اسمه ميحا وقيل موسى بن ظفر و كان من قوم يعبدون البقر، و كان حبّ عبادة البقر في نفسه، و كان اظهر الإسلام في بني إسرائيل، فلما قصد موسى عليه السلام الى الميقات خلف هارون في بني إسرائيل، قال هارون لقومه، قد حملتم أوزارا من زينة القوم، يعنى آل فرعون، فتطهروا منها، فأتها نجس و كانوا استعاروا من القبط حلّيا، فقال هارون: تطهروا انفسكم منها، فأتها نجسة وأوقد لهم نارا، فقال اذفوا بما كان معكم فيها، فجعلوا يأتون بما كان معهم، من تلك الامتعة والحلى، فيقذفون به فيها، قال: و كان السامريّ، رأى اثر فرس جبرئيل، فأخذ ترابا من تراب حافره، ثم اقبل على النار وقال لهارون: يا نبي الله القى ما في يدي، قال نعم و هو لا يدري ما في يده، و يظنّ انّ ما في يده ممّا يجيئ به غيره من الحلّي و الامتعة، فكدف فيها وقال: كن عجلا جسدا له خوار! فكان البلاء و الفتنة! فقال: هذا إلهكم و إله موسى، فعكفوا عليه! فاحبوه حبّا لم يحبّوا مثله شيئا قطّ!!

قال ابن عباس: فكان البلاء ولم يزد على هذا؛ قال الحسن: صار العجل لحما و دما، وقال غيره: لا يجوز ذلك، لأنه من معجزات الأنبياء، و من وافق الحسن، قال: انّ القبضة من اثر الملك، كان الله قد جرى العادة بأنّها إذا طرحت على اى صورة، كانت حيّيت، فليس ذلك بمعجزة إذ سبيل السامري فيه سبيل غيره و من لم يجز انقلابه حيّا، تأوّل الخوار، على ان السامري صاغ عجلا و جعل فيه خروقا، يدخل فيه الريح، فيخرج منه صوت كالخوار، و دعاهم الى عبادته، فأجابوه! و عبده! عن علي للجبائي.

[سورة البقرة (2): آية 52]

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52)

اى: محونا جريمتكم، حين تبتم من بعد الاتخاذ، الذي هو متناه في القبح و لم نعاجلكم بالعذاب و الإهلاك، بل أمهلناكم الى مجيء موسى، فينبهكم بكفارة ذنوبكم؛ «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»: لكي تشكروا نعمة العفو و تستمروا بعد ذلك على الطاعة.

[سورة البقرة (2): آية 53]

وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53)

اى: و اذكروا وقت اعطائنا موسى، الكتاب، و هو التوراة و الفرقان، قال ابن عباس: انّ المراد به التوراة ايضا، و أنّما عطف عليه لاختلاف اللفظين، مثل قولهم:

و الفى قولها كذبا و مينا: و المين هو الكذب- و قيل: الكتاب، التوراة، و الفرقان، انفراق البحر، او الفرق بين موسى و أصحابه المؤمنين، و بين فرعون و أصحابه الكافرين، أو الفرقان: بعض التوراة، الذي فيه الحلال و الحرام، و ذلك أنّه لما رجع موسى و وجدهم على عبادة العجل، ألقى الألواح، فرفع من جملتها ستة أجزاء، و بقي جزء واحد، و هو الحلال و الحرام و ما يحتاجون و احرق العجل و ذراه في البحر، فشرّبوا من مائة حنّا للعجل، فظهرت على شفاههم صفرة، و رمث بطونهم، فتابوا، و لم تقبل توبتهم، دون ان يقتلوا أنفسهم

[سورة البقرة (2): آية 54]

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِيَّاكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتَوَبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54)

، و ذلك قوله:

و اذكروا يا بني إسرائيل «إِذْ قَالَ مُوسَىٰ وَقَدْ قَوْلَهُ لِقَوْمِهِ، الَّذِينَ عَبْدُوا الْعِجْلَ «يَا قَوْمِ»: اى: يا قومي و الاضافة للشفقة؛ «إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ» و ضررتم انفسكم بايجاب العقوبة عليها بسبب «اتخاذكم العجل» معبودا، قالوا اى شي ء نصنع، قال (فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِنِكُمْ) فاعزموا على التوبة، و الفاء للسببية، لأنّ الظلم سبب للتوبة، فارجعوا الى خالقكم و من خلقكم برينا من العيوب و النقصان و أنتم من الجهالة و الغباوة، بحيث تركتم عبادة مثل هذا الخالق و عبدتم البقر، الذي هو مثل في الغباوة و انّ من لم يعرف حقوق منعمه، حقيق بأن تستردّ النعمة منه و لذلك أمروا بالقتل و فكّ التركيب و انفصال نعمة الحيوة؛ فقالوا كيف نتوب؟ قال: «فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» اى: ليقتل البري ء، المجرم، فأوحى الله الى موسى انّ توبة المرتد لا تتم إلا بالقتل «ذَلِكَ» اى: التوبة و القتل «خَيْرٌ لَّكُمْ» انفع لكم عند الله، لأنّ القتل و صلة الى الحيوة الأبدية و طهرة من الشّرك.

انفصالي اتصالش در عقب اتصال منفصل باشد تعب

«فَتَابَ عَلَيْهِمْ» اى: ففعلتم ما أمرتم به، فتاب عليكم و قبل توبتكم و انما قال عليكم مع ان الضمير لاسلافهم، لما انّ هذا الأمر من النعم العظيمة و أريد التذكير بها للمخاطبين بانّ هذه النعمة شملتكم، لأنّه رفع ذلك الأمر عنهم قبل فنائهم بالكلية فلو لم يرفع القتل عن آبائهم، لما وجد الأبناء، فحسن الخطاب؛ و معنى اقتلوا انفسكم: لأنّ المؤمنين كنفس واحدة، أو يكون معناه استسلموا للقتل و جعل استسلامهم للقتل، قتلا منهم لأنفسهم، على وجه التوسع؛

ص: 166

روي أنّ موسى، أمرهم ان يقوموا صُفّين، فاغتسلوا و لبسوا أكفانهم و جاء هارون باثنى عشر الفا ممّن لم يعبدوا العجل و معهم الشفّار المرهفة و كانوا يقتلونهم، فلما قتلوا سبعين ألف قتيل و كان موسى و هارون، واقفين، يدعو ان الله و يتضرّعان اليه- و هم يقتل بعضهم بعضا، حتى نزل الوحي، برفع القتل و قبلت توبة من بقي؛ قال ابن جريح: السبب في أمرهم بقتل أنفسهم، أنّ الله علم أنّ ناسا منهم، ممّن لم يعبد العجل، لم ينكروا عليهم، مع علمهم بأنّ العجل باطل، فلذلك ابتلاهم بأن يقتل بعضهم بعضا، و إنّما امتحنهم الله، بهذه المحنة، لكفرهم بعد الآيات العظام؛ «إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» اى: قابل التوبة عن عباده، مرّة بعد اخرى، أو معناه: قابل التوبة عن الذنوب العظام، «الرَّحِيمُ»: إذا تبتم و في هذه الآية دلالة، على أنّه، يجوز ان يشترط في التوبة سوى التّدم ما لا يصحّ التوبة، إلّا به، كما أمروا بالقتل؛ أقول: لما وصلت الى نقل بيان هذه الآية، رأيت جماعة ضالّة، من أمة محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم عدلوا عن دينه و هم أشقى من أولئك اليهود، لأنّهم رضوا بقتل أنفسهم، في قبول توبتهم، و بذلوا بأعز ما عندهم و هو النفس؛ و لا يرغب الواحد ممّا، في التوبة بما هو أسهل من توبتهم بدرجات، فهم اقدموا و تابعوا مع هذا الحكم الشديد. و نحن و لينا مدبرين و جسرنا معرضين، مع هذه السهولة، في حكم توبتنا، فان قلت أنّهم كفروا، فرضوا في توبتهم، بقتل أنفسهم، ليتخلّصوا من العذاب الدائم، بخلاف الامة المرحومة، فالجواب: أنّ القرآن مشحون بما أوعد الله فيه على الكبائر، بالنار، هب، ان لم تكفر، لم تكن مخلّدا، لكن كيف تتحمل عذاب احقاب من الزمان، على أنّ ملكات بعض المعاصي الخبيثة، يوجب ذهاب الايمان، و ليس إيماني و إيمانك سدّ اسكندر و مآرب و معدلك، فقد خرب سدّ مآرب فارة و إنّما يكفى في ذهاب إيماني و إيمانك خطرة، واحدة، مع الثبات و التردد، على تلك الواحدة، و هذا كلّه إذا كانت المعاصي، من جنس الفسوق، امّا إذا كانت المعصية، مستلزمة لذهاب الايمان

و الإسلام و تشييد الكفر، بل يكون ذلك الأمر و تلك المعصية، عدّة موجبة، لتعطيل احكام القرآن و دروسها، المقدم على مثل هذه الأمور، يقال له فاسق، أم يقال له مضلّ، و يرتدّ عن الإسلام، ثمّ أنّه، هل يكفى، في حقّه، مجردّ الندم، أم عليه ردّ ما أفسده باقدامه، و معلوم أنّ تكليف الإصلاح و الرد، متوقف على القدرة و الإمكان و هو لا يمكنه فالجواب: راجع الى مسألة الامتناع بالاختيار، لا ينافي الاختيار و على كلّ التقادير، فلا بدّ و ان المرتكب في مثل هذه الأمور، لا اقلّ أن يرجع عن هذه المسالك الخبيثة و لا يكفيه الرجوع، باستنكاره في القلب، بل لا بدّ و ان يظهر إنكاره و يبيّن قبحه، حتى يكون متداركا في الجملة و يصحّ عليه صحّة السلب، في دخوله في العنوان و إلا لما كان تائبا، لأنّ التدارك، لا بدّ منه في التوبة، ثمّ انّ الرد و الإصلاح في مثل هذه الأمور، التي وجود نسخ القرآن و ضعف الإسلام، بل نفى الإسلام مسبب عنها، هل يشترط فيه الأمن، من الضرر، للذي أحدث مثل هذه الأمور، أم لا، كما اشترط هذا الشرط في المعارف و المنكرات مطلقا، ثمّ لو سلّمنا، أنّ الأمن من الضرر، في مثل هذه الأمور، التي توجب نسخ القرآن، او الزام التّاس، بالعمل بغيره، كالمشروطيّة مثلا هل هو، جار، في تمام طبقات الناس، من غير فرق، بين الجاهل و العالم، بحيث لا يجب على العالم إنكاره، حيث لم يأمن الضرر على نفسه، لم يخصص هذا العالم و أمثاله، بتخصيصات في الحكم، لمقتضيات مصالح الإسلام، فالمسألة غامضة جدّا، خصوصا إذا كان العالم، مطاعا في الإسلام و مستتبصرا في الفساد، فإذا لم يأمن الضرر على نفسه، او قطع وجود الضرر على نفسه، فهل هذا الحكم يعمّه، بحيث تكون نفسه محفوظة، و القرآن ضائعا، أم أنّ التخصيص، يخرج عن هذا الحكم، او عليه بأن يبذل مهجته في دين الله؛ وقد حيرني سكوت بعض العارفين بأمر المبتدعة و لا يمكن ان يتصوّر أنّهم توقّفوا في ادلّة التعادل و التراجيح، بين حفظ نفوسهم و الإسلام، مع أنّ القاعدة في التراحم، ملاحظة الرجحان، فلا بدّ ان أقول: ان السرف في هذا الأمر، قد اختفى عليك أيّها الجاهل، في حيرتك، الى ان يذهب جلّ القرآن و يضيع عنوان الإسلام، و بالجملة:

فتب الى ربك، ايها العاصي و ايها الكافر، فانك قد وقعت في زمان، يسهل عليك التوبة، هذا إذا كان المقدم على هذا الأمر، غير عالم بفساده و يكون في دعواه صادقا، بأن أراد ان يكون خلافا، فصار نباذا، لكن لو كان عالما بمفسدته، انى يكون له التوبة، و هيهات كما يفصح عن هذا الحكم، حديث ذلك العالم الإسرائيلي و لا تكن شرًا من اليهود، فانّ اليهود لَمَّا أمرهم، موسى، بالقتل قبلوا قوله و قالوا: نصبر لأمر الله، فجلسوا مخبتين، مدعين؛ و قيل لهم: من حلّ حياته، او مدّ طرفه الى قاتله، او اتقاه بيده او رجله، فهو ملعون، مردود توبته، فقبلوا، فاصلت القوم عليهم السيوف و الخناجر و حملوا عليهم و ضربوهم بها؛ و كان الرجل، يرى ابنه و أباه و أخاه و قرينه و جاره، فلم يمكنهم المضيّ لأمر الله، قالوا يا موسى، كيف نفعل؟! فأرسل الله سبحانه، سoudاء، لا يبصر بعضهم بعضا، فكانوا يقتلونهم الى المساء، فلمّا كثرت القتل دعا موسى و هارون و بكيوا و قالوا: يا ربّ هلكت بنو إسرائيل، البقيّة البقيّة، فكشف الله السحابة و نزلت التوبة و أمرهم أن يكفّوا عن القتل، فقتل منهم، سبعون الفا، فكان من قتل شهيدا و من بقي، مغفورا.

و روى: أنّ الأمر بالقتل، من الأغلال التي كانت عليهم و هي من التكاليف الشاقّة عليهم من لزوم الغلّ في أعناقهم، كقطع الأعضاء الخاطئة و مثل عدم جواز صلاتهم في غير المساجد و عدم التطهير بغير الماء و منع الطيبات عنهم بالذنوب و كون الزكاة، ربع مالهم و كتابة ذنب الليل، على أبوابهم بالصبح.

و قد روى: أنّ بنى إسرائيل، إذا قاموا، يصلّون، لبسوا المسوخ و غلّوا أيديهم الى أعناقهم و ربّما ثقب الرجل ترقونه و جعل فيها طرف السلسلة و أوثقها الى سارية المسجد و حبس نفسه على العبادة، فهذه الأغلال، التي كانت عليهم و قد رفعها الله، عن هذه الامّة تكريما للنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و أعظم جميع نعم الله، على هذه الامّة المرحومة، بعد نعمة محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، نعمة التوبة، التي أنعم الله بها، عليهم و لها مراتب، فأقلّ مرتبتها ترك المنهيات و القيام بالواجبات و قضاء الفوائد و ردّ الحقوق و الاستحلال من المظالم و الندم على ما

جری و العزم على عدم العود؛ قال اهل المعنى: ان لكل قوم عجلا يعبدونه من دون الله، فقوم يعبدون عجل الدراهم و الدنانير و قوم يعبدون، عجل الكبر و الحسد و قوم يعبدون، عجل لجاه و قوم يعبدون، عجل الهوى و هذا القسم الأخير، رئيس الأقسام الثلاثة الاول و كلها مندرجة في هذا الأخير.

[سورة البقرة (2): آية 55]

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)

قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْتُمْ» اى: و اذكروا يا بنى إسرائيل، وقت قول السبعين من اسلافكم الذين اختارهم موسى، حين ذهبوا معه الى الطور، للاعتذار عن عبادة العجل و هم غير السبعين الذين اختارهم موسى، أول مرة، حين أراد الانطلاق الى الطور، بعد غرق فرعون، لإتيان التوراة و ذلك لأنهم قالوا «يا موسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ»: و لن نصدقك، لأجل قولك و دعوتك، على أن هذا كتاب الله و انك سمعت كلامه؛ «حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» اى: عيانا لا- ساتر بيننا و بينه، كالجهر في الوضوح و الانكشاف، لأنّ الجهر في المسموعات و المعاينة في المبصرات، و نصبها على المصدرية اى نرى الله مجاهرا بفتح الهاء، او نرى الله مجاهرين، على انه حال من الفاعل، «فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ»: هي نار محرقة، فيها صوت نازلة من السماء و هي امر هائل، مميت او مزيل للعقل و الفهم، تكون صوتا، او نارا و غير ذلك و انما أحدثت الصاعقة، لسؤالهم ما هو مستحيل على الله، لفرط العناد و التعنت، «وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» الصاعقة النازلة و قيل معنى جهرة، صفة لخطابهم لموسى انهم جهروا بهذه القول الفاسد و أعلنوه و المعنى الأول أقوى.

[سورة البقرة (2): آية 56]

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56)

و كانت تلك لهم، كالمسكنة لغيرهم و لما كانت تلك الموتة، قبل انقضاء آجالهم، أحياهم ليستوفوا بقيّة آجالهم و أرزاقهم و لو ماتوا بآجالهم، لم يبعثوا الى يوم القيمة

وذلك قوله «ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ» اى احييناكم «مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ» بتلك الصاعقة «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» نعمة الحيوة، بالتوحيد والطاعة و تشكرون وقت مشاهدتكم بأس الله بالصاعقة، فلا تعودون الى اقتراح مثل هذه الأمور، بعد ظهور المعجزات و اصل القضية ان موسى عليه السلام لما رجع من الطور الى قومه و رأى قومه، ما هم عليه من عبادة العجل، و قال لأخيه و السامري ما قال و احرق العجل و ندم القوم على ما فعلوا، امر الله موسى ان يأتيه في ناس من إسرائيل، يعتذرون من عبادة العجل، فاختر موسى سبعين من قومه، من خيارهم، فلما خرجوا الى الطور، قالوا لموسى، سل ربنا، حتى يسمعنا كلامه، فسأل موسى ذلك فأجابه الله، و لما دنا من الجبل، وقع عليه عمود من الغمام و تغشى الجبل كله، و دنا من موسى ذلك الغمام، حتى دخل فيه و قال للقوم، ادخلوا، فكلم الله موسى، يأمره و ينهاه و كلما كلمه تعالى، أوقع على جبهة موسى، نورا، ساطعا، لا يستطيع احد من السبعين، النظر اليه و سمعوا كلامه تعالى، مع موسى، افعل و لا تفعل، فعند ذلك طمعوا في الرؤية و قالوا، ما قالوا، فأخذتهم الصاعقة، فخرّوا صعقين، ميّتين، يوما و ليلة، فلما ماتوا، جعل موسى، يبكى و يتضرّع، رافعا يديه، يدعو ويقول: يا إلهي، اخترت من بني إسرائيل، سبعين رجلا، ليكونوا شهودا، بقبول توبتهم و ماذا أقول لهم، إذا أتيتهم و قد أهلكت، لو شئت أهلكتهم قبل هذا اليوم مع اصحاب العجل، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ فلم يزل، يناشد ربه، حتى أحياهم الله؛ و طلب توبة بني إسرائيل، من عبادة العجل، فقال الله، لا، إلا أن يقتلوا أنفسهم، قالوا ان موسى، سأل الرؤية، في المرة الاولى، في الطور و لم يمت، لأن صعقته، لم يكن موتا و لكن غشيته غشية، بدليل قوله تعالى: فلما أفاق؛ و سئل قومه، في المرة الثانية، حين خرجوا، للاعتذار، و ماتوا و ذلك لأن، سؤالهم، سؤال افتراء و تكذيب و سؤال موسى، كان عن لسانهم، أو عن اشتياق و استرشاد.

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمْنَا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57)

«وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ» اى: و من أنعامنا عليكم، يا بني إسرائيل، ان ظللنا عليكم و جعلنا الغمام، ظلّة عليكم و هذا جرى في التيه، بين المصر و الشام، فأنهم حين خرجوا من مصر و جاوزوا البحر، وقعوا في صحراء، لا أبنية فيها، أمر الله بدخول مدينة الجبارين و قتالهم، فقبلوا، فلما قربوا منها، سمعوا، بأن أهلها، جبارون، أشداء، قامة أحدهم، سبعمائة ذراع، و نحوها، فامتنعوا و قالوا لموسى: اذهب أنت و ربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون، فعاقبهم الله، بأن يتيهوا في الأرض، أربعين سنة و كانت المفازة و التيه، اثني عشر فرسخا، فأصابهم، حرّ شديد و جوع مفرط، فشكوا الى موسى، فرحمهم الله، فأنزل عليهم عمودا من نور، يدلى لهم، من السماء، فيسير معهم، بالليل يضيئ لهم، مكان القمر، إذا لم يكن قمر و أرسل غماما ابيض رقيقا، أطيب من غمام المطر، يظللهم من حرّ الشمس، في النهار و سمي السحاب غماما، لأنه يغمّ السماء و يسترها و الغم، حزن يستر القلب.

ثم سئلوا، موسى، الطعام، فدعا ربّه، فاستجاب له و هو قوله: «وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ» اى: الترنجيين، كان ابيض، مثل الثلج، كالشهد المعجون بالسمن و قيل: المنّ، الذي يعرفه الناس، يسقط على الشجرة، عن ابن عباس، و قيل: انه الخبز المرقق، عن وهب، و قيل: المنّ جميع ما أنعم الله و منّ به، على عباده، من غير تعب و لا زرع و منه قوله الكماة من المنّ، و ماؤها شفاء للعين؛ قالوا: يا موسى، قتلنا هذا المنّ، بحلاوته، فادع لنا ربك، ان يطعمنا اللحم، فأنزل الله عليهم، السّلوى، و ذلك قوله: «وَ السَّلْوَى هُوَ السَّمَانِي كَانَتْ تَحْشِرُهُ عَلَيْهِمُ، الرِّيحُ الْجَنُوبُ، وَ كَانَتْ الرِّيحُ تَقْطَعُ حَلُوقَهَا وَ تَشَقُّ بَطُونَهَا وَ تَمْلَطُ شَعُورَهَا وَ رِيَشَهَا وَ كَانَتْ الشَّمْسُ تَنْضُجُهَا، فَكَانُوا يَأْكُلُونَهَا مَعَ الْمَنَّاءِ، لَكِنْ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ، عَلَى أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَهَا، فَيَذَبُحُونَهَا، فَكَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءُ، نَزُولَ الثَّلْجِ، مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ

الشمس، و تأتيهم السلوى فيأخذ كل إنسان منهم كفايته الى الغد، إلا يوم الجمعة، يأخذ ليومين، لأنه لم يكن ينزل يوم السبت، لأنه كان يوم عبادة، فإن أخذ أكثر من ذلك، دود وفسد؛ «كُلُوا» اى: قلنا لهم كلوا «مِنْ طَيِّبَاتٍ»: حلالات «ما رَزَقْنَاكُمْ»: من المنّ و السلوى و لا ترفعوا منه، شيئا، ادّخارا و لا تعصوا امرى، فرفعوا و جعلوا اللحم، قديدا، مخافة ان ينفد و لو لم يرفعوا، لدام عليهم ذلك، و الطيب ما لا يعاقه الطبع و لا يكرهه الشرع «و ما ظَلَمُونَا»: و ما بخسوا بحقنا؛ «و لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»: بأن كفروا بالنعمة الجليلة، و باستيجابهم العذاب و قطع مادة الرزق، الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة و مشقة، في الدنيا و لا حساب في العقبى.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لو لا بنوا إسرائيل، لم يخبث الطعام و لم يخبز اللحم و الحاصل:

فبعد ان أدبهم الله، بسوط الغربة، في وادي التيه، أدركهم بالرحمة، في وسط الكربة و أكرمهم بالأنعام و ظلّلهم بالغمام و منّ عليهم بالمنّ و سلّاهم بالسلوى، فلا شعورهم كانت تطول و لا اظفارهم كانت تثبت و لا ثيابهم كانت تخلق، او تدرن، بل كانت تنمو صغارها، حسب نمو الصغار و الصبيان و لا شعاع الشمس ينسط و كذلك سنة الله تعالى، بمن حال بينه و بين اختياره بكون ما اختاره خيرا له، ممّا اختاره العبد، لنفسه و معدلك، ما ازدادوا بشؤم هواهم، إلا الوقوع في البلوى، كما يحكى عنه، قوله، و ما ظلمناهم الآية؛ قال اهل التحقيق، من علماء الأخلاق، في كتاب التنوير و ما أدخلك الله فيه، تولى اعانتك عليه، و ما دخلت فيه بنفسك، و كلك اليه و الكاملون من أهل السلوك، كانوا يخافون من النعمة، حذرا من ان تكون نعمة الاستدراج، او محنة، فمن ذلك، كان بعضهم، يسير في البادية، و قد اصابه العطش، فانتهى الى بئر، فارتفع الماء، الى رأس البئر، فرفع رأسه الى السماء و قال: اعلم أنّك قادر و لكن لا اطيق هذا، فلو قبضت لي بعض الاعراب، يصغنى صقعات و يسقيني، شربة ماء، كان خيرا لي.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58)

ذكر سبحانه في الآيات السابقة، نعمة الدنيوية عليهم، كتظليل الغمام، وإنزال المنّ والسلوى وذكر في هذه الآية، نعمة الدينية عليهم، فقال: واذكروا يا بني إسرائيل «إِذْ قُلْنَا» قولنا، لأبائكم، بعد ما أنفذتم، من التيه «ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ» واختلف في القرية، قال جماعة، مثل قتادة وابي مسلم، والربيع أنّها بيت المقدس واستدلوا عليه، بقوله في المائدة «ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» وقيل أنّها مصر وقال ابن عباس و جماعة: أنّها أريحا وهي قرية قريبة من بيت المقدس وقالوا:

لا يجوز ان تكون القرية، بيت المقدس، لأنّ الفاء في قوله: فبدّل الذين ظلموا قولاً يقتضى التعقيب، فوجب ان يكون، ذلك التبديل، وقع منهم عقيب الأمر بالدخول، في حياة موسى و موسى مات في التيه ولم يدخل بيت المقدس، فحينئذ ليس المراد من هذه القرية، بيت المقدس، و أجاب الأولون بأنّه، ليس في هذه الآية، أنّا قلنا لهم ادخلوا هذه القرية، على لسان موسى، او على لسان يوشع، فيمكن ان يكون على لسان يوشع، فيزول الأشكال.

«فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا»: الأمر للاباحة، اى أكلا واسعا هنيئا و أبحنا لكم، فتعيشوا منها، أنّي شئتم بلا مشقّة ولا منع و دخولهم على وجه السكونة و الدوام، لقوله في سورة الأعراف: اسكنوا هذه؛ «وَ ادْخُلُوا الْبَابَ»: اى بابا من أبواب القرية و كان لها، سبعة أبواب و المراد من الباب الثاني و يعرف اليوم، باب حطّة، او باب القبّة، التي يتعبّد موسى و هارون و يصليان مع بنى إسرائيل، إليها؛ «سُجَّدًا» اى ركّعا منحنين، ناكسي رؤسكم بالتواضع، على ان يكون المراد به، معناه الحقيقي و قيل: المراد من السجود، نفس السجود، الذي هو الصاق الوجه، بالأرض، على ان يكون المراد به معناه الشرعي، قال الرازي و هذا بعيد، لأنّ الظاهر، يقتضى وجوب الدخول، حال السجود، فيمتنع ذلك، و المعنى الأول، أولى و أقرب؛

«وَقُولُوا حِطَّةً»: قرء الحطة بالرفع، خبر لمبتدأ محذوف، اى: مسألتنا، من الله، حطّ ذنوبنا و مغفرتنا و قرء بالنصب، اى: الهنا حطّ عتّا، ذنوبنا، حطّة و قيل:

معناه، أمرنا حطّة، اى: أمرنا، ان نحطّ رحالنا، في هذه القرية و نقيم بها و قيل:

أريد بالحطّة، كلمة الشهادة، اى: قولوها و هي الحاطّة للذنوب، لكن الأكثرين، على انّ، معنى قوله، و قولوا حطّة، امر من الله، بأن يستغفروا و يطلبوا من الله، حطّ ذنوبهم و هذه المعاني، كلّها يصحّ، ان يترجم عنه، بحطّة، لأنّها دواعي المغفرة و حطّ الذنوب، روي عن الباقر عليه السّلام، أنّه قال، نحن باب حطّتكم، انّ عليّ، باب حطّة، التي من دخل، في ولايته، أمن و نجى، قال الصادق عليه السّلام: نحن الأوّلون و نحن الآخرون و في الحديث، انّ عليّ، الاول و الآخر، اى: مرجع الأولياء بدءا و ختما و انّ له الولاية الكلّيّة، في الدنيا و الآخرة و أنّه أول الخلق شرفا و رتبة و إياب الخلق إليه، لأنّه الواسطة في جميع الفيوضات و هذا معنى حديث النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يا جابر أول ما خلق الله، نور نبيّك و عليّ عليه السّلام نفس الرسول؛ قال علي عليه السّلام: أنا الأول، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطن و في معنى هذا الحديث و جوه: الأوّل- أنّه عليه السّلام أوّل من آمن بالنبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم في عالم الغيب و الشهادة من عالم الأنوار و المثال و الأرواح و النفوس و عالم الذرّ الاول و الناسوت، فأنّه عليه السّلام من دعوي و أجاب و أوّل من أجاب نداء جدّه ابراهيم حين ادّٰن للناس بالحج و ايضا أول الأولياء و آخرهم رتبة و وجودا؛ و تمام الأنبياء و الأولياء أنّما خلقوا من أشعة أنوار محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و عن الصادق عليه السّلام عن آبائه قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا علي أنت منّي بمنزلة هبة الله من آدم و بمنزلة سام من نوح و بمنزلة إسحاق من ابراهيم و بمنزلة هارون من موسى و بمنزلة شمعون من عيسى، ألا أنّه لا نبيّ بعدي، يا علي أنت وصيي و خليفتي، فمن جحد وصيّتك و خلافتك فليس منّي و لست منه و أنا خصمه يوم القيامة، يا علي أنت أفضل امتي فضلا و أقدمهم سلما، و أكثرهم علما و أوفرهم حلما و أشجعهم قلبا و أسخاهم كفا، يا علي أنت الامام و الأمير بعدي و الوزير و مالك في امتي من نظير، يا علي أنت

قسيم الجنة و النار، بمحبتك يعرف الأبرار من الفجار، ويميز بين الأخيار و الأشرار و بين المؤمنين و الكفار.

قوله تعالى: «نُغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ»: أصله خطائي، أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف، فاجتمعت همزتان و أبدلت الثانية ياء، ثم قلبت ألفا، و كانت الهمزة بين ألفين، فأبدلت ياء، فصار خطايا مثل بقايا. مجزوم بجواب الأمر. اى: ان فعلتم و أتيتم بما أمرتم به، من الدعاء و طلب المغفرة و الجود، لا نجازيكم بذنوبكم، و نغفو عنكم و هم الذين عبدوا العجل ثم تابوا.

«وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ»: ثوبا من فضلنا، و هم الذين لم يعبدوا العجل، و المحسن من احسن لنفسه و لغيره.

[سورة البقرة (2): آية 59]

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)

«فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا»: اى الذين ظلموا أنفسهم و غيروا ما أمروا به، من التوبة و الاستغفار «قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ»: قولا آخر بما لا خير فيه. روى أنهم قالوا مكان حطة، حنطة، و قيل: قالوا بالنبطية- و هي لغتهم- حطا سمقاتا، يعنون حنطة حمراء، استخفافا بأمر الله، قال بعض اهل التفسير: طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فأبوا ان يدخلوه سجدا، فدخلوا يزحفون على أستاههم مدبرين، مخالفة في الفعل، كما بدّلوا القول، و قالوا: ما شاء موسى ان يلعب بنا، ألا لعب حطة حطة، اى شي ء حطة.

قال ابن عباس: أنهم أمروا بخصوص هذه اللفظة، مع ان هذه اللفظة عربية و هم ما كانوا يتكلمون بالعربية. و قال الآخرون: المراد ان يقولوا قولا دالا على الخضوع و الذلّة و التوبة، مثل هذه اللفظة، حتى أنهم لو قالوا مكان قولهم: اللهم إنا نستغفرك و نتوب إليك، لكان المقصود حاصلا، لأن المقصود من التوبة بالقلب و باللسان، فالقلب الندم و اللسان فذكر لفظ يدل على حصول الندم في القلب و ذلك

«فَأَنْزَلْنَا» عقيب ذلك «عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا»: وغيروا ما أمروا به و لم يقل عليهم لأنّ منهم المحسنين «رَجُزًا مِنَ السَّمَاءِ» اى عذابا، فويل للمبدل، وقد بدلت مصحفا بطنبور، و عسلا بزنبور. اما سمعت قول ابن عباس حيث قال: ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضلّ في الدنيا و لا يشقى في الآخرة. اما سمعت قول الله: انّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم. فحينئذ كيف بدلت الجلدة، بموجبات الحلاوة، من كتاب الله في الزنا و الخمر. و لم بدلت المعروف بالمنكر و المنكر بالمعروف. فان قلت: لا، فلم تؤاخذني إذا وبّخت الزانية، و لا تؤاخذها. و هل التبديل غير هذا. فان تعذرت بالاقتضاء فذلك لو سلّم، ففي ما لا يمكن غير المقتضى بمعنى المفعول و اما فيما يمكن، فليس ذلك إلا خروجا من الدين هذا في الحدود؛ و اما في الحقوق، فعليك بمراجعة كتاب القضاء و الشهادات، حتى تبين لك الأمر من فساد محاكماتك. و أول فسادها، أنّ ما يؤخذ و يسترد من الحقوق بحكمك، فكأنما أخذ بحكم الجبت و الطاغوت، إذا لم يقع التراضي بين المتخاصمين، لأنّك لست أهلا للحكم. و اما مجلسك العالي، فيا لله و الشورى. و قد جعلت أصله المتأصل و أم كتابه، الأكثرية!! فهل كانت مادة من امور الدين او الدنيا أهملها الله في كتابه و سنته، حتّى جعلت حكم تلك المادة برأبي و رأيك و أنّي استغفر الله ممّا طغى به القلم.

و الرجز في الأصل ما يعاف و يستكره، و كذلك الرجس. و المراد في الآية، الطّاعون.

روى أنّه مات في ساعة واحدة، منهم أربعة و عشرون الفا، و دام حتّى بلغ سبعين الفا و في الحديث: الطاعون رجز، أرسل على بنى إسرائيل، او على من بدّل، فإذا سمعتم انّ الطاعون بأرض، فلا تدخلوها، و إذا وقع بأرض و أنتم بها، فلا تخرجوا منها.

قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: الطاعون شهادة لأمتي المؤمنين، و رحمة لهم، و رجس على الكافرين. و من مات من الطاعون، مات شهيدا، و يأمن فتنة القبر، و كذا المبطون و الاستسقاء داخل في المبطون. و عقله لا يزال حاضرا الى حين موته، و كذلك صاحب السلّ

و كذا الغريق، و كذا من يهدم عليه، و صاحب ذات الجنب و الحرق و المرأة الجمعاء، و هي من تموت حاملا، جامعاً ولدها.

وفي الحديث: إذا بخس الكيل، حبس القطر و إذا كثر الزنى، كثر الموت و القتل، و إذا كثر الكذب، كثر الهرج؛ و الحكمة، أنّ الزنى إهلاك النفس، لأنّ ولد الزناء هالك حكما، فلذلك وقع الجزاء بالموت الذريع، لأنّ الجزاء من جنس العمل، كما أنّ بخس المكيال، يجازى بحبس القطر الذي هو سبب لنقص أرزاقهم. و كذلك الكذب سبب التفرق و العداوة بين الناس و لهذا يجازى بالهرج الذي هو الفتنة. و انما تعم البلاء أينما وقعت، لتكون عقوبة على اخوان الشياطين، و شهادة و رحمة للمؤمنين.

سورة البقرة (2): آية 60

وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)

«وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ» اي: اذكروا يا بني إسرائيل، وقت الذي سأل موسى السقيا لأجل قومه. و كان ذلك في التيه، حين استولى عليهم العطش الشديد، فاستغاثوا بموسى، فدعا موسى ربّه ان يسقيهم «فَقُلْنَا» له بالوحي ان «اضْرِبْ بِعَصَاكَ» و كانت من آس الجنة، طولها عشرة اذرع، على طول موسى و لها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا. حملها آدم من الجنة، فتوارثها الأنبياء، حتى وصلت إلى شعيب، فأعطاها موسى.

«الْحَجَرَ»: اللّام للعهد، و الإشارة الى معهود. فقد روى أنّه كان حجرا طورياً، حملة معه. و كان حفيفا مربعا، له اربعة أوجه، في كلّ وجه ثلاث أعين او هو الحجر الذي قرّب بثوبه، حين وضع ثوبه عليه ليغتسل و برأه الله ممّا رموه به من الادرة، فأشار اليه جبرئيل ان ارفعه، فإنّ الله فيه قدرة و لك فيه معجزة.

قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: كان بنو إسرائيل ينظر بعضهم الى سواة بعض، و لكن موسى

يغتسل وحده، فوضع ثوبه على حجر، ففرّ الحجر بثوبه، فخرج موسى بأثره، يقول ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوءة موسى، فقالوا: والله ما بموسى ادره وهي بالضم، نفخة بالخصية. واما للجنس، اى اضرب الشيء الذي يقال له الحجر. وهو الأظهر في الحجّة، و آيين على القدرة، فان إخراج الماء، بضرب من العصا من الحجر اى حجر كان، ادلّ على ثبوت نبوة موسى من إخراج الماء من حجر معهود، لاحتمال ان يذهب الى تلك الخاصية، في ذلك الحجر المعين، كخاصية جذب الحديد في حجر المغناطيس.

«فَأَنْفَجَرَتْ»: و الانفجار- الانسكاب و الانبجاس- الترشح «منه» اى: من ذلك الحجر «أثنتا عشرة عينا»: ماء عذبا، على عدد الأسباط، لكل سبط عين. و كان يضربه بعصاه إذا نزل فيتفجر. و يضربه إذا ارتحل فييس «قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ» اى كل سبط من الأسباط الاثنى عشر «مَشْرَبُهُمْ» اى عينهم الخاصة بهم و المشرب، المصدر و المكان. و الحكمة في ذلك، انّ الأسباط كانت بينهم عصبية و مباهاة. و كل سبط منهم لا يتزوج من سبط آخر و كل سبط أراد تكثير نفسه، فجعل الله لكل سبط مشربا لكيلا يقع بينهم جدال و خصومة. و كانوا ستمائة ألف. و سعة المعسكر، اثنى عشر ميلا، و من أنكر أمثال هذه المعجزات، فلغاية جهله بالله و قدرته، فانه لما أمكن ان يكون من الأحجار، ما يجذب الحديد، لم يمنع أن يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الأرض، أو لجذب الهواء من الجوانب و يجعله ماء بقوة التبريد. و معنى المعجزة ان تكون خارجة عن العاديات و الأسباب، كما ظهر اعجب منها من انفجار الماء من يد نبينا، من بين أصابعه، من لحم و دم؛ «كُلُوا»: اى قلنا لهم او قيل لهم «كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَ لَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ»: العثى، اشدّ الفساد، لأنّ الفساد قد يكون ظاهره فسادا لكن باطنه ليس بفساد، و أما العثى، الفساد القبيح ظاهرا و باطنا. اى لا تتمادوا في الفساد، حالكونكم مفسدين.

وقد استسقى نبينا صلى الله عليه و آله و سلم روى عن جندبه: ان اعرابيا دخل عليه صلى الله عليه و آله و سلم يوم

الجمعة، وقال: يا رسول الله ملكت الكراع والمواشي، واجدبت الأرض، فادع الله ان يسقينا، فرفع يديه، ودعا متدلاً، متواضعاً، متخشعاً؛ قال انس: و السماء كأنها زجاجة، ليس فيها قرعة، فنشأت سحابة و مطرت الى الجمعة القابلة. و ترك الدعاء لكشف الضرّ مذموم عند اهل الطريقة، لأنه كالمقاومة مع الله، و دعوى التحمل لمشاقه. قال ابن الفارض:

و يحسن اظهار التجلد للعدى و يقبح غير العجز عند الأحبة

قال امير المؤمنين عليه السلام: للدعاء شروط، الأول همّ مجموع. و الثاني اخلاص السريرة و الثالث معرفة المسئول و الرابع الإنصاف في المسألة.

روى ان موسى عليه السلام مرّ برجل ساجد يبكي و يتضرع، فقال موسى يا رب، لو كانت حاجة هذا العبد بيدي، لقضيتها، فأوحى الله اليه، يا موسى انه يدعوني و قلبه متعلق و مشغول بغنمه، فلو سجد حتى ينقطع صلبه و شق عيناه، لم استجب له حتى يتحوّل عما ابغض الى ما أحب.

قال النبي صلى الله عليه و آله و سلّم: انّ العبد ليرفع يديه الى الله و مطعمه حرام و ملبسه حرام، فكيف يستجاب له و هذه حاله؛ قال امير المؤمنين عليه السلام: لو أنّ الناس إذا زالت عنهم النعم، و حلّت بهم النقم، فزعوا الى الله بصدق تياتهم، و وله من نفوسهم، لردّ عليهم كل شارد، و لأصلح لهم كلّ فاسد و لأصلح لهم كلّ فاسد، و لكنّهم اخلّوا بشكر النعم، فسلبوها و ان الله يعطى بشرط الشكر لها و القيام فيها بحقوقها، فإذا اخل بالشكر، كان لله التغيير و التفتير. و الله ما نزع الله من قوم نعماءه، إلا بذنوب اجترحوها، فقيّدوها بالطاعة و اقرب الناس الى الاجابة، الطائع المضطرّ، الذي لا بدّ له ممّا سئله، خصوصاً عند نفاذ الصبر.

و اعلم، انّ كرمه و جوده لا يتعدّيان حكمته، قال الله: و لو اتّبع الحق اهوائهم لفسدت السموات و الأرض و من فيهن، سبحانه من عطائه كرم، و منعه عدل و فضل، و لا ييأس العبد من تأخير الإجابة، فيقصر في الدعاء. و قد كان بين اجابة موسى و هارون، في فرعون، أربعين سنة، من حين قال لهما: قد أجيبت دعوتكما.

قال الصادق عليه السلام: آداب الدعاء: تبدأ وتذكر نعمه عندك، ثم تشكره، ثم تصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم تذكر ذنوبك خائفاً، ثم تستغفروا الله منها، ثم تطلب حاجتك.

قال تعالى: [سورة البقرة (2): آية 61]

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَصَدْرَتْنَا عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)

«وَإِذْ قُلْتُمْ»: تذكير جنائية اخرى لاسلافهم، وكفرانهم بنعمة الله. خاطبهم تنزيلا لهم مكان آبائهم، لما بينهم من الاتحاد في الطريقة. و كان هذا القول منهم في التيه، حين سئموا من أكل المن والسلوى، لأنهم تذكروا عيشهم الأول بمصر، لأنهم كانوا اهل فلاحه، و اشتاقت طباعهم الى ما جرت عادتهم، فقالوا «يا موسى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ»: و كنوا عن المن والسلوى بطعام واحد، و هما اثنان، لأنهم كانوا يأكلون أحدهما بالآخر، فيصير ان طعاما واحدا، او أريد بالواحد، نفى التبدل و الاختلاف و لو كان على مائدة ألوان عديده، يداوم عليها، فقال لا يأكل فلان إلا طعاما واحدا «فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ» اى سله «يُخْرِجْ لَنَا»: و يظهر لأجلنا، و الجزم لجواب الأمر اى ان تدع لنا ربك، يخرج لنا «مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» و- من- تبعيضية- و ما- موصلة «مِنْ بَقْلِهَا» و البقل ما نبت الأرض، من الخضر. و المراد اصناف البقول، التي تأكلها الناس كالكرات و النعناع و الكرفس و أشباهها و «قِثَّائِهَا» من انواع الخيار و «فُومِهَا» قيل: هو الحنطة، لأن ذكر العدس، يدل على أنه المراد، لأنه من جنسه، و قيل هو الثوم، لأن ذكر البصل يدل على أنه هو المراد، فإنه من جنسه. قال ابن التمجيد: و حمله على الثوم أوفق من الحنطة و «عَدَسِيهَا»: حب معروف يستوي كيله

ووزنه «وَبَصَّ لَهَا»: بقل معروف، تطيب به القدور، «قال»: استيناف وقع عن سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا قال الله لهم او موسى، فقيل إنكارا عليهم، «أَتَسَّ تَبْدُلُونَ» اى تأخذون و تختارون لأنفسكم، «الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ اى أدون مرتبة؛ إذا قرأ ادنا مهموزا. و إذا قرأنا قصرا، اى اقرب و أخط منزلة؛ «بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ»: اى بمقابلة ما هو خير، كما ان خيرية المن و السملوى في اللذاذة و سقوط المشقة بالنسبة الى العدس و البصل واضحة «اهبطوا» و انزلوا من التيه، ان كنتم تريدون هذه الأشياء «مصرراً» من الأمصار، لأنكم في البرية و لا فيها ما تطلبون، و انما يوجد ذلك في الأمصار و ليس المراد بمصر، مصر فرعون، لقوله: يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة و إذا وجب عليهم دخول تلك الأرض، لكن قال الحسن و الربيع: أراد مصر فرعون، الذى خرجوا منه قال ابو مسلم: أراد بيت المقدس «فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ»: و المصر البلد العظيم، من مصر الشيء: اى قطعه، سمى به لانقطاعه عن الفضاء، بالعمارة و انما صرف، لسكون وسطه، كهند و نوح، او لتأويله بالبلد دون المدينة «وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ» و الهوان «وَالْمَسْكَنَةُ»: اى الفقر: اى جعلنا محيطين بهم، احاطة القبة بمن ضربت عليه، او المعنى بتعبير الضرب، انه الصقنا بهم و جعلنا ضربة لازب لا تنفك عنهم، مجازاة على كفرانهم كما يضرب الطين على الحائط، فهو استعارة بالكناية. فترى اكثر اليهود و ان كانوا مياسير كأنهم فقراء «وَبَاؤُا»: اى رجعوا «بِغَضَبٍ» عظيم كائن «مِنَ اللّٰهِ» استحقوه و لزمهم ذلك. و اطلاق الغضب في حق الله، المراد لازم الغضب، و هو العقوبة «ذَلِكَ» اى البوء بالغضب العظيم «بِأَنَّهُمْ» بسبب ان اليهود «كَانُوا يَكْفُرُونَ» على الاستمرار «بِآيَاتِ اللّٰهِ» و المعجزات الساطعة على موسى، مما عدّا و لم يعدّ، و كذبوا بالقرآن و بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم و أنكروا صفته، و كفروا بعيسى و الإنجيل «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ» كشعيب و زكريا و يحيى عليهم السلام و فائدة التقييد مع ان قتل الأنبياء يستحيل ان يكون بحق، للإيدان بانّ ذلك عندهم ايضا بغير الحق.

قال ابن عباس: لم يقتل قطّ من الأنبياء، إلا من لم يؤمر بقتال. و ذلك القتل كرامة لهم و ليس بخذلان لهم. و كلّ امر بقتال، نصر. فظهر ان لا تعارض بين قوله: و يقتلون

النبيين بغير الحق، وقوله: إنا لننصر رسلنا، وقوله: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون، مع أنه يجوز ان يراد، به النصره بالحجة والبرهان، لا بالسيف والسنان «ذلك»: اي ما ذكر من العذاب والبوء بالغضب والذلة؛ «بما عصوا و كانوا يعتدون»: اي فعلت لهم ما فعلت، بعضيهم امرى و تجاوزهم عن حدودي. وقوله ذلك بما عصوا، فهو تأكيد بتكرير الشيء بغير اللفظ الأول، و بيان استمرارهم في العصيان.

وفي الآية الكريمة دليل و بيان على جواز أكل الطيبات و المطاعم المستلذات و كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم يحب الحلوى و العسل و يشرب الماء البارد. و العدس و الزيت طعام الصالحين. في الحديث: عليكم بالعدس، فإنه مبارك، مقدس و أنه يرقق القلب و يكثر الدمعة، بارك فيه سبعون نبيا، آخرهم عيسى بن مريم عليه السلام، و لو لم يكن فيه فضيلة غير ان ضيافة ابراهيم الخليل من مآدبته لا تخلو منه، لكان فيه كفاية و هو يخفف البدن فيخف للعبادة، و لا تثور منه الشهوات و لهذا السبب كان رغبة الأنبياء فيه اكثر من غيره.

و كذلك في الآية دلالة على اباحة أكل البصل و الثوم و ما له رائحة كريهة. في الحديث: من أكل الثوم و البصل و الكراث فلا يقر من مسجدنا، فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم. و المراد بالملائكة، الحاضرون مواضع العبادات، لا الملازمون للإنسان في جميع الأوقات. و يمكن ان الملازمين ايضا يتأذون، فلا وجه للتخصيص قال صلى الله عليه و آله و سلم: ان كنتم لا بد لكم من أكلها، فاميتها طبخا- و انما كره النبي صلى الله عليه و آله و سلم أكل الثوم و البصل و غيره، لما أنه يأتيه الوحى و يناجى الله، و لكن رخص للسائر حتى قيل:

آخر ما اكله النبي صلى الله عليه و آله و سلم البصل، إيذانا لامته بإباحته رجعنا الى التفسير: التذييل يؤتى به لتأكيد معنى الجملة السابقة، مثل جاء الحق الآية، على أنه أراد استمرار كفرهم، قال الشاعر:

لله لذة عيش بالحبيب مضت فلم تدم لي و غير الله لم يدم

و التذييل، تكرار الشيء بغير اللفظ الاول للتأكيد و الثبوت، كما ان هذا المعنى في الاعتراض، لكن في الاعتراض ثبوت تأكيد و معان آخر، مثل التنزيه، مثل و يجعلون

للّٰه البنات- سبحانه- ولهم ما يشتهون. والنكته: تنزيه الله عن هذه النسبة القبيحة. و ايضا فائدة الاعتراض، التنبيه كقوله: ووصينا الإنسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن و حمله و فصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك، فقوله: حملته الى قوله في عامين. معترضة إيجابا و تأكيدا للوصية بالوالدين. و من فائدة الاعتراض. الاستعطف كقول المتنبّي:

و خفوق قلبي لو رأيت لهيبه يا جنتي لرأيت فيه جهنما

استعطف في قوله يا جنتي، و طباق.

[سورة البقرة (2): آية 62]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا»: اختلفوا في هؤلاء المؤمنين في هذه الآية، قيل: المراد منهم، الذين آمنوا بعميسى، ثم لم يتهودوا و لم ينتصروا و لم يصبوا، و انتظروا خروج محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم. و قيل: هم طلاب الدين، منهم حبيب النجار و قيس بن ساعدة و زيد بن عمرو و بن نفيل و ورقة بن نوفل و البراء الشتي و أبو ذرّ الغفاري و سلمان الفارسي و أصحابه النصارى الذين كان قد تنصّر على أيديهم، قبل مبعث الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم. و كانوا قد اخبروه بأنّه سيبعث، و أنّهم يؤمنون به ان أدركوه. و قيل: هم مؤمنوا الأمم الماضية. و قيل: المراد المنافقون الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة، و أنّما عبّر عنهم بذلك، دون تصريح عنوان النفاق، للاشعار بأنّ تلك المرتبة و ان عبّر عنها بالإيمان، لا تجديهم نفعا أصلا، فعلى هذا يكون معنى الآية: انّ الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم من المنافقين و اليهود و النصارى، إذا آمنوا بعد النفاق، و اسلموا بعد العناد كان لهم أجرهم عند ربّهم، كمن آمن في أول استدعائه الى الايمان من غير نفاق. و ذلك أنّ قوما من المسلمين قالوا: انّ من اسلم بعد نفاقه و عناده، كان ثوابه انقص و اجره اقلّ، فأخبر الله بهذه الآية أنّهم سواء في الأجر و الثواب.

«وَالَّذِينَ هَادُوا»: اى صاروا يهوديا و بقوا على دين اليهودية. و اختلف في اشتقاق هذا الاسم، قيل عربى، من هاد، إذا تاب و رجع سموّ بذلك حين تابوا عن عبادة

العجل وخصّوا به، لما كانت توبتهم توبة هائلة- واما لأنّهم سمّوا للنسبة الى يهودا اكبر اولاد يعقوب. وقيل سمّوا بهذا الاسم، لأنّهم إذا جاءهم رسول او نبيّ، هادوا الى ملكهم، فدلوه عليه، فيقتلونه.

«وَ النَّصَارَى : جمع نصران، مثل ندامى جمع ندمان، سمّوا بذلك لأنّهم نصرّوا المسيح، او لأنّهم كانوا معه في قرية، يقال لها ناصرة، فسمّوا باسمها.

«وَ الصَّابِئِينَ»: من صبأ. إذا خرج من الدين. وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الكواكب والملائكة، فكانوا كعبدة الأصنام وان كانوا يقرؤون الزبور وفي روضة العلماء: أنّه جاء أعرابي الى النبي، فقال: لم يسمّى الصابئون، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

لأنّهم إذا جاءهم رسول او نبيّ، أخذوه وعمدوا الى قدر عظيم فاغلوه، حتى إذا كان يحمى صبوه على رأسه حتى يفسخ.

«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ»: اي من آمن منهم ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد، «وَ عَمِلَ» عملا «صَالِحاً» مرضياً عند الله «فَلَهُمْ» بمقابلة تلك. و الفاء للسببية «أَجْرُهُمْ» الموعود لهم «عِنْدَ رَبِّهِمْ» اي مالك أمرهم «وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» عطف على جملة فلهم أجرهم. اي لا خوف عليهم، حين يخاف الكفار، العقاب «وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ» حين يحزن المقصرون على تضييع العمر، لأنّهم تداركوا ما فات منهم ونهوا النفس عن الهوى. أولئك على هدى من ربّهم وهذه الهداية من النعم التكوينية، اعنى الفطري الذي فطر الناس عليها. و الفطري الذي يتعلق به التكليف في العوالم الستة: ثلاثة منها في عالم الغيب، وهو عالم العقل والروح والمثال. و ثلاثة في عالم الشهادة، وهو عالم الذرّ و الطينة و الخلق.

في الحديث: إذا أراد الله بعد خيرا فتح عيني قلبه، فلا يسمع بمعروف الآ عرفه و لا بمنكر الآ أنكره. و المراد من ذلك، مقام المعاينة و مرتبة الشهود القلبي، فانّ للإنسان قوة درّاسة ينتقش فيها حقايق الأشياء، كما في المرأة، إذا كانت صافية، لكنّ القلب المتلبس بالغواشى و العلائق، محروم عن عالم المشاهدة و هو في عماء. و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور. و النفس إذا فنت في الطاعة، تكون ارادتها تابعة لرضى الله

و ترتبط بالفيض، و نور امامه و حجّته، كما قال الله: و جعلنا له نورا يمشى به في الناس، كأنّه يرى الامام بالعين القلبيةّ و يستمدّ منه، و ان غاب عنه في عالم الحسّ و هذا المقام أعلى المقامات، قريب من العلم اللدني. و لا يحصل إلا للخواصّ من الشيعة- رزقنا الله بفضله- و لا يحصل هذا المقام، مع حبّ الدنيا؛ و يحصل لأهل الخوف و الخشية.

سورة البقرة (2): آية 63

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63)

«وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ»: تذكير جنائية اخرى، لأسلاف بنى إسرائيل اى اذكروا يا بنى إسرائيل وقت أخذنا بعهد آبائكم، بالعمل على ما في التوراة و ذلك قبل التيه، حين خرجوا مع موسى من مصر، و نجوا من الغرق «وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ»: كأنه ظلّة حتى قبلتم و أعطيتم الميثاق. و الطور الجبل بالسريانية. و ذلك انّ موسى جاءهم بالألواح، فأرأوا ما فيها من الإجبار و التكاليف الشاقّة، فكبرت عليهم و أبوا قبولها، فأمر جبرئيل، فقلع الجبل من أصله و رفعه و ظلّله فوقهم. و قال لهم موسى: ان قبلتم و الآ القى عليكم، فلما رأوا، ان لا مهرب لهم منها، قبلوا و سجدوا و جعلوا يلاحظون الجبل- و هم سجدوا- لئلا ينزل عليهم. فصارت عادة في اليهود، لا يسجدون الا هم على انصاف و جوههم. و يقولون بهذا السجود رفع عتّا العذاب، ثمّ رفع الجبل، فالجنّوا الى قبوله كارهين، ألا من عصمه الله من العناد، فأنه قبله طائعا، مختارا،- و منهم آمنوا كرها و سجدوا و قلوبهم غير مطمئنّة. و هذا الإلجاء جائز، كالمحاربة مع الكفار؛ و اما قوله لا اكراه في الدين و أمثاله، فمسنوخ بآية السيف و القتال. و من الميثاق الذي أخذ منهم، العمل بالتوراة، و من احكام التوراة، بيان ما فيه من نبوة محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و وصيّة علىّ عليه السّلام و الطيّبين من أولاده، و ان يؤدوا هذا الأمر الى اخلافهم قرنا بعد قرن، فأبوا قبول ذلك و استكبروا و ذلك قوله: ثمّ تولّيتم من بعد ذلك الآية؛ «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ»: اى قلنا لهم خذوا ما آتيناكم من الكتاب بجدّ و عزيمة «وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ»: و احفظوا ما في الكتاب، و لا تنسوه، و لا تغلفوا عنه

«لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»: لكي تكونوا متقين.

[سورة البقرة (2): آية 64]

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64)

«ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ»: اي ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء. قال القفال: تولّوا بأمور كثيرة، فحرفوا التوراة، وتركوا العمل بها، وقتلوا الأنبياء، وكفروا بهم، وعصوا أمرهم. ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله اوائلهم ومنها ما فعله متأخروهم. ولم يزالوا في التيه، مع مشاهدتهم الأعاجيب ليلا- ونهارا، يخالفون موسى ويعترضون عليه ويلقونه بكلّ أذى، ويجاهرون بالمعاصي في معسكرهم ذلك، حتّى لقد خسف ببعضهم، وأحرقت النار بعضهم، وعوقبوا بالطاعون. وكل هذا مذكور في تراجم التوراة، ثم فعل متأخروهم ما لا خفاء به- وكفروا بالمسيح- وهموا بقتله والقرآن. والجملة معروفة؛ «فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ»: من امهالكم وتأخير العذاب عنكم، «لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ»: لكنتم من الهالكين، فدلّ هذا القول على أنّهم خرجوا من هذا الخسران، لأنّ الله تقصّل عليهم بالإمهال حتى تابوا. وقيل في معنى الآية: أنّ الكلام ثمّ عند قوله: ثم توليتم من بعد ذلك، ثم قيل: فلو لا فضل الله رجوعا بالكلام الى أوّله، فيكون معنى الآية: لو لا لطف الله بكم، برفع الجبل فوقكم، لدمتم على ردّكم وانكاركم قبول التوراة، وكنتم كافرين، فلطف بكم بذلك، حتى تبتم وقبلتم وفزتم بسبب التفضل على التوبة والايمان.

مركب توبة عجائب مركب است بر فلك تازد بيك لحظه ز پست

چون برآرند از پشيمانى أنين عرش لرزد از أنين المذنبين

جمله ماضيها از اين نيكو شوند زهر پارينه از اين گردد چو قند

فان كنت في لباس الفسوق، فبدّل لباسك بلباس التقوى، وكن من الطبقة الرابعة فإنّ الناس على اربع طبقات: سعيد بالنفس والروح، وهم الأنبياء والمعصومون- والثانية شقى بالنفس والروح، وهم الكفّار والمصرّون على الكبائر- والثالثة شقى بالنفس

في لباس السعادة، على سبيل العارية، مثل بلعم وبرصيصا و ابراهيم و بعض ما تراه في عصرك و الرابعة سعيد بالنفس في لباس الشقاوة كبلال و صهيب و الثانيين الراجعين عن هوى النفس. و نهوا النفس عن الهوى، فإنَّ الجنَّة هي المأوى. و العبد المذنب شأنه أنه مع التوبة لا يفارقه الخوف. و لو كان في اى طبقة، فخوف المذنبين من العقوبات. و خوف العابدين من فوات الشروط و عدم القبول و خوف العالمين من الشرك الخفى في الطاعات و خوف العارفين من الهيبة و التعظيم. و هذا اشدَّ الخوف لأنَّه لا يزول ابدا، و باقى الأنواع إذا قوبلت بالرحمة سكنت في الجملة. و رأس مال المذنب، الخوف، و هو سدَّ محكم من معاصى الله، إذا كان صادقا. و لمن خاف مقام ربِّه جنَّتان. و اعلم انَّ في جميع ما أمرك المشرِّع صلَّى الله عليه و آله و سلَّم فوائد لا تحصى، حتى في كيفة مشيك و نومك و أكلك، مثل ان أمرك بقلة الأكل. و من الفوائد منها، قلَّة الحدث و دوام الطهارة و خفة النفس للعبادة و قلَّة التعب للمؤنة و صفاء القلب و تيقظ الفطنة و ذهاب التخمة و غنى عن الأدوية و بقاء الصلحة و زيادة نور البصر و تقوية الكبد و طرد الكسل و تنقية الجسد و هكذا هلمَّ جزًا، مثل الجهر بالتكبير و رفع اليدين حتى ينتقل الى الصلاة. فلازم الخوف و اليقين، تكن من المتقين. و لا تقنع فقط بالفريضة، بل اتبعها بالسنة. و أفضل القرب، الفريضة، و بعدها سنة مستفيضة. فكما لا تورق الجذل بدون الفنن، لا يكمل الفرض بدون السنن. ازداد لجوعة القيامة من رواتب الفرائض، و اجعل ادامها و فاكهتها النوافل، فإنَّ الفرض كالقوت و النفل كالحلاوة. و نعم ذلك الحمل و نعمت هذه الحلاوة. ذلك حتم مقضى و هذا ادب مرضى، فمن لزم جادة الفرض و النفل، ملك حظائر الجنان او أكثرها، و ورد سلسيلها و كوثرها.

[سورة البقرة (2): آية 65]

وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65)

خطاب لمعاصري النبي صلَّى الله عليه و آله و سلَّم من اليهود «وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ»: و بالله قد عرفتم يا بنى إسرائيل «الَّذِينَ اعْتَدَوْا» و تجاوزوا الحد ظلما منكم اى اسلافكم «فِي السَّبْتِ» في يوم السبت و جاوزوا ما حدَّ لهم فيه من التجرد للعبادة و اشتغلوا بالصيد. و اصل السبت، القطع، لأنَّ اليهود أمروا بأن يقطعوا الأعمال و يشتغلوا بعبادة الله- و يسمّى

النوم سباتا، لأنّه يقطع الحركات الاختيارية. و حاصل الكلام: انكم تعملون ما أصابهم من العقوبة، فاحذروا كيلا يصبكم مثل ما أصابهم. و القصة فيه: أنّهم كانوا في زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها- أيلة- بين المدينة و الشام، على ساحل بحر القلزم، حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فكان إذا دخل السبت، لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك، أمّا ابتلاء لأولئك القوم، و أمّا لزيارة السمكة التي كان في بطنها يونس، ففي كلّ سبت يجتمعون لزيارتها و تخرجن خراطيمهن من الماء، بحيث لا يرى الماء من كثرتها. و إذا مضى السبت، تفرقن و لزم من مقل البحر، فعمد رجال من اهل تلك القرية فحفروا الحياض حول البحر، و شرعوا منه إليها الأنهار، فإذا كانت عشية الجمعة، فتحوا تلك الأنهار، فاقبل الموج بالحيتان الى الحياض، فلا يقدرن على الخروج، لبعدها عمقها و قلّة مائها، فإذا كان يوم الأحد يصطادونها، فأخذوا و أكلوا و ملحوا و باعوا، فكثرت أموالهم، ففعلوا ذلك زمانا، أربعين سنة أو سبعين لم يزل عليهم عقوبة. و كانوا يتخوفون العقوبة؛ فلما لم يعاقبوا، استبشروا و تجرئوا على الذنب. و قالوا ما نرى الذنب إلا قد أجل لنا. ثم استنّ الأبناء، سنّة الآباء، فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية و كانوا نحو من سبعين الفا، ثلاثة اصناف، صنف امسك و نهى و صنف امسك و لم ينه، و صنف انتهك الحرمة. و كان الناهون اثني عشر الفا، فنهوهم عن ذلك، و قالوا يا قوم انكم عصيتم ربكم و خالفتم سنّة نبيكم، فانتهوا عن هذا العمل، قبل ان ينزل عليكم البلاء، فلم يتّعظوا و أبوا قبول نصحتهم، فعاقب الله بالمسخ الطائفتين الممسكة الغير النّاهية و العاصية.

«فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً»: جمع قرده، كالديكة جمع ديك، فحول الله صورهم الى صورة قرده، من غير امتناع و لا لبث «خاسيين»: و الخسئ- الصغار و الطرد و ذلك انّ المجرمين لما أبوا قبول النصح، قال الناهون: و الله لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسّموا القرية بجدار و صيروها بذلك ثنتين، فلعنهم داود، فمسحوا ليلا، فلما أصبح الناهون، أتوا ابوابها فإذا هي مغلقة، لا يسمع منها صوت، و لا يعلو منها دخان، فتسورا الحيطان، و دخلوا فراؤهم، قد صار الشبان قرده، و الشيوخ خنازير، لها

اذناب، يتعاونون، فعرفت القردة أنسابهم من الانس، ولم يعرف الانس أنسابهم من القردة فجعلت القردة تأتي نسيبها من الانس، فتشم ثيابه و تبكى فيقول: ألم نهكم من ذلك، فكانوا يشيرون برءوسهم ان نعم. ولم يكن ابتداء القردة من هؤلاء، بل كان جنس القردة قبلهم. و ماتوا بعد ثلاثة أيام، ولم يتوالدوا. و القردة التي في الدنيا، هي نسل القردة التي كانت قبلهم.

سورة البقرة (2): آية 66

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَ مَا خَلْفَهَا وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (66)

«فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا»: اى صيرنا مسخه تلك الامه، عبرة تنكل و تمنع من اعتبار بها «لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَ مَا خَلْفَهَا»: من ان يقدم على مثل صنيعهم، لما بين يديها و ما بعدها من القرون، لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين، فاعبروا بها. و كذلك اعتبر من بلغته من الآخرين، فاستعبر ما بين يديها للزمان الحال و ما خلفها للمستقبل «وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ»: و موعظة لكل متقى سمعها. و معلوم ان من لم يعرف قدر الإحسان و يكافئ المنعم بالكفران، يرد من عزّة الوصال، الى ذلّ الهجران و لا ينبغي ان يغترّ من لا يعاقب بمثل هذه العقوبات، من الخسف و المسخ و أمثالهما، فان الاستدراج و عقوبة القلوب اشدّ، أشدّ من عقوبات النفوس و الأجساد. قال تعالى: و نقلّب افئدتهم و أبصارهم، الآية. و لا شك ان مسخ القلب عين الحرمان. و علامة مسخ القلب، أكل مال الحرام، و عدم المبالاة به، و ان لا يجد ممسوخ القلب حلاوة الطاعة، و لا يخاف من المعصية، و لا يعتبر بموت احد، كذا ذكر في كتاب زهرة الرياض: قال عوف بن عبد الله: من عمل لآخرته كفاه الله امر دنياه. و من أصلح ما بينه و بين الله، أصلح الله ما بينه و بين الناس. و من أصلح سريره، أصلح الله علانيته. و صلاح اربعة في اربعة:

الصبيان في المكاتب و خدمة الأساتيد للصنعة. و صلاح القطاع في السجن. و صلاح النساء في البيوت. و صلاح الكهول في المساجد.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67)

«وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ»: توبيخ آخر لا خلاف بني إسرائيل، بتذكير جنایات صدرت من أسلافهم، حتى ينتهوا، فقال: واذكروا قول موسى لأسلافكم وأجدادكم «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً»: هي الأنتى من نوع الثور، او واحد البقر، ذكرها كان او أنثى، وأصله من الشق، سميت به لأنها تبقر و تشق الأرض للحرثة.

قال صاحب تفسير روح البيان و ذلك أنه كان في بني إسرائيل شيخ موسر، فقتله بنو عمه، طمعا في ميراثه، فطرحوه على باب المدينة، او حملوه الى قرية اخرى و القوه بفنائها، ثم جاءوا يطالبون بديته، و جاءوا بناس يدعون عليهم القتل، فسألهم موسى فجحدها، فاشتبه امر القتل على موسى. و كان ذلك قبل نزول الامامة في التوراة، فسألوا موسى ان يدعوا الله ليبيّن لهم بدعائه، فدعا، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة و يضربوه ببعضها، فيحيى، فيخبرهم بقاتله؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا بأس بفكاهة يخرج بها الإنسان من حدّ العيوس.

ثم ان القوم علموا ذبح البقرة، عزم وجد، فاستوضعوها؟

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: و لو أنّهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها، لاجتزت عنهم.

«قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا»: اي قالوا لموسى: أ تجعلنا مكان هزء و سخرية و تستهزئ بنا، نسألك عن امر القتل، فتأمرنا بذبح البقرة، «قَالَ» موسى «أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ»: لأنّ الهزء في تبليغ امر الله، جهل و سفه و استهزاء بأمر الدين كبيرة. و صاحبه مستحق للوعيد و ليس المزاح من الاستهزاء.

و لكنهم استوضعوها، فشدّد عليهم الأمر و كانت تحته حكمة و هي أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح، له ابن طفل، و له عجلة اتى بها الى غيضة. و قال اللهم انى استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر. و مات الرجل، فصارت العجلة في الغيضة عوانا، اي بين المسنة و الشابة. و كانت تهرب من كل من رآها، فلما كبر الابن، كان بارًا بوالده

وكان يقسم الليل أثلاثا، فيصلّي ثلثا و ينام ثلثا و يجلس عند رأس امّه ثلثا، فإذا أصبح انطلق، فاحتطب على ظهره، فيأتي به الى السوق، فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدّق بثلثه و يأكل ثلثه و يعطى والدته ثلثه، فقالت له امّه يوما: انّ أبك قد ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق و ادع إله ابراهيم و إسماعيل و إسحاق ان يردها عليك- و علامتها أنّك إذا نظرت إليها يخيل إليك انّ شعاع الشمس يخرج من جلدها و كانت تسمى البقرة المذهّبة لصفرتها، فاتي الفتى الغيضة، فرآها ترعى، فصاح بها و قال اعزم عليك بإله ابراهيم و إسماعيل و اسحق و يعقوب، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها يقودها، فتكلّمت البقرة باذن الله- و قالت: أيّها الفتى البازّ لوالدته اركبني فانّ ذلك أهون عليك، فقال الفتى: انّ امّي لم تأمر بذلك و لكن قالت خذ بعنقها، فقالت البقرة باله بنى إسرائيل لوركتبي ما كنت تقدر عليّ ابداء، فانطلق، فانّك ان أمرت بالجبل، ان ينقلع من أصله و ينطلق معك لفعل لبرك بأمك. فسار الفتى بها الى امّه. فقالت له امّه: أنّك فقير لا- مال لك و يشقّ عليك الاحتطاب بالنهار و القيام بالليل، فانطلق، فبع هذه البقرة. قال: بكم أبيعها، قالت بثلاثة دنانير و لا تبع بغير مشورتني- و كان ثمن البقرة ثلاثة دنانير- فانطلق بها الى السوق، فبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته، و ليختبر الفتى، كيف برّه بأمّه و كان الله به خبيرا، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة، قال بثلاثة دنانير و اشتراط عليك رضى والدتي، فقال الملك لك ستة دنانير و لا نستأمر والدتك، فقال الفتى لو أعطيتني وزنها ذهباً، لم آخذها الا برضى امّي، فردّها الى امّه و أخبرها بالثمن، فقالت ارجع فبعها بستة على رضى مني، فانطلق بها الى السوق، فأتى الملك، فقال الملك استأمرت امك، فقال الفتى:

انّها أمرتني ان لا أنقصها من ستة على ان استأمرها، فقال الملك انّي أعطيك اثني عشر على ان لا تستأمرها، فأبى الفتى، ورجع الى امّه و أخبرها بذلك، فقالت انّ الذي يأتيك، ملك بصورة آدمي ليختبرك، فإذا أتى، فقل له، أ تأمر ان نبيع هذه البقرة أم لا، ففعل فقال له الملك: اذهب الى امك و قل لها أمسكي هذه البقرة، فانّ موسى بن عمران

يشترىها منك، لقتيل يقتل في بنى إسرائيل، فلا تبعوها إلا بملء مسكها ذهباً فامسكوها وقدر الله على بنى إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفونها حتى وصف لهم تلك البقرة بعينها مكافأة على برّه بوالدته.

قيل: والوجه في تعيين البقرة دون غيرها من البهائم، أنهم كانوا يعبدون البقر والعجائيل وحب ذلك لهم كما قال سبحانه: واشربوا في قلوبهم العجل، ثم تابوا وعادوا الى طاعة الله، فأراد الله ان يمتحنهم بذبح ما حبب إليهم، ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع ما كان منهم في قلوبهم وكان أفضل قرابينهم حينئذ البقر، قيل: وقد مضى من أول هذا الأمر، الى الامتثال، أربعون سنة، لغلاء ثمنها، وذلك قوله: وما كادوا يفعلون وقال الفيض في الصافي: في قصة القتل والبقرة، أنهم لما قتلوا القتيل وطرحوا جثته في محلة سبط من أسباط بنى إسرائيل، الزم موسى اهل القبيلة بأمر الله، ان يحلف خمسون من أمثالهم، بالله القوي الشديد، إله بنى إسرائيل، مفضل محمد وآله الطيبين صلوات الله عليهم، على البرايا أجمعين: أنّما ما قتلناه ولا علمنا له قاتلاً، فان حلفوا بذلك غرموا دية المقتول وان نكلوا نصبوا على القاتل، او اقرّ القاتل، فيقاد منه، فإن لم يفعلوا حسبوا في مجلس ضحك إلى ان يحلفوا ويقروا او يشهدوا على القاتل، فقالوا:

يا نبي الله، ما وفيت أيماننا أموالنا ولا أموالنا أيماننا. قال موسى: لا هذا حكم الله وكان السبب ان امرأة حسناء، ذات جمال وفضل بارع و نسب شريف كثر خطابها وكان لها بنو أعمام ثلاثة فرضيت بأفضلهم علما وأرادت التزويج به، فاشتد حسد ابني عمّه الآخرين له و غبطاه عليها لإيثارها إياه، فعمدا الى ابن عمّه المرضى، فأخذه الى دعوتها، ثم قتلاه و حملاه الى محلة تشتمل على أكثر قبيلة من بنى إسرائيل، فألقياه بين أظهرهم ليلاً، فلما أصبحوا وجدوا القتيل هناك، فعرف حاله، فجاء ابنا عمه القاتلان له فمزقا على أنفسهما ثيابهما و حثيا التراب على رؤسهما واستعديا عليهم، فاحضرهم موسى و سألهم، فأنكروا ان يكونوا قتلوه و علموا قاتله، فقال موسى حكم الله ما عرفتموه فالتموه، فقالوا يا موسى: ائى نفع في أيماننا إذا لم تدرأ منا الغرامة الثقيلة، أم أئى

نفع في غرامتنا إذا لم تدرأ عمدًا الايمان، فقال موسى كلّ النفع في طاعة الله و الائتثار بأمره و الانتهاه عمدًا نهى عنه، فقالوا يا نبي الله، غرم ثقيل و لا جناية علينا و ايمان غليظة و لا حق في رقابنا. لو أنّ الله عرفنا قاتله بعينه و كفانا مؤنته، فادع لنا ربك ان يبين لنا هذا القاتل لينزل به ما يستحقّه من العذاب و ينكشف امره، فقال موسى انّ الله قد بين ما حكم به في هذا، فليس لنا ان نقترح عليه غير ما حكم، الا ترون أنّه لمّا حرّم العمل يوم السبت و حرّم لحم الحمل، لم يكن لنا ان نقترح عليه، ان يغيّر ما حكم به علينا، فأوحى الله اليه يا موسى: أجبهم الى ما اقترحوه و سلني ان ابين لهم القاتل ليقتل - و سلم غيره من التهمة، فآني أريد يا جابتهم الى ما اقترحوها توسعة الرزق على رجل من خيار امّتك، دينه الصلوات على محمّد و آله الطيبين و التفضيل لمحمد صلّى الله عليه و آله و سلّم و علىّ عليه السّلام على سائر البرايا اغنيه في الدنيا، في هذه القضية ليكون بعض ثوابه على تعظيمه لمحمد صلّى الله عليه و آله و سلّم و كيف لا و قد عظم عين العالم بل العوالم كما في تفسير الديلمي عن الباقر عليه السّلام في قوله تعالى ألم نجعل له عينين و لسانا و شفيتين: قال العينان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و اللسان امير المؤمنين عليه السّلام و الشفتان الحسن و الحسين و بيان قوله: العينان رسول الله.

أنّ فيه عين النبوة و الولاية و العين الدنيوية و الاخروية و يرى من قدّامه و خلفه، او يعاين الملك و الملكوت، او الظاهر و الباطن و مراتب الغيب و الشهادة و عالم الخلق و الأمر، فينظر صلّى الله عليه و آله و سلّم يا حدى عينيه المعنوية الى الربّ لقبول الفيوضات و بعينه الاخرى الى الخلق للفيضان و بالجملة فمن توجه الى عين العالم فلا- بدّ من أن يظهر أثراته إمّا في الدنيا و إمّا في الآخرة أو كليهما إذا اقتضت المصلحة- و جميع آثار الخيرية في العالم من هذه العين و كم صدرت المعجزات، من ظاهر بدنه و جسده العنصري، فضلا عن عالمه النوري فمن جبهته كان النور ساطعا في الليل و عيناه صلّى الله عليه و آله و سلّم يرى من خلف و اذنه صلّى الله عليه و آله و سلّم تسمع الصوت في النوم كما في اليقظة و لسانه خاطب الضبّ: من انا، فقال الضبّ: أنت رسول الله. أصابعه جريان الماء منها و شق القمر و جلاه. صبّ فضالة غسالتها في البئر و فيضان الماء حين اشتكى جابر، لعاب فمه تغل في عين عليّ عليه السّلام. عورته مختونا ولد.

بدنه ليس له ظلّ. نفث نفسه اشفاء المرضى. شعره لا يحترق بالنار.

الحاصل فقال موسى: يا ربّ بين لنا قاتله، فأوحى الله الى موسى: قل لبني إسرائيل: ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فيضربوا بعضها بالمقتول، فيحيى، أفتسلمون لربّ العالمين ذلك و الآ فكفّوا المسألة و التزموا ظاهر حكمتي. فذلك ما حكى الله في قوله: و إذ قال موسى لقومه. و القمى عن الصادق عليه السلام ان رجلا- من بني إسرائيل و علمائهم خطب امرأة منهم فأنعمت له و خطبها ابن عمّ لذلك الرجل و كان فاسقا فردوه فحسد ابن عمّه الذي انعموا له، فرصده و قتله غيلة، ثمّ حملة الى موسى، فقال يا نبي الله- هذا ابن عمّي قد قتل، فقال من قتله، فقال له لا ادري- و كان القتل في بني إسرائيل عظيما جدّا، فعظم قتل ذلك الرجل على موسى، فاجتمع اليه بنو إسرائيل: فقالوا أما ترى يا نبي الله- و كان في بني إسرائيل رجل له بقرة، و كان له ابن بارّ، و كان عند ابنه سلعة. فجاء قوم يطلبون سلعته. و كان مفتاح بيته في تلك الحال تحت رأس أبيه و هو نائم. فكره ابنه ان ينغص عليه نومه، فانصرف القوم و لم يشتروا سلعته، فلمّا انتبه أبوه، فقال يا بنى: ما صنعت في سلعتك. قال: هي قائمة لم أبيعها، لأن المفتاح كان تحت رأسك، فكرهت ان أزعجك من رقدتك و انغص عليك نومك. فقال أبوه:

قد جعلت هذه البقرة لك عوضا عمّا فاتك من ربح سلعتك و شكرا لله لابلن ما فعل بابيه، فأمر الله موسى، ان يأمر بني إسرائيل بذبح تلك البقرة بعينها، ليظهر قاتل ذلك الرجل الصالح، فلمّا اجتمع بنو إسرائيل أمرهم الله بذبح البقرة.

يقاظ: فحياة الروح بذبح بقرة النفس و شهواتها، فارجع الى ربّك بالتوبة و الطاعة و لا تيأس، يعود عليك بالرحمة، فإنّه غفور رحيم. انّ الخضر فارق موسى بان عاوده في السؤال ثلاث مرّات و قال له: هذا فراق بيني و بينك و أنت عاودت الذنب اكثر من ثلاثين ألف مرّة و الله سبحانه لم يقل لك هذا فراق بيني و بينك بشرط ان ترجع اليه حقيقة. انّه تعالى نهى عن حبس المعسر في السجن لعجزه عن الأداء، فقال:

و ان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة. فكيف يحبس المذنب التائب في سجن النار، فجاهد في سبيل ربّك بالرجوع و الطاعة.

و العبد وان كان عاصيا إذا تقدم الى الحق شبرا، تقدم الحق اليه ذراعا، وبذلك الشبر يفتح في زاوية قلبه روزنة من النور، ثم بالعمل يكثر ذلك النور شيئا فشيئا، فيفتح عينا قلبه، فلا- يسمع بمعروف الآ عرفه و قبله و لا بمنكر الآ أنكره الى ان يتول امره بمرتبة الشهود القلبي الكشفي، فانّ للإنسان قوّة درّاكة ينتقش فيها حقايق الأشياء، كما في المرآة إذا كانت صافية- وهذه القوّة في كلّ انسان و غير مختصّ بالمؤمن، بل للفاسق ايضا هذه القوّة مكمونة، لكنّ القلب الملبس بالغواشي و العلائق و الشهوات محروم عن هذا المعنى و هو في عمى، لكن إذا زالت هذه العوائق و فبت النفس و هواها في الطاعة يرى الفيض بعين قلبه، بل يرى الامام بالعين القلبيّة و يستمدّ منه، كما قال الله: و جعلنا له نورا يمشي به في الناس، بحيث يقرب من العلم اللدني و هذا هو المقام الرابع من ترتيبات الهداية، فانّ المقام الأول إعطاء القوى المدركة، كما قال سبحانه: و اعطى كلشيء خلقه ثم هدى، و المقام الثاني من الهداية، نصب الدلائل و البراهين، كما قال: و هديناه النجدين؛ و المقام الثالث دعوة الناس الى ما ينفعهم من العلم و العمل بواسطة الرسل و الكتب، كما قال سبحانه: و جعلناهم ائمة يهدون بأمرنا، و المقام الرابع كشف الأستار و الأسرار على الضمائر بواسطة الإلهام و الحدس و الوحي و غيرها، كما قال: و الذين جاهدوا فينا لنهديّتهم سبلنا.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا سِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَدَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)

فلما توجهوا للامتنال «قَالُوا» يا موسى «ادْعُ لَنَا» سل لأجلنا «رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا» و يوضح و يعرف من البين و الفرق «ما هِيَ» ما مبتداء و هي خبره و قد سألوا عن حالها و صفتها، لأنه قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميتا فيحیی، كقولك: ما زيد و شأنه فيقال طيب «قال» موسى بعد ما دعا ربه و أتاه الوحي «إِنَّهُ» ای أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى «يَقُولُ إِنَّهَا» ای البقرة المأمور بذبحها «بَقَرَةٌ لَا» هي «فَارِضٌ» ای مسننة من الفرض و هو القطع كأنها قطعت سننها و بلغت آخره «وَلَا بِكْرٌ» ای فتية صغيرة و لم يؤنث البكر و الفارض، لأنهما كالحائض في الاختصاص بالأنثى «عَوَانٌ» ای نصف «بَيْنَ ذَلِكَ» المذكور من الفارض و البكر «فَافْعَلُوا» امر من جهة موسى «مَا تُؤْمَرُونَ» به من ذبح البقرة.

«قَالُوا» كأنه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان و الأمر المكرر، فقيل قالوا «ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا» من الألوان حتى تتبين لنا البقرة و اللون عرض مشاهد يتعاقب على بعض الجواهر «قال» موسى بعد المناجاة إلى الله و مجي ء الوحي «إِنَّهُ» الله تعالى «يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ» و الصفرة لون بين البياض و السواد و هي الصفرة المعروفة و ليس المراد هنا السواد كما في قوله: كأنه جمالة صفر، ای سود

والتعبير في قوله صفر وأراد به السواد لما أنّها في مقدماته «فاقع لونها» مبتداء وخبر و الجملة صفة للبقرة و الفقوع نضوج الصفرة و خلوصها و بريقتها، فيقال في التأكيد اصفر فاقع و أسود حاله أى صفراء شديدة الصفرة و خلوصها و بريقتها، فيقال في التأكيد أصفر فاقع و أسود حاله أى صفراء شديدة الصفرة، قيل: كانت صفراء الكل حتى القرن و الظلف «تسر الناظرين» إليها، يعجبهم حسنها و صفاء لونها و يفرح قلوبهم للطافة شكلها و لونها.

قال أمير المؤمنين: من لبس نعلا صفراء قلّ همّه، لأنّ الله يقول: تسر الناظرين و نهى جماعة عن لبس النعال السود، لأنّها تهمّ- و قيل إنّ الخفّ الأحمر خفّ فرعون و الخفّ الأبيض خفّ وزيره هامان.

«قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هي»: أ سائمة هي، أم عاملة، تكرير للسؤال و استكشاف زائد، ليزدادوا بيانا لوصفها؛ و في الحديث: أعظم الناس جرما من سئل عن شيء لم يحرم، فحرم لأجل مسألته.

«إنّ البقر تشابه علينا»: أى جنس البقر الموصوف و الصفرة كثيرة، فاشتبه علينا أيها تذبح، فذكر البقر لإرادة الجنس، أو لأنّ كلّ جمع حروفه أقلّ من واحده، جاز تذكيره و تأنيته، «وإنّا إن شاء الله لمهتدون»: لذبح البقرة. و في الحديث:

لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد «قال» موسى «إِنَّهُ» تعالى «يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولَ» مذكّلة ذلك العمل بيّنة الذلّ من شدّة النصب و التعب و لم يقل ذلولة لأنّ فعولا إذا كان وصفا لم تدخله الهاء كصبور «تُثِيرُ الْأَرْضَ»: أى تقلبها للزراعة و هي صفة ذلول: أى لم يذلّها العمل باثارة الأرض بأظلافها «وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ» أى لم تكن بستانية يسقى عليها بالسواقي، كأنّه قيل: لا ذلول مثيرة و ساقية. «مُسَلَّمَةٌ» أى سالمة و بريّة من العيوب و قيل مسلمة من الشبه، ليس لها لون مخالف لونها و قيل سليمة من آثار العمل لأنّ ما كان من العوامل لا يخلو من آثار العمل في قوائمه و

بدنه، قال الحسن: أنها كانت وحشية «لا شديدة فيها»: ولا وضح فيها يخالف لون جلدها، من وشى الثوب وهو استعمال ألوان الغزل في نسجه «قالوا»: عند ما سمعوا هذه النعوت «الآن»: أي هذا الوقت بنى لتضمينه معنى الإشارة «جئت بالحق» أي ظهر لنا الحق الآن وما بقي في أمرها اشكال وهي بقرة فلان. قال بعض اهل التفسير، مثل ابي منصور الحازم: ان البقرة كانت ذكرا لأن إثارة الأرض وسقى الحرث من عمل الذكران. و الضمائر الراجعة إليها على التأنيث، فللفظها كما في قوله وقالت طائفة و التاء للتوحيد، لا للتأنيث ويمكن أن يكون أهل ذلك الزمان يحرثون بالأنتى «فذبحوها»: الفاء فصيحة، أي فحصلوا البقرة الموصوفة بأن وجدوها عند الفتى، فاشتروها بماء مسكه ذهباً، فذبحوها «و ما كادوا يفعلون» و الجملة حال من فاعل، ذبحوا أي فذبحوها، و الحال أنهم في التوقف و البطوء، لثقل غرامة ثمن البقرة. و اختلفوا في البعض الذي ضرب به القليل، فليل لسانها و قيل فخذها اليمنى و قيل ذنبها و قيل غيرها.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): الآيات 72 الى 73]

وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَفَلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)

«وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا» هذا مؤخر لفظاً، مقدم معنى، لأنه أول القصة، أي: و اذكروا وقت قتلكم النفس و هي عاميل بن شراحيل و أتيتم موسى و سألتموه، فقال لكم ان الله يأمركم. الآية، فقدّم المؤخر و آخر المقدم و نحو ذا كثير في القرآن و الشعر، مثل قوله، الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً قيماً، تقديره انزل على عبده الكتاب قيماً و لم يجعل له عوجاً، قال الشاعر: إن الفرزدق صخرة ملمومة، طالت فليس ينالها الاوعالا- أي طالت الأوعال- و قيل: إن الآية قد تعلقت بما هو متأخر في الحقيقة و تقدير الكلام فذبحوها و ما كادوا و لأجل

أنكم قتلتم نفسا فتدافعتم فيها أمرناكم بأن تضربوه ببعضها ليكشف امره وأضيف القتل الى اليهود المعاصرين لرسول الله على عادة العرب، في خطاب الأبناء والأحفاد بخطاب الأسلاف والأجداد وخطاب العشيرة لواحد يقال فعلت بنو تميم وإن كان الفاعل واحدا وفيه وجه آخر وهو أن يكون الخطاب لمن كان في زمن موسى وتقديره وقلنا لهم:

و إذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها، اي كل واحد دفع قتل النفس عن نفسه والضمير في قوله فيها، راجع الى النفس، او الى القتلة، اي اختلفتم، لأن قوله قتلتم، تدل على المصدر، لكن عودها الى النفس أولى.

«وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»: اي مظهر ما كنتم تسترون من القتل او مخرج من غامض اسراركم و مطلع ما كان آباؤكم يكتُمونه و أنتم تكتُمونه و الخطاب لليهود في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستعمل مخرج في الكلام مع أنه في معنى الماضي لأنه على سبيل الحكاية، فحكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ، كما حكي الحاضر في قوله: باسط ذراعيه.

«فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا»: فضربوه فحیی و لعل السر في هذا الأمر بهذا الترتيب مع أنه قادر على أن يحييه بأقل من طرفة العين، لاغناء ذلك الفتى البار بوالده و أمر الله بتقديم هذه القرية تعليما لكل من غمض عليه امر من الأمور، ان يتقدم نوعا من القرب، قبل ان يسأل الله كشف ذلك عنه، ليكون اقرب الى الاجابة.

«كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى عَلَىٰ إِرَادَةِ الْقَوْلِ، اي وقلنا كذلك، فالخطاب في كذلك للحاضرين عند حياة القتيل، اي مثل ذلك الأحياء العجيب، يحيى الله الموتى يوم القيامة، أو الخطاب لمنكري البعث، من مشركي العرب، في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الحاضرين عند نزول الآية الكريمة، فلا حاجة حينئذ على تقدير القول، بل تنتهي الحكاية عند قوله ببعضها.

«وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ»: اي دلالة الدالة على أنه على كلشيء قدير.

«لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»: اي لكي تكمل عقولكم و تعلموا ان من قدر على احياء

نفس واحدة، قدر على احياء الأنفس كلّها- وتعلمون أنّ المؤثّر، هو الله، لا الأسباب فهو تعالى إذا أراد، يجعل الأثر في الأسباب، و لو لم يكن لها تأثيرات أبدا، فإنّ الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولّد منهما حياة، جلّت قدرته تعالى.

قال بعض اهل المعرفة: إنّما جعل الله احياء المقتول في ذبح البقرة، تنبيها لعبيده، انّ من أراد منهم احياء قلبه، لم يتأتّ له الاّ بامانة نفسه، فمن ذبحها بأنواع العبادات و الرياضات المشروعة و أعظمها الورع من المحرّمات و الشبهات، احيى الله قلبه بأنوار المشاهدات، فمن مات بالطبيعة، يحيى بالحقيقة و يجب علينا ان نتقيّد باحياء نفوسنا بالحياة الحقيقيّة، لا الحياة البقريّة، فإنّ المنظر الإلهي أنّما هو القلوب و الأعمال، لا القصور و الأموال، كما ورد في الحديث: إنّ الله لا ينظر الى صوركم و أحوالكم، بل الى قلوبكم و أعمالكم و العاقل من دان نفسه و عمل لما بعد الموت و ما يعقل ذلك الاّ العالمون و ايّك ان تغترّ في دنياك بساعة سرور أدركته، او بسرير ملكته و لو كان ذلك السرير و السرور ايّام عمرك، فإنّه بالنسبة الى عمرك. في الآخرة أقلّ من ساعة و قد مثّلوا للدنيا بالمياض، أمّا يكون ضيقا حرجا، او واسعا منفرجا، ان ضاق فمرحبا بالحفا و ان رحب فموجب الصقع على القفا، الضيق يفرّج الكعوب و العرقوب و الرحب يغيّر الذبول و الجيوب، انظر إليها بعين الاعتبار و طالعها فإنّها صحيفة ابنائك و خالعها فهي حليلة آبنائك و اغتمم فؤادك الفاحم قبل ان يبيض و احذر من جدار يريد ان ينقض، امنية جوفاء، و وارمة عجفاء يؤذيك اعباؤها و لا بدّ فيك عباؤها، لا يغرّنك قطفها النضيج، فهو غيث اعجب الكفّار نباته ثمّ يهيح، هب أنّك صرفت عمرك في تحصيل الدنيا و ملكت الدنيا بأسرها، فهل تبقى لك او تبقى لها و بعد ان ملكتها، مثلك معها، مثل الفارة و الجمّل، فأخذت الفارة بخطامها الى جحرها، فلمّا وقف الجمّل الى باب بيتها، نادى بلسان حالها: أمّا ان تتّخذي دارا تليق بمحبوبك، او محبوبا يليق بدارك، فيا اقل من الطائر، فإنّ الأثنى متى ما علمت انها حملت، نقلت العيدان لبناء العش قبل الوضع و أنت ما مهّدت لقبرك فراشا و ضيّعت ايّام فرصتك بالملاهي و المعاصي، او بالمباحات التي لا طائل لك فيها، اما سمعت قول الله تعالى: اعْمَلُوا مَا سِئَلْتُمْ إِنَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرًا، فإيا أيها المغرور، من اين لك هذا الاطمينان، كأنك ما عصيت الله قط!! بلى، التفرج الى هذه المتنزّهات و السينمات اذهب عن قلبك الخوف، بدلت زيارة المقابر الموجبة للتنبه، بموجبات الغفلة و كان السلف إذا رجعوا من زيارة المقابر، يستعدّون للتزوّد و هم كالحيارى؛ قال بعض السلف: رأيت شابًا راجعا من الجبانة و صعد في سفح جبل و عليه آثار الغلق و دموعه جارئة، فقلت من أنت و من اين، فقال الشاب: أبق من مولاه، فقلت: يعود العبد الأبق فيعتذر، فقال: العذر يحتاج الى حجة- و لا حجة للمفترط، قلت: فيتعلّق بشفيح، فقال: كلّ الشفعاء يخافون منه، قلت: من مولاك، قال: ربّاني صغيرا فعصيته كبيرا، فوا سواتاه من حسن صنيعه و قبح فعلى، ثم صاح و وقع فمات!! فخرجت عجوز، فقلت لها: أقيم عندك أعينك على غسله و تجهيزه، فقالت: خلّه ذليلا بين يدي قاتله، عسى يراه بغير معين، فيرحمه. و العجب أنّ واحدنا يصلّى خمسين سنة و هو يقول في كلّ يوم: اهدنا الصراط المستقيم و هو باق على طريق الفساد، مع أنّ الصلاة صلة بين العبد و الربّ و أنت منقطع عنه و مالك من هذه الصلة عائد و هاك نصيحة و هاك مثلا آخر للدينيا، فاتّها نهر طالوت و أنّ الله مبتليكم به، فمن شرب منه فليس منّي إلا من اغترف و قنع بكفّ عنه و اقتصر بسدّ جوعته و ستر عورته، ففاز و نجى و من لم يقنع فالأمر صعب جدّا، كما أنّ جيش طالوت ما قنعوا و هلكوا، فإنّ مراتب النفس اربعة: نفس النامية النباتية- و نفس الحسيّة الحيوانية- و نفس الناطقة القدسيّة- و نفس الكلّيّة الالهية- و هذه الاخيرة الكاملة و هي بقاء في فناء- و نعيم في شقاء- و عزّ في ذلّ- و صبر في بلاء- و فقر في غناء و معلوم أنّ هذه الملكات صعب جدّا و هيهات و اين الثريا من يد المتناول!

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 74]

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)

«ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ»: خطاب لأهل عصر النبيّ من الأخبار و اهل الكتاب و ثم

في الآية لاستبعاد القسوة، من بعد ذكر ما يوجب لين القلوب ورفقتها- و القساوة ذهاب اللين و الرأفة عن القلب و الصلابة في كلشي ء. «مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ»: اى من بعد سماع ما ذكر مما ورد باسلافكم، من احياء القليل و مسخ القردة و الخنازير و رفع الجبل و القوارع التي من عظمتها تميع الجبال و الصخور، «فَهِيَ»: اى القلوب، «كَالْحِجَارَةِ»: في شدتها و قسوتها و الفاء لتفريع مشابهتها لها في القساوة، كقولك: احمرّ خدك فهو كالورد «أَوْ أَشَدُّ» منها «قَسْوَةً»: تميز. و «أَوْ» يجوز أن يكون بمعنى التخيير: اى ان شئتم فاجعلوها اشد منها مثل الحديد، فأنتم مصيبون في ذلك و انما لم تحمل على معنى أصلها و هو التردد، لما ان ذلك على الله محال، او يكون بمعنى بل، قال الشاعر:

فو الله ما أدري أسلمى تغوّلت أم التوم أم كلّ إلى حبيب

اى: بل كلّ و انما أتى بكلمة «أشد» مع ان فعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل و فعل التعجب، لكونه أبن على فرط القسوة من لفظ أقسى.

اعلم ان اللفظ كالصورة، و المعنى كالروح، فان اتقنا وقع الكمال في الكلام و لذا قد يؤتى في شعر واحد بكلمة مكررة و هي حسنها و بالعكس، مثل قول المعرى:

الرّسل احمد اوصافا و احمدهم في الوصف احمدنا و في الآية صنعة الجمع مع التفريق.

«وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ»: بيان لقساوة قلوبهم «لَمَّا يَنْفَجِرُ» و اللام للتأكيد:

اى الحجر ينفجر و يفتتح «مِنْهُ»: راجع الى ما، اى ان بعض الأحجار ينفجر منه «الأنهار» جمع نهر و هو المجرى الواسع «وَإِنَّ مِنْهَا»: من الحجارة «لَمَّا يَشَقُّوْ» و يتصدع «فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ»: و المراد بالشقوق، العيون التي تخرج من الشقوق و الإصداع، دون الأنهار «وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهَيِّطُ». اى يتردى و ينزل من أعلى الجبل الى أسفله «مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ»: و هنا مجاز عن انقيادها لأمر الله و قلوب هؤلاء اليهود و من سلك مسلكهم لا تنقاد و لا تلين و لا تخشع «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ»، بساه و ذاهل «عَمَّا تَعْمَلُونَ»: قالت المعتزلة: خشية الحجر وجه المثل، يعنى لو كان له عقل لفعل

ذلك- و مذهب اهل السنّة: انّ الحجر وان كان جمادا لكنّ الله يلهمه، فيخشى بالهامه، فانّ الله تعالى علما في الجمادات و سائر الحيوانات، سوى العقلاء لا يقف عليه غيره، فلها صلاة و تسبيح و خشية، كما قال سبحانه: وان من شيء إلا يسبح بحمده و قال: و الطير صافات كلّ قد علم صلاته و تسبيحه، فيجب على المرء، الايمان به و يجعل علمه الى الله- و يؤيد هذا المعنى ان النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم كان على ثبيرة و الكفار يطلبونه، فقال الجبل: انزل عني فاتي أخاف ان تؤخذ عني، فيعاقبني الله بذلك، فقال له جبل حراء: اليّ يا رسول الله. و كان النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم إذا خطب استند الى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صنع المنبر، فاستوى عليه، اضطربت تلك السارية من فراق رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و حتّت كحنين الناقة، حتى سمعها اهل المسجد، و نزل رسول الله، فاعتقها، فسكنت.

لكنّه قال أبو مسلم: انّ الضمير في قوله: وانّ منها لما يهبط من خشية الله- راجع الى القلوب، لا الى الحجارة، لأنّ الهبوط من الخشية صفة الأحياء و العقلاء- و الحجر جماد- و قد تقدّم ذكر القلوب، كما تقدّم ذكر الحجارة، أقصى ما في الباب، انّ الحجارة اقرب المذكورين، الّا انّ هذا الوصف لما كان لائقا بالقلوب دون الحجارة و جب رجوع هذا الضمير الى القلوب دون الحجارة و اعترضوا على ابي مسلم بأنّ لا نسلم انّ الحجارة ليست حيّة عاقلة و لا نقول انّ الحجارة كلّها عاقلة و المراد من ذلك، جبل موسى حين تجلّى له ربّه له و تقطّع و ذلك لأنّ الله خلق فيه العقل و الإدراك و هذا غير مستبعد من قدرة الله و نظيره قوله تعالى: وَ قَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ- و كذلك الجبل و الحجر وصفه بالخشية، فحينئذ الضمير راجع الى الحجارة، ثمّ انّ الهبوط لائق بالحجارة لا بالقلوب، فليس تأويل الهبوط، اولى من تأويل الخشية- و قيل وجه آخر في معنى الآية و هو انّ معنى «وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» انه يدعو المتفكّر و المتأمل فيه الى خشية الله و يوجب الخشية الله، فالحجارة من موجبات الخشية، بدلالته على صانعه و خالقه و أضاف الخشية إليها لأنّ التفكّر فيها هو الداعي الى الخشية، كما قال جرير بن عطية:

فجعل الصفة لليل والنهار و هو يريد صاحبه النهاني الذي يهجوّه (تنبيه) فإذا كانت الخشية في الحجارة، كيف لا تخشى و لا تتوب من ذنوبك فمن لم يساعده نفسه بالرجوع و التوبة، كيف يترك العزّ و يقبل الذلّ و الغنى على الفقر مع أنّ التوبة واجبة و في فوريتها فقد صرّح بها المعتزلة و أصحابنا، لكنّ المعتزلة يقولون حتى أنّه لو آخّر توبته عن الكبيرة ساعة واحدة فقد فعل كبيرتين و ساعتين فقد فعل أربع كبائر و هكذا. و أصحابنا سكتوا عن هذا التفصيل و دليل المعتزلة قويّ، لأنّ ترك الواجب كبيرة ثانية و الخطب الأعظم أنّ المعصية ليست عندنا عظيمة و من كثرة ما اكتسبناه خفّت عقوبتها عندنا و لا نبالي بأصلها فضلا عن توبتها، اما سمعت ما رواه الشيخ في التهذيب عن الصادق عليه السّلام: أنّ رجلا جاء اليه و قال انّ لي جيرانا و لهم جوار يتغنين و يضربن بالعود، فرّبما دخلت المخرج فأطيل الجلوس استماعا منّي لهنّ، فقال لا تفعل، فقال و الله ما هو شيء آتية برجلي أنّما هو استماع اسمعه باذني، فقال عليه السّلام اما سمعت الله يقول: انّ السمع و البصر و الفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسئولاً، فقال أنّي تركتها و استغفر الله، فقال الصادق عليه السّلام: قم فاغتسل و صلّ ما بدا لك، فقد كنت مقيما على امر عظيم، ما كان أسوأ حالك لو متّ على ذلك.

أقول: تجرّع مرارات النوائب في أيام معدودة، لحلاوة موعودة، أنّما هي محنة بائدة، تتلوها فائدة، و كربة ناقدة، بعدها نعمة خالدة- و من عشق المعالي ألف الغمّ و من طلب اللثالي، ركب اليمّ، فلا تشربن و ردا يعقبك سقاما. و لا تشمنّ و ردا يورثك زكاما. فمن طلب الجنة، زهد في الدنيا بقوته عنها و من يرد ثواب الآخرة نؤته منها، قم و اعمل، قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: سيّد الأعمال، انصاف الناس من نفسك و مؤاساة الأخ في الله و ذكر الله على كلّ حال، أمّا لا أقول سبحان الله و الحمد لله إلخ و ان كان هذا من ذكر الله و لكن ذكر الله في كلّ موطن على طاعة أو على معصية، بمعنى أنّك تكون متذكّرا في جميع ما يخطر لك في قلبك، فعله أو تركه، هل هو في الطاعة فتأتى بها، او في المعصية فتدعها و هذا هو الذكر الأكبر القلبي و أمّا الذكر

اللساني من الأسماء والصفات، فتذكره سبحانه مع التوجّه الى معانيها مثل ان تقول يا رحيم، او مثلاً يا جواد، تكون تعرف معنى هذه النسبة اليه تعالى، فإن معنى الجود بالنسبة اليه افادة ما ينبغي لا لغرض وكلّ احد غيره أنّما وجود و يعطى، ليأخذ عوضاً لطلب الخدمة، او لطلب ثناء الجميل، او لطلب الإعانة، او لطلب الثواب، او لدفع الرقّة الجنسيّة من القلب، او ليزيل حبّ المال عن قلبه و كلّ هذه في الحقيقة معاوضة و تحصيل كمال، لكنّ الحق سبحانه كامل في ذاته، فإذا قلت يا جواد، اعرف ما تقول، حتى لا يكون ذكرك لقلقة اللسان.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 75]

أَفْتَضَمْعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)

كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم شديد الحرص على الدعاء الى الحق وقبولهم الايمان منه و كان يضيق صدره بسبب عنادهم و تمرّدهم، فقصّ الله سبحانه عليه اخبار بنى إسرائيل في العناد العظيم مع مشاهدة الآيات الباهرة، تسلية لرسوله فيما يظهر من اليهود في زمانه من قلة القبول والاستجابة. و الخطاب للنبيّ و أصحابه.

و حاصل المعنى: أبعد ان علمتم تفاصيل شئونهم المؤيسة «أَفْتَضَمْعُونَ»:

في «أَنْ يُؤْمِنُوا» جميع اليهود أو علمائهم فإنهم متماثلون في شدّة الشكيمة والأخلاق الذميمة و لا يتأتى من اخلافهم إلا مثل ما اتى من أسلافهم، فلا تحزنوا على تكذيبهم «لَكُمْ» اى لأجل دعوتكم «وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ» و الحال قد كان فريق كائن «مِنْهُمْ» و طائفة ممّن سلف منهم- و الفريق اسم جمع لا- واحد له من لفظه كالرھط «يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ» و هو ما يتلونه في التوراة «ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ» و يغيرون ما فيه من الأحكام، كتغييرهم لصفة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم و آية الرجم وقيل: كان قوم من السبعين المختارين، سمعوا كلام الله، حين كلم الله موسى بالطور، و ما امر به و ما نهى، ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره: ان استطعتم ان تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا و ان شئتم ان لا تفعلوا فلا بأس. و هذه الأمور من تحريفاتهم.

قال صاحب كتاب التيسير: و الصحيح أنّهم لم يسمعوا كلام الله بلا واسطة، فإنّ ذلك كان لموسى على الخصوص لم يشركه فيه غيره- و معنى يسمعون كلام الله من التوراة، من موسى بقرائته.

«مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ» و فهموه و ضبطوه بعقولهم و لم يبق لهم شبهة في صحّته يقول: كيف يؤمن هؤلاء و هم يقلّدون أولئك الآباء، فهم من اهل السوء الذين مضوا بالعناد، فلا تطمعوا في الايمان منهم.

«وَهُمْ يَعْلَمُونَ»: و الحال أنّهم يعلمون أنّهم محرّفون، كاذبون، و قد نسب الله الى طائفة منهم المعاندة و ان كانوا بأجمعهم كافرين و في الآية دلالة على عظم الذنب في تحريف الشرع و هو عامّ في اظهار البدع في الفتاوى او القضايا و جميع تحريفات الدينيّة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (2): آية 76]

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76)

النزول، روى عن ابى جعفر عليه السلام أنّه قال: كان قوم من اليهود، ليسوا من المعاندين المتواطئين إذ المسلمين حدّثوهم بما في التوراة من صفة محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، فنهاهم كبرائهم عن ذلك و قالوا لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، فيحاجّوكم به عند ربّكم، فنزلت الآية.

وقيل: هؤلاء قوم من اليهود، آمنوا ثمّ نافقوا، فكانوا يحدثون المسلمين من العرب، بما عدّب به أسلافهم، فقال بعضهم لهم: أ تحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجّوكم به، فيقولون نحن أكرم على الله منكم.

«وَإِذَا لَقُوا» اى اليهود «الَّذِينَ آمَنُوا» من اصحاب محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم «قَالُوا» اى:

منافقوهم «آمَنَّا» كايما نكم و انّ محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم هو الرسول المبشّر به «وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ» الذين لم ينافقوا «إِلَى بَعْضٍ» اى الى الذين نافقوا بحيث لم يبق معهم غيرهم «قَالُوا» اى الساكتون عاتبين لمنافقتهم على ما صنعوا «أَتُحَدِّثُونَهُمْ» و تخبرونهم و الاستفهام

بمعنى النهى اى لا تحدثوا المسلمين «بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» وبيّنه الله لكم خاصّة من نعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي التوراة «لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ» اللّام متعلّقة بالتحديث دون الفتح اى لتحتجوا عليكم به، فيقطعوكم بالحجّة «عِنْدَ رَبِّكُمْ» اى فِي حكمه وكتابه، كما يقال: هو عند الله كذا، اى فِي شرعه وكتابه كذا واصل المعنى اّكم لا تقرّوا بان محمّدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نبي لأنكم إذا أقرتم أنّه نبيّ حقّ و هو مذكور فِي كتابكم فحينئذ يجادلکم المسلمون و تكون الحجّة عليكم «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» متّصل بكلامهم اى أفلا تفقهون أيّها القوم، انّ إخباركم محمّدا و أصحابه بما تخبرون من وجود نعت محمّد في كتبكم، حجّة عليكم عند ربكم، يحتجون بها عليكم. و قيل معناه: أفلا تعقلون أيّها المؤمنون فلا تطمعوا في ذلك، فيكون كلاما مستأنفا. و قيل أنّه خطاب لليهود اى أفلا تعقلون أيّها اليهود إذ تقبلون من رؤسائكم مثل هذه الكلمات السخيفة، فيكون الكلام تحذيرا لهم عن اتّباعهم لرؤسائهم.

فاطلب العلم حتى يكون عمك على المنهج المستقيم و تستفيد من العمل و المراد من العلم، ما قاله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إنّما العلم ثلاثة، آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة و ما عداها فضول.

و المراد من آية محكمة، التي لم يكن للريب و الشكّ مجال فيها و الّا لم تكن محكمة كالأحكام مثل قوله: للذكر مثل حظّ الأنثيين. و المراد من الفريضة العادلة:

العلوم النفسانيّة المتعلّقة بالردائل و الخصال المحمودة باعتبار التخلية و التحيلة و التعبير بالعدالة: لأنّها المتوسّطة المحفوظة من الإفراط و التفريط. و المراد بالسنّة القائمة العادات المأخوذة من النبيّ و الوصيّ، مستقيمة منتصبة عن الاعوجاج، تكفي مهامّ عاملها في الدنيا و الآخرة و تكون قائمة بأمر فاعلها و يستغنى بها في أمره.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: تركتم على الحجّة البيضاء. فلا تغيّر السنّة بالتقليد من هاهنا و هاهنا فتفسد جميع أمورك.

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ (77)

اي جميع ما يسرونه و ما يعلنونه، عالم به و من ذلك أسرارهم الكفر و اعلانهم الايمان.

وَ مِنْهُمْ أُمَّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَ إِن هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78)

«وَ مِنْهُمْ» اي من اليهود «أُمَّيُونَ» لا يحسنون الكتب و لا يقدرّون على القراءة.

و الأمي منسوب الى امّة العرب و هي الامّة الخالية عن العلم و القراءة، فاستعير لمن لا يعرف القراءة و الكتابة «لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ»: يعنى التوراة ليطالعوها و يتحقّقوا ما فيها من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه و آله و سلّم فيؤمنوا «إِلَّا أَمَانِيَّ» جمع امنيّة من التمنيّ و الاستثناء منقطع لأنّ الأمانى ليست من جنس الكتاب و هي الشهوات الباطلة الثابتة عندهم و المفتريات، من تغيير صفة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم و بعض الأقاويل الفاسدة من زعمهم أنّهم لا يعدّون في التارّ إلاّ أيّاما معدودة و أنّ آبائهم الأنبياء يشفعون لهم و أنّ الله لا يؤاخذهم بخطاياهم و لا حجة لهم في هذه الأمور «وَ إِن هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» اي و ما هم إلاّ يظنون ظنّا من غير تيقن بها و قصارى أمرهم، الظنّ و التقليد لأبائهم و أتى يرجى منهم الايمان و اليقين.

و الامنيّة لها معان مشتركة في اصل واحد، أحدها ما تخيّل الإنسان فيقدّر في نفسه وقوعه و يحدثها بوجوده و كونه. و ثانيها، الأمانى: الأكاذيب المختلقة سمعوها من علمائهم، فقبلوها على التقليد. قال أعرابي لابن دابّ في كلام حدّث به: أ هذا شيء رويته، أم تمنيتّه اي اختلقته. و ثالثها بمعنى القراءة قال كعب بن مالك: تمنى كتاب الله أوّل ليلة. و حمل معنى الآية على القراءة أليق و حينئذ الاستثناء متّصل، فكأنّه قال: لا يعلمون الكتاب، إلاّ بقدر ما يتلى عليهم، فيسمعونه و بقدر ما يذكر لهم، فيقبلونه لأنّهم امييون و كلّ هذه المعاني مناسب لحالهم.

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ بِهٖ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ
(79)

الويل، كلمة يقولها كلّ واقع في هلكة بمعنى الدّعاء على النّفس بالعذاب «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ»: اى عقوبة عظيمة، وهو مبتداء، و ما بعده خبره، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم:

الويل واد في جهنّم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا، قبل ان يبلغ قعره. وقال سعيد بن المسيّب عنه صلّى الله عليه وآله وسلم: إنّه واد في جهنّم لو سيّرت فيه جبال الدنيا، لماعت من شدّة حرّه.

«يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ» المحرّف «بِأَيْدِيهِمْ» تأكيد لدفع توهم المجاز، فقد يقول الإنسان كتبت الى فلان إذا امر غيره ان يكتب عنه «ثُمَّ يَقُولُونَ» لعوامهم و تابعيهم «هذا» المحرّف «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» في التوراة. روى أنّ احبار اليهود، خافوا ذهاب مآكلهم و رئاستهم حين قدم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم في المدينة، فاحتالوا في تعويق عوام اليهود و سفلتهم عن الايمان، فعمدوا إلى نعت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم في التوراة- وكانت هي مذكورة في التوراة حسن الوجه، جعد الشعر، اكحل العين، ربعة- فغيّروها و كتبوا مكانه، طول، أزرق، سبط الشعر، فإذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرءوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته، فيكذبونه و أنّما فعلوا ذلك «لَيْسَتْ بِهٖ»، اى يأخذوا لأنفسهم بمقابلة المحرّف «تَمَنَّا قَلِيلًا» و هو ما أخذوه من الرشى، بمقابلة التحريف و التأويل الزائغ. قليلا لا يعبأ به و قد وصفه بالقلّة، لكونه حراما و لا يربوا عند الله و هو فان، قال الواحدي في الوسيط: و قيل المراد في الآية: كاتب كان يكتب للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم، فيغيّر ما يملى عليه، ثم ارتدّ و مات، فلفظته الأرض. و الأوّل أوجه «فَوَيْلٌ لَهُمْ» اى العقوبة العظيمة ثابتة لهم «مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ» من أجل كتابتهم ذلك المحرّف «وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» من أخذهم الرشوة. و اصل الكسب: الفعل لجرّ نفع، او دفع ضرر. و الخطب الأعظم و البلاء الاطم، العالم المحرّف و لوفي مسألة و الجاهل المقلّد و هو متمكّن من العلم، فإنّ فساد الدنيا و الدين من هذين. و قد حذر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم امّته لّمّا علم ما يكون

في آخر الزمان، فقال: الا انّ من قبلكم من اهل الكتاب، افترقوا على اثنتين و سبعين ملة و انّ هذه الامة ستفترق على ثلاث و سبعين، كلّها في النار الا واحدة و حدّتهم ان يحدّثوا من تلقاء أنفسهم في الدين، ما هو يخالف كتاب الله، أو سنّته، فيضلّوا به الناس.

وقد وقع ما حدّره و شاع و كثر و ذاع، حتى أنّهم أرادوا ان يخرجوا عن دين الإسلام لميل طباعهم لحبّ دين النصراري، فمؤهوا على ضعفاء الامة بل حمقائهم و أظهروا لهم العلم و الاطلاع بكتاب الله و استسوا مواد مؤلفة بعضها يشبه بعض القرآن في الصورة لكن في المعنى يخالفه و بعضها يخالفه في الصورة و المعنى و بعضها القليل يوافقه و ذلك لتمزيج الباطل بالحق و لإسكات بعض المتعالمين - و سمّوه قانونا و قد نسخوا القانون الإلهي بهذا القانون الموصوف، فويل لهم ممّا كسبت أيديهم.

فأقول: و اقسام بالله و صفاته و آياته انّ من يعرف نفسه، أنّه من اهل القرآن و يدعى الإسلام ان يحترز من هذا القانون الموضوع، بل يجب على المسلم ردّه و إنكاره، فلو وافقه و احبّه و أيّده، فهو من اهل الويل في الآية و من تأمل في وجوب الإنكار و حرمة القبول، إمّا ملحد و لكن يظهر التنسك و إمّا من الطبقة الثانية من الممّوهين بصيغة المفعول لا الفاعل، كما ذكرنا قبيل هذا، ثمّ أقول: في وجوب الردّ لهذا الأمر الذي به نسخ أديان تمام الأنبياء، كما امر الله في الحج و أوجب و لله على الله الناس و التبرّي عن هذا الأساس انتهى.

[سورة البقرة (2): آية 80]

وَ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80)

«وَقَالُوا» اي اليهود- زعما منهم-: «لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ» و لا تصل إلينا في الآخرة «إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً» قليلة محصورة، سبعة أيام فانّهم كانوا يقولون: انّ أيام الدنيا سبعة آلاف سنة، فنعدّب مكان كلّ ألف سنة، يوما؛ او يراد من أيام معدودة:

أربعون يوما، مقدار عبادة آبائهم العجل و كانوا يقولون: نعدّب تعذيب الأب ابنه، و نحن أبناء الله و أحبّاؤه و لا نعدّب ابدا، فكذبوا تمام الكتب السماوية و تمام رسله،

لأنه بيّن الله في كتابه على السنة رسله: ان عقوبة الكفر ابدية.

«قُلْ» يا محمد مد تبيكتا لهم «أَتَخَذْتُمْ» بقطع همزة الاستفهام، اى أ اتخذتم «عِدَّ اللَّهُ عَهْدًا» و خبرا و وعدا بما تقولون؟ فانّ ما تقولون، لا يكون الا الى بناء و عهد محكم أخبركم الله به! و هل أخبركم عن الله احد من الأنبياء: انكم لا تعدّون ابداء، بل تعدّون أيّاما قلائل، فان كان لكم هذا «فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ» الذي عهده إليكم و الفاء في فلن يخلف الله فصيحة معربة عن شرط محذوف، مثل قول الشاعر:

قالوا خراسان أقصى ما يراد بناثم القفول فقد جننا خراسانا

«أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»: قيل: أم، منقطعة على تقدير تمام الكلام قبله، فيكون بمعنى بل. أو تكون متصلة، معادلة لهمزة الاستفهام، كأنه قال:

أنتم على اىّ الحاليتين: أ تقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون وقد تمسك نفاة القياس و خبر الواحد بهذه الآية قالوا لأنّ القياس و خبر الواحد لا يفيد ان العلم، فوجب ان لا يكون التمسك بهما جائزا لقوله: أم يقولون، الآية.

قال الرازي: لما دلّت الدلالة على وجوب العمل عند حصول الظنّ المستند الى القياس، أو الي خبر الواحد كان وجوب العمل معلوما، فكان القول به قولاً بالمعلوم، لا بغير المعلوم.

[سورة البقرة (2): الآيات 81 الى 82]

بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82)

«بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً»: بلى جواب لقولهم: لن تمسنا النار. و الفرق بين بلى و نعم، ان بلى، جواب النفي و نعم جواب الإيجاب، اى بلى تمسكم ابداء، بدليل قوله:

هم فيها خالدون. و السيئة تتناول جميع المعاصي، فبيّن سبحانه انّ الذي يستحق به الخلود ان يكون سيئة محيطة به و اختلف في السيئة، فقال ابن عباس و مجاهد و قتادة و غيرهم: السيئة هاهنا الشرك، و قال الحسن: هي الكبيرة الموجبة للنار و قال السدي:

هي الذنوب التي أوعد الله عليها النار. والقول الأول يوافقنا الشيعة، لأن ما عدا الشرك لا يستحق به الخلود في النار عندنا. «وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ»: أي أهدت به من كل جانب، أو المعنى أهلكته «و احيط بثمره» أي أهلك وقال عكرمة ومقاتل: إن الاحاطة، الإصرار على الذنب «فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»: أي دائمون في العذاب. والاختلاف في تفسير هذه الآية من معنى السيئة والخلود بين الوعديّة والخوارج والمعتزلة والأشاعرة كثير.

قال الطبرسي: والذي يليق بمذهبننا، قول ابن عباس لأنّ اهل الايمان لا يدخلون في حكم هذه الآية وقوله: و أحاطت به خطيئته، يقوى ذلك، لأنّ المعنى أنّ خطاياهم قد اشتملت عليه وأهدت به حتّى لا يجد عنها مخلصا ولا منخرجا ولو كان معه شيء من الطاعات لم تكن السيئة محيطة به من كل وجه وقد دلّ الدليل على بطلان التحايط ولأنّ قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» فيه وعد لأهل التصديق والطاعة بالثواب الدائم، فكيف يجتمع الثواب الدائم مع العقاب الدائم ويدلّ أيضا على أنّ المراد بالسيئة في الآية، الشرك، أنّ سيئة واحدة، لا تحبب جميع الأعمال، فلا يمكن اجراء الآية على العموم، فيجب ان يحمل على أعظم السيئات و اكبر الخطيئات وهو الشرك ليتمكن الجمع بين الآيتين.

قال الرازي: اختلف اهل القبلة في وعيد أصحاب الكبائر، فمن الناس من قطع بوعيدهم وهم فريقان: منهم من اثبت الوعيد المؤبد وهو جمهور المعتزلة والخوارج ومنهم من اثبت وعيدا منقطعا وهو البشر والخالدي. ومن الناس من قطع بانّه لا وعيد لهم وهذا القول شاذّ، ينسب الى مقاتل المعروف المفسّر. القول الآخر وهو أنّا نقطع بانّه سبحانه يعفوا عن بعض العصاة وعن بعض المعاصي و لكنّا نتوقف في حقّ كلّ احد على التعيين أنّه هل يعفو عنه أم لا ونقطع بانّه إذا عدّب أحدا منهم مدّة فانه لا يعدّبه ابدا، بل يقطع عذابه وهذا القول قول الصحابة والتابعين و اهل السنّة والجماعة و اكثر الاماميّة.

و أما دليل المعتزلة في الوعيد المؤبد، فإنّهم عوّلوا على العمومات الواردة في

هذا الباب و تلك العمومات على وجهين: بعضها وردت بصيغة «من» في معرض الشرط و بعضها وردت بصيغة الجمع، أما النوع الأول مثل قوله تعالى في آية المواريث: و من يعص الله ورسوله و يتعدّد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها. و قد علمنا أنّ من ترك الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الجهاد و ارتكب شرب الخمر و الزنا و قتل النفس المحرّمة، فهو متعدّد لحدود الله، فيجب أن يكون من أهل العقاب و ذلك لأنّ من في معرض الشرط تفيد العموم على ما ثبت في اصول الفقه، فمتى حمل الخصم هذه الآية على الكافر، دون المؤمن، كان ذلك على خلاف الدليل.

و من الآيات التي تمسّكوا بها في المسألة لاشتمالها على صيغة «من» في معرض الشرط و قالوا أنّها تفيد العموم قوله تعالى في قاتل المؤمن عمداً: و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها. قالوا فدلّت الآية على أنّ ذلك جزاؤه، فوجب ان يحصل له هذا الجزاء لقوله تعالى: من يعمل سوءاً يجز به. و الآية الثالثة التي استدلّوا بها: يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا، الى قوله: و من يولّهم يومئذ دبره إلا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله و مأواه جهنّم و بس المصير.

و من الآيات أيضاً: فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شراً يره.

و منها: يا أيّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، الى قوله تعالى: و من يفعل ذلك عدواناً و ظلماً فسوف نصليه ناراً.

و منها قوله تعالى: أنّه من يأت ربّه مجرماً فإنّ له جهنّم لا يموت فيها و لا يحيى. و منها: و قد خاب من حمل ظلماً. و هذا يوجب ان يكون الظالم من أهل الصلاة، داخلاً تحت هذا الوعيد. و منها بعد تعداد المعاصي: و من يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة و يدخل فيه مهاناً. بيّن أنّ الفاسق كالكافر، في أنّه من أهل الخلود، ألا من تاب من الفساق، أو آمن من الكفّار.

و منها: فأما من طغى و آثر الحيوة الدنيا فإنّ الجحيم هي المأوى. و منها:

من يعص الله ورسوله فإنّ له نار جهنّم، الآية. و لم يفصل بين الكافر و الفاسق و منها:

بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون. فهذه هي الآيات التي تمسك بها المعتزلة في المسألة لاشتغالها على صيغة «من» في معرض الشرط واستدلوا على أنّ هذه اللفظة تفيد العموم، لأنّه لو كانت موضوعة للخصوص لما حسن من المتكلم ان يعطى الجزاء لكلّ من أتى بالشرط لأنّهم اجمعوا على أنّه إذا قال: من دخل دارى أكرمته. يكون ان يكرم كلّ من دخل داره، فعلمنا أنّ هذه اللفظة ليست للخصوص.

النوع الثاني من دلائل المعتزلة: التمسك بالوعيد بصيغة الجمع المعرّف بالألف واللام و هي في آيات مثل قوله: وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ لَأَنَّ معناه: إنّ الذين فجروا في الجحيم وذلك يفيد العموم، لكن أنكر ابو هاشم وأصحابه أنّ الجمع المعرّف يفيد العموم وقال: اللام في قوله: وإنّ الفجار. ليست لام التعريف، بل هي بمعنى الذي. الآية الثانية من استدلال المعتزلة في أنّ الجمع المعرّف يفيد العموم في الوعيد قوله: وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا. و نالها: وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا.

النوع الثالث من العمومات: صيغ الجموع المقرونة بحرف «الذي» مثل قوله:

وَيَلِّ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسَّؤُونَ وَ مَثَلُ قَوْلِهِ: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا. وَ مَثَلُ قَوْلِهِ: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ وَ مَثَلُ: وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ.

و لم يفصل في الوعيد بين الكافر وغيره. و كذلك قوله: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ الْآيَةَ. و كذلك قوله: وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ وَ لو لم يكن الفاسق من اهل العذاب، لم يكن لهذا القول معنى، بل لم يكن له الى التوبة حاجة.

النوع الرابع من العمومات، قوله: سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. و عيد على منع الزكاة.

النوع الخامس من العمومات، لفظة كلّ، قوله: وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ فبين ما يستحق الظالم على ظلمه.

النوع السادس من أدلة المعتزلة، قوله: لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ

بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ هَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ تَعَالَى لَا بَدَّ وَ إِنْ يَفْعَلُ وَ لَا مُخْلِصٌ مِنْ عَذَابِهِ، فَهَذَا مَجْمُوعٌ مَا تَمَسَّ كَوَابَهُ مِنْ عَمُومَاتِ الْقُرْآنِ.

وَ أَمَّا عَمُومَاتُ الْإِخْبَارِ فَكَثِيرَةٌ، فَالْمَذْكُورُ بِصِيغَةٍ مِنْ، مَا رَوَى وَقَاصُ ابْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مَنْ أَكَلَ بِأَخِيهِ أَكَلَهُ، أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَ مَنْ أَخَذَ بِأَخِيهِ كَسَاهُ، كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَ مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَ سَمِعَهُ، أَقَامَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَقَامَ رِيَاءٍ وَ سَمِعَهُ. وَ هَذَا نَصٌّ فِي عَذَابِ الْفَاسِقِ. وَ كَذَلِكَ الْمَذْكُورُ بِصِيغَةٍ مِنْ، قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ:

مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ وَ ذَا وَجْهَيْنِ كَانَ فِي النَّارِ. وَ لَمْ يَفْصَلْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَ الْمُنَافِقِ. وَ كَذَلِكَ الْمَذْكُورُ بِصِيغَةٍ مِنْ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شَبْرٍ مِنْ أَرْضٍ، طَوَّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ. وَ كَذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: كُلُّ مَسْكَرٍ خَمْرٍ وَ كُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ وَ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا وَ لَمْ يَتَبَّ مِنْهَا لَمْ يَشْرِبْهَا فِي الْآخِرَةِ. وَ هُوَ صَرِيحٌ فِي وَعِيدِ الْفَاسِقِ وَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْخُلُودِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَشْرِبْهَا لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ، لِأَنَّ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلذُّ الْأَعْيُنُ. عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: الصَّلَاةُ مِنْ حَافِظٍ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَ بَرَهَانًا وَ نَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ عَلَيْهَا لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورًا وَ لَا بَرَهَانًا وَ لَا نَجَاةً وَ لَا ثَوَابًا وَ كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَ هَامَانَ وَ فِرْعَوْنَ وَ أَبِي بَنٍ خَلْفٍ. وَ هَذَا نَصٌّ فِي أَنَّ تَرْكَ الصَّلَاةِ يَحْبِطُ الْعَمَلَ وَ يُوْجِبُ عَذَابَ الْأَبَدِ. وَ أَمْثَالُ هَذِهِ الْإِخْبَارِ كَثِيرَةٌ لَا تَحْصَى.

النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْعَمُومَاتِ: الْإِخْبَارُ الْوَارِدَةُ لَا بِصِيغَةِ «مِنْ». وَ هِيَ كَثِيرَةٌ لَا تَحْصَى. عَنْ نَافِعِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَسْكِينٌ مُتَكَبِّرٌ وَ لَا شَيْخٌ زَانٌ وَ لَا مَثَانٌ بِعَمَلِهِ عَلَى اللَّهِ. وَ مَنْ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ مِنَ الْمَكْلُوفِينَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَ أَمْثَالُ هَذِهِ الْإِخْبَارِ أَيْضًا كَثِيرَةٌ. هَذَا مَجْمُوعٌ اسْتِدْلَالِ الْمَعْتَزِلَةِ الْوَعِيدِيَّةِ بِعَمُومَاتِ الْقُرْآنِ وَ الْإِخْبَارِ.

وَ أَجَابَ الْأَشَاعِرَةَ عَنْهَا مِنْ وَجْهِ: أَوَّلُهَا لَا نَسَلَّمَ إِنْ صِيغَةَ «مِنْ» فِي مَعْرُضِ الشَّرْطِ لِلْعَمُومِ. وَ لَا نَسَلَّمَ إِنْ صِيغَةَ الْجَمْعِ إِذَا كَانَتْ مَعْرُوفَةً بِاللَّامِ لِلْعَمُومِ.

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ يَصَحُّ إِدْخَالُ لَفْظَتِي الْكَلِّ وَ الْبَعْضِ عَلَى هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ، فَيُقَالُ كُلٌّ مِنْ دَخَلَ دَارِي أَكْرَمْتَهُ وَ بَعْضٌ مِنْ دَخَلَ دَارِي أَكْرَمْتَهُ وَ يُقَالُ كُلُّ النَّاسِ كَذَا وَ بَعْضٌ

الناس كذا فلو كانت لفظة «من» للشرط، يفيد الاستغراق، لكان إدخال لفظ الكلّ عليه زائداً وكذلك في لفظ الجمع المعرف، فثبت أنّ هذه الصيغة لا تفيد العموم. وكذلك الموصول، مثل قوله تعالى: انّ الذين كفروا سواء عليهم ء أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. فظاهر الآية حكم على كلّ الذين كفروا أنّهم لا يؤمنون، ثمّ إنّنا شاهدنا قوماً منهم قد آمن، فعلمنا أنّه لا بدّ من أحد الأمرين، إمّا لأنّ الصيغة ليست موضوعة للشمول، أو لأنّها وإن كانت موضوعة لهذا المعنى إلاّ أنّه قد وجدت قرينة أنّ مراد الله من هذا العموم، هو الخصوص، فلمّا كان ذلك العموم يخصّص بسبب القرينة كذلك ها هنا، فإنّ عمومات الوعيد، معارضة بعمومات الوعد ولا بدّ من الترجيح وليس ترجيح، بل الترجيح معنا من وجوه: الأوّل: أنّ الوفاء بالوعد، ادخل في الكرم، من الوفاء بالوعد.

الثاني: أنّه قد اشتهر في الاخبار أنّ رحمة الله سابقة على غضبه، فكان ترجيح عمومات الوعد أولى.

الثالث: أنّ الوعيد حقّ الله والوعد حقّ العبد وهو أولى بالتحصيل من حقّ الله لاحتياجه. وقد رأينا أنّ كثيراً من الألفاظ العامّة وردت في الأسباب الخاصّة، بل قطع بعض أنّ العذاب منفيّ عن أهل الكبائر واحتجّوا بقوله تعالى: إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ وقوله: إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى قالوا: دلّت الآية على أنّ ماهيّة الخزيّ والسوء والعذاب مختصّة بالكافرين. وقال الله: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً. حكم بأنّه تعالى يغفر كلّ الذنوب ولم يعتبر التوبة ولا غيرها وهذا الكلام.

يفيد القطع بغفران كلّ الذنوب.

و الثالث من الآيات الدالّة على مراننا: قوله تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَأَدُوّ مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وكلمة «على» تفيد الحال، كقولك رأيت الملك على أكله، أي رأيتّه على اشتغاله بالأكل، فكذا ها هنا وجب ان يغفر لهم الله حال اشتغالهم بالظلم وحال اشتغالهم بالظلم يستحيل وجود التوبة منهم، فعلمنا أنّه يحصل الغفران بدون للتوبة.

الرابع: قوله: فأندرتكم نارا تَلْظَى، لا يصلحها إلا الأشقى الذي كَذَّب و تَوَلَّى.

و كل نار متلظية.

الخامس: ان صاحب الكبيرة لا- يخزي لأن صاحب الكبيرة مؤمن و المؤمن لا يخزي لقوله: يوم لا يخزي الله النبي و الذين آمنوا معه. و صاحب الكبيرة من الذين آمنوا بالغيب و ليس بكافر. و حكم سبحانه بالفلاح على كل من آمن، بقوله: وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ و معلوم ان صاحب الكبيرة، قد آمن بما انزل الله و موقن بالآخرة لأنه لو لم يؤمن فهو كافر، و الكلام في المؤمن العاصي. و بالجملة، فالعمومات في الوعد و الوعيد معارضة بعضها ببعض. و الحق ان العبد يكون يتوقف عند هذه المدلولات و يكون مضطربا خائفا من الوعيد و راجيا بالوعد، لأنه لا يحصل القطع بأحد الأمرين من العمومات.

و بالجملة، فاقصر عن الشهوات و تدارك لساعة لا أنت الى دنياك عائد و لا في حسناتك بزائد، معانقة الحسان و التفرج في المنتزهات، لا تنفع لظلمة القبر و ضيقه و أنت لا تعلم ما بقي من أجلك فازهد في طول املك قبل الحسرة و الندامة. نعوذ بالله من قسوة قلوبنا، فان القلب إذا لم يكن قاسيا يتأثر بكلمة، كما اتفق للشيخ جعفر المرتعش النيشابوري و كان اول امره ابن دهقان كثير المال، فسئله رجل شيئا، فقال في نفسه: شاب، جلد، صحيح البدن، لا يأنف من هذا. قال فزقق في وجهي زعقة أفرعتني، ثم قال أعوذ بالله مما خامر في سرّك، قال فغشى عليّ، فلمّا أفقت لم أر أحدا فندمت على ما كان مني فبت ليلة بغمّ شديد، فرأيت في الرؤيا على بن أبي طالب عليه السلام و معه ذلك الشاب و عليّ عليه السلام يشير اليّ و يوبّخني و يقول: إنّ الله لا- يجيب سؤال مانع سائله. فانتبهت و فرقت جميع ما كان لي و لزمتم مسجدا ببغداد. و كان وقت موته عليه من الدين بضع و عشرون درهما يعادل ما يملك. و نحن في كل يوم نقرأ من القرآن و لا نجيب سائلا. قلوبنا مريضة و لا نحسّ حتى نعالجها، فكما انّ البدن بعدم المراقبة في حفظ الصحة يهزل

ص: 218

و يضعف، كذلك الروح و النفس بكثرة المعاصي يفسد بحيث لا- يقبل العلاج، الا- ترى انّ بعض الأمراض لا يعالج، كذلك بعض المعاصي صعب العلاج، أو غير ممكن العلاج، فتشتغل خمسين سنة بالمعاصي برجاء التوبة و انّى لك التوبة، تشرب السم برجاء الترياق و الطبيب و لعل الترياق لا ينفع بعض الأوقات في بعض الأمزجة، كما شوهد مرارا و المعاصي إذا كثرت يغلف الحجاب و لا يحصل لك نور، حتى تهتدى الى سبيل العبوديّة، فتكون خارجا عن العبوديّة.

حكى عن ذي النون المصرى، قال: كنت في بعض الجبال فإذا بجارية مكشوفة الرأس و الوجه و قد نحل جسمها و تغير لونها و تقول: الله الله. فقلت لها: اين الخمار يا جارية، فأجابتنى ما يصنع بالخمار وجه علاها الذلّ و الصغار. فقلت لها لما ذا علاها الصغار. فقالت: من الخمار. فقلت سبحان الله، تناولت شيئا من الخمر. قالت: يا بطل شربت البارحة من كأس المعرفة، فأصبحت اليوم من الشوق مخمورا، فقلت: عظيمى يا جارية. قالت: عليك بالسكوت حتّى يقال أنّك مبهوت، و ارض بالقوت حتّى يبنى لك في الجنّة بيت من الياقوت، تضرّع بالأسحار الى عالم الأسرار، و تب اليه توبة نصوحا، و البس مكان الحرير مسوحا، و اقبل من ناصح أمين، قبل ان تكون في عذاب مهين، و كلّ محنة الى زوال، و كلّ نعمة الى انتقال، و مال لا ينفك في آخرتك و بال، و علم لا يصلحك ضلال، و ليكن وجهك أزهر. لا اغبر، قال الله: و جوه يومئذ مسفرة. لا يبضاضها في الدنيا بالتركية و زوال كدورة المعاصي عنها. ضاحكة. لأنّها بكت في الدنيا حتّى صارت عمياء عن رؤية غير الله و الدنيا. مستبشرة. و هذه البشارة عوض خوفها في الدنيا، فافيقوا عن سكرتكم و انظروا بعين الإفاقة.

رجعنا الى التفسير «و الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»: اى الذين صدقوا بالله تعالى و بمحمد صلّى الله عليه و آله و سلّم بقلوبهم و أدوا الفرائض و انتهوا عن المعاصي، مؤيدون في الجنّة، لا يموتون و لا يخرجون منها أبدا.

جرت السنّة الالهية على شفيع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة في ارشاد العباد، من الترغيب تارة و التهيب اخرى، و البشير مرّة و الإنذار اخرى و العجب مع هذه

الآيات الصريحة في الخلود للكافر والمؤمن، في الجنة والنار، ان بعض المغرورين بالعقل من الفلاسفة و الطبائعية لفرط غفلتهم كذبوا هذه الآيات وظنوا ان قبائح أفعالهم وأعمالهم، لا تؤثر في صفاء أرواحهم وقلدوا اليهود وقالوا: إذا فارقت الأرواح الأجساد، يرجع كلشيء الى أصله، فالاجساد ترجع الى العناصر والأرواح الى حظائر القدس ولا يزاحمها شيء من نتائج الأعمال الاياما معدودة. وهذا فاسد لأن العاقل يشاهد حسنا ان تتبع الشهوات الحيوانية واستيفاء الذات النفسانية، تورث الأخلاق الذميمة، من حرص والأمل والحسد والبغض والبخل والكبر والكذب وغير ذلك وهذه من صفات النفس الامارة بالسوء، فتصير بالمجاورة ويتبدل اخلاق الروح كأخلاق النفس الخبيثة فحكمه حكمها وما تستحق فيستحق فكلما تدنس الأجسام، تدنس الأرواح وكذبهم الله تعالى بقوله: بلى من كذب سيئة وأحاطت به خطيئته الآية.

[سورة البقرة (2): آية 83]

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ (83)

«وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ»: واذكروا وقت أخذنا العهد من بني إسرائيل والميثاق. قيل هو موثيق الأنبياء على أممهم، والعهد لا يكون الا بقول اى أمرنا بلسان رسلنا وأكدنا عليهم في التوراة بأن لا تعبدوا الا الله وقيل: المراد من العهد من جهة السمع والعقل كليهما «وَالْوَالِدَيْنِ» يحسنون «إِحْسَانًا» «وَذِي الْقُرْبَىٰ اى وتحسنون الى ذي قرابتكم.

في تفسير الامام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل والديكم واحقهما بشكركم، محمد وعلي صلوات الله عليهما وقال امير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أنا وعلي عليه السلام أبوا هذه الامة وحقنا عليهم أعظم من حق ابوي ولادتهم، فاتا نقتدهم من النار ان أطاعونا.

قال الفيض: ولهذه الأبوّة صار المؤمنون اخوة، كما قال الله تعالى: أئما

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من رعى حق قرابات أبيه اعطى في الجنة ألف ألف درجة، ثم فسّر الدرجات. ثم قال و من رعى حق قربي محمد وعلي صلوات الله عليهما اوتى من فضائل الدرجات وزيادة المثوبات على قدر زيادة فضل محمد وعلي علي ابوي نسبه. و القربي مصدر كالحسنى.

«وَالْيَتَامَى: جمع يتيم وهو الصغير الذي مات أبوه قبل البلوغ و من الحيوانات:

الصغير الذي ماتت امه. في الحديث: ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فلا يقرب قصعتهم الشيطان. وقال النبي صلى الله عليه وآله و سلم: كافل اليتيم و انا كهاتين في الجنة- و أشار بسبأتيه- و سميت بسبابة لأنهم كانوا يسبون بها في الجاهلية، فكرهوا ذلك و سموه بالمشيرة قال الصادق عليه السلام: و اشد من يتم هذا اليتيم، يتيم عن امامه، لا يقدر على الوصول اليه، و لا يدري كيف حكمه فما يبتلى به من شرائع دينه، الا- فمن كان من شيعتنا عالما بعلومنا و هذا الجاهل بشريعتنا، المنقطع عن مشاهدتنا، يتيم في حجره، الا فمن هداه و أرشده و علمه شريعتنا، كان معنا في الرفيق الأعلى حدّثني بذلك ابي عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم.

«وَالْمَسَاكِينَ»: المسكين من اسكنه الضرّ و الفقر. عن الحرائر، التوصية بحسن القول و إيصال الصدقة إليهم، قال ايضا عليه السلام الا، فمن و اساهم بحواشي ماله، و سع الله عليه جناحه و انا له غفرانه و رضوانه. ثم قال: ان محبي محمد صلى الله عليه وآله و سلم مساكين، مواساتهم أفضل من مواساة مساكين الفقراء و هم الذين سكنت جوارحهم و ضعفت قواهم عن مقاتلة اعداء الله الذين يعيرونهم و يسفّهون أحلامهم. الا، فمن قواهم بفقهم و علمه حتى أزال مسكنتهم و جهلهم، ثم سلّطهم على اعداء الله الظاهرين من النواصب و على الأعداء الباطنين، إبليس و مردته، حتى يهزم موهم عن دين الله و يذودهم عن اولياء آل الرسول، حوّل الله تلك المسكنة الى شياطينهم و أعجزهم عن اضلالهم- قضى الله بذلك قضاء حقّا على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم- «وَقُولُوا لِلنَّاسِ»: اي و قولوا للناس قولاً «حُسْنًا»: قرء بفتح الحاء و السين

وقرء بضمّ الحاء و اسكان السين مبالغة لفرط حسنه. امر الله سبحانه بالإحسان بالمال في حق أقوام مخصوصين وهم الوالدان والأقرباء و اليتامى و المساكين. ولما كان المال لا يسع الكلّ، امر بمعاملة الناس كلّهم بالقول الجميل الآذى لا يعجز عنه كلّ احد، اى ألينوا لهم القول بحسن المعاشرة و حسن الخلق و أمرهم بالمعروف و انهوهم عن المنكر قيل:

المراد: قولوا للناس صدقا و حقّا في شأن محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، فمن سألكم عنه فاصدقوا و بيّنوا صفته و لا تكتموا امره و قد امر الله الخلق في هذه الآية بما هو صلاح دينهم و ديناهم.

قال الصادق عليه السّلام: قولوا للناس حسنا كلّهم، مؤمنهم و مخالفهم، امّا المؤمنون فيبسط لهم وجهه و بشره و امّا المخالفون فيكلمهم بالمداراة لاجتذابهم الى الايمان، فان يس من ذلك يكف شرورهم عن نفسه و إخوانه المؤمنين. قال: انّ مداراة اعداء الله من أفضل الصدقة من المرء على نفسه و إخوانه. كان رسول الله في منزله إذا استأذن عليه عبد الله بن ابي بن سلول، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: بسّ أخو العشيرة. انذونا له، فلما دخل أجلسه و بشر في وجهه، فلما خرج قالت له عائشة: يا رسول الله قلت فيه ما قلت و فعلت فيه من البشر ما فعلت. فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا عويش يا حميراء انّ شرّ الناس عند الله يوم القيامة من يكرم اتقاء شرّه. و في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السّلام في هذه الآية قال: قولوا للناس احسن ما تحبّون ان يقال لكم، فانّ الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين المتفحش السائل المتلخّف و يحبّ الحيّ الحليم العفيف المتعقّف.

و في الكافي عن الصادق عليه السّلام: لا تقولوا الا خيرا حتى تعلموا ما هو. و في التهذيب و الخصال و العياشي عن الباقر عليه السّلام: أنّها نزلت في اهل الذمة ثم نسخها قوله: فاقتلوا الذين لا يؤمنون بالله و اليوم الاخر و لا يحرمون ما حرّم الله و رسوله و لا يدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون. و القمي، نزلت في اليهود، ثمّ نسخت بقوله: اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، فان قيل: فما وجه التوفيق بين نسخها و بقاء حكمها، فالجواب: أنّها نسخت في حقّ اليهود و أهل الذمة المأمور بقتالهم و من هو في حكمهم و بقي حكمها في سائر الناس الى يوم القيامة.

«وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ»: كما فرضا عليهم، ذكرهما تخصيصا مع دخولهما في العبادة المذكورة. تلخيصه أخذنا عهدكم يا بني إسرائيل بجميع المذكور فقبلتم «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ» ورفضتم الميثاق «إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ» و هم من الاسلاف من ايام اليهودية على وجهها و من الأخلاف كعبد الله بن سلام و أضرابه فهؤلاء مستثنون و الباقون ضلّوا و اضلّوا.

«وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ»: جملة تذييلية اى و أنتم قوم عادتكم العناد و الاعراض عن الحق و اصل الاعراض الذهاب عن المواجهة. و العبادة من وظيفة العبودية و لا يحصل العبودية الا بها و هي تفرّد العبد لإطاعة خالقه و تجرّده عن كلّ مقصود سواه، فمن لاحظ خلقا، او استجلى ثناء، او استجلب بطاعته الى نفسه حظًا من حظوظ الدنيا.

مع قصده بها، او داخله مزج او شوب، فهو ساقط عن مرتبة الإخلاص، و إذا حصل هذا المقام للإنسان يتم امره بساعة و ينقلب الى أهله مسرورا، كما وقع لجماعة كثيرة رجعوا الى الله و تجافوا عن دار الغرور بلحظة.

[سورة البقرة (2): آية 84]

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84)

«وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ»: و اذكروا ايها اليهود، وقت أخذنا إقراركم و عهدكم في التوراة و قلنا لكم لا يريق بعضكم دم بعض. جعل غير الرجل نفسه، لما بينهم من الاتصال القويّ نسبا و دينا فأجرى كلّ واحد منهم مجرى أنفسهم. و قيل: إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه، لأنه يقتص منه و هو اخبار في معنى النهي.

«وَ لَا - تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ»: اى لا - يخرج بعضكم بعضا من دياره او لا تسبّوا و لا تؤذوا جيرانكم، فتلجؤهم الى الخروج و في اقتران الإخراج من الديار بالقتل، إيذان بأنه بمنزلة القتل.

«ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ»: بالميثاق و ألزمت على أنفسكم و اعترفتكم بوجوب المحافظة عليه «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ»: عليها، تأكيد للإقرار، مثل قولك: فلان مقرّر على نفسه بكذا،

شاهد عليها، او المعنى و أنتم اليوم تشهدون على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق. و تخلص البيان: ان هذه الأحكام و الأمور كلها كانت عليكم مذكرة في التوراة. و أنتم كنتم محكومين بها و متعاهدين على العمل بها.

[سورة البقرة (2): آية 85]

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفْتَوْا مُنُونٌ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)

«ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ»: ثم أنتم هؤلاء، مبتداء و خبر و مناط الإفادة اختلاف المنزل منزلة اختلاف الذات، اى أنتم بعد ذلك هؤلاء الدّاقضون المتناقضون، او التقدير ثم أنتم يا هؤلاء. و يجوز أن يكون هؤلاء تأكيداً لأنتم و الخبر تقتلون، او يكون بمعنى الذين و تقتلون صلته و في موضع الرفع خبر للمبتدأ: اى أنتم الذين تقتلون انفسكم: اى يقتل بعضهم بعضاً و تتعرضون للقتل.

«وَ تَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ» الضمير في ديارهم راجع الى الفريق. و الفريق: الطائفة، تظاهرون: بحذف احدى التائين حال من فاعل تخرجون: اى متعاونين عليهم في إخراجهم، ملتبسين بالإثم و المعصية و العدوان و التطاول، و تقوون ظهوركم للغلبة عليهم. و الإثم: الفعل الذي يستحق فاعله الذمّ و اللوم. و دلت الآية على أنّ الظلم كما هو محرم، فالتعاون عليه ايضا كذلك، فان قيل: أليس الله لما أقدر الظالم على ظلمه فقد أعانه، فالجواب: أنّه كما امكنه فقد زجره عن الظلم، بالتهديد و المنع: فلو لم يمكّنه و يسلب عنه القوّة بحيث لم يقدر إتيانه، لقبح التكليف، لأنّه لا يقال للأعمى لا تنظر و لا يقال للنعين لا تزن.

وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى اى جاؤكم حال كونهم مأسورين و ظهوروا لكم على

هذه الحالة. و الأسارى جمع أسير و هو من يؤخذ قهرا بمعنى الأسر و هو الشدّ و الإيثاق. و الفرق بين أسارى و أسرى: أنّهم إذا قيّدوا و أوثقوا فهم أسارى و إذا حصلوا في يدهم و سلطتهم من غير قيد فهم أسرى.

«تَفَادُوهُمْ»: أي تخرجوهم من الأسر بإعطاء الفداء. و المفاداة تجري بين الفادي و المفتدي.

«وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ»: الضمير مبتدأ مبهم يفسره إخراجهم:

أي الإخراج و القتل حرام عليكم و اصل القصة: أنّ الله حكم على بني إسرائيل في التوراة: ان لا يقتل بعضهم بعضا و لا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم و ارضهم و أيما عبد او امة وجدتموه من بني إسرائيل، فاشتروه و أعتقوه و كانت بنو قريظة حلفاء الأوس، و النضير حلفاء الخزرج، حين كان بينهما أي بين الأوس و الخزرج من العداوة و الحرب، فكان كلّ فريق يقاتل مع حلفائه، فإذا غلبوا، خرّبو ديارهم و أخرجوهم منها، ثمّ إذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونهم، فعيرتهم العرب و قالت كيف تقاتلونهم ثمّ تقدونهم، فيقولون أمرنا في التوراة: ان نفيدهم و حرّم علينا قتالهم - و لكنّ نستحيي أن نذل حلفائنا، فذمّهم الله بأنكم إذا وجدتم أسيرا في يد غيركم من أعدائكم تقدونهم و هذا الحكم قبلتموه و ما تركتموه، فكيف قتلتم و إخراجكم إياهم تركبونه، فكما أنّ تركهم أسرى في أيدي عدوّكم حرام و اعتاقهم عليكم واجب، كذلك قتلهم و إخراجهم حرام عليكم.

«أَفْتُوهُمْ وَنَبِّعُضِ الْكِتَابِ» الّذي فرضت عليكم فيه فرائض و هو التوراة «وَتَكْفُرُونَ بِنَبِّعُضِ» و قد علمتم أنّ الكفر منكم ببعضه نقض بعهدي و هو قبول التوراة و العمل بأحكامه.

«فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»: أي ليس جزاء من يفعل ذلك أي الكفر ببعض و الايمان ببعض منكم يا معشر اليهود الأذلّ و فضيحة في الدنيا و هو قتل بني قريظة و اسرهم و اجلاء بني النضير إلى أذرعات و أريحا من الشام و أخذ

الجزية والاستصغار. و يوم يقام فيه الجزية- ولذا سميت القيامة- يردون و يرجعون الى اشد العذاب و هو التعذيب في جهنم، لأن كل عذاب ينقطع و عذابهم لا ينقطع و الله ليس بغافل عن أعمالكم.

[سورة البقرة (2): آية 86]

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (86)

«أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ»: اشارة الى الذين اخبر عنهم بأنهم يؤمنون ببعض الكتاب و يكفرون ببعض: اى الموصوفون بهذه الصفة الذين استبدلوا الحياة الفانية بالحياة الباقية و اعرضوا عنها لبعض منافعهم و أغراضهم الفاسدة؛ فاقطع علاقتك عمّا يفارك بالموت و الزم الاقتصار في الالتفات الى لازمك الذي لا بد لك منه و هو الله. و قد أوحى الله إلى داود: يا داود انا بذكّ اللازم فالزم بذكّك. و هو الكمال الحقيقي و المال و البنون شهوات و زينة الحياة الدنيا و هي كمالات و همية و ليست الشهوة واحدة و عشرة. و قد يكون الإنسان قد قمع عن نفسه جميع الشهوات، لكن لم يقمع عن طلب حسن الثناء و الخلوص و هو قاتله، فلو فرضنا انّ جميع اهل الأرض سجد لك، أليس في مدّة قليلة لا يبقى الساجد و المسجود فكيف تترك الجاه العريض الطويل عند الله و تختار هذا الكمال الوهميّ الزائل من قبول جماعة من الناس الذين لا يملكون لك موتا و لا حياة و لا رزقا و لا أجلا و خطر الجاه أعظم من خطر المال، لأنّ قليل الجاه يدعو إلى كثيره، لأنّه الذّ من المال. و لا يسلم من هذه الآفة إلاّ خامل مجهول.

قال عيسى عليه السلام: يا طالب الدنيا للبر، تركك لها أبرّ. اعلم ان المال كالدواء و النافع منه قدر مخصوص، و الإفراط منه قاتل، و القرب من الإفراط ممرض، و العبد مسافر إلى الله، و الدنيا منزل من منازل سفره، و بدنه راحلته، و لا يمكنه السفر إلاّ بالراحلة، و الراحلة لا بدّ لها من علوفة، و لم يؤخذ من العلوفة إلاّ قدر مسافة السفر، و الزائد ثقل و وبال، فاقنع من الدنيا بزد الراكب، كما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لسلمان:

فليكن بلاغك من الدنيا كزاد الراكب والزائد يلهي عن ذكر الله، قال الله تعالى:

ألهيكم التكاثر. والخطب الأعظم أنه ما من غنى إلا ويدعى أن ما في يده مقدار كفايته وضرورته. ولم يعرف مقدار الضرورة لكثرة شهواته مع أن الضرورة في المطعم والملبس والمسكن، وقد عيّن الحدّاق من أطباء الدين مقدارها وهو أنه إن تركت التجمّل في الملابس فيكفيك في السنة ديناران لشتانك و صيفك، وكذلك ان تركت التّعم في مطعمك فيكفيك في كلّ يوم مدّ و يكفيك لادامك ان اقتصرت على القليل في بعض الأوقات ثلاثة دنانير في السنة، فإذا مبلغ ضرورتك خمسة دنانير و خمسمائة رطل و إذا كنت معيلا فكذلك القياس، لكن لما كان لا يحتمل بعض الأشخاص القناعة بالقدر الذي قدره الزاهدون و لا حرج في الدين فلهم الضعف في هذا المقدار. و لا يخرج عن حزب أبناء الاخوة مادام يقصد بذلك دفع الألم الشاغل عن ذكر الله و العبادة و معلوم ان فائدة البذل أعظم من فائدة الإمساك، لأنّ إمساك المال إن كان للتّعم في الشهوات فتلك سجيّة البهائم و إن كان يتركه لولده و يحرم نفسه مع أنّه هو اولى به، خصوصا إذا كان الولد فاسقا يستعين بذلك المال على المعصية فيكون معدّ الأسباب المعصية و الكمال الحقيقي، الحرّيّة و هو انقطاع علائق الدنيا و ما يفارقك بالموت.

«فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ»، و لا يمنعون و لا ينصرون بدفعه عنهم بشفاعه و انتصار.

[سورة البقرة (2): آية 87]

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)

«وَلَقَدْ آتَيْنَا»: هذا نوع آخر من مقابلة النعم بالكفران من اليهود: اي بالله لقد أعطينا يا بني إسرائيل «موسى الكتاب»: اي التوراة جملة واحدة، قال ابن عباس: انّ التوراة لما نزلت، أمر الله تعالى موسى بحملها، فلم يطق ذلك، فبعث

لكل آية منها ملكا، فلم يطيقوا حملها، فخففها الله على موسى فحملها.

«وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ»: قفاه به، إذا اتبعه إياه، أى اتبعنا من بعد موسى رسولا بعد رسول، متفقين اثره، وهم: يوشع و شموئيل و داود و سليمان و شمعون و شعيا و ارميا و عزير و حزقييل و الياس و اليسع و يونس و زكريّا و يحيى و غيرهم.

«وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ»: و معنى عيسى بالسريانية: اليسوع. و معناه: المبارك.

و ابن ياثبات الألف في الكتابة و إن كان واقعا بين العلمين لندرة الاضافة إلى الام و مريم بالسريانية بمعنى العابدة و الخادمة للمعبد. و قد جعلتها أمها محررة لخدمة المسجد و لكمال عبادتها لربها سمّاها مريم. و صرّح باسمها في القرآن مع الأنبياء سبع مرّات و خاطبها كما خاطب الأنبياء، كقوله: يا مريم اقنتي لربك و اسجدي و اركعي مع الراكعين. فشاركها مع الرجال؛ و لو كانت النساء بمثل هذه لفضّلت النساء على الرجال.

«الْبَيِّنَاتِ»: المعجزات الواضحات، من أحياء الأموات و إبراء الأكمه و الأبرص و الأخبار بما يدّخرون و الإنجيل.

«وَ أَيَّدْنَاهُ»: و قوّيناه «بِرُوحِ الْقُدُسِ» من اضافة الموصوف إلى الصفة أى بالروح المقدّسة المطهّرة و هي روح عيسى، و صفت بالقدس للكرامة، لأنّ القدس هو الله. أو الروح جبرئيل و وصف بالطهارة لأنّه لم يقترف ذنبا. و سمّى روحا لأنّه كان يأتي الأنبياء بما فيه حياة القلوب. و معنى تأييده و تقويته به: أنّه عصمه من أوّل حاله إلى كبره، فلم يدن منه الشيطان عند الولادة و رفعه إلى السماء حين قصد اليهود قتله. و كان بين موسى و عيسى أربعة آلاف نبيّ و قيل: سبعون ألف نبيّ.

«أَفْكَلَّمَا جَاءَكُمْ»: خاطب أهل عصر النبيّ بهذا و قد فعله أسلافهم لأنّهم يتولّونهم و يرضون بفعلهم. و الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام و التقدير:

ألم تطيعوهم فكلما جاءكم «رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى و لَا تَحِبُّ» «أَنْفُسُكُمْ» و لا يوافق هواكم من الحق «إِنَّ كِبْرَتَكُمْ» و تعظّمتم عن الاتّباع له «فَفَرِّقُوا» منهم: أى من

الأنبياء كعيسى عليه السلام و محمد صلى الله عليه وآله وسلم «كذبتُم» و نسبتهم إليهم الكذب «وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ» و قال تقتلون و لم يقل قتلتم لشناعة هذا الأمر و لثبوت عارها عليهم و على من بعدهم من أخلافهم، لأنهم رضوا، بل كانوا على هذه النيّة، بل الفعل لأنهم حاولوا قتل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لو لا ان عصمه الله و سموا الشاة حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم عند موته ما زالت أكلة جزر تواجهنى، فهذا أوان انقطاع أبهري. و هو عرق منبسط في القلب إذا انقطع مات و اعلم: أن هوى النفس داء قتال، و للنفس صفات سبع كلها مذمومة: العجب و الكبر و الرياء و الغضب و الحسد و حب المال و حب الجاه. و لجهنم سبعة أبواب؛ فمن زكى نفسه عن هذه السبع فقد اغلق السبعة و دخل الجنة. فيا حملة الأوزار و حفظة المال المستعار أهاكم حب الرزق عن الرزاق و اشتغلت طول النهار في الصفاق بالسواق، يا عمّار الخراب و يا شرّاب السراب الى متى؟ و قد قاربت الخمسين! فاقصر و قد وهنت ركبتك و ذابت ألتاك و لا عطر بعد عروس، ما هي إلا أنفاس تتردد و ستقطع، و قامات تتمدد و تنقوس فتقطع، فارغم أنف الشيطان و خالف هواك؛ الحرص فقابله بالقناعة، و الأمل فاكسر بمفاجأة الأجل، و التمتع باللذائذ فقابله بطول الحساب في الموقف الصعب الكبير، و الأنايّة بالتواضع للفقراء من المؤمنين، و حبّ المال و البخل فأكسره بالبذل و العطاء حتى تكون من أهل الورع، و لا أقلّ من أقلّ درجاتهم، فإن درجات الورع اربعة الاولى: من الحرام و هي الدرّجة العامّة. الثانية: ورع الصالحين و هي التي يتطرّق فيها الشبهة، قال الله: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. الثالثة: ورع المتّقين يتورع عن الزينة و أكل اللذائذ و الشهوات مع أنّها حلال خيفة ان يجمع النفس و يدعو الى الشهوات المحظورة كالنظر الى تجمل أهل الدنيا فأنه يحرك دواعي الرغبة في الدنيا قال الله: و لا تمدّن عينيك الى ما متّعنا به أزواجا. قال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فإنّ بريق أموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم و قد قيل من رقّ ثوبه رقّ دينه الرابعة: ورع الصديقين و هو الحذر عن كلّ ما لا يراد بتناوله القوّة على طاعة الله او كان قد تطرّق الى بعض أسبابها معصيته و من ذلك انّ بشر الحافي كان لا يشرب الماء من الأنهار التي حفرها الأمراء و السلاطين.

تأمل في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل: أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وخفض الجناح والوفاء بالعهد وترك الخيانة وصلة الأرحام ورحمة الأيتام ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل والتفقه في الدين وتدبر القرآن وذكر الآخرة والحرص من الحساب وكثرة ذكر الموت ولا تسب مسلماً ولا تطع أثماً ولا ترض بقبيح تكن كفاعله واذكر الله عند كل شجر ومدر وبالأسحار وعلى كل حال، فإن الله ذاكر من ذكره وشاكر من شكره وجدد لكل ذنب توبة: السر بالسر والعلانية بالعلانية. واعلم: إن اصدق الحديث، كتاب الله. وأوثق العرى التقوى. واحسن القصص القرآن. وشر الأمور محدثاتها.

وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى. وخير العلم ما نفع. واليد العليا خير من يد السفلى. وما قلّ وكفى خير ممّا كثر والهي. وشرّ المعذرة عند الموت. وشرّ الندامة يوم القيامة. ومن أعظم خطايا اللسان الكذب. وخير الغنى غني النفس. ورأس الحكمة مخافة الله في السرّ والعلانية. وإنّ جماع الإثم، الكذب والارتياب. والنساء حبائل الشيطان. والشباب شعبة من الجنون. وشرّ الكسب كسب الربا. وشرّ المآثم أكل مال اليتيم. وليس لجسم نبت على الحرام إلا النار. ومن تغدّى بالحرام فالنار أولى له ولا يستجاب له دعاء.

أقول: تأمل في جوامع كلماته وقد بين صلى الله عليه وآله وسلم، جميع مراتب الحكمة النافعة لك في دينك ودنياك، مثل أنّه نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن الشرك الخفى، وهذا الشرك وان كان لا يذهب بأصل الايمان بان يكون صاحبه مشركا و يترتب عليه احكام الكافر، لكن يقع في حقيقة الايمان عيب ونقص كالذهب المخلوط بالحديد، فيكون قليل القيمة وان كان ذهباً. وخفايا معايب الشرك الخفى كثيرة، فيطلب صاحبه الشرف والتعزّز من هذا الفعل الشنيع من الناس، فيعجب بمدح الناس اياه و يطلب النفع بسبب هذا الرياء من غير الله. ويتوسل في دفع الضرر عن نفسه من غير الله، مع أنّه لا- معطى لما منع ولا مانع لما اعطى. ودقائق الرياء والشرك الخفى خفية جداً، قال صلى الله عليه وآله وسلم:

الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفا في الليلة الظلماء. فإنّ النمل إذا دبّ

على التراب، يرى اثر ديبه، خصوصا في النهار؛ لكن في الليلة الظلماء لا يرى اثر ديبه على الحجر الأملس، فإنّ النمل اسود و الليل اظلم و لا يسمع ديبه و رؤية الشيء غالبا و العلم به من هاتين القوتين. فإذا عرفت هذا الأمر فأينا غير مبتلى بهذه البلية و لا تأتي بهذا الأمر الشنيع كلّ يوم مرّات. و لعلك تسمع كلامي فتبادر الى ملامى و تقول:

فحينئذ عملنا هباء؛ فانا أعذرك في ملامتى، فإنّ الفطام عن المعهود شديد و النزول عمّا تلقاه الفتى من آبائه و عاداته صعب جدا، حقا كان او باطلا، اما ترى هذه الكبيرة العظيمة المنهية في القرآن لَمَّا شاعت في عادات الناس لا يتخلّص منها الا الأقلّون، بحيث لا يعدّون الغيبة من المعاصي مع انها عظيمة و صارت عادة بحيث أنّ المغتاب حين اغتيابه إذا رأى منك قهقهة، يعدّها قبيحة عظيمة و ينسبك الى الفسق و لا يبالي بهذه العظيمة، فجعلت دينك ما يوافق العادة و عندك الحسن ما وافق عادة الناس و القبيح ما تركته العادة، لا ما حسّه نه العقل، فيكون معتزليا اماميا و لا ما حسّنه الشرع فتكون أشعريا بل هذا مسلك جديد خبيث.

[سورة البقرة (2): آية 88]

وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (88)

«وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ»: اى اليهود الموجودون في عصر النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قالوا قلوبنا غلف، مستعار من الأغلف الذي لم يختن اى مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و لا تفقهه، فرد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك، لأنّها خلقت على الفطرة و التمكّن من قبول الحق، فاضرب و قال: «بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ» اى خذلهم و طردهم و خلاهم و شأنهم بسبب كفرهم العارض الذي اقدموا عليه بسوء اختيارهم و إبطالهم الاستعداد الفطري الإسلامي.

«فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» ما مزيدة للمبالغة اى فايما قليلا يؤمنون و هو ايمانهم ببعض الكتاب. و الفاء لسببية عدم الايمان الموجب للّعن. ثم انّ في القراءة اختلاف، فقرأ بعض، غلف، بسكون اللام، فالمعنى على ما بيّناه. و قرأ بعض، غلف، بضم اللام كأبي عمرو، جمع غلاف، فيكون معناه: انّ قلوبنا اوعية للعلم و نحن علماء

فلو كان ما تقوله شيئاً يفهم اوله طائل لفهمناه، او يكون المراد ليس في قلوبنا ما تذكره فلو كان علما لكان فيها. ويجوز في معنى فقليلا ما يؤمنون: اى فافراد قليلة منهم يؤمنون، كعبد الله بن سلام و أصحابه.

وفي الآية ردّ صريح على المجبرة، لأنّ هؤلاء اليهود ادّعوا أنّ على قلوبهم، ما يمنع من الايمان و يحول بينها وبينه، فكذبهم في ذلك بان لعنهم و طردهم و لو كانوا صادقين بانّ الله خلق الكفر في قلوبهم و جعله المانع لهم، لما استحقّوا اللعن و الطرد و يلزم أنّ الله كلّهم مالا يطاق- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. و ربك اعلم بمن هو اهدى سبيلاً- و الضلالة و الهداية سبيلهما باختيار العبد. و أنّ المادة المعبّرة عنها بالهيولى في نفسها خالية عن الحكم لها و عليها من حيث هي هي. و أنّما الاحكام تلحق الصورة، الا ترى أنّ القلم إذا أصاب مدادا فأنّما يلحقه حكم ذلك من غير الحكم بالحسن و القبيح، فإذا كتبت بذلك المداد اسمى ذاتين مختلفين في الخير و الشرّ، كان اسم الذات المقدسة حسنا و اسم الآخر سيّئاً. و هاك مثالا- آخر، و هي حروف الهجاء فانّ الالف لا تدلّ على غير نفسها و ليس فيها معنى غير وجودها، فإذا ألّفت من ثلاثة او اربعة، يوجب معنى محدث لم يكن قبل ذلك، كذلك المادّة لا تجرى عليها الاحكام من حيث هي و انما تجرى عليها بالصورة و التأليف، الا ترى أنّه إذا نرى حيوان محرّم على حيوان محلّل، كان حكم التحليل و التحريم في نسلهما للاسم الذي هو خاصّة الصورة و ظاهرها. و تلك الحقيقة تحققت و تميّزت بالصورة، فحقق بهذا البيان معنى الحديث: السعيد سعيد في بطن امّه. و الأمّ هي الصورة و المادّة هي الأب و بعبارة اخرى: المادّة هي الوجود و الصورة هي الماهية، فالحسن أنّما حسن في بطن امّه و كذلك القبيح و الحكم لا يتعلق بالمادة و الا لتساوت الأفراد من الجنس في الحكم، فيكون السرير و الصنم واحداً، لأنّ السرير و الصنم من الخشب، فلو كانت الأمّ هي المادة، لكان الصنم أنّما قبح لكونه من الخشب و لم يقل به احد و كان يقال: السعيد سعيد في صلب أبيه. و من شأن العاقل ان ينتقد نفسه و يتأمّل أنّ الشيطان من اى طريق أفسده، مثل أنّ بعض الحمقاء بسبب هذا الحديث قالوا: السعادة و الشقاوة من المقدرات

وإذا كان كذلك، فما الفائدة في العمل! وعطلوا العمل وهذا غلط، لأن الله أمركم بالعمل، قال: اعملوا و كل ميسر لما خلق له. فأطع حتى تكون سعيدا، ولا تعص حتى تكون شقيئا. وبعض آخر من الحمقاء أفسده الشيطان ويقول ان الله غنى عني وعن عبادتي وليس له حاجة الى عبادتنا. وهذا جهل، نعم ان الله غنى عنك، لكن أنت تحتاج الى العبادة، قال الله: ومن تزكى فأتما يتزكى لنفسه. وقال: ومن عمل صالحا فلنفسه. وهذا الكلام يشبه مريضا يصف له الطبيب دواء فيقول المريض ما ينفع الطبيب إذا ما شربت الدواء!، وطبقة اخرى من الناس يتجاوزون من حدود الشرع معتمدين على رحمة الله وكرمه، مع انه إذا جاع لا يشبع الا بالأكل. وكذا لا يبرأ من مرضه الا بعد شرب الدواء وهو كريم لكن لا تخرج حبة من الحنطة الا بعد مشقة الحرث والسقي والمدة والعدة وهو كريم وشديد.

[سورة البقرة (2): آية 89]

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)

«وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ» كائن «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» وهو القرآن- ووصفه بقوله من عند الله، للتشريف «مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ»: اي موافق للتوراة في التوحيد والنبوات- والمصدق به ما يدل عليها من العلامات من بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم- وليس المراد ان القرآن مصدق تمام احكام التوراة وشرائعها، بل القرآن نسخ أكثرها «وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ» من قبل مجيء محمد صلى الله عليه وآله وسلم «يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» اي، يستنصرون به على مشركي العرب وكفار مكة ويقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان، الذي نجد نعتة في التوراة. ويقولون لأعدائهم: نتظر زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا، فنقتلكم معه قتل عاد و ارم.

«فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا» من الكتاب بمجيئه ونعوته «كَفَرُوا بِهِ» حسدا وحرصا على الرياسة. وغيروا صفته وهو جواب، لما، الاولى والثانية، تكرير للأولى «فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ»: اي عليهم ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على أن

اللجنة لحقتهم لكفرهم. و الفاء للدلالة على ترتيب اللعنة على الكفر. و اللعنة في حق الكافر: الطرد و الابعاد من الرحمة و الجنة على الإطلاق و في حق العصيين و المذنبين من المؤمنين، الابعاد من الكرامة التي وعد بها من لا يكون في ذلك الذنب مثل لعنة المحتكر و أمثاله.

سورة البقرة (2): آية 90

بُسِمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (90)

ثم ذم الله تعالى اليهود بايثارهم الدنيا على الدين فقال «بُسِمَا» اي بسس شيئا باعوا به أنفسهم، ما، نكرة منصوبة تميز- و المميز لا يكون إلا نكرة، الا ترى ان أحدا لا يقول عشرون الدرهم، كقولك: نعم رجلا زيد- مفسرة لفاعل بسس و تقديره بسس الشيء شيئا «اشترؤا» بمعنى باعوا «به» اي بذلك الشيء «أَنْفُسَهُمْ» المراد، الايمان و حاصل المعنى: أنهم باعوا ايمانهم بكفرهم، لأن الذي حصلوه على منافع أنفسهم لما كان هو الكفر، صاروا بائعين أنفسهم بذلك و بذلوا الأنفس به. و المخصوص بالذم، قوله:

«أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ»: فبين سبحانه تفسير ما اشتروا به أنفسهم بقوله:

ان يكفروا بما انزل الله- و المراد كفرهم بالقرآن، لأن الخطاب الى اليهود و كانوا مؤمنين بالتوراة، ثم بين الوجه الذي اختاروا الكفر بما أنزل الله، فقال: «بَغْيًا» اي عداة كفرهم، البغي و الحسد، لأجل «أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» و ذلك لأنهم طمعوا ان هذا الفضل العظيم بالنبوة المنتظرة يحصل لهم و لقومهم، فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي و الحسد- و الله اعلم حيث يجعل رسالته- «فَبَاؤُا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ»: اي احتملوا بغضب على غضب مترادف و لعنة اثر لعنة حيثما اقترفوا كفرا على كفر، مثل تكذيبهم عيسى عليه السلام و ما انزل عليه، و تكذيبهم محمدا صلى الله عليه و آله و سلم و كذلك عبادتهم العجل. و قولهم:

ان الله فقير و نحن اغنياء. و قولهم: يد الله مغلولة، فدخلوا في سبب بعد سبب. و

للكافرين: اي لهم عذاب مهين مقرون بالاهانة والذل. وفيه اشعار بان عذاب المؤمنين، تأديب و تطهير. وعذاب الكفار، اهانة وتشديد. و ذلك كله لحبهم الدنيا لشهواتهم.

قال عيسى: عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اتقوا الدنيا فانها أسحر من هاروت و ماروت، ارضوا بدنّي الدنيا مع سلامة الدين، كما رضى اهل الدنيا بدنّي الدين مع سلامة الدنيا.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انّ الله لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر إليها منذ خلقها. والقرآن مشحون من ذم الدنيا و ذم أهلها، مثل قوله تعالى:

فأما من طغى و آثر الحياة الدنيا. و مثل قوله تعالى: ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة.

مثال الخلق في الدنيا، كمثال قوم ركبوا في السفينة فانتهت بهم الى جزيرة، فأمرهم الملاح الى الخروج لقضاء الحاجة و خوفهم المقام ليغرقوا فيها، فبادر بعض و قضى حاجته و رجع الى السفينة، فوجد مكانا خاليا واسعاً و وقف بعضهم ينظر في أزهارها و نعمات طيورها، فرجع الى السفينة، فلم يجد إلا مكانا ضيقاً و اكب بعضهم على تلك الاصداف و الأحجار إذا أعجبه حسنهما، فلم يقدر على رميها و لم يجد لها مكانا، فحملها على عنقه و هو ينوء تحت ثقلها. و ولج بعضهم الرياض و نسى المركب و اشتغل بالتفرّج في تلك الازهار و التناول من تلك الثمار و هي في تفرّجه غير ملتفت الى النكبات، فلما رجع الى السفينة، لم يصادفها، فبقى على الساحل، فافترسته السباع و الهوام، فهذه صورة مثال الخلق في الدنيا فتأمل.

[سورة البقرة (2): آية 91]

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)

بيان لنوع آخر من قبائح أفعالهم «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ»:

اي و إذا قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليهود اهل المدينة و من حولها آمنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا «قَالُوا تُوْمِنُ»: اي نستمر على الايمان «بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا»: يعنى التوراة «وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ»: يريد الإنجيل و القرآن و ما سوى التوراة من الكتب المنزلة «وَهُوَ الْحَقُّ» اي و الحال ان ما وراء التوراة هو الحق، يعنى القرآن «مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ» اي حالكون القرآن موافقا للتوراة و فيه رد لمقاتلتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة، فقد كفروا بالتوراة «قُلْ» يا محمّد تبكيئا لهم من جهة الله لبيان التناقض، بين أقوالهم و أفعالهم «فَلِمَ» أصله لما، لانه للتعليل دخلت على، ما، التي للاستفهام و سقطت الالف، فرقا بين الاستفهامية و الخبرية «تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ»: صيغة الاستقبال لحكاية حال الماضي و هو جواب شرط مقدر: اي قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون، فلاى شيء تقتلون أنبياء الله من قبل و هو فيها حرام و أسند فعل الآباء، الى الأبناء، لرضاهم بفعل آبائهم و الآية دليل على ان من رضى بالمعصية: فكأنه فاعل لها، لأن اليهود كانوا راضين بقتل آبائهم ايّاهم، فسمّاهم الله قاتلين «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»: جواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه اي ان كنتم مؤمنين، فلم تقتلونهم و هو تكرير للاعتراض و تشديد للتهديد.

[سورة البقرة (2): آية 92]

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92)

من تمام التبكييت و التوبيخ و اللام للقسم «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ» اي بالله قد جاءكم موسى، ملتبساً بالمعجزات الظاهرة، من العصا و اليد و فلق البحر و نحوه «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ» الها من بعد مجيبي موسى بها «وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ»

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا
يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93)

«وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ» التكرار في هذه البيانات وأمثالها لإيجاب الحجّة على الخصم. و المعنى اذكروا وقت أخذنا
العهد ورفعنا فوقكم الجبل قائلين لكم:

«خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا»: اى اعملوا بما أمرتم به في التوراة و اسمعوا ما فيها سمع طاعة و قبول «قَالُوا»: استيناف مبني على سؤال
سائل كأنه قيل فماذا قالوا؟ فقيل قالوا: «سَمِعْنَا» قولك «وَعَصَيْنَا» أمرك و لو لا مخافة الجبل ما قبلنا في الظاهر، فإذا كان حال إسلامهم
هكذا، فكيف يتصوّر من اخلافهم الايمان.

«وَاسْمَعُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ» بيان لمكان الإشراب، اى حلّ حبّ العجل محلّ الشراب و اختلط به كما خلط الصبغ بالثوب: اى جعلوا
شاربين حبّ العجل، نافذا في قلوبهم نفوذ الماء «بِكُفْرِهِمْ» اى بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل: كانوا مجسّمة و حلوليّة و لم يروا
جسما أعجب منه، فتمكّن في قلوبهم ما سؤل لهم السامريّ. و في القصص انّ موسى عليه السّلام لما خرج إلى قومه، أمر أن يبرد العجل
بالمبرد، ثمّ يذرى في النهر، فلم يبق نهر يجري يومئذ إلاّ وقع فيه منه شيء، ثمّ قال لهم اشربوا منه، فمن بقي في قلبه شيء من حبّ العجل
ظهرت سحالة الذهب على شاربه.

«قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ»: اى بسّ شيئا يأمركم بذلك الشيء «إِيْمَانُكُمْ» بما انزل إليكم من التوراة.

و حاصل المعنى أنّه قل يا محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم لهؤلاء اليهود، بسّ الشيء الذي يأمركم به ايمانكم من حبّ العجل و قتل
أنبياء الله و التكذيب بكتبه بزعمكم انكم مصدقون

بالتوراة و تدعون بقولكم: نؤمن بما انزل علينا. وليس المعنى أنهم اشربوا حبّ العجل، جزاء على كفرهم، لأنّ محبّة العجل كفر قبيح و الله تعالى لا يفعل الكفر في العبد، لا ابتداء و لا جزاء، بل دعاهم إلى حبّ العجل، السامريّ، وزيّنه في قلوبهم. و قول من قال: فعل الله ذلك لهم، عقوبة و مجازاة على كفرهم، غلط فاحش - تعالى الله عمّا نسبوا إليه من هذه الأمور و أمثالها- و في اسناد الأمر الى الايمان تهكم و اضافة الايمان إليهم للإيدان بأنّه ليس بإيمان حقيقة كما ينبي عنه قوله «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» بالتوراة و إذا لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح، فلستم بمؤمنين. و في هذا نفي عن التوراة ان يكون يأمر لشيء يكرهه الله و اعلام بأنّ الذي يأمرهم بذلك أهواءهم.

اعلم: أنّ اعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن تظهر في الخارج على الجوارح بعضها معفوة و بعضها غير معفوة، فأول ما يرد على القلب هو الخاطر، فيخطر بباله الشيء و تهيج رغبته اليه، فالأول حديث النفس، و الثاني هو رغبة النفس، يسمّى الميل ثمّ يحكم القلب بأنّ هذا ينبغي ان يفعل و هذه الدرجة الثالثة، ثمّ يعزم على الفعل، فهذه اربعة احوال قبل العمل بالجراحة، فخاطر و ميل و اعتقاد و عزم، فالخاطر لا يؤاخذ به و كذلك الميل لأنّه لا يدخل تحت الاختيار و هما المرادان بقوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: عفى عن امتي ما حدثت به أنفسهم. و الثالث و هو الاعتقاد؛ فهذا يؤاخذ به إذا كان اختياريّاً و إلّا فلا. و العزم على الفعل فإنّه يؤاخذ به، قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم في المتقاتلين: انّ المقتول في النار، لأنّه كان حريصاً على قتل صاحبه و هذا نصّ في أنّه من اهل النار بالعزم، قال الله: انّ السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً. و في عبارات الشيخ البهائي و الأنصاري في مبحث التجريّ بيانات في أهوائهم و قلوبهم. و ارض القلب لا ينبغي إفسادها و أعظم اسباب فسادها التحريف و لو في الجملة، فإنّ الشرائع سنن موضوعة بين العباد فإذا تمسك الخلق بها زال العدوان و لزم كلّ أحد شأنه فحققت الدماء و ضبطت الأموال و حفظت الفروج، فكان ذلك صلاح الدنيا و صلاح القلوب. اما إذا حرفت الشريعة او أهملت، فيقدم كلّ احد على ما يهواه، فيظهر الفساد في البرّ و البحر و من أعظم

اسباب فساد القلوب اظهار مقامات دينية بقول او عمل ظاهري، او تكلف حال لا يوافق القلب مظهرها له على صورته الواقعية، تلبسها على نفسه، او على الناس و محدثون عادات غير موافقة للشريعة و الطبيعة، مجبولة على التقليد و متابعة افعال أبناء نوعه و هذه مفسدة لأحوال القلب و هو لا- يحس بها كيف انقلبت قلبه النهاية و انه يقتصر على امور ظاهرها عبادات و باطنها عادات و لا يطلب حقائق الايمان و الإخلاص و التوجه التام في الأعمال الخفية التي لا يطلع عليها إلا الله.

[سورة البقرة (2): آية 94]

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94)

«قُلْ» لهم يا خير الأنبياء «إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ» ان صح قولكم ان لن يدخل الجنة إلا من كان هودا و ان الجنة لكم «خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ»: خاصة بكم من دون محمد و أصحابه «فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ»: فاستلوا الموت بالقلب و اللسان، فان من يقن بدخول الجنة اشتاق إليها و تمنى سرعة الوصول الى النعيم و التخلص من دار الكد و التعب و قرارة الاكدار لأنه لا سبيل الى دخولها الا بعد الموت، فاستعجلوه «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» و مؤمنين و المؤمن ينبغي ان يكون فعله مصدقا لقوله. و أصل الايمان افراد القديم عن الحدوث و نفي الشريك مطلقا، ثم الامتثال لأوامره تعالى، فإذا حصل هذا المعنى فقد تمت السعادة.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لما دخل على يعقوب عليه السلام، بشير يوسف عليه السلام و بشره بحياته، قال له يعقوب عليه السلام: على اي دين تركته، قال: على دين الإسلام، قال يعقوب عليه السلام: قد تمت النعمة على يعقوب.

و اعلم يا أخي، ان اصل الأصول و مناط القبول و مكفر الخطايا و مستجلب العطايا، التوحيد. قال صاحب تفسير روح البيان، المولى إسماعيل الحقي: حكى ان رسول الله كان يحب اسلام دحية الكلبي، لأنه كان تحت يده سبعمائة من أهل بيته و كان مطاعا عندهم و كانوا يسلمون بإسلامه و لذلك كان صلى الله عليه و آله و سلم حريصا على إسلامه و كان

يقول: اللهم ارزق دحية الإسلام، فلما أراد دحية الإسلام، اوحى الله الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد صلاة الفجر، ان: يا محمد ان الله يقرؤك السلام ويقول: ان دحية يدخل عليك الآن.

و كان في قلوب الأصحاب شيء من دحية، من وقت الجاهلية، فلما سمعوا ذلك، كرهوا ان يمكّنوا دحية فيما بينهم، فلما علم ذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كره ان يقول لهم مكّنوا دحية، و كره ان يدخل دحية، فيوحّشوه، فيبرد قلبه عن الإسلام، فلما دخل دحية المسجد، رفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رداءه عن ظهره و بسطه على الأرض بين يديه فقال لدحية: هاهنا- وأشار الى رداءه- فبكى دحية من كرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و رفع رداءه و قبّله و وضع على رأسه و عينيه و قال: ما شرائط الإسلام، اعرضها عليّ. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ان تقول أوّلا، لا اله الا الله، محمّد رسول الله. فقال دحية ذلك، ثمّ وقع البكاء على دحية. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما هذا البكاء و قد رزقت الإسلام. فقال: أنّي ارتكبت خطيئة و فاحشة كبيرة، فقل لربك، ما كفّارته، ان امرني أن أقتل نفسي، قتلتها و ان امرني ان اخرج من جميع مالي، خرجت، فقال: صلى الله عليه وآله وسلم: و ما ذلك يا دحية، قال: كنت رجلا من ملوك العرب و استنكفت ان تكون لي بنات، لهنّ ازواج، فقتلت سبعا من بناتي كلّهنّ بيدي، فتحيّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك حتّى نزل جبرئيل، فقال: يا محمّد انّ الله يقرؤك السلام و يقول: قل لدحية: و عزّتي و جلالتي، أنّك لما قلت: لا إله الا الله غفرت لك كفر ستين سنة و سيّئات ستين سنة، فكيف لا اغفر لك قتل البنات. فبكى صلى الله عليه وآله وسلم و أصحابه. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إلهي غفرت لدحية قتل بناته بشهادة أن لا إله الا الله مرة واحدة، فكيف لا تغفر للمؤمنين بشهادات كثيرة و بقول صادق و بفعل خالص.

[سورة البقرة (2): آية 95]

وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95)

: لن، تأييد للنفي، اي لا يتمنوا الموت، هؤلاء اليهود، ابدا «بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ»: لحرصهم على الحياة، لأجل استدراك شهوات أنفسهم و بسبب كثرة معاصيهم و مخالفتهم في دينهم «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ»: و الله عالم بظلمهم في حقّ أنفسهم و مخالفتهم في كتابهم.

فيا مغرور لو نصحك ناصح، لم ترتكب الكبائر و تعير على الظلم، تعتل بالضرورة مع أنّ الضرورة لو كانت صادقة فبقدر الضرورة. ما أشبه
عذرك بعذر الشارب المدّاح فما رعيت حقّ رعايتها و أدنى مراتب الرعاية أن يصون العبد نفسه من المخالفة عمّا كتب الله عليه من الأعمال
و أعلاها أن يقف في سيره مع كلّ خطوة حتّى يصحّحه و يخرج عن عهده ما عليه في تلك الخطوة من الآداب و ينسب هذا التوفيق إلى الله
لا- من فعل نفسه و لا- يخلو من هذه الملكة ساعة واحدة، قال الله سبحانه: و من يعظّم حرّامات الله فهو خير له عند ربّه: و المراد من
الحرّامات التّحرج و التّجنّب عن المخالفات و الامتثال بإتيان الأوامر، على سبيل التعظيم و الرغبة و الميل، لا على سبيل الكره، فإنّ العبد
الكامل إذا عرف عظمة الله، يعبد طوعا، و لا يعبد عبادة العبيد كرها، إذ لو لا خوفه من العقوبة، لم يعبد، و لو لا طمعه المثوبة، لم يعمل
فهو أجير، يعمل للاجرة فهو عبد الاجرة، لا عبد سيّده، فان الاجرة إنّما هي مطلوبة لمصلحة النفس و نفعها و راحتها، فعبادته إنّما هي لنفع
نفسه، لكن لما كانت الطبقة العامّة لا يقدرون ان يأتوا بمثل هذه العبادة، فهم محكومون ان يعبدوا بالظاهر المتعارف، من مفاد ظاهر
الكتاب و السنّة و تلك العبادة الكاملة للأولياء الخاصّة، كما قال امير المؤمنين عليه السّلام: ما عبدتك خوفا من نارك و لا طمعا في جنتك،
بل وجدتك أهلا للعبادة. لكن فليعلم الطبقة العامّة أنّهم محكومون ان يعبدوا بالشروط المقرّرة في الكتاب و السنّة، لا ان يتسامحوا فيها من
آدابها المفروضة و أوّل ادب العبادة، الإخلاص، و هو تصفية العمل من كلّ شوب و لو من الألف جزء واحد و من كمال الخلوص ان لا
يعتدّ بعمله، بل يرى العامل، عمله محض الموهبة، أجراه الله على يده و لا يرى نفسه مستحقّا للشواب، فأنه لا حول و لا قوّة إلاّ بالله و يكون
خجلا من عمله، مع بذل المجهود خوفا من القصور بحقّ العبوديّة، لأنّه عبد لسّيده، مأمور بالإخلاص عن النقصان و الشوائب و احتمال
النقيصة و القصور كاف لخجله و العبد إذا ما هدّب عمله عن الشوب و النقصان، يحرم الخير الكثير و لا يكون له استقامة في الخدمة و
يحصل له تلوّن، فيغلب الجسم

الروح و الهوى العقل و ينتكس الأمر و لا ينبعث له ذوق في العبادة و الخدمة، بل يحصل له فتور.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: آفة العبادة، الفترة يمرض القلب شيئاً فشيئاً، إلى أن يكره العبادة و يزيد إلى أن يصل إلى درجة المنافقين، قال الله تعالى: وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالِيٍّ وَ هَذَا الْمَرَضُ بِسَبَبِ التَّلَوُّنِ وَ عَدَمِ الْإِسْتِقَامَةِ وَ لِهَذَا شَبَّهُوا الْإِسْتِقَامَةَ بِالرُّوحِ الَّذِي يَتَقَوَّى بِهِ الْبَدَنُ، فَإِذَا فَارَقَ الرُّوحُ الْبَدَنَ يَتَلَاشَى وَ يَفْنَى. وَ الْإِسْتِقَامَةُ عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ نَهْجِ السَّنَةِ وَ لَا يَخْتَرَعُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ عِبَادَةً، فَيَقَعُ فِي الشَّيْطَانَةِ وَ يَحْرَمُ بَرَكَةَ الْمَتَابَعَةِ.

سورة البقرة (2): آية 96

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ (96)

(وَلَتَجِدَنَّهُمْ): و لتعلمن يا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الوجدان العقلي و هو جار مجرى العلم، خلا أنه مختص بما يقع يد التجربة و نحوها عليه. و اللام لام القسم، اى و الله تجدن اليهود يا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ): لا يتمنون الموت. و التنكير للنوع و هي حياتهم التي هم فيها، لأنها نوع من مطلق الحياة (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) اى ان اليهود احرص على الحياة من سائر الناس و من الذين أشركوا، قيل هم مشركو العرب و قيل هم المجوس، لأنهم كانوا يحبون ملكهم عش ألف نيروز و ألف مهرجان و المهرجان يوم الاعتدال الخريفي، كما ان النيروز يوم الاعتدال الربيعي و هذا كقولك: زيدا سخى الناس و أسخى من هرم بن سنان.

(يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ): بيان لزيادة حرصهم، اى يريد و يتمنى و يحب احد هؤلاء المشركين ان يعطى البقاء و العمر ألف سنة. و لو، فيه معنى التمنى و المجوس هم القائلون بيزدان و أهرمن و النور و الظلمة و الخير و الشر.

(وَمَا هُوَ بِمُزْحَرْجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ)، اى ما أحدهم من يزحزحه من النار تعميره و الزحزحة، التبعيد. و، با، زائدة للتأكيد و ان يعمر، فاعل مزحزحه.

(وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) البصير: العالم بكنه الشيء، اى عليم بخفيات أعمالهم.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: طوبى لمن طال عمره و حسن عمله و من احبّه للفساد فقد ضلّ و لا ينجو ممّا يخاف، انتهى. و معلوم ان الموت ينزل على كل نفس، راضية كانت، او كارهة، روى شارح الخطب عن وهب بن منبه انه قال: مرّ دانيال بيرية، فسمع يا دانيال قف تر عجباً، فوقف فلم ير شيئاً، ثم نودي الثانية، قال فوفقت فظهر لي بيت يدعوني الى نفسه، فدخلت فإذا سرير مرصع بالدر و الياقوت، فإذا النداء من السرير اصعد يا دانيال تر عجباً، فارتقيت السرير، فإذا فراش من ذهب مشحون بالمسك و العنبر، فإذا رجل عليه ميت، كأنه نائم و عليه من الحلّي و الحلل ما لا يوصف و في يده اليسرى خاتم من ذهب و درّ و فوق رأسه تاج و على منطقتة سيف اشدّ خضرة من البقل، فإذا النداء من السرير، ان احمل هذا السيف و اقرأ ما عليه، قال فإذا مكتوب عليه: سيف صمصام من عوج بن عنق بن عاد بن ارم و اتى عشت ألف عام و سبعمائة سنة و افتضضت اثني عشر ألف جارية و بنيت أربعين ألف مدينة و خرجت بالجور و العنف عن حدّ الإنصاف و كان يحمل مفاتيح الخزائن اربعمائة بغل و كان يحمل الى خراج الدنيا، فلم ينازعني احد من اهل الدنيا، فادعيت الربوبية، فأصابني الجوع حتّى طلبت كفاً من ذرة بألف قفيز من درّ فلم اقدر عليه، فمتّ جوعاً، يا اهل الدنيا اذكروا الموت كثيراً و اعتبروا بي و لا تغرّنكم الدنيا كما غرّنتي، فإنّ أهلي لم يحملوا من وزري شيئاً.

قيل لكعب الأحبار: يا كعب حدّثنا عن الموت. قال: هو كشجرة الشوك، ادخلت في جوف ابن آدم فأخذت كلّ شوكة بعرق ثمّ اجتذبتها رجل قوى شديد

الجدب، فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى. وفي الحديث: لو أنّ شعرة من وجع الميت وضعت على اهل السماوات والأرضين، لماتوا أجمعين. وان في القيامة لسبعين هولاء- وان ادنى هولها ليضعف على الموت سبعين ضعفا. فعلى القلوب القاسية ان يعالجوا قلوبهم بحضور مجالس العلم والمواظب ومشاهدة المحتضرين وذكر الموت وشدائده.

فاستعد ليوم رجوعك والقلب القابل لان يكون عرش الرحمن، لا تجعله للذة الفانية عرش إبليس ومربع الشيطان. واعلم ان كل ما خلق، خلق لأجل حكمة وما امر به وما نهى عنه لبقاء تلك الحكمة وحصولها وهذا القانون المنزل فائدته بقاء تلك الحكمة وحصولها، فلا تقتهم فيختلط امر المعاش والمعاد، فإذا جاوزت ذرة من ذلك القانون، فيقدر التجاوز فسدت ونقصت الحكمة وهلمّ جرّاً فكلّ ادب من آدابه من فعل تركته، او ترك فعلته يوجب نقصاً في حاشية دينك، بل دين غيرك وغيّرت حكمة الله ولقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يطلع على الرجل من أصحابه كذبة فما ينجلي من صدره حتّى يعلم أنّه أحدث توبة منها وتطهر من تلك القذرة الباطنية واستقصاء الإنسان في الطهارة الباطنية واجب كالنجاسات الظاهرة فانّك تنكر على الشخص لو داس الأرض حافياً على فراشك ولا تبالي من مستقدرات باطنك ومهما لم ينق الإنسان باطنه من الخبائث، لم ينتفع من إيمانه وعباداته ولم يظهر أثرها، فانّ الذي مشغل بالبرّ والبالوعة وهو ملوّث كيف يتمكّن من الورود على الملك ويظهر هذه القذارات الباطنية على الجسم لمتابعة الهوى لا مادة الهوى وقد جيل عليه والنبى صلّى الله عليه وآله وسلّم ما استعاذ من الهوى ولكن استعاذ من متابعته فقال: أعوذ بك من هوى متّبع وشحّ مطاع ولم يستعذ من وجود الشحّ، فانّه طبيعة النفس ولكن استعاذ من طاعته.

ومعرفة دقائق متابعة الهوى، على قدر صفاء القلب وقلة التلوّث، فانّ كثير التلوّث لا يصل له هذه المعرفة، فانّه قد يكون، يتّبع باستحلاء معاشر الخالان، او التجاوز في الأمور المباحة كالأكل والنوم والنكاح وهو لا يشعر بانّه متّبع الهوى، ولا يعلم المسكين أنّه مادام حبّ عليه ان ينزع نفسه عن متابعة الهوى، فانّ النفس دائماً

يشتهى هواها ونافرة عن العبودية والعبادة بسبب طلب الراحة وتهيئات من هذه الفراغة الآ بعد الموت. قال الله تعالى: وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ وَلَٰكِن آيُنْ أَنْتَ مِنْ نَهْيِ النَّفْسِ وَمَا عَرَفَتْ فِي آيَامِ عَمْرِكَ آآ آتْعَابِ السَّنِّ وَالنُّوْمِ فِي الظَّلَالِ وَالْكُنْ وَقَدْ بَنَى عَلَى الْهَوَى طَبْعَكَ وَغَرَسَ عَلَى مَحَبَّتِهَا نَبْعَكَ مَعَ أَنْ طَارَفَ الدُّنْيَا وَتَلِيدَهَا نَسْجَ الْعِنَاكِبِ وَضَوْءَ الْحَبَابِ فَاسْتَقْبَلَ الْمَوْتَ قَبْلَ هِجُومِهِ، فَلَعَلَّهُ قَرِبَ أَبَانَ نَجُومِهِ، فَآَنْ ضَرَّ الذُّنُوبَ سَمُومَ قَاتِلَةٍ وَحِجَابَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالرَّبِّ وَالْحِجَابَ إِذَا غَلِظَ لَا يَرَى مِنْ وَرَائِهِ شَيْءٍ ءَ وَمِنْ شَرَبِ السَّمِّ فَلْيَبَادِرْ فِي الْقَتْلِ وَالْآ يَهْلِكُهُ.

[سورة البقرة (2): الآيات 97 الى 98]

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)

بيان آخر من قبائح اليهود وهذا الكلام لا بد له من سبب وهو أنه لما قدم صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، أتاه عبد الله بن صوريا، فقال يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: كيف نومك فقد أخبرنا عن نوم النبي الذي يحيى في آخر الزمان، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: تنام عيني ولا ينام قلبي.

قال: صدقت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرني عن الولد، أى عضو من الرجل وأى من المرأة، فقال: أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة، فقال: صدقت، فما بال الرجل يشبه أعمامه دون أخواله، أو يشبه أخواله دون أعمامه، فقال، أيهما غلب ماؤه ماء صاحبه، كان الشبه له، قال: صدقت، فقال:

أخبرني أى الطعام حرم إسرائيل على نفسه ففي التوراة أنّ النبي الأمي يخبر عنه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون ان إسرائيل مرض مرضا شديدا، فطال سقمه، فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن على نفسه حب الطعام والشراب وهو لحمان الإبل وألبانها، فقالوا: نعم، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم:

بقيت خصلة واحدة ان قتلها أمنت بك: اى ملك يأتيك بما تقول عن الله؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم، جبرئيل، قال ان ذلك عدونا، ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل، يأتي بالبشر والرخاء، فلو كان هو الذى يأتيك، آمنا بك، فقال عمر: و ما مبدأ هذه العداوة؟ فقال ابن صوريا: ان اول هذه العداوة ان الله تعالى، انزل على نبينا، ان بيت المقدس سيخرب في زمان رجل يقال له بختنصر و وصفه لنا، فطلبناه فلما وجدناه بعثنا لقتله رجالا فدفع عنه جبرئيل وقال ان سلطكم الله على قتله، فهذا ليس هو ذلك الذى اخبر الله عنه: انه سيخرب بيت المقدس؛ فلا- فائدة في قتله، ثم انه كبر وقوى و ملك و غزانا و خرب بيت المقدس و قتلنا، فلذلك نتخذه عدوا و اما ميكائيل فانه عدو جبرئيل! فانزل الله هاتين الآيتين.

(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ) و جواب «من» محذوف، اى يكون عدوا لله: (فَإِنَّهُ) يعنى جبرئيل (نَزَّلَهُ) اى القرآن، أضمره لوضوحه و كمال شهرته (عَلَى قَلْبِكَ) بيان لمحل الوحي، فانه القابل الأول و مدار الحفظ و الفهم، و حق صورة الكلام ان يقال: على قلبي، لكنه جاء على حكاية قول الله (بِإِذْنِ اللَّهِ) و امره و تيسيره (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) حال كون القرآن موافقا لما قبله من الكتب الالهية من معارف التوحيد و بعض الشرائع (وَهَدَى) الى دين الحق (وَبَشَّرِى و مَبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ مصدر بمعنى الفاعل (لِلْمُؤْمِنِينَ) فحينئذ لا وجه لمعاداته فلوا نصفوا، لأحبوه و شكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم.

فالمؤمن يشكر و الفاسق يكفر، قال الجنيد: الشكران لا تستعين بنعمه على معاصيه، فنعمة إدراكك تصرفها في الدهاء و قواك في المعاصي و مالك في اللهو، فمن لامك في معصية و نهاك عنها، فشكر هذه النعمة ان تحبه لا ان تبغضه.

(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ) و مخالفنا لأمره (وَمَلَأْنِيكَ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) أفردهما بالذكر لإظهار شرفهما، قال عكرمه: جبر، و ميك، و اسراف، هي العبد بالسريانية- و ايل و آئيل، هو الله و معناها عبد الله و عبد الرحمن قال الرازي في المفاتيح:

قرء ابن كثير، جبرئيل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همزة والكسائي و ابو عمر عن عاصم بفتح الجيم والراء مهموزا والباقون بكسر الجيم والراء، غير مهموز على وزن قنديل وفيه سبع لغات، ثلاث منها ما ذكرناها و جرائل على وزن جراعل و جرائيل على وزن جراويل و جرايل على وزن جراعل و جراين بالنون و منع عن الصرف للتعريف والعجمة.

(فَإِنَّ اللَّهَ) جواب الشرط و لم يقل فانه، لاحتمال ان يعود الى جبرئيل و ميكائيل (عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) اى لهم، جاء بالظاهر ليدل على ان الله اتما عاداهم لكفرهم

[سورة البقرة (2): آية 99]

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (99)

فقال ابن سوريا لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بعد تلك السؤالات، ما جئتنا بشي ء نعرفه و ما انزل عليك من آية فتتبعها، فانزل هذه الآية: (وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) اى و بالله قد أنزلنا إليك آيات واضحة الدلالة على معانيها و على كونها من عند الله، (وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ): و ما يكفر بهذه الآيات الا المتمردون في الكفر، الخارجون عن حدوده.

[سورة البقرة (2): آية 100]

أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (100)

(أَوْ) الهمزة للإنكار و الواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اكفروا بالبيئات و «كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا» أراد به العهد الذى بلغهم الأنبياء، ان يؤمنوا بالنبي الأمي، او اليهود التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و بين اليهود، فنقضوها لفعل قريظة و النصير عاهدوا ان لا يعينوا عليه احد، فنقضوا ذلك و أعانوا عليه قريشا يوم الخندق «نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ» جماعة منهم «بَلْ أَكْثَرُهُمْ» اى اكثر المعاهدين «لَا يُؤْمِنُونَ» و لا يعود الضمير الى فريق، لأن الفريق النابذة كلهم غير مؤمنين، لكن من المعاهدين من آمن كعبد الله بن سلام و كعب الأخبار و غيرهما و قرء

ابو السمال او، بسكون الواو على ان الالف واللام في الفاسقون بمعنى الذين، فيكون المعنى: و ما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا.

[سورة البقرة (2): آية 101]

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101)

«وَلَمَّا جَاءَهُمْ»: و لما جاء اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم «رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن اكثر المفسرين وقيل: أراد بالرسول، الرسالة وهذا القول ضعيف «مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ» اى هو معترف بنبوة موسى عليه السلام وبصحّة توراة، او معنا من حيث ان التوراة بشرت بمقدم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاذا اتى محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان مجيئه تصديقا للتوراة «نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» اى ترك والقى طائفة منهم و اتما قال: من الذين ولم يقل: منهم. لانه أراد علماء اليهود «كِتَابَ اللَّهِ» يحتمل ان يريد به القرآن، او التوراة «وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» كناية عن تركهم العمل به، قال الشعبي: هو بين أيديهم يقرءونه و لكن نبذوا العمل به، فحينئذ المراد: التوراة، ادرجوه في الحرير والديباج و حلّوه بالذهب والفضة و لم يحلّوا حلاله و لم يحرموا حرامه، قال السدى: نبذوا التوراة و أخذوا بكتاب اصف و سحر هاروت و ماروت، قال قتادة: النابذون جماعة معدودة من علمائهم و لذا ذكر سبحانه: فريقا لأنّ الجمع العظيم و النجم الغفير و العدد الكثير، لا يجوز عليهم كتمان ما علموه، لانه خلاف المؤلف من العادات الا اذا كانوا عددا يجوز على مثلهم، التواطؤ على الكتمان «كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» انه صدق و حق و المراد انهم علموا و كتموا، بغيا و طمعا في الرياسة، او المراد كأنهم لا يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب.

وَ اتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَ لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)

و اتبع اليهود، عطف على ما تقدم من انه نبذ فريق من اليهود كتاب الله وراء ظهورهم و اختلف في اليهود، فقيل: المراد اليهود الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قيل: انهم اليهود الذين كانوا في زمن سليمان صلى الله عليه و آله و سلم و قيل: المراد به الجميع لأن متبعي السحر لم يزالوا منذ عهد سليمان الى ان بعث محمد صلى الله عليه و آله و سلم اى اتبع اليهود ما يقرء الشياطين، من السحر و النيرنجات على عهد سليمان و زعموا بزعمهم الباطل ان سليمان عليه السلام كان كافرا ساحرا ماهرا به و نال ما نال و ملك ما ملك و قدر ما قدر و قالوا و نحن ايضا نعمل به و نظهر العجائب حتى ينقاد الناس لنا و نستغني عن الانقياد لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم.

القمي و العياشي عن الباقر عليه السلام قال: لما هلك سليمان عليه السلام وضع إبليس السحر و كتبه في كتاب و طواه و كتب على ظهره: هذا ما وضعه اصف بن برخيا للملك سليمان بن داود، من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا و كذا، فليفعل كذا و كذا، ثم دفنه تحت سرير سليمان، فدلاهم عليه و قرأه عليهم، فقال الكافرون:

ما كان يغلبنا سليمان الا بهذه و قال المؤمنون: بل هو عبد الله و نبيه، فقال الله «وَ اتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ» اى على عهده، اوفى عهده،

فكذبهم الله، وقال «وَمَا كَفَرَ سَ لَيْمَانُ» ولا استعمل السحر، كما قال هؤلاء الكفرة «وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» قرء، لكن، مخففة ومشددة وعلى قراءة التخفيف ملغاة عن العمل ورفع اسم ما بعدها، اى ولكن كفر الشياطين بتعليمهم الناس السحر الذى نسبه الى سليمان (وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ) وبتعليمهم اياهم ما انزل على الملكين «بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ» قال الصادق عليه السلام: و كان بعد نوح كثر السحرة و المموهون فبعث الله ملكين الى نبي ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة و ذكر ما يبطل به سحرهم و يرد به كيدهم، فتلقاه النبي عن الملكين و اذاه الى عباد الله بأمر الله و أمرهم ان يقفوا به على السحر و ان يبطلوه و نهاهم عن ان يسحروا به الناس و هذا كما يدل على كيفية السم و على ما يدفع به غائلة السم، ثم يقول لمتعلم ذلك العلم هذا السم فمن رايته سم، فادفع غائلته بكذا و اياك ان تقتل بالسم أحدا، قال و ذلك النبي امر الملكين، ان يظهرها للناس بصورة بشرين و يعلماهم ما علموا و ذلك قوله «وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ» ذلك السحر و ابطاله (حَتَّى يَقُولَا) للمتعلم «إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ» امتحان للعباد ليطيعوا الله فيما يتعلمون من هذا و يبطلوا به كيد السحر و لا تسحروا «فَلَا تَكْفُرُوا» ايها المتعلم باستعمال هذا السحر و طلب الإضرار به و دعاء الناس الى ان يعتقدوا انك تفعل ما لا يقدر عليه الا الله، فان ذلك كفر «فَيَتَعَلَّمُونَ» يعنى طالبى السحر «مِنْهُمَا» اى مما تتلوا الشياطين على عهد سليمان و مما انزل على الملكين ببابل من هذين الصنفين «مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ» يتعلمون للإضرار بالناس و التفريق بين الزوج و الزوجة و بين المتحابين و ما يؤدى عمله الى الفراق بينهما «وَمَا هُمْ بِبِصَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» اى لا يضرّون بذلك السحر الا بتخلىة الله، فانه تعالى لو شاء لمنعهم بالقهر و قيل: معنى باذن الله بعلم الله.

قال صاحب كتاب نصاب الاحتساب: ان الرجل إذا لم يقدر على مجامعة اهله و قدر على ما سواها، فانّ المبتلى بذلك يأخذ حزمة من القصب و يطلب فأسا

ذا فقارين و يضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجج ناراً في تلك الحزمة حتى إذا حمى الفأس استخرجه من النار وبال على حوة فيبراً بأذن الله.

«وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ» لأنهم إذا عملوا السحر وتعلموا ليسحروا به، فقد تعلموا ما يضرهم في دينهم، فانهم ينسلخون عن دين الله بذلك «وَلَقَدْ عَلِمُوا» اي علم هؤلاء المتعلمون «لَمَنِ اشْتَرَاهُ» قيل: اللام، في لمن اشتراه، لام الابتداء وقيل لام القسم، و «مِنْ» قيل شرطية والجواب «ما له في الآخرة مِنْ خَلْقٍ» وقيل: من، موصولة، اي والله لقد علم الذي اشترى السحر ماله في الآخرة من نصيب في الجنة «وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» اي بس ما باعوا به حظ أنفسهم من نصيب الجنة حيث اختاروا التكسب بالسحر لداعية الفرار من التكليف و حب الدنيا لو كانوا يعلمون كنه ما يصيرون اليه من العقاب الدائم.

فان قيل: كيف اثبت سبحانه لهم العلم في قوله و لقد علموا، ثم نفاه عنهم في قوله: لو كانوا يعلمون، فالجواب: ان الذين علموا، غير الذين لم يعلموا، فالذين علموا، هم الذين علموا السحر و دعوا الناس الى تعلمه و هم الذين نبذوا كتاب الله و اما الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر، فهم الذين لا يعلمون، او ان القوم واحد و لكنهم علموا شيئاً و جهلوا شيئاً آخر، علموا انه ليس لهم في الآخرة خلاق و لكن جهلوا ما حصل لهم لهذا الأمر، من العقوبة و النكال.

ثم في الآية قول آخر: و هو انه قرأ، ملكين بكسر اللام، عن الضحاک و ابن عباس، فقال الحسن: كانا علجين، أفلين ببابل، يعلمان الناس السحر و قيل: كانا رجلين، صالحين من الملوك، مستدللاً بأنه لا يليق بالملائكة تعليم الباطل، لكن يمكن الجواب بأنه تعليم الباطل لأجل معرفة بطلانه، ليس فيه ضرر كما شرح أولاً، او انزلا و هما ملكان من الملائكة، انزلا لتعليم السحر، ابتلاء و امتحاناً من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر، او انزلا تمييزاً بينه و بين المعجزة لئلا يغتر به الناس

وذلك لأنّ السحرة كثرت في ذلك الزمان واستتبعت ابواباً غريبة في السحر وكانوا بذلك يدعون النبوة والناس يصدّقونهم بالنبوة، فبعث الله هذين الملكين ليعلّما الناس أبواب السحر، حتّى يتشخّص السحر عن المعجزة، فلهذه الحكمة انزل السحر على الملكين، لأنّ التشخيص بين المعجزة و السحر متوقّف على العلم بماهيّة السحر، فبعث الله هذين الملكين لتعريف ماهيّة السحر وقد نهيا الناس عن اعماله بقولهما: إنّما نحن فتنّة، فلا تكفرا ايّها المتعلّم بعمله وهذا من احسن الأغراض و احسن الوجوه. وأنكر ابو مسلم في الملكين ان يكون السحر نازلا عليهما وقال:

انّ السحر لو كان نازلا عليهما، لكان منزله هو الله و ذلك غير جائز لأنّ السحر كفر و عبث و لا يليق به إنزال ذلك، لأنّ قوله تعالى و لكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر، يدلّ على أنّ تعليم السحر كفر، فلو ثبت في الملائكة أنّهم يعلمون السحر، لزمهم الكفر و ذلك باطل و السحر لا يضاف الا الى الكفرة و الفسقة و الشياطين، فكيف يضاف الى الله ما ينهى عنه و يتوعّد عليه العذاب و قد أجيب عن قول ابي مسلم قبيل هذا.

و بالجملّة فعلى كونهما من الملائكة قالوا في سبب نزولهما و اختلفت الروايات في هذه القضية، حتّى في رواياتنا الخاصّة، فبعض منها يدلّ على وقوعها و بعض على عدم وقوعها كما في الصافي، قال الراوي: قلت لأبي محمّد الرضا صلّى الله عليه و آله و سلّم فإنّ قوما عندنا يزعمون أنّ هاروت و ماروت، ملكان من الملائكة، فانزلهما الله الى الدنيا و أنّهما افتتتا بالزهرة و أرادا الزنا بها و شربا الخمر و قتلا النفس المحرّمة و أنّ الله يعذبهما ببابل و أنّ السحرة منهما يتعلّمون السحر و أنّ الله مسح تلك المرأة بهذا الكوكب الذي هو الزهرة، فقال الامام: معاذ الله من ذلك، إنّ ملائكة الله معصومون، محفوظون من الكفر و المعاصي بألطف الله، قال الله تعالى فيهم، لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون و قال الله تعالى، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بامرهم يعملون. و عن الرضا عليه السلام، أنّه سئل عمّا يرويه الناس من امر الزهرة و أنّها كانت امرأة فتن بها هاروت و ماروت و ما يروونه من امر سهيل أنّه كان عشارا باليمن،

فقال عليه السّلام: كذبوا في قولهم و ما كان اللّهُ ليمسّخ أعدائه أنوارا مضيئة، ثمّ يبقّيها مادامت السموات و الأرض و إنّ المسوخ لم يبق أكثر من ثلاثة أيّام و ما يتناسل منها شيء و ما على وجه الأرض، اليوم مسخ و إنّ التي وقع عليها اسم المسوخية مثل القرد و الخنزير و الدّب و أشباههم إنّما هي مثل ما مسخ اللّهُ على صورها و أمّا هاروت و ماروت.

فكانا ملكين، علما الناس السحر ليحترزوا به سحر السحرة و يبطلوا به كيدهم و ما علّمنا أحدا من ذلك شيئا إلّا قالوا له: إنّنا نحن فتنة فلا تكفر، فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز عنه و جعلوا يفرّقون بما تعلّموا بين المرء و زوجته- انتهى.

قال الفيض: أقول و أمّا ما كذّبوه عليهم السلام من امر هاروت و ماروت فقد ورد عنهم في صحّتها أيضا روايات، القمّي و العياشي عن الباقر عليه السّلام: انه سئل عطا عن هاروت و ماروت، فقال: إنّ الملائكة كانوا ينزلون من السماء الى الأرض في كلّ يوم و ليلة يحفظون اعمال اوساط اهل الأرض من ولد آدم و الجنّ و يعرجون بها الى السماء، فضجّ اهل السماء من اعمال اوساط اهل الأرض في المعاصي و الكذب على اللّهُ و جرأتهم عليه سبحانه و نزّهوا اللّهُ عمّا يقولون و يصفون، فقالت طائفة من الملائكة: يا ربّنا اما تغضب ممّا يعمل خلقك في أرضك و ممّا يصفون فيك الكذب و عمّا يرتكبونه من المعاصي التي نهيتهم عنها و هم في قبضتك، فاحبّ اللّهُ يرى الملائكة سابق علمه في جميع خلقه و يعرفهم ما منّ به عليهم ممّا طبعهم عليه من الطاعة و عدل به عنهم من الشهوات الانسانية، فأوحى اللّهُ إليهم ان اتدبوا منكم ملكين حتّى أهبطهما الى الأرض و أجعل فيهما الطباع البشرية من الشهوة و الحرص و الأمل كما هو في ولد آدم، ثمّ اختبرهما في الطاعة التي و مخالفة الهوى، قال:

فندبوا لذلك هاروت و ماروت و كانا من اشدّ الملائكة في العيب لولد آدم و استيثار غضب اللّهُ عليهم، فأوحى اللّهُ إليهما ان اهبطا الى الأرض، فقد جعلت فيكما الشهوات، كما جعلتها في بني آدم و اتى أمركما ان لا تشركا بي شيئا و لا تقتلا النفس التي حرّمتها و لا تزنيا و لا تشربا الخمر، ثمّ اهبطا الى الأرض في صورة البشر و لباسهم، فهبطا ناحية

بابل، فرغ لهما بناء مشرف، فأقبلا نحوه فإذا ببابه امرأة حسنة، جميلة، حسناء، متزيّنة، مستبشرة، مسفرة نحوهما؛ فلمّا تأمّلا حسنهما وجمالها وناطقها وقعت من قلبهما اشدّ موقع واشتدّت بهما الشهوة التي جعلت فيهما، فما لا إليها ميل فتنة وخذلان وحادثاها وراوداها عن نفسها. فقالت لهما انّ لي دينا أدين به وليس في ديني أن أجيبكما الى ما تريدان، ألا ان تدخلنا في ديني، فقالا: وما دينك، فقالت: انّ لي الها من عبده وسجد له فهو من ديني وانا مجيبه لما يسأل منّي، فقالا: وما إلهك، فقالت، الهى هذا الصنم، فنظر كلّ الى صاحبه، فقالا: هاتان خصلتان ممّا نهينا عنه، الزّنا والشرك، لأنّنا إذا سجدنا بهذا الصنم وعبدناه، أشركنا بالله و هوذا، نحن نطلب الزنا ولا نقدر على مغالبة الشهوة فيه ولن يحصل بدون هذا، قالا لها: أنّا نجيبك الى ما تريدان، قالت: فدونكما هذه الخمر، فاشربا، فإنّها قربان لكما منه وبه تبلغا مرادكما، فانتمرا بينهما. وقالوا: هذه ثلاث خصال نهينا عنها وانا لا نقدر على الزنا إلا بهاتين، ما أعظم البليّة بك، قد أجبنك، قالت فدونكما اشربا، فاشربا وسجدا، ثمّ راوداها، فلمّا تهيتّ لذلك، دخل عليها سائل، فرآهما على تلك الحالة، فذعرا منه، فقال السائل ويلكما قد خلوتما بهذه المرأة العطرة الحسنة وقعدتما منها على مثل هذه الفاحشة، إنكما لرجلا سوء، لأفعلنّ بكما و خرج على ذلك فنهضت وقالت: لا والهى لا تصلان الآن الّى وقد اطلع هذا الرجل علينا وعرف مكانكما وهو لا محالة مخبر بخبركما، فبادرا واقتلاه قبل ان يفضحنا جميعا، ثمّ دونكما فاقضيا وطركما مطمئنين آمنين، فاسرعا الى الرجل، فأدركاه، فقتلاه، ثمّ رجعا إليها فلم يرياها وبدت لهما سواتهما ونزع عنهما رياشهما و سمعا هاتقا: إنكما اهبطتما الى الأرض بين البشر من خلق الله ساعة من النهار، فعصيتماه بأربع من كبار المعاصي وقد نهاكما ربّكما عنها فلم تراقباه ولا استحييتما منه وقد كنتما اشدّ من نقم ولام على اهل الأرض المعاصي ولما جعل فيكما من طبع خلقة البشرى وكان قد عصمكم

من المعاصي، كيف رأيتم موضع خذلانه فيكم، قال عليه السلام: و كان قلبهما من حبّ تلك المرأة ان وصفا و أسسا طرايق من السحر، ما تداوله اهل تلك الناحية. قال الامام عليه السلام: فخيرهما الله بين عذاب الدنيا و عذاب الآخرة، فقال احد هما لصاحبه:

نتمتع من شهوات الدنيا الى ان نصير الى عذاب القيامة، فقال الاخر: انّ عذاب الدنيا له انقطاع و عذاب الآخرة لا انقضاء له و ليس حقيق بنا ان نختار عذاب الآخرة، الدائم الشديد، على عذاب المنقطع، قال عليه السلام: فاختارا عذاب الدنيا و كانا يعلمان الناس، السحر، بأرض بابل، فرفعا من الأرض الى الهواء، فهما معدّبان، منكوسان، معلّقان في الهواء الى يوم القيامة و قيل: يضربان بسياط من حديد الى يوم القيامة و روى: أنّه استشفع لهما إدريس فخيّر بين العذابين، فاختارا عذاب الدنيا، قيل، هما في بئر بابل من نواحي الكوفة معلّقان بشعورهما، او بأرجلهما، قال مجاهد:

ملئ الجبّ نارا فجعلنا فيه و قيل: يعدّبان بالعطش، لأنّه إذا قلب الله بنيتهما بنية البشر، خرجا عن الملكيّة و يحتاجان الى ما يحتاج اليه البشر، فحينئذ يندفع الأشكال ان صحّ هذا القول و لعلّ اختلاف الأقوال من المرموزات و الذي خوطب بالقرآن، اعرف به، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم: اتقوا الدنيا، فوالذي نفس محمد بيده، أنّها لا سحر من هاروت و ماروت.

إياك ان تسحرك الدنيا بلذاتها و علاقتها، فتبتّل الى الله و احترز عن النفس، فإنّ أباك آدم أصبح محسود الشياطين و مسجود الملائكة و على رأسه تاج الكرامة و على جسده لباس الوصلة و في وسطه نطاق القربة و في جيده قلادة الزلفى يتوالى عليه النداء كلّ لحظة، يا آدم، فلم يمس حتّى نزع عنه لباسه و سلب منه استيناسه فإذا كان شؤم زلّة، او صغيرة واحدة كذلك، فكيف بك. و لذلك كان المخلصون يحترزون من المباحات، فاعرض عن ملاذ الدنيا و اعتزل عن ابنائها، فطوبى لمن عوّد نفسه بالعزلة، فتمّت له النعمة و يكون أنسه باللّهِ و بسبب العزلة لا يتيسّر له اسباب المعاصي، اما سمعت قضية ابى بكر الوراق و

كان مشيقاً منذ زمان ان يرى الخضر و كان لهذا الأمر قرب عشرين سنة، كان يخرج كلّ صباح الى المقابر و يقرء جزوا من الكتاب الكريم، ثم يرجع، قال الى ان اتفق يوماً في الطريق، رأيت شيخاً نورانياً، فسلمت عليه، فقال: هل تحب ان اصاحبك الى المقابر، فصاحبني، فاشتغلت بكلامه الى ان رجعت، فلما وصلنا الى باب البلدة، قال لي: كنت تشتاق ان ترى الخضر، فنلت الى مرامك اليوم، لكن بمصاحبتي فاتك قراءة الجزء و هاك نصيحة، فعليك بالاعتزال و غاب عني، و ابو بكر هو الذي مات ابنه لما سلمه الى المعلم لقراءة القرآن، فلما وصل الى هذه الآية «يَوْمًا يُجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا» غلب الخوف على هذا الطفل، بسبب قراءة هذه الآية الى ان مرض و توفي.

و أنت تسعى في عمرك لدفع ضرر او جلب نفع لئلا تحتاج لتمتع من نيل مشتياتك مع ان ما هو سبب عزتك و نيلك الشهوات سبب ذلتك في الآخرة و طول الحساب، فاخلع نعليك و فرغ قلبك عن علائق الدنيا، حتى تصل الى واد المقدس من القرب من غير مانع، فان النعلين حاجبتان بين مساس رجلك و بساط القرب و لا تتجوهر النفس الا بزوال الاعراض الفاسدة من الشهوات، فاجهد في العمل و لا تجحد، لكن تستبعد هذا المعنى و الحق معك لأنك معصّب العين بعصابة حطام الدنيا و لذا هممتك ضعيفة، اين كثافة الكثيف و المقام الشريف و أول ما عليك استماع الزواجر و الآيات المخوفة الرادعة القرآنية، هذا إذا كنت مبتدياً و ان كنت منتهياً، فالوعديّة و التشويقيّة، كما قيل: خوفاً المبتدي و شوقاً المنتهي؛ فانه لا بدّ للجمل من حاد لقطع البوادي.

أنت ارضى و الأرض تحيى بوابل المطر، فتربو و تنبت، ثم ان كنت كثير الأكل قلل في أكلك شيئاً فشيئاً، فلو يصعب عليك هذا الأمر لأن العادة طبيعة خامسة، فزن أول يوم ماأكلك بعود رطب، فانقص كلّ يوم على قدر جفاف العود و اذكر الحديث: أكثركم شبعاً في الدنيا، أطولكم جوعاً يوم القيامة، فكن من اصحاب اليمين ان لم تكن من المقرّبين و اعلم انه ما بينك و بين القيامة الا ايّاه، فانه جميع ما في الكبرى، في الصغرى، لكن في الكبرى اشدّ، فاجمع بين المقال و الحال و العلم و العمل و اتبع الراسخين في العلم و علماء الآخرة الذين ليس لهم رغبة في هواهم و لا يطلبون الدنيا

الآ بقدر الحاجة، بل لا يناظرون إلا لإظهار الحق لا الغلبة ولا صيقل كلام ولا نقض في الحديث الصحيح ولا تأويل باطل في متن آية محكمة ولا مزاعقة ولا مخاصمة، بل على طريق الفائدة والكشف، لا المشتغلين لأجل الدنيا والرياسة.

في الحديث: إن العلم يهتف بالعمل فإن اجابه وآ ارتحل. المحبوب من العلم هو العلم الذي ينفك في الآخرة، فاطلبه واعمل به ولا تطلب علما ينفك في دنياك ويضرك في آخرتك، ففي العلوم ما يضر مثل علم السحر وصبغ الصفر إذا قلبها بالصناعة فضة وكذلك بعض العلوم التي تشغلك عن امر دينك، فكما إن في المكاسب، مكاسب خسيصة، تأبها النفوس الشريفة، كالحفر والكناسة والحجامة وكما في الرياح مورق ومحرق، كذلك العلوم، فالعلم النافع، هو الذي لو عملت به يجعلك في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فاكسب من جواهر الأعمال، تشرف بها عند عرض البضائع، فمثالك في العمل والبطالة كجماعة سافروا في الظلمات، فقال لهم الخبير بالمكان: احملا من حصاها، تغنموا، فالمطيع وصاحب حسن الظن حمل فأوقر والمتشكك البطل ما حمل، فلما خرجوا الى الضوء شاهدوا بضائعهم، فإذا درّ و جواهر، فندم البطل، فاقبل قول المشرع الصادق، ودع كبرك وتوانيك وقلل شبعك ومن النوم عينك واحفظ بطنك من الحرام، فأنت العاجز الذي تؤذيك البقة وتقتلك الشرقة، قنعت من نعيم الجنة بحلاوة في الدنيا من نحلة: بخبزة من تبنه وتعلم أنك غدا مستور بلبنة، مع أنك مؤاخذ بنعيمك، قال الله: لتسألن يومئذ عن النعيم وكن موقنا بما أمرك الشارع ولا تكن ضعيف اليقين في الدين وضعف اليقين والشك يوردك الهلكة ويورث الغفلة والبطالة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حبك الشيء يعمى ويصم. مراده صلى الله عليه وآله وسلم إن من الحب ما يعمى عن طريق الحق ويصمك عن استماع الرشد ويعمى العين عن النظر الى مساويه.

قال الرازي: إن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل امر يخفى سببه وبتخيّل

على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع ومتى اطلق ولم يقيد، أفاد ذم فاعله، قال الله تعالى. وسحروا أعين الناس اى موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى. وقال: يخيل اليه من سحرهم انها تسعى. وقد يستعار لفظ السحر فيما يحمد ويمدح.

روى انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، زبرقان بن بدر وعمرو بن الأهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم، لعمرؤ: خبرنى عن زبرقان، فقال: مطاع في نأديه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره، فقال زبرقان: هو والله يعلم انى أفضل منه، فقال عمرو: انه ذميم المرؤ، ضيق العطن، أحقق الأب، لئيم الخال، يا رسول الله، صدقت فيهما، أرضاني فقلت احسن ما علمت و اسخطنى فقلت أسوأ ما علمت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان من البيان لسحرا، فسئى صلى الله عليه وآله وسلم بعض البيان سحرا، لأن صاحبه يتصرف في الذهن بكلامه اللطيف ويوضح الشيء المشكل، فأشبهه السحر الذى يستميل القلوب بأعماله ويستنفر ولأن المتكلم يحسن ما يكون قبيحا ويقبح ما هو حسن، قال الشاعر:

في زخرف القول تزيين لباطله و الحق قد يعتريه سوء تعبير

تقول هذا حجال النحل تمدحه و ان ذممت فقل قىء الزنابير.

[سورة البقرة (2): آية 103]

وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103)

«وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا»: الضمير راجع الى اليهود اى آمنوا بالقرآن و النبى «وَ اتَّقَوْا» الشرك و السحر «لَمَثُوبَةٌ» مفعلة من الثواب و ثاب اى رجع و سئى الجزاء ثوابا، لأنه عوض عمل المحسن، يرجع اليه و مثوبة، مبتداء جواب «لو» و التنكير للتقليل، اى شىء قليل من الثواب «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ» خير، خبر المبتداء، أصله: لأثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به أنفسهم، فحذف الفعل و غير السبك الى ما عليه المنظم الكريم، للدلالة على اثبات المثوبة لهم و الجزم بخيريتها و حذف المفضل عليه،

إجلالا للمفضّل من ان يكون طرف النسبة «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» انّ ثواب الله خير.

[سورة البقرة (2): آية 104]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»: خاطب الله المؤمنين في القرآن بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، في ثمانية وثمانين موضعا، قال ابن عباس: و كان تعالى يخاطب اليهود أولا- في التوراة بقوله: يَا أَيُّهَا الْمَسَاكِينِ وَ لَمَّا اعْتَدُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَ خَالَفُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، اثبت لهم المسكنة اخرا «لَا تَقُولُوا» لرسول الله «رَاعِنَا»: المراعاة المبالغة في الرعي و هو حفظ الغير و تدارك مصالحه، كان المسلمون يقولون لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إذا التقى عليهم شيئا من العلم: رَاعِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، اى تَأَنَّ بِنَا وَ انتظرنا حتّى نفهم كلامك و كانت هذه الكلمة لليهود، كلمة عبرانية او سريانية يتسأبون بها فيما بينهم، فلما سمعوا قول المؤمنين: رَاعِنَا، يخاطبون الرسول افترصوه و خاطبوا به الرسول و هم يعنون به تلك المسبة، فنهى الله تعالى المؤمنين عنها قطعا لألسنة اليهود عن التلبس و أمروا بما هو في معناها و لا يحتمل التلبس فقال «وَقُولُوا انظُرْنَا» اى انتظرنا من نظره إذا انتظره «وَ اسْمَعُوا» بأذان واعية و أذهان حاضرة، حتّى لا تحتاجوا الى الاستعادة «وَ لِّلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» و للذين تهاونوا برسول الله، عذاب موجه لما اجترءوا على الرسول من المسبة. و في الآية دلالة على تجنّب الألفاظ المحتملة التي فيها التعريض. و المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: لا يبلغ العبدان يكون من المتقين، حتّى يدع ما لا بأس به، حذرا ممّا به البأس و قال: انّ من الكبائر، شتم الرجل أباه، قالوا: يا رسول الله و هل يشتم الرجل والديه، قال: نعم يسبّ أب الرجل، فيسبّ أباه و امه، قال الله تعالى: و لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم. فممنع من

سب آلهتهم مخافة مقابلتهم بمثل ذلك، فالإنسان لا بدّ و ان يحترز عن الذريعة و هي عبارة عن امر غير ممنوع لنفسه، يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع و هذا معنى التعريض.

[سورة البقرة (2): آية 105]

مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)

«ما يودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا»: كان فريق من اليهود يظهرون المحبة للمؤمنين و يزعمون انهم يودون لهم الخير، فنزلت الآية و نفى سبحانه عن قلوبهم الودّ و المراد من نفى الودّ، الكراهة، اى ما يحبّ الذين كفروا «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ» و المعنى انّ الكفار بأجمعهم لم يحبّوا «أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ» اى على نبيكم، لأنّ المنزل عليه، منزل على أمته «مِنْ خَيْرٍ» و «مِنْ» مزيدة لاستغراق الخير. و الخير، الوحي و القرآن و النصر «مِنْ رَبِّكُمْ» اى انهم يرون أنفسهم احقّ بان يوحى إليهم، فيحسدونكم بناء على انهم اهل الكتاب و الوحي و أبناء الأنبياء، الناشئون في مهبط الوحي و أنتم اميون. و أمّا المشركون، فادلالا- بما كان لهم من النجدة و الجاه زعما منهم انّ رئاسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية و لذا قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. و هم كانوا يتمنون ان يكون النبوة في احد الرجلين: نعيم بن مسعود الثقفي بالطائف و وليد بن مغيرة بمكة، فأجاب الله بقوله «وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ» و مفعول، من يشاء، محذوف. و المراد بالرحمة:

النبوة و الوحي و الحكمة و النصر و ليس لاحد عليه حقّ «وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» على من يختاره بالنبوة و الوحي، فمن حسد بعبد من عباد الله بنعمة خصّه بها فقد بارز اولاً، ربّه، لأنّه يتسخط قسمته تعالى، فكأنّه يقول لربّه: لو قسمت هكذا و الثاني: انّ فضل الله يؤتیه من يشاء و هو يبخل بفضله و الثالث: انه يريد خذلان وليّ الله و زوال النعمة عنه و الرابع: انه أعان عدوّ الله يعنى إبليس. ثمّ انّ حسدك

لا ينفذ على عدوك بل على نفسك. قال امير المؤمنين عليه السلام: قاتل الله الحسد ما اعدله، بدء بالحاسد قبل المحسود.

قال بكر بن عبد الله: كان رجل يأتي بعض الملوك وله مكانة عنده، فحسده رجل على تلك المكانة، فسعى به الى الملك وقال ان هذا الرجل يزعم ان الملك ابخر، فقال الملك و كيف يصح ذلك عندي، قال: تدعو به إليك، فانظر فأنه إذا دنا منك يضع يده على انفه، ان لا يشم ريح البخير، فخرج من عند الملك ودعا الرجل الى منزله، فأطعمه طعاما فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده، فقام بحذاء الملك و يكلم مع الملك على عادته، فقال الملك له: ادن مني، فدنا منه، واضعا يده على فيه، مخافة ان يشم الملك منه ريح الثوم، فلما رأى الملك ما فعل، صدق في نفسه قول الساعي.

و كان عادة الملك ان لا يكتب بخطه الا الجائزة، فكتب له بخطه الى عامل له: إذا أتاك الرجل، فاذبحه و اسلخه و احش جلده تبنا و ابعث به اليّ، فأخذ الكتاب و خرج فلقية الرجل الذي سعى به، فاستوهب منه ذلك الكتاب و اخذه منه بأنواع التضرع و الامتنان زعما منه أنه الأمر بالجائزة و مضى به الى العامل، فقال العامل: ان في كتابك ان اذبحك و اسلخك، قال: ان الكتاب ليس هو لي، الله الله في امرى حتى أراجع الملك، قال له العامل: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه و سلخه و حشى جلده تبنا و بعث به الى الملك، ثم عاد الرجل كعادته، فتعجب الملك من مجيء الرجل، فقال ما فعلت بالكتاب، قال لقيني فلان فاستوهبه مني، فوهبته، قال الملك: انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر، فقال كلاً، قال: فلم وضعت يدك على انك، قال أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشمه، قال: ارجع الى مكانك فقد كفى المسيء إساءته.

[سورة البقرة (2): آية 106]

مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106)

طعن اليهود في الإسلام، فقالوا الا ترون ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه و يأمرهم بخلافه فنزلت الآية «مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ»: النسخ في اللغة، الازالة و

النقل، يقال نسخت الريح الأثر، إزالته ونسخت الكتاب أي نقلته من نسخة الي نسخة ومنه تناسخ الأرواح، المراد: التحوّل من واحد الى واحد وقرء نسخ بضمّ النون و والنسوء هو التأخر و نساها قرء بفتح النون و الجمهور من المسلمين على جواز النسخ و وقوعه و تمسّكوا بهذه الآية و آيات اخرى، مثل قوله: و إذا بدّلنا آية مكان آية و مثل قوله: يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده امّ الكتاب. و أنكر بعض، النسخ و وقوعه في القرآن، مثل ابى مسلم بن بحر و قال: انّ المراد من الآيات المنسوخة، هي الشرائع الّتي في الكتب المتقدّمة، من التوراة و الإنجيل، كالسبت و الصلاة الى المشرق و المغرب و حرمة لحم الإبل و أمثالها، لكنّ القائلين بوقوع النسخ، دلائلهم كثيرة و حججهم قويّة، مثل ان قالوا بوقوع النسخ في القرآن، انّ الله امر المتوفّي عنها زوجها بالاعتداد حولا كاملا و ذلك في قوله: و الّذين يتوفّون منكم و يذرون أزواجا و صيّة لأزواجهم متاعا الى الحول. ثمّ نسخ ذلك باربعة أشهر و عسرا بقوله:

و الّذين يتوفّون منكم - الآية - و أجاب ابو مسلم: بانّ الاعتداد بالحول ما نسخ بالكلّيّة، لأنّها لو كانت حاملا و مدّة حملها حولا كاملا، لكانت عدّتها حولا كاملا و إذا بقي هذا الحكم في بعض الصور، كان ذلك تخصيصا لا ناسخا و هذا الجواب ضعيف و حجة القائلين بوقوع النسخ، آية تقديم الصدقة عند نجوى الرسول و كذلك قوله: سيقول السفهاء ما و لا هم عن قبلتهم الّتي كانوا عليها، ثمّ أزالهم عنها بقوله: فولّ وجهك شطر المسجد الحرام. و أجاب ابو مسلم: انّ حكم تلك القبلة ما زال بالكلّيّة لجواز التوجّه إليها عند الأشكال، او مع العلم إذا كان هناك عذر. و جوابه: انّ على الوصف الذي ذكره، لا فرق بين بيت المقدّس و سائر الجهات و بالجملة فعمدة دليل ابى مسلم في هذه المقولة، انّ الله وصف كتابه بأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فلو نسخ لكان قد أتاه الباطل و هذا ليس بدليل، لأنّ المراد انّ هذا القرآن لم يتقدّمه من كتب الله ما يبطله و لا- يأتيه من بعده ايضا ما يبطله- انتهى - ثمّ انّ المنسوخ اما ان يكون هو الحكم فقط، او التلاوة، او هما معا، اما الأول: مثل آية عدّة الوفاة و هي: و الّذين يتوفّون - الآية - و اما الثاني: فكاية

الرجم، فكما روى أنّ ممّا يتلى عليكم في كتاب الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما، فهو منسوخ التلاوة، دون الحكم و معنى النسخ في مثلها، انتهاء التكليف لقراءتها، اى نسخ تلاوتها و بقي حكمها و اما الثالث الذى منسوخ الحكم و التلاوة: قالت عائشة: كان تتلى في كتاب الله عشر رضعات يحرمن، ثمّ نسخ بخمس رضعات يحرمن، فهو منسوخ الحكم و التلاوة جميعا، ثمّ أنّ النسخ يختصّ بالأوامر و النواهي، لكنّ الخبر لا يدخله النسخ ابدا، لاستحالة الكذب على الله، انتهى.

«أو نُسِها» او نتركها على حالها، او نؤخرها لوقت آخر لمصلحة و المعنى:

انّ كلّ آية نذهب بها على ما يقتضيه الحكمة «نأت بِخَيْرٍ» اى بآية و حكم هي خير «منها» للعباد في النفع و الثواب و التفاضل فيها، بحسب ما يحصل منها الخير «أو مثْلِها» في المنفعة و الثواب، فكلّ ما نسخ الى الأيسر، فهو للسهولة للعباد و ما نسخ الى الاشَقّ، فهو في الأجر اكثر، فالايسر: كنسخ الاعتداد في الوفاة و الاشَقّ كنسخ ترك القتال بإيجابه و قد يكون النسخ بمثل الأوّل، لا اخفّ و لا اشَقّ، كنسخ القبلة، فحينئذ طعن اليهود له صلّى الله عليه و آله و سلّم فيكون هذه الآية ردا عليهم.

و الأنبياء هم المباشرون لإصلاح النفوس، مثل اطباء البدن للأجسام، و النسخة كتاب الله و تغيير الأعمال الشرعيّة و الاحكام الخلقية التي هي منزلة عليهم للنفوس بمنزلة العقاقير، فيغيّرها الشارع و هو الله على حسب مصالحها كما انّ الشّيء يكون دواء للبدن في وقت، ثمّ قد يكون داء في وقت آخر لكنّ لما ختمت النبوة بمحمد صلّى الله عليه و آله و سلّم، كذلك ختمت المعالجة بالقرآن الذى هو شفاء و لا يتغيّر بعده امر ابدا ما دامت السموات و الأرض، فمن حرّفه او بدّل فرعا من فروع، فقد كفر به و خرج عن دين الإسلام، سواء تعلّق نظره بالمصلحة أم لا.

«أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيقدر على النسخ و الإتيان بمثل المنسوخ و بما هو خير منه.

أنكه داند دوخت او داند دريدهر چه را بفروخت نيکوتر خريد.

[سورة البقرة (2): آية 107]

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (107)

«أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»: أى هو المالك للسموات والأرض، فيفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و هو كالدليل على قوله: انّ الله بكل شيء قدير. و تخصيص السموات والأرض بالذكر- وان كان الله تعالى له ملك الدنيا والآخرة جميعا- لكونهما أعظم المصنوعة «وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» من، زائدة للاستغراق «مِنْ وَلِيٍّ» ناصر، قيم بالأمر «وَلَا نَصِيرٍ» معين لكم، فلا يجوز الاعتماد على غيره و حسن منه الأمر و النهى و التغيير و التبديل و النسخ لكونه مالكا للخلق.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عباد الله أنتم كالمرضى ورب العالمين كالطبيب، فصلاح المرضى فيما يعمله الطبيب و يدبره لا فيما يشتهي المريض، الا فسلموا الله امره تكونوا من الفائزين.

[سورة البقرة (2): آية 108]

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (108)

«أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ»: أم، على قسمين، متصلة و منقطعة، فالمتصلة بمعنى همزة الاستفهام و المنقطعة بمعنى بل، و لا يكون إلا بعد كلام تام و في هذه الآية متصلة و اختلفوا في المخاطب به، قيل: أنهم المسلمون، قالوا: كان المسلمون يسألون رسول الله عن امور لا خير لهم في البحث عنها ليعلموها، كما سأل اليهود موسى و قيل: سأل قوم من المسلمين ان يجعل لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط و هي شجرة كانوا يعبدونها و يعلقون عليها المأكول و المشروب، كما سألوا موسى ان يجعل لهم إليها كما لهم آلهة و القول الآخر: انه خطاب لأهل مكة و هو قول ابن عباس و مجاهد قال: ان عبد الله بن امية المخزومي

اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رهط من قريش؛ فقال يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ما او من بك حتى تفجر لنا ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل و عنب او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء و لن نؤمن لرقبك حتى تنزل علينا كتابا من الله الى عبد الله بن امية ان محمد رسولا لله و قال له بقيّة الرهط فان لم تستطع ذلك فأتنا بكتاب من عند الله، جملة واحدة فيه الحلال و الحرام و الحدود و الفرائض، كما جاء موسى الى قومه بالألواح من عند الله فيها كل ذلك، فنؤمن لك عند ذلك، فانزل الله تعالى هذا الآية.

و القول الثالث: ان الخطاب لليهود، قال الرازي: و هو الأصح، لأن هذه السورة من أول قوله: يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتي. حكاية عنهم و محاجة معهم و لأن هذه السورة مدنية و جرى ذكر اليهود و ما جرى ذكر غيرهم.

و بالجملة: فالمعنى أ تريدون و تقترحون بالسؤال كما اقترحت بنوا إسرائيل سابقا على موسى ان تسألوا رسلكم و هو في تلك الرتبة من علو الشأن «كما سئل موسى مشبها بسؤال موسى «مِنْ قَبْلُ» محمد متعلق بسئل، جيء به للتأكيد «وَمَنْ يَبَدِّلِ الْكُفْرَ» و يأخذه لنفسه «بِالْإِيمَانِ» بمقابلته بدلا منه «فَقَدْ ضَلَّ» و عدل و جاز من حيث لا يدري «سَوَاءَ السَّبِيلِ» عن الطريق المستقيم و تاه في تيه الهوى و تردى في مهاوي الردى و سواء السبيل، وسط الطريق السوي الذي هو بين الغلوة و التقصير و هو الحق. و ليس للمؤمن ان يحب ما لا يرضيه الله او يكره ما يرضى الله و متى ما لم يراع هذه المرتبة، يسقط عن رتبة الايمان الكامل، قال في بستان العارفين: مثل الايمان مثل بلدة لها خمسة من الحصون: الأول من الذهب و الثاني من فضة و الثالث من حديد و الرابع من حوكل و الخامس من لبن، فما دام اهل الحصن يعاهدون الحصن الذي من اللبن، فالعدو لا يبلغ فيهم، فإذا تركوا الحصن الأول، طمع العدو في الثاني، ثم في الثالث حتى خرب الحصون، فكذلك الايمان في خمسة من الحصون، أولها اليقين، ثم الإخلاص، ثم أداء الفرائض، ثم إتمام السنن، ثم حفظ الأدب فما دام يحفظ الأدب و يتعاهده، فإن الشيطان لا يطمع فيه، فإذا ترك

الأدب، طمع اللعين في السنن، ثم في الفرائض، ثم في الإخلاص، ثم في اليقين، فينبغي ان يحفظ الأدب في جميع أموره، حتى في المباحات و إنما ارتدّ من ردّ لعدم رعاية الأدب كإبليس وغيره من المردودين.

اعلم أنّ لا يكفيك تزكية النفس عن البعض، حتى تركي عن جميعها ولو تركت واحدا من الأخلاق السيئة غالبا عليك، فذاك يدعوك الى البقية، مثل انّ الحسن، لا يحصل بحسن بعض الأعضاء ما لم يحسن جميع الأطراف، فانك لو كنت يوسفى الوجه و كنت اعور، لست في زمرة الملاح و الصباح، فانّ الخلق و هو الصورة الظاهرة بسبب عيب يكون ناقصا، فكذلك الخلق و هو السيرة الباطنة، يكون معيبا و ناقصا، فانّ الإنسان مرگب من جسد يدرك بالبصر و من روح و من نفس يدرك بالبصيرة و لكلّ واحد منهما هيئة، اما قبيحة او حسنة. و الروح و النفس أعظم قدرا و لذلك اضافة الله الى نفسه و اضاف الجسد الى الطين، فقال: اتى خالق بشرا من طين و وصف الروح بانّه امر ربّانى، فقال تعالى: قل الروح من امر ربّى و كما للبدن أركاننا كالعين و الاذن و الفم و. و لا يوصف بالحسن ما لم يحسن جميعها، كذلك الصورة الباطنة، لها اركان لا بدّ من حسن جميعها، حتى يحسن الخلق و هي اربعة معان و قوى: قوّة العلم و قوّة الغضب و قوّة الشهوة و قوّة العدل بين هذه القوى الثلاث، فإذا استوت هذه الأركان الاربعة، حصل حسن لخلق، اما قوّة العلم، فاعتدالها ان يصير بحيث يدرك بها الفرق بين الصدق و الكذب في الأقوال و الحقّ و الباطل في الاعتقادات و بين الجميل و القبيح في الأعمال، فإذا حصلت هذه القوّة حصلت منها ثمرة الفضائل و الحكمة، و من يؤتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا.

و اما قوّة الغضب و الشهوة: فاعتدالها ان يقتصر انقباضها و انبساطها على موجب اشارة الحكمة و الشرع.

و اما قوّة العدل: فهي ضبط قوّة الغضب و الشهوة، تحت اشارة الدّين و الشرع بالعقل الّذى هو بمنزلة الناصح، و لا بدّ في قوّة الغضب، الاعتدال، لأنّها ان مالت الى طرف الزيادة سمى تهورا، و ان مالت الى النقصان سمى جينا، و افراط الغضب

يُحصل منه الصلف والبذخ والاستطالة والكبر والعجب، وتقرّبطها يحصل منه الجبن والذلة والمهانة وعدم الغيرة وضعف الحميّة على الأهل والمال واما في اعتدالها يحصل الخلق الكريم والشهامة والحلم والثبات وكظم الغيظ و و.

و اما اعتدال الشهوة: فهو العفّة و افراطها يعبر بالشهره و عن تقرّبطها بالخمود، فيصدر من العفّة، السخاء والحياء و المسامحة و القناعة و الورع و قلة الطمع و يصدر عن افراطها، الحرص و الوقاحة و التبذير و العجب و الرياء و الهتكة و المجانة و و الملق و الحسد و التذلل للأغنياء و الاستحقار للفقراء.

و اما قوّة العقل: فيصدر من اعتدالها حسن التدبير و نقابة الرأى في اصابة الظنّ و التفطنّ لدقائق الأعمال و خفايا آفات النفوس و اما افراطه فيحصل منه المكر و الدهاء و الخداع و يحصل من تقرّبطه، البله و الغمارة و الحمق و البلادة و الانخداع و حسن الخلق في الجميع و وسط بين الإفراط و التفريط و كلا طرفيها ذميم و مهما مال واحد من هذه الجملة الى الإفراط و التفريط، فبعد لم يكمل حسن الخلق و العلاج الرياضة و المجاهدة و معنى الرياضة ان يكلف الصفة المفرطة الغالبة، خلاف مقتضاها و يعمل بنقيض موجبها، مثلا ان غلب البخل، يتكلف البذل مرّة بعد اخرى، حتّى يسهل عليه البذل في محلّه و هكذا الى ان ينقلب الطبع، فانّ العادة طبيعة خامسة.

و اعلم انّ تفاوت الناس في حسن الباطن، كتفاوتهم في حسن الظاهر و لم يسلم الحسن المطلق الا على الندرة كما حصل له صلّى الله عليه و آله و سلّم و انك لعلى خلق عظيم.

اعلم: انّ اصول الأخلاق المحمودة عشرة: التوبة و الخوف و الزهد و الصبر و الشكر و الإخلاص و التوكّل و المحبّة و الرضا و ذكر الموت.

الأصل الأوّل، التوبة و أنّها مبدأ طريق السالكين و مفتاح سعادة المقبلين - و التائب محبوب الله، قال الله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**، و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: انّ الله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في فلاة مهلكة، معه راحلته و عليها طعامه و شرابه، فوضع رأسه، فنام نومة، فاستيقظ و قد ذهب راحلته، فطلبها حتّى اشتدّ

الحرّ والعطش، قال: ارجع الى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتّى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ، فإذا راحلته عنده، عليها زاده و شرابه، فالله أشدّ فرحاً بتوبة العبد المؤمن، من هذا براحلته وهي واجبة على الفور مع الشرائط، على كلّ احد، لأنّ الإنسان مرّكب من صفات بهيميّة و سبعيّة و شيطانيّة و ربوبيّة و قد عجنت في طينته عجنا محكما و أوّل ما يظهر فيه، البهيميّة فيغلب عليه الشهرة و الشره، ثمّ السبعيّة فيغلب عليه المنافسة و المعاداة، ثمّ الشيطانيّة فيغلب عليه المكر و الخداع، ثمّ يظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبيّة و هو الكبير و الاستعلاء، فاذن لا يستغنى احد عن التوبة و هي ارث أبيه و لو فرضنا أنّه سلم من هذه الآفات و خلا عن جميع ذلك، فلا يخلو عن غفلة عن الله و ذلك طريق البعد، قال الله: وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَ توبة العوام من الذنوب الظاهرة و توبة الصالحين عن الأخلاق الذميمة و توبة المتّقين من الغفلة المنسية للذكر و توبة العارفين عن الوقوف على مقام يكون ورائه مقام، فتوبة العارفين لا نهاية لها.

الأصل الثاني: الخوف: قال الله: هدى و رحمة للذين هم لربّهم يرهبون.

قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: رأس الحكمة مخافة الله، قال الله تعالى في الحديث القدسي: و عزّتي لا اجمع على عبدى خوفين و لا- اجمع له امنين- الحديث- و الخوف سوط يسوق العبد الى السعادة و حقيقة الخوف: ألم القلب و اضطرابه بسبب توقع مكروه في الاستقبال. اوحى الله الى داود عليه السلام: خفني كما تخاف السبع الضاري. و الله تعالى كم أهلك من عباده و عرضهم لانواع العذاب و لم يأخذه رقة و شفقة و أخوف الخلق الأنبياء و آمن الخلق الأغبياء، او ما سمعت أنّ العبد يكون خوفه و رجاؤه متساويا فذلك للمطيع المتجرّد لله، لكن ما دام العبد مفارقاً للذنوب ينبغي ان يغلب الخوف على الرجاء.

قال بعض السالكين: لو نودي ليدخلنّ الجنة جميع الخلق الا واحدا، لخفت ان أكون ذلك الرجل، لكن إذا قارب الموت ينبغي ان يغلب الرجاء و حسن الظنّ، قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: لا تموتنّ أحدكم الا و هو حسن الظنّ برّبّه و الرجاء غير التمني

والمتمني مغرور يحسب نفسه راجيا فمن رجا شيئا طلبه و من خاف شيئا هرب منه و مالا يحمل على ذلك فهو حديث نفس لا وزن له و الخوف يوجب الزهد لا الحرص الأصل الثالث: الزهد، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ازهد في الدنيا يحبك الله و ازهد عمّا في أيدي الناس يحبك الناس. و قال إذا أراد بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة و بصّره بعيوب نفسه. و بداية الزهد، التّزهد، لأن نفسه مائلة الى الدنيا لكنه يجاهدها و حقيقة الزهد ان ينزوي عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها و امّا ان تنزوي عنك و أنت راغب فيها، فذلك فقر و ليس بزهد.

الأصل الرابع: الصبر: قال الله تعالى: **إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** و ذكر الله، الصبر في القرآن في نيف و سبعين موضعا، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الصبر كنز من كنوز الجنة. و التخلية و التركيز لا تتم الا بالصبر لأن جملة اعمال الايمان على خلاف باعث الشهوة و لذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الصبر نصف الايمان. و الانسان لا يزال في جميع الحالات يحتاج الى الصبر لأن جميع ما يلقي العبد في حياته امّا ان يوافق هواه او يخالفه، فان وافق كالثروة و كثرة الجاه و الصحة فما أحوجه الى الصبر فانه ان لم يضبط نفسه طغى و أفسد و امّا ما يخالف الهوى ففي الطاعات يحتاج الى مجاهدة النفس و تحمّل مشاقّ العباداة و تخليصها عن الرياء و مكائد النفس و كلّ طاعة تحتاج الى الصبر في اوله بتصحيح النيّة و الإخلاص و ايضا حين الاشتغال كيلا يتكاسل عن آدابه و سنته و الحضور و نفي الوسواس و ايضا بعد العمل ليصبر عن ذكره و افشائه تخلّصا عن الرياء و السمعة، كما انّ المعاصي لا بدّ من تركها على الصبر و المجاهدة مع الهوى، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: المجاهد من جاهد هواه و المهاجر من هجر السوء. و الصبر عن المعاصي اشدّ لا سيّما عن معصية صارت عادة مألوفة كمعاصي اللسان كالكذب و الثناء على النفس.

قال بعض الأكابر: ما كنّا نعدّ ايمان الرجل ايمانا، إذا لم يصبر على الأذى، قال الله تعالى: **وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا**. قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: من إجلال الله ان لا تشكو وجعك و لا تذكر مصيبتك.

الأصل الخامس: الشكر: قال الله تعالى: وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ وقال:

ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم. و الشكر من المقامات العالية وهو أعلى من الصبر و الخوف و الزهد و جميع المقامات المذكورة لأنها ليست مقصودة في أنفسها و انما يراد لغيرها، مثل ان الصبر يراد منه قمع الهوى و الخوف سوط يسوق الخائف الى المقامات المحمودة و الزهد هرب من العلائق الشاغلة عن الله؛ لكن الشكر مقصود لنفسه و لذلك لا ينقطع في الجنة. قال الله تعالى: وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ و لا يتحقق الشكر الا مع العلم بالنعمة و المنعم، فليعلم الشاكر ان النعمة من الله و الوسائط كلهم مسخرون مقهورون. و متى اعتقدت ان لغير الله دخلا في النعمة الواصلة إليك، لم يصح حمدك و شكرك، بل ذلك اشراك في النعمة و المنعم و معلوم بالضرورة ان الخازن و الوكيل، مضطران الى العطاء بعد الأمر فهما مسخران، لا دخل لهما بأنفسهما في النعمة و حكمهما حكم القلم و الكاغذ و الحبر في التوقيع و ان قلوب الخلق خزائن الله و مفاتيحها بيد الله و فتحها بان يسلط عليها دواعي جازمة حتى يعتقد ان خيرها في البذل مثلا فعند ذلك لا يستطيع ترك البذل و من لا يعلم ان منفعته في انفاعك، فلا يعطيك شيئا فإذا هو ليس منعما عليك، لأنه يسعى لنفسه، انما المنعم من سخره بتسليط هذه الدواعي عليه و لا بد للشاكر ان يستعمل نعمه تعالى في محابته لا في معاصيه، مثل ان يستعمل عينه في مطالعة كتاب الله و شواهد قدرته و في مطالعة السماوات و الأرض و يستعمل اذنه في سماع الذكر و ما ينفعه في الآخرة و يعرض عن الإصغاء الى الهجر و الفضول و هكذا؛ فحينئذ من شرح الله صدره تمكن من الشكر فهو على نور من ربه، فيرى من كلشيء حكمته و محبوب الله فيه و من لم ينكشف له ذلك، فعليه باتباع السنة و حدود الشرع فليعلم انه مثلا إذا نظر الى محرم فقد كفر نعمة العين و نعمة الشمس و كفر بكل نعمة لا يتم النظر الا بها، فان الأبصار انما يتم و يتحقق بالعين و نور الشمس انما يتم بالسماوات فهو قد كفر أنعم الله في السماوات و الأرض. و قس على هذا كل معصية، فانها انما يمكن بأسباب يستدعى وجود جميعها خلق السماوات و الأرض. و هالك مثالا آخر و هو: ان الله سبحانه

خلق الدراهم و الدينار لتكون حاكمة في الأموال و الأمور و يعدل بهم القيم و العوض و لو لا هما لتعدرت المعاملات إذ لا يمكن اشتراء مثقال من الزعفران بالجمل، و الفرس بالتمر، فمن كنزهما او اتخذ منهما آية، كان كمن حبس حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت الاحكام او استعمل حاكما من حكام المسلمين في الحياكة و الفلاحة و تعطل الحكم و كل ذلك ظلم و تغيير لحكمة الله في خلقه و عبادته و معادة الله في محابه و من لا ينكشف له بنور البصيرة هذه الأسرار لم يعرف صورة الشرع و معناه و لم يعرف قوله: و الذين يكنزون الذهب و الفضة و لا ينفقونها- الى ان يقول- فبشرهم بعذاب اليم.

فلا يتصور الشكر الا لمن قام لله بنواميس الشرع و لا يتحقق الشكر الا مع العلم بالنعمة و المنعم فاعرف المنعم و اشكره.

الأصل السادس و السابع: الإخلاص و التوكل: قال الله تعالى: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ: لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا و تروح بطانا، قال صلى الله عليه و آله و سلم: من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة و رزقه من حيث لا يحتسب و من انقطع الى الدنيا و كله الله إليها. و المتوكل من لا يرى فاعلا سوى الله و يترجمها قولك: لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير. فمن قال ذلك صادقا مخلصا فقد تم توحيده و ثبت في قلبه الأصل الذي منه ينبعث حال التوكل، فان زعمت ان من اعطاك طعاما فتقول: انما يطعمني باختياره، ان شاء اعطى و ان شاء منع، فكيف لا أراه فاعلا. فهذا الزعم باطل لأنك ترى الكثير من الأسباب، و لا ترى ارتباط السلسلة بمسببها، مثل أنك رأيت المطر سببا في النبات، فاعلم ان المطر مسخر بواسطة الغيم و الغيم مسخر بواسطة الريح و كذلك الى ان ينتهي الى اول لا محالة. و لا يحصل التوكل للمتوكل الا ان يعتقد جزما او ان ينكشف له بالبصيرة بانه لو خلق الخلاق كلهم على عقل اعقلهم ثم زادهم أضعاف ذلك علما و حكمة، ثم كشف لهم عواقب الأمور و اطلعهم على اسرار الملك و الملكوت، ثم أمرهم ان يدبروا الملك و الملكوت، لما دبروه بأحسن مما هو عليه و لم يمكنهم ان يزيدوا او

ينقضوا جناح بعوضة، بل شاهدوا جميع ذلك، عدلا محضا وحقا صرفا لا نقص فيه و ان كل ما يرون فيه نقصا فيرتبط به كمال آخر أعظم منه و ما ظنوه ضررا فتحتة نفع أعظم منه، لا يتوصل الى ذلك النفع الا به، فإذا حصل للإنسان هذه المعرفة، يحصل التوكل و يطمئن قلبه بالتفويض و غير مستعين بأحد الناس، لعلمه بان وكيهه كافيه و هو جواد كريم، فيكون هذا المتوكل حكمه، حكم الصبي في ثقته بأمه و فزعه إليها و قسم آخر و هو أعلى درجة بل يكون بين يدي الله، كالميت بين يدي الغاسل، لا كالصبي يزعم بأمه و يتعلق بذيلها، بل يعلم انه ان لم يطلب أمه، فأمه تطلبه و تبتدى بارضاعه و ان لم يتعلق بذيلها. و لهذا في بعض المقامات يأبون الدعاء و السؤال.

لكن اعلم: انه ليس من شرط التوكل ترك الكسب و التداوى و الاستسلام للمهلكات و ذلك خطأ لان ارتباط هذه المسببات بهذه الأسباب من السنة التي لا تجد لها تبديلا. و مثال التارك للكسب، مثال من لا يمد يده الى الطعام و هو جائع و يقول هذا سعى و انا متوكل، او يريد الولد و لا يواقع اهله او يريد الحنطة و لا يبت البذر فان تعطيل الأسباب المقدرة من الخالق، ابطال الحكمة و هو جهل، ثم لا يتكل على اليد فربما يفلج و على الطعام فربما يهلك و يفسد، بل يتكل بقلبه على خالقهما و لا حول و لا قوة الا بالله، فالحول هو الحركة و القوة هي القدرة، فإذا كان هذا حالك فأنت متوكل و ان سعيت. و ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه و اما الضعيف الذي يضطرب قلبه، لو لم يدخر، لم يتفرغ للعبادة، فالأفضل له ان يدع طريق المتوكلين و لا يحمل نفسه ما لا يطيقه؛ إذ فساد ذلك في حقه اكثر من صلاحه و كل على حسب قوته و قد ينتهى القوة الى ان يسافر في البوادي من غير زاد، لكن الضعيف إذا فعل ذلك فهو عاص ملق نفسه الى التهلكة و لا شك ان طول الأمل يناقض التوكل، فان قنع بقوت يومه و فرق الباقي فهو تام التوكل، كما فعل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و مهما قلت مدة الادخار كانت الرتبة أعظم - جعلنا الله من المتوكلين - الأصل الثامن: المحبة، قال الله تعالى: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. قال بعض الأكابر: من ذاق من خالص محبة الله منعه ذلك من طلب الدنيا و اوحشه من جميع البشر. و اكثر المتكلمين فسروا محبة الله بامتثال أوامر الله و ما لا يشبه شيئا و لا يشبهه شيء و لا يناسب طباعنا بوجه من الوجوه، فكيف نحبه و إنما يتصور منا ان نحب من هو من جنسنا و تحقيق المسألة انه كل لذيد محبوب يميل النفس اليه و اللذة تتبع الإدراك و الإدراك ادراكا ظاهرا و باطنا و ادراك الظاهر بتوسط الحواس الخمس، لكن ادراك الباطن بتوسط اللطيفة التي محلها القلب، تارة يعبر عنها بالعقل و تارة بالنور و تارة بالحس السادس الذي خاصية الإنسان و نحن نرى ان الإنسان يحب الملك الرؤوف العادل العطوف على الرعية، كما انه يبغض الظالم الجاهل الغليظ و كذلك يحب الموصوفين بالكمال مثل الأنبياء و الصالحاء و يجد الإنسان في نفسه هزة و ارتياحا و ميلا الى هذه الطبقة، بل يوجبون على أنفسهم الذب عنهم و بذل المال لهم و في سبيلهم، ثم إذا أحببت هؤلاء لهذه الصفات الحسنة و علمت ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان اجمع منهم لهذه الخصال، كان حبك له اشد بالضرورة، فإذا رفعت نظرك الآن من النبي الى مرسل النبي و خالقه و المتفضل على الخلق ببعثته لعرفت ان بعثة الأنبياء حسنة من حسناته و قطرة من بحر علمه و قدرته تعالى، فان الأنبياء مع هذه الأوصاف الحسنة مريوبون، لأقوام لهم بأنفسهم و لا يملكون موتا و لا حيوة و لا رزقا و لا أجلا. و الكل تحت قبضته فحينئذ كيف يمكنك ان لا تحب خالقك الذي محيط و محسن على الذرة و الدرّة و تأمل: هل لا لأحد في العالم احسان إليك سوى الله، و هل لك لذة و تنعم في شيء و ميل على نعمة الآ و الله خالقها و خالق الشهوة إليها و التلذذ بها، فلا تكونن اقل من الكلب، فإنه يحب صاحبه الذي يحسن اليه فان لم تقدر ان تحبه لجلاله و عظمته و جماله كما تحبه الملائكة فانظر الى لطف صنعه في اعضائك لحبه باحسانه إليك، فتكون اقلا من عوام الخلق و أعظم نعم الله علينا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ» و بوجوده صلى الله عليه و آله و سلم تمت النعم و لو كنت تعرف حقيقة هذه النعمة العظيمة لكنت تبذل روحك بذكر اسمه مرة واحدة و زادت درجة محبتك و القلب لسليم غير غافل عن هذه المعرفة و كما ان

أوفق الأشياء للأبدان، الاغذية اللطيفة، فكذلك أوفق الأشياء للقلوب، المعرفة؛ لكن الشهوات و نيلها ممرضة للقلوب شيئاً فشيئاً حتى لا يقبل شهوة معرفة الله أصلاً، كما يفسد مزاج المريض، فيسقط شهوته عن الغذاء و ينعكس طبعه فيشتهى الطين و الأشياء المضرّة المهلكة و هو مقدّمات الموت.

و اعلم انّ مرض القلب ينتهي الى حدّ يستكره معرفة الله و يبغضها و يبغض أهلها، بل يبغض و يكره جميع الأنبياء و الصالحاء و لا يدرك حينئذ إلا لذة المطعم و المنكح و الرياسة و ذلك هو القلب المنكوس و هو الميّت الذي لا يقبل العلاج، فيكون اهل هذه الآية: انا جعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه و في آذانهم قرا و ان تدعوهم الى الهدى فلن يهتدوا إذا ابدا أموات غير احياء و ما يشعرون.

و بالجملة فجميع الناس يدعون محبة الله لكن لها علامات و أعظم علاماتها تقديم امر الله على هوى النفس مطلقاً و الشوق الى الموت، او الخلو عن كراهية الموت، إلا إذا تشوّق الى زيادة المعرفة، فهذه الجهة لا يحب الموت.

الأصل التاسع: الرضاء بالقضاء، قال النبي صلى الله عليه و آله و سلّم: إذا احبّ الله عبدا ابتلاه، فان صبر اجتبه و ان رضى اصطفاه و قال صلى الله عليه و آله و سلّم: اعبدوا لله بالرضا، فان لم تستطيعوا ففي الصبر على ما تكره خير كثير. و اعلم انه قد أنكر الرضا جماعة و قالوا: لا- يتصوّر الرضا بما يخالف الهوى و انما يتصوّر الصبر فقط. و قال بعض: يمكن الرضا بما يخالف الطبع و الهوى، لأنّه و لو يكره بالطبع ما يخالف هواه و لكن رضى به لعقله و إيمانه بجزالة ثواب البلاء، كما رضى المريض بالم الفصد و شرب الدواء، لعلمه بأنّه سبب الشفاء، حتى انه يفرح ممّن يأتي له الدواء و الفصّاد.

روى: انّ نبياً كان يتعبّد في جبل و كان بالقرب منه عين فاجتاز بها فارس و شرب و نسى عندها صرّة فيها ألف دينار، فجاء آخر و أخذ الصرّة، ثمّ جاء رجل فقير و على ظهره حزمة حطب، فشرّب و استلقى ليسترّيح، فرجع الفارس في طلب الصرّة، فلم يرها، فأخذ الفقير و طالبه و عدّبه فلم يجد عنده فقتله، فقال النبي يا الهى ما هذا الأمر، أخذ الصرّة ظالم آخر و سلّطت هذا الظالم على هذا الفقير حتى قتله،

فأوحى الله إليه: اشتغل بعبادتك، فليس معرفة اسرار الملك من شأنك، إنّ هذا الفقير كان قتل أبا لفارس، فمكّنته من القصاص وإنّ أبا الفارس كان قد أخذ ألف دينار من أخذ الصرّة، فرددته إليه من تركته. و من أيقن بسبب تفاصيل القضاء لم ينطو ضميره إلا على الرضا بكلّ ما يجرى من الله.

و اعلم: أنّه لا ينبغي ان يظنّ ظانّ أنّ معنى الرضا بالقضاء ترك الدعاء و الأسباب و تترك السهم الذي أرسل إليك حتّى يصيبك مع قدرتك على دفعه بالترس و ترك الأسباب مخالفة لمحبوبه و مناقشة لرضاه، إذ ليس من الرضا للعطشان ان لا يمدّ اليد الى الماء البارد زاعما أنّه رضى بالعطش الذي من قضاء الله، بل من قضاء الله و محبّته ان يزول العطش بالماء؛ بل رعاية سنة الله هي الرضا بالقضاء.

الأصل العاشر: ذكر الموت و هو عظيم النفع، إذ به يبغض الدنيا و ينقطع علاقة القلب عنها، قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: أكثروا من ذكر هادم اللذات و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: لو يعلم البهائم من الموت، ما يعلم ابن آدم، لما أكلتم منها سمينا. و أكرم الناس و أكيسهم أكثرهم للموت ذكرا و اشدّهم له استعدادا، فإنّ الموت عظيم هايل و ما بعده أعظم منه و في ذكره منفعة، فإنّه ينقص الدنيا و يبغضها الى القلب و بغض الدنيا رأس كلّ حسنة، كما أنّ حبّها رأس كلّ خطيئة و لا سبب لإقبال الخلق على الدنيا إلا قلة التفكّر في الموت. و طريق الفكر فيه ان يفرغ الإنسان قلبه و يجلس في خلوة و يباشر ذكر الموت بصميم قلبه و يتفكّر في اقرانه الذين مضوا فيتذكّرهم واحدا واحدا، و حرصهم و أملهم، ثمّ يتذكّر مصارعهم عند الموت و اجسادهم كيف تمزّقت في التراب، ثمّ يرجع الى نفسه، فيعلم أنّه كواحد منهم، أمله كأملهم و أعضائه كأعضائهم كيف صاروا جيفة. قال صلّى الله عليه و آله و سلّم لعبد الله: إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء و إذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح و خذ من حياتك لموتك و من صحّتك لسقمك، فإنّك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا. و اشترى اسامة وليدة الى شهرين بمائة، فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: الا تعجبون من اسامة أنّه لطويل الأمل و الذي نفسي بيده ما طرفت عيناى إلا ظننت أنّ شفريها لا يلتقيان و لا لقيمت لقمة إلا ظننت أنّى لا أسيعها حتّى

اغصّ بها من الموت، ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدّوا انفسكم من الموتى و الذى نفسى بيده انّ ما توعدون لآت و ما اُنتم بمعجزين و قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

نجا اول هذه الامة باليقين و الزهد و يهلك اخرها بالبخل و الأمل.

واعلم: انّ الروح الإنساني، لا يفنى و لا يموت، بل يتبدّل بالموت حالها فقط و يتبدّل منزلها فيرمى من منزل الى منزل و القبر في حقّها اما روضة او حفرة.

[سورة البقرة (2): آية 109]

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَاصْ فَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)

روى انّ فنحاص بن عازوراء اليهودي و زيد بن أقيس و نفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليماني و عمّار بن ياسر بعد وقعة احد: الم تروا ما أصابكم، و لو كنتم على الحقّ ما هزمتم، فارجعوا الى ديننا، فهو خير لكم و أفضل، و نحن اهدى منكم سبيلا، فقال عمّار كيف نقض العهد فيكم، قالوا شديد، قال فأتى قد عاهدت ان لا اكفر بمحمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما عشت، فقالت اليهود: اما عمّار، فقد صبا، اى خرج عن ديننا بحيث لا يرجى منه الرجوع اليه ابدًا، فكيف أنت يا حذيفة، الا تبايعنا، قال حذيفة:

رضيت بالله ربّا و بمحمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نبيا و بالإسلام دينا و بالقرآن اماما و بالكعبة قبلة و بالمؤمنين إخوانا، فقالوا: و إله موسى لقد اشرب في قلوبكما حبّ محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم أتيا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و أخبراه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، اصبحتما خيرا و افلحتما.

الحاصل «وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» اى احبّ و ودّ كثير من اليهود «لَوْ يَرُدُّونَكُمْ» اى ان يردوكم، فانّ «لو» من الحروف المصدرية إذا جاءت بعد فعل، يفهم منه معنى التمنى، قوله: وودّوا لو تدهن، اى احبّوا ان يصرفوكم عن التوحيد «مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ» يا معشر المؤمنين «كُفَّارًا» مرتدين، حال من ضمير

المخاطبين، او مفعولا ثانيا ليرودنكم على تضمينه معنى يصيرونكم «حَسَدًا» علة لقوله «وَدَّ» اى من أجل الحسد «مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» و من قبل ميلهم و مشترياتهم، لا من قبل الميل الى الحق و التدبیر بل منبعثا من اصل الحسد «مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ» و ظهر لهم ان محمدا قوله حق و رسول لانه مذكور في كتابهم على ما رأوا منه المعجزات «فَاعْفُوا» العفو ترك عقوبة المذنب، يقال عفت الريح المنزل اى درسته. و من ترك عقوبة المذنب فكأنه درس ذنبه، حيث انه ترك المجازاة، و الفرق بين العفو و الصفح، انه قد يعفو الإنسان المجازاة و لا يصفح، لأن الصفح ترك التقریر باللسان و الاستقصاء في اللوم و لذا قال «وَاصْفَحُوا» و ليس المراد بالعفو و الصفح في الآية الرضا بما فعلوا بل المراد ترك المقاتلة و الاعراض عن مساوئهم «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» و يحكم الله بحكمه الذى هو الاذن في قتالهم و ضرب الجزية عليهم «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيقدر على الانتقام منهم إذا جاء أوانه.

[سورة البقرة (2): آية 110]

وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ مَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (110)

«وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ» الآية عطف على قوله: فاعفوا، أمرهم بالعبادة و البر من الواجبات بإقامة الصلاة و أداء الزكاة، عم بعد التخصيص، فأمرهم بالتطوعات بقرينة «وَ مَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ» فان الخير يتناول اعمال الخير كلها، واجبا كان او نفلا و قدم الواجب لعظم شأنه، فالصلاة قرينة بدنية و الزكاة قرينة مالية و الصلاة شكر الأعضاء و الزكاة شكر الأغنياء و ما، في قوله: و ما تقدموا، شرطية: اى شيء من امور الخير تقدموه و تسلفوه، فهو لمصلحة انفسكم و «تجدوه» اى ثوابه و جزائه، لاعينه، محفوظا «عند الله» في الآخرة، فتجدوا الثمرة و اللقمة مثل جبل احد، كما في الحديث: إذا مات العبد، قال الناس: ما خلف و قالت الملائكة: ما قدم.

«إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» بأعمالكم لا- يخفى عليه القليل و لا الكثير و هو عام في الخير و الشر و الإنسان إذا مات انقطع عمله، الا ان يبقى بعده واحد من الأولاد

الثلاثة التي لا ينقطع أجرها: الأول- ما يتوَلَّد من مال الإنسان، كبناء المساجد والقناطر في طرق المسلمين للتسهيل عليهم والرباط و الأوقاف و أمثالها. و الثاني- ما يتوَلَّد من عقله و علمه المنتفع به في الدين، من استنباط حكم شرعيّ و تأليف و تصنيف كتب الحديث و ما يحتاج اليه في امور الدين. و الثالث- ما يتوَلَّد من النفس، كالبنين و البنات، بشرط الصلاح و التقوى، لأنّ الأجر لا يحصل من غيره. و لا يمكن هذا الأمر.

[سورة البقرة (2): الآيات 111 الى 112]

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112)

«وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى : نزلت في وفد نجران و كانوا نصارى اجتمعوا في مجلس رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم مع اليهود، فكذب بعضهم بعضا، فقالت اليهود لبنى نجران: لن يدخل الجنة الا اليهود و قال بنو نجران لليهود:

لن يدخلها الا النصارى، فحكى الله مقالتهم و لم يقل كانوا، حملا على لفظ «من» و انما جمع الخبر مع انّ المطابقة شرط في المبتداء و الخبر، فباعترار معنى «من» و اليهود، جمع هاند: اى تائب، لتوبتهم عن عبادة العجل. و النصارى جمع نصران، كسكارى جمع سكران.

«تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ» اى تلك الأمانى الباطلة امانيتهم و هي امنيتهم دخول الجنة و ان يردّوكم كفارا و ان لا ينزل عليكم الخير «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» أصله آتوا، قلبت الهمزة هاء، اى أحضروا حجّتكم على اختصاصكم بدخول الجنة و لم يقل براهينكم، لأنّ دعواهم كانت واحدة و هي نفى دخول غيرهم الجنة. و الجنة على تلك الدعوة واحدة «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في دعواكم.

«بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» اثبات لما نفوه من دخول، غيرهم الجنة: بلى يدخلها من أخلص نفسه لله تعالى ولا يشرك به شيئاً «وَهُوَ مُحْسِنٌ» حال من ضمير اسلم وقد فسره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: ان تعبد الله كأنك تراه وان لم تكن تراه، فانه يراك.

وهذا المعنى حقيقة الايمان «فَلَهُ أَجْرُهُ» وثوابه ثابت «عِنْدَ رَبِّهِ» والعندية القرب والتشريف «وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» إذا كانوا بهذه الصفات بنيات صادقة خالصة عن مطلق الشوائب ولذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: انما الأعمال بالنيات، ونية المرء خير من عمله. لأن المقصود من العمل، الامتثال للأوامر، حتى يحصل به تنوير القلب ومعرفة الله ويطهره عما سوى الله حتى يحصل العبودية والنية صفة القلب وتأثير صفة القلب أقوى من تأثير صفة الجوارح، فان القلب اشرف الجوارح، ففعله اشرف الأفعال، فكانت النية أفضل من العمل وبكثرة النية، تكثر الحسنه، كمن قعد في المسجد وينوي فيه نيات كثيرة، مثل ان يعتقد انه بيت الله ويقصد به زيارة مولاه، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: من قعد في المسجد، فقد زار الله وحق على المزور إكرام زائره، ثم ينتظر الصلاة بعد الصلاة، فيكون حال الانتظار كمن هو في الصلاة. وثالثها اغضاء السمع والبصر وسائر الأعضاء عما لا ينبغي، فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: رهبانية امتي القعود في المساجد. ورابعها ان يقصد افادة علم أوامر من الدين. وخامسها ان ترك الذنوب حياء من الله، فهذا طريق تكثير النية وقس عليه سائر الطاعات والنية تغير الموضوع، مثل ان التطيب إذا أراد به التنعم بلذات الدنيا و اظهار التفاخر على الناس او ليتودد به الى قلوب النساء، فكل ذلك يجعل التطيب معصية و جاء يوم القيامة وريحة أنتن من الجيفة، كما ورد به الخبر وان كان قصد به الامتثال وتعظيم المسجد ودفع الروائح الموزية عن عباد الله، فهو عين الطاعة. والضابط ان يكون الفعل مشروعاً ويكون القصد الداعي الحق فقط. ثم ان الناوى إذا اشتهى امراً فيقول مثلاً عند تدريسه او تجارته ان ادرس لله، او اتجر لله، يظن ان ذلك نية وهيات فذاك حديث نفس، او حديث لسان والنية بمعزل عن ذلك، انما النية انبعثت النفس وميلها الى ما ظهر لها ان فيه بوجه القرية وذلك

قد يتيسر في بعض الأوقات وقد يتعذر وكذا الكلام في المطاعم و المناكح و لا يمكن هذا الأمر إلا بعد تحسين الأخلاق و لعلك تظنّ بنفسك حسن الخلق و أنت عاطل عنه و ينبغي ان يحكم فيه غيرك و تسأل صديقا بصيرا لا يدهن، لأنّ اكثر الأخلاق يتعلّق بالغير، فبعدان تبين لك معائب اخلاقك، فتبدأ بالأهم فالأهم و أول ما تدفعه عن نفسك حبّ الدنيا فإنّ سائر المعاصي و الأخلاق الذميمة تتبعه فاطلب خلوة خالية و تفكر في سبب اقبالك على الدنيا و اعراضك عن الآخرة، فلا تجد له سببا إلا الشهوة الفانية و انّ أقصى عمرك في الشهوات مائة سنة و قد فاتك ملك لا آخر له و إذا كانت الدنيا مملوءة ذرة و قدر طائرا في كلّ ألف سنة و يلتقط في كلّ ألف سنة حبة واحدة، فيفنى الذرة و لا يفنى الأبد، لأنّ الباقي لا نهاية له و جملة عمرك بالإضافة الى بقائك في الآخرة اقصر من لحظة الى جميع عمرك و لعلك تقول: انما افعل ذلك على توقّع العفو، فانه رحيم كريم فأقول: و لم لا تترك الحراثة و التجارة و طلب المال على توقّع العثور على كنز في خراب، فان الله كريم و توقّع العفو مع الحرص على الدنيا و خراب الأعمال، كتوقّع الكنز في الخراب، بل ابعد، مع انّ الله تعالى تبّهك، فقال: و ان ليس للإنسان الا ما سعى. ثمّ رغّبك عن طلب المال فقال: و ما من دابة في الأرض الا على الله رزقها. فما بالك تكذب بكرمه في الدنيا و لا تكل عليه؛ ثمّ تخدع نفسك بالكرم في الآخرة و أنت تعلم انّ ربّ الدنيا و الآخرة واحد. و لعلك تقول: انّ امور الدنيا قد انكشفت لي بالعيان و اما امر الآخرة فلم أشاهده و لست أجد التصديق الحقيقي في قلبي فلذلك فترت رغبتني في ترك الدنيا نقدا، بما هو موعود نسية و لست أثق به. فحينئذ تفكّر في اقويل اهل البصائر من صدر العالم و الناس في امر الآخرة اصناف: صنف- و هم الأكمل و الأكثر- اثبتوا الجنة و النار كما ورد به الكتب السماوية و الاخبار من لدن آدم عليه السلام الى نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم و قد سمعت انواع نعيمها و نكال جحيمها. و صنف لم يثبتوا اللذات و الآلام الحسية، بل أثبتوها على سبيل التخيل كما في المنام حتى يكون كلّ واحد في جنة او نار وحده و زعموا

ان تأثير ذلك فيه كتأثير الحقيقة، لأن تألم النائم اليقظان و إنما يخلصه عنه التنبيه و ذلك في الآخرة دائم لا انقطاع له. و صنف من الأطباء و المنجّمين، اقتصر نظرهم على الطبائع الأربع و مزاجها و لم يدركوا الا الروح الجسماني الذي هو بخار أنضجته حرارة القلب، ينتشر في العروق الضواري الى جميع البدن و يقوم به الحسّ و الحركة و ظلّوا أنّ الموت عدمه و انه يرجع الى فساد المزاج. و الصنفان الأوّلان قائلون و متفقون على اثبات سعادة مؤبّدة و متفقون بان السعادة لا تنال الاّ بالاطاعة و ترك الدنيا، فأنت في حق هؤلاء اي الصنف الآخر أنّما ان تجوز غلطهم، او تعتقد صدقهم فان جوّزت خطاءهم لزمك الاعراض عن الدنيا بمجرد الاحتمال، فانك لو كنت جائعا و ظفرت بطعام و هممت بأكله فأخبرك صبيّ انّ فيه سمّا او حيّة و لغت فيه فأسيت الجوع و تركت الأكل و تقول ان كان كاذبا فليس يفوتني الاّ الأكل و ان كان صادقا ففيه الهلاك، فحينئذ كيف يستجيز العاقل الهجوم على الدنيا و لا يحذر من هذا السم الذي لم يخبر به الصبيّ، بل اخبر به جميع الكتب السماوية و اهل الوحي.

و ان قلت: اني اعلم ضرورة صدق قول الصنف الآخر و ان الموت عدم و انه لا عقاب و لا ثواب و انّ الأنبياء كلّهم مغرورون ملبسون و أنّما الحقّ ما أقول، فمن كان هكذا لا ريب في فساد مزاجه و ركافة عقله و لكن مع هذا يقال له: ان كنت تطلب الراحة في الدنيا فقط، فإنّ الراحة في الحرّيّة و الخلاص عن قيد الشهوات و ما المستريح في الدنيا الاّ تاركها لكثرة عنائها و قيل في حقهم قال الله تعالى: ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

[سورة البقرة (2): آية 113]

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ۚ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ۚ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)

«وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ۚ» بيان لتضليل كل فريق صاحبه اي ليست النصارى على امر يصح ويعتد به «وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ۚ» اي قالوا ما قالوا «وَهُمْ» والحال ان كل فريق منهم «يَتْلُونَ الْكِتَابَ» والكتاب للجنس وهذا الكلام توبيخ و منع لهم لأن حق من حمل التوراة او الإنجيل او غيرهما من كتب الله و آمن به ان لا يكفر بالباقي، لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثاني فان التوراة مصدقة بعيسى و الإنجيل مصدق بموسى فإذا كانوا مع العلم و التلاوة و المعرفة يختلفون هذا الاختلاف، فكيف حال من لا يعلم «كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» منهم «مِثْلَ قَوْلِهِمْ» مثل قول العالمين و قيل: المراد من الذين لا يعلمون، كفار العرب و مشركيهم، قالوا: ان المسلمين ليسوا على شيء فالمراد ان اليهود و النصارى الذين يقرؤون الكتب إذا قالوا كذلك، فكيف بهؤلاء الأُميين «فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ»: بين الفريقين «يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» من امر الدين.

[سورة البقرة (2): آية 114]

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114)

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ» «من» في الأصل كلمة استفهام و هي هاهنا بمعنى النفي اي لا احد اظلم ممن منع مساجد الله. و اختلف في الذين منعوا و ذكروا

اقوالا: اولها- قال ابن عباس: انّ طنطبيوس الرومي ملك النصارى غزا بيت المقدس فخر به و القى فيه الجيف و سبى ذراري بنى إسرائيل و احرق التوراة و ذبح فيه الخنازير و حاصر اهله و قتلهم و سبى البقية و لم يزل بيت المقدس خرابا حتى بناه الإسلام في زمن عمر. و ثانيها- قال الحسن و قتادة و السدي: نزلت في بخت النصر حيث خرب بيت المقدس مع بعض النصارى. قال ابو بكر الرازي في كتاب احكام القرآن هذان الوجهان غلطان، لأنه لا خلاف بين اهل السير انّ عهد بخت نصر كان قبل مولد مسيح عليه السلام بدهر طويل، و النصارى كانوا بعد المسيح، فكيف يكونون مع بخت النصر في تخريب بيت المقدس و ايضا فانّ النصارى يعتقدون في تعظيم بيت المقدس، مثل اعتقاد اليهود، فكيف أعانوا على تخريبه. و ثالثها- انّ الآية نزلت في مشركي العرب الذين منعوا الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم عن الدعاء الى الله بمكة و الجنوه الى الهجرة فصاروا مانعين له و لأصحابه ان يذكروا الله في المسجد الحرام و طرح ابو جهل الكثافات على ظهر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، فقتل: و من اظلم ممّن منع- الآية- و رابعها- قال ابو مسلم: المراد منه الذين صدّوه عن المسجد الحرام حين ذهب اليه من المدينة عام الحديبية و استشهد بقوله: هم الذين كفروا و صدّوكم عن المسجد الحرام و بقوله: و ما لهم الا يعذبهم الله و هم يصدّون عن المسجد الحرام فان قيل كيف يجوز حمل لفظ المساجد على المسجد الحرام، فهذا كمن يقول لمن أذى صالحا واحدا: لم تؤذى الصالحين. او المسجد موضع السجود، فالمسجد الحرام، مساجد و لا يكون مسجدا واحدا.

«أَنْ يَذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ» ثانی مفعولي منع فائمه ممنوع، ای من ان یسبح و یقدس و یصلی له فیها «وَسَعَى وَعَمَلٌ فِي خَرَابِهَا» بالهدم و التفريق، و الخراب اسم للتخريب، كالسلام بمعنى التسليم و أصله التلیم و التفريق «أَوْلِيَاكَ» المانعون «مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ» ای ما كان لهم ان يدخلوها الا بخشية و خضوع، فضلا عن الاجترار على تخريبها ای حقهم الذلة و ارتعاد الفرائض من المؤمنین إذا أرادوا ان يدخلوها، فضلا عن إيذاء المؤمنین لو لا ظلم الكفرة و عتوهم: و قيل ان المعنى بشارة من الله للمسلمین، بانه سيظهرهم على المسجد الحرام و على سائر المساجد

وأنه سيدلّ المشركون لهم، حتى لا يدخلوها إلا بطريق الخوف فيعاقب أو يقتل، ان لم يسلم وقد أنجز الله وعده و ما كان يجتري احد من المشركين ان يحجّ و امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإخراج اليهود من جزيرة العرب وقد وقع عليهم من الصغار والذللّ بالجزية كما قال سبحانه: ما كان للمشركين ان يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر.

وقال قتادة والسدي: قوله «إِلَّا خَائِفِينَ» بمعنى انّ النصارى لا يدخلون بيت المقدس إلا خائفين ولا يوجد فيه نصراني إلا أوجع ضربا و هذا القول مردود، لأنّ بيت المقدس غزاه طنطيسوس الرومي و صارفي أيدي النصارى اكثر من مائة سنة، حتى استخلصه الملك الناصر صلاح الدين يوسف من آل أيوب شاه الدويني وقصّته مشهورة وقد وقع بيد المسلمين ثانيا و كان فتح الملك الناصر سنة خمس مائة و خمس و ثمانين بعد الهجرة الى يومنا هذا و على ما اشتهرت أنّه عاد إليهم ثلاثة او كاد و ذلك بشؤم العجوز الملعونة و هي الدنيا، فاحتالت بأنواع الدهى و المكر، فاشترت يوسف الصديق بدرهم مموّهة و استعبدها، فالويل لمن باع الحرّ باسم الحرية و لم يعرف معناها و اخسف القمر باطماع البدر و كان من باعه من تلامذة ابن المقنع بل استاذه و ابن المقنع صاحب البدر المعروف بالتخشب. و هذا الأستاذ صاحب بدرة الذهب، فيا لها من صفقة ما اخسرها و اضرها على الإسلام؛ اللهم ائى أبرئ ممّن باع و اشترى و خدع و افترى، فاقسمك بكتابك المنزل- و فيه اسمك الأكبر و أسماؤك الحسنی- ان يؤيّد دين نبيك و تعرّ الإسلام و اهله و محلّه و ظهر بيتك للطائف و العاكف و اجعل لي هذه البرائة وسيلة إليك لغفران ذنوبي و اجعلها حجة لي يوم ألقاك- انتهى- قال بعض العلماء: تعطيل المسجد عن العبادة و الذكر، تخريب له، لأنّ المقصود من بنائه، هو الذكر و العبادة فيه، فمادام لم يترتب عليه هذا المقصود، صار كأنه هدم و خرب.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهد و اله بالإيمان لقوله

تعالى: انما يعمر مساجد الله من آمن بالله، فجعل حضور المساجد عمارة لها.

قال امير المؤمنين عليه السلام: ستّ من المرّوة، ثلاث في الحضر و ثلاث في السفر، فاما اللاتي في الحضر: فتلاوة كتاب الله و عمارة مساجد الله و اتخاذ الاخوان في الله- و اما اللاتي في السفر، فبذل الزاد و حسن الخلق و المزاح في غير معصية الله و عدّ من علامات الساعة: تطويل المنارات و تنقيش المساجد- و تخريبها تخليتها عن ذكر الله فتعطيل المساجد عن التلاوة و عن الصلاة و عن اظهار شعائر الإسلام أقبح سيئة.

و في الحديث: من زار بيت المقدس محتسبا، أعطاه الله ثواب ألف شهيد و حرّم الله جسده على النار، و من زار عالما فكأنما زار بيت المقدس - كذا في مشكوة الأنوار-.

و بالجملة: فظاهر قوله (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ سَمِعَ فِي خَرَابِهَا) يقتضي ان يكون الساعى في تخريب المساجد و تعطيلها بسبب من الأسباب عن العبادة، أسوأ حالا من كلّ فاسق و هو في أعظم درجات الفسق، كما انّ الساعى في عمارته بالعبادة في أعظم درجات الايمان لقوله: انما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الاخر لأنّ كلمة «انما» للحصر فالويل كلّ الويل لمن اغلق أبواب المساجد بتعطيلها عن العبادة و فتح أبواب بيوت الخمر.

و في الحديث عن ابي هريرة، قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: أحب البلاد الى الله، المساجد و أبغضها اليه أسواقها و السرّ العقلي في الحديث انّ المسجد مكان لذكر الله، حتى إذا دخله الغافل اشتغل بالذكر و السوق على الضدّ من ذلك، لأنّه موضع البيع و الشراء و الإقبال على الدنيا و ذلك ممّا يورث الغفلة عن الله، حتّى انّ الذاكر إذا دخله فأنّه يصير غافلا في الغالب.

و في الحديث: من يطهر في بيته، ثمّ مشى الى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله، كانت خطواته احداها تحط خطيئة و الاخرى ترفع درجة- رواه مسلم- و عن ابي سعيد الخدري: انّ هذه الآية (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ

آثَارُهُمْ) نزلت في حقهم.

روى عقبة بن عامر الجهني عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا تَطَهَّرَ الرَّجُلُ، ثُمَّ مَرَّ إِلَى الْمَسْجِدِ يِرَاعِي الصَّلَاةَ، كَتَبَ لَهُ كَاتِبَةٌ أَوْ كَاتِبَةٌ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الْمَسْجِدِ، عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَ الْقَاعِدَ الَّذِي يِرْعَى الصَّلَاةَ، كَالْقَانَتِ وَيَكْتُبُ مِنَ الْمُصَلِّينَ مِنْ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ. فَعَلَيْكَ بِالطَّهَارَتَيْنِ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، فَالْبَاطِنَةُ طَهَارَةُ الْقَلْبِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ وَتَخْلِيَةُ النَّفْسِ عَنِ الْقَذَرَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ كَالْحَسَدِ وَ الْكِبْرِ وَ أَمْثَالِهَا وَ طَهَارَةُ الظَّاهِرَةِ عَنِ الْأَحْدَاثِ وَ الْقَذَرَاتِ، فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَ لَوْ كَمَفْحَصِ قِطَاةِ بَنِي اللَّهِ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ

[سورة البقرة (2): آية 115]

وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)

النزول، لَمَّا حَوَّلَتِ الْقِبْلَةَ عَنِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَنْكَرَ الْيَهُودُ ذَلِكَ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ رَدًّا عَلَيْهِمْ، «وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ»: بَيْنَ سَبْحَانِهِ أَنَّ الْمَشْرِقَ وَ الْمَغْرِبَ لِلَّهِ وَ جَمِيعَ الْجِهَاتِ وَ الْأَطْرَافِ لَهُ «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ» فَأَيْنَمَا أَمْرَكُمُ بِاسْتِقْبَالِهِ فَهُوَ قِبْلَةٌ، فَكَمَا أَنَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قِبْلَةٌ، كَذَلِكَ جَعَلَ الْكَعْبَةَ، قِبْلَةً، فَلَا تَنْكُرُوا ذَلِكَ، يَدْبِرْ عِبَادَهُ بِمَا يَرِيدُ.

في كتاب التوحيد، عن السماء و العالم، قال الرضا عليه السلام: المشيئة من صفات الأفعال، فمن زعم أن الله لم يزل مريدا شائيا، فليس بموحد، قال المجلسي: لعل الشرك باعتبار أنه إذا كانت الإرادة و المشيئة ازليتين بكونهما دائما معه سبحانه، يوجب قديمين آخرين. و عن عاصم بن حميد: قال سألت الصادق عليه السلام: لم يزل الله مريدا فقال عليه السلام: إن المريد لا يكون إلا المراد معه، بل لم يزل عالما قادرا، ثم أراد.

قال بعض مثل قتادة و ابن زيد: إن الله نسخ بيت المقدس بالتخيير إلى أي جهة شاء بهذه الآية، فكان للمسلمين أن يتوجهوا إلى حيث شاءوا في الصلاة، إلا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْتَارُ التَّوَجُّهَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ حَيْثُ شَاءَ، ثُمَّ أَنَّهُ نَسَخَ ذَلِكَ بِتَعْيِينِ الْكَعْبَةِ وَقِيلَ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي النُّوَافِلِ لِلْمَسَافِرِ، حَيْثُ

تتوجّه به راحلته.

عن سعيد بن جبير، قال: انما نزلت الآية في الرجل يصلى الى حيث توجهت به راحلته في السفر في التطوع، و كان صلى الله عليه وآله و سلم إذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعاً يومئ برأسه نحو المدينة، فيكون معنى الآية على هذا القول: فأينما تولّوا وجوهكم لنوافلكم في اسفاركم فثم وجه الله و صادفتم المطلوب، ان الله واسع الفضل غني، فمن سعة غناه و فضله رخص لكم في ذلك، لأنه لو كلفكم استقبال القبلة في مثل هذه الحالة لزم احدى الضررين، اما ترك النوافل و اما النزول عن الراحلة و التخلف عن الرفقة، بخلاف الفرائض، فانها صلوات مفروضة، محصورة، معينة و الكل مكلفون بالأداء، فلا يلزم منه التخلف عن الرفقة و الى الحرج. و المراد من قوله «فَئِمَّ وَجْهُ اللَّهِ» الحضور العلمي منه سبحانه، فيكون الوجه مجازاً من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل، إذ ليس سبحانه جوهرًا و لا عرضاً حتى يكون في جانب و هذا معنى الحديث: لو انكم وليتم بجبل الى الأرض السفلى، لهبط على الله.

اي لهبط على علم الله و الله منزّه عن الحلول في الأماكن، لأنه كان قبل ان يحدث الأماكن «عليهم» بمصالحهم و أعمالهم.

قيل: ان امام الحرمين أنه نزل ببعض الأكاير ضيفاً فاجتمع عنده العلماء، فقام واحد من اهل المجلس، فقال: ما الدليل على تنزّهه عن المكان و هو قال:

الرحمن على العرش استوى، فقال الغزالي، الدليل عليه قول يونس عليه السلام في بطن الحوت «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» فتعجب الحاضرون من العلماء في جوابه، فالتمس صاحب الضيافة بيانه، فقال الغزالي: هاهنا فقير مديون بألف درهم، أدّ عنه حتى أبيته، فقبل صاحب الضيافة دينه، فقال: ان يونس لما ابتلى بالظلمات في قعر البحر ببطن الحوت، قال: لا اله الا أنت و قال النبي صلى الله عليه وآله و سلم ليلة الأسرى:

لا احصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فكلّ منهما خاطبه بقوله أنت و هو خطاب الحضور، فلو كان في مكان لما كان ذلك بصحيح، فدل ذلك على ان الله تعالى ليس في مكان لأنهما في السير - انتهى -

ص: 287

وَأَمَّا قِصَّةُ الْقِبْلَةِ، روى الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَصَلِّي بِمَكَّةَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَصَلِّيَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِيَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى تَصَدِيقِ الْيَهُودِ، فَصَلَّى نَحْوَهُ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا وَكَانَ يَقَعُ فِي رُوعِهِ وَيَتَوَقَّعُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَحْوِلَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ لِأَنَّهَا قِبْلَةُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَقْدَمَ الْقِبْلَتَيْنِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا» وَذَلِكَ فِي مَسْجِدِ بَنِي سَلَمَةَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ وَلَمَّا صَلَّى الرَّكَعَتَيْنِ نَزَلَ «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» فَتَحَوَّلَ فِي الصَّلَاةِ، فَسَمِيَ ذَلِكَ الْمَسْجِدَ، مَسْجِدَ الْقِبْلَتَيْنِ، فَلَمَّا تَحَوَّلَتِ الْقِبْلَةُ أَنْكَرَ مِنْ أَنْكَرٍ، فَكَانَ هَذَا ابْتِلَاءً مِنَ اللَّهِ كَمَا قَالَ «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ» فَاتَّبَعَ الرَّسُولَ وَاسْتَقْبَلَ فِي مَبْدَأِ طَرِيقِ السَّالِكِينَ.

[سورة البقرة (2): الآيات 116 الى 117]

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116) بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)

«وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا»: وَالضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِ «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ» وَفِي الْمَانِعِينَ اخْتَلَفَ الْأَقْوَالُ كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ الْيَهُودِ، أَوْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ أَوْ غَيْرِهِمْ وَعَلَى كُلِّ الْأَقْوَالِ، الْآيَةُ فِي اتِّخَاذِ الْوَلَدِ، يَشْمَلُهُمْ لِأَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ - وَالنَّصَارَى قَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ - وَمُشْرِكُوا الْعَرَبَ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، فَلَا جَرَمَ صَحَّتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَلَى جَمِيعِ التَّقَادِيرِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ وَوَهْبِ بْنِ يَهُودَا، فَاتَّهَمُوا جَعْلًا عَزِيزًا ابْنَ اللَّهِ، وَاتِّخَاذًا أَمَّا بِمَعْنَى الصَّنْعِ وَالْعَمَلِ وَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ - وَأَمَّا بِمَعْنَى التَّصْيِيرِ، وَالْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ مُحذُوفٍ، أَيْ صَيَّرَ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ وَلَدًا وَادَّعَى أَنَّهُ وَلَدُهُ، لَا أَنَّهُ وَلَدُهُ حَقِيقَةً، فَكَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى أَنْ يَلِدَ حَقِيقَةً، كَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ التَّنْبِيءُ، فَنَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ عَمَّا قَالُوا، بِقَوْلِهِ «سُبْحَانَهُ» فَهُوَ كَلِمَةٌ تَنْزِيهِيَّةٌ، يَنْزَعُ بِهَا عَمَّا نَسَبُوا إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ فَمَرَّةً أَظْهَرَهُ وَمَرَّةً اقْتَصَرَ عَلَيْهِ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ وَاحْتِجَّ عَلَى هَذَا التَّنْزِيهِ بِقَوْلِهِ «بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» لِأَنَّ

السبب المقتضى لاتخاذ الولد، الاحتياج الى من يعينه في حياته- ويقوم مقامه بعد مماته و لا بدّ أن يكون الولد من جنس والده، فكيف يكون له ولد وهو لا يشبهه شيء و منزّه عن التركيب و الاحتياج و هو تعالى خالق السماوات و الأرض و ما فيهما جميعا الذي يدخل فيه الملائكة و عزير و المسيح، و كان المستفاد من الدليل، امتناع أن يكون شيء ما، ممّا في السماوات و الأرض ولدا، سواء كان ذلك ممّا زعموا أم غيره.

«كُلُّ» أى كلّ ما فيهما من اولى العلم و غيرهم، في الخصال بحذف (1) الأسانيد، عن الصادق عليه السّلام قال: إن لله اثني عشر ألف عالم، كلّ عالم منهم أكبر من سبع سماوات و سبع أرضين، ما يرى عالم منهم ان لله عالما غيرهم و اتى الحجّة عليهم. في كتاب التوحيد و الخصال، عن جابر بن يزيد قال: سئلت أبا جعفر الباقر، عن قول الله:

افعينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد، فقال عليه السّلام: يا جابر تاويل ذلك انّ الله إذا أفنى هذا الخلق و هذا العالم و سكن اهل الجنّة الجنّة و اهل النار النار جدّد الله عالما غير هذا العالم و جدّد خلقا من غير فحولة و لا إناث، يعبدونه و يوحدونه و يخلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم و سماء غير هذه السماء تظلمهم، لعلك ترى انّ الله انما خلق هذا العالم الواحد، او ترى انّ الله لم يخلق بشرا غيركم، بلى و الله لقد خلق الله ألف ألف عالم و ألف ألف آدم و أنت في آخر تلك العوالم و أولئك آدميين. و في حديث آخر عنه عليه السّلام: لعلكم ترون أنّه إذا كان يوم القيامة و صار اهل الجنّة الى الجنّة و اهل النار الى النار، لا يعبد بعده الله بلى ليخلقنّ الله (الحديث).

«لَهُ» تعالى «فائتُونَ»: أى منقادون و عبر سبحانه، أولا- عن جميع الموجودات بقوله (كُلُّ) ثمّ عبّر ثانيا بما يختصّ بالعقلاء بقوله (فائتُونَ) اشعارا بانّ العالي و الداني سواء في هذا الحكم- و السبب في هذه النسبة و هي نسبة الولد الى الله:

انّ ارباب الشرائع المتقدّمة كانوا يطلقون على ارباب الأنواع اسم الأب و على الكبير منهم اسم الإله، حتّى قالوا انّ الأب، هو الربّ الأصغر، و انّ الله هو الربّ الأكبر، و كانوا يريدون من هذا الإطلاق و المعنى: أنّه تعالى هو السبب الأوّل في وجود الإنسان و إنّ الأب هو السبب الآخر في وجوده، فانّ الأب هو مخدوم الابن و كأنّه موجدّه

ص: 289

من وجه، ثم ظننت الجهولة منهم ان المراد به معنى الولادة الطبيعية، فاعتقدوا ذلك تقليدا، من غير فهم المراد، و لذلك منع قائله مطلقا، بل كفر، سواء قصد به معنى السببية، او معنى الولادة الطبيعية حسما لمادة الضلالة و الفساد.

قال الرازي في تفسيره: و وجه الاستدلال بهذه الآية في رد قولهم و ابطال عقيدتهم من وجوه، الأول: ان كل ما سوى الموجود الواجب، ممكن لذاته، و كل ممكن لذاته، محدث، و كل محدث فهو مخلوق للواجب، اما بيان ان ما سوى الموجود الواجب ممكن لذاته فلائه لو وجد موجودان واجبان لذاتهما لاشركا في وجوب و لامتاز كل واحد منهما عن الآخر بما به التعيين، و ما به المشاركة غير ما به الممايزة، فيلز مهما قيد المشاركة و قيد الممايزة، و حصل التركيب و كل مركب مفتقر الى اجزائه، فهو ممكن لذاته، فكل واحد من ذينك الواجبين لذاتهما ممكن لذاته و هذا خلف.

و الوجه الثاني: ان هذا الذي اضيف إليه بأنه ولده، اما ان يكون قديما ازليا، او محدثا، فان كان ازليا لم يكن حكما بجعل أحدهما ولدا و الآخر والدا اولى من العكس، فيكون ذلك الحكم حكما مجردا من غير دليل و ان كان الولد حادثا، كان مخلوقا لذلك القديم و عبدا له، و العبد لا يكون ولدا و لا يستحق المعبودية.

قال الرضا عليه السلام: ان الله قديم، و القدم صفة دلت على انه لا شيء قبله و لا شيء معه في ديمومته و بطل قول من زعم انه كان قبله او كان معه شيء و ذلك انه لو كان معه شيء في بقائه لم يجزان يكون خالقا له لأنه لم يزل معه فكيف يكون خالقا لمن لم يزل معه، و لو كان قبله شيء، كان الأول ذلك الشيء، لا هذا، و كان الأول اولى بان يكون خالقا للثاني.

و في شرح نهج البلاغة للكيدري، ورد في الخبر: لما أراد الله خلق السماوات و الأرضين. خلق جوهر خضرا فنظر إليها بعين الهيبة، فذابت و صار ماء مضطربا، ثم اخرج منه بخارا كالدخان، و خلق منه السماء، كما قال: ثم استوى الى السماء و هي دخان؛ ثم فتق تلك السماء، فجعلها سبعا، ثم جعل من ذلك الماء زيدا، فخلق منه

ارض مكة، ثم بسط الأرض كلها من تحت الكعبة، ولذا سميت أم القرى، ثم شقت من تلك الأرض سبع ارضين و جعل بين كل سماء و سماء مسيرة خمسمائة عام و كذلك بين كل ارض و ارض إلخ.

[سورة البقرة (2): آية 117]

بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)

اي إذا أراد شيئاً- و اصل القضاء: الاحكام و القطع، عبّر سبحانه تعالى الارادة بالقضاء لإيجابها و وقوعها البتة، «فإنما يقول له كُنْ فَيَكُونُ»، فيحصل في الوجود سريعاً من غير توقّف و هذا التعبير عبارة عن سرعة حصول المخلوق بإيجاده- و القضاء يستعمل بمعنى الخلق، مثل قوله: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ أَي خَلَقَهُنَّ- و بمعنى الأمر، نحو: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ و بمعنى الإخبار، مثل: وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ أَي أَخْبَرْنَاهُمْ- و هذا المعنى لا بدّ و ان يأتي بالي- و بمعنى الفراغ من الشيء ء مثل قوله: فلما قضى و أنّما فسر كلمة كن بسرعة الحصول: لأنّه تعالى رتب تكوّن المخلوق على قوله كن بفاء التعقيب فيكون قوله: كن مقدماً على تكوّن المخلوق بزمان واحد و المتقدّم على المحدث بزمان واحد محدث، فقوله: كن، لا يجوز ان يكون قديماً و لا يجوز ايضاً ان يكون قوله، كن، محدثاً لأنّه لو افتقر كلّ محدث الى قوله، كن و قوله، كن، ايضاً محدث، فيلزم افتقار «كن» الى كن آخر و يلزم اما الدور او التسلسل و هما محالان، فثبت أنّه لا يجوز توقف إحداث الحوادث على قوله: كن، ثم قالوا ان الأشياء المعدومة لا يصحّ ان يخاطب و يؤمر و أوجب عن هذا الا يراد انّ الأشياء، المعدومة لما كانت معلومة عند الله، صارت كالموجود، فيصحّ خطابها و الصحيح انّ المراد سرعة الحصول من الارادة، و الكلام نزل على لسان العرب و مثل هذه المعاني شايع لقولهم امتلاً الحوض و قال قطني: قال ابو الهذيل: هذه الكلمة علامة يفعلها الله للملائكة، إذا سمعوها علموا أنّه أحدث و خلق امراً، و قيل: انه خاصّ بالذين قال لهم: كونوا قردة خاسئين و من جرى مجراهم و هو قول الاصم- و قيل: المراد أنّه امر للأحياء بالموت و للموتى بالحياة.

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118)

لَمَّا بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ قُبَاحَ أَقْوَالِهِمْ فِي التَّوْحِيدِ وَنَسَبَةَ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ حَكَى قُبَاحَ أَقْوَالِهِمْ فِي انْكَارِ النُّبُوَّةِ فَقَالَ: «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» المراد: مشركوا العرب أو النصارى أو اليهود أو كلهم «لَوْلَا» أى هَلَا «يُكَلِّمُنَا اللَّهُ» معاينة، فيخبرنا بأنك نبي، أو هَلَا يُكَلِّمُنَا شَفَاها بكلامه، كما كلم موسى «أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ» موافقة لدعوتنا كما جاءت آيات موافقة لدعوتهم ولم ترد أنه لم يأتهم آية، لأنه لأنه قد جاءتهم الآيات والمعجزات.

«كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ» قيل: هم اليهود، حيث اقترحوا الآيات على موسى، حيث قالوا: أرنا الله جهرة- ولن نصبر على طعام واحد ونحوه وكذلك النصارى قالوا لعيسى: هَلْ يَسَّ تَطْيِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ، كذلك- أى مثل ذلك القول الشنيع قالوا قديما- مثل قولهم تشبيه المقول بالمقول.

«تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ»: أى تماثلت قلوب أولئك هؤلاء في العمى والعناد والقسوة وتشابه مقالاتهم بمقالة من قبلهم، فإنَّ الألسنة ترجمان القلوب.

«قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ»: وأنزلناها بيِّنة (لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ): و يطلبون اليقين ويريدون تحصيله.

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119)

قرء بفتح التاء و الجزم على النهى، روى ذلك عن ابى جعفر عليه السلام و ابن عباس و قرء على لفظ الخبر، على ما لم يسم فاعله، و على كون الجزم المراد النهى عن المسألة و قيل: النهى ظاهرا و لفظا، لكن المراد تفخيم ما اعد الله لهم من العقاب، لقول القائل: لا تسأل عن حال فلان، فقد صار امره الى فوق ما تتصوّر.

«إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ» يا محمد «بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا» حال كونك مؤيدا بالحجج

و القرآن و الآيات، لتكون مبشراً لمن اتبعك و اهتدى بدينك و منذراً لمن كفر بك و ضلّ عن دينك.

«وَلَا تُسَدُّ لَكَ عَنَّا أَصْحَابُ الْجَحِيمِ»: فعلى قراءة الرفع و الخبر، اى أنت غير مسئول بهم، و معصيتهم لا تضرك، فأنما عليك البلاغ و علينا الحساب و لا تغتم لكفرهم.

[سورة البقرة (2): آية 120]

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتَابِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)

بيان حال الكفار من تشددهم و ثباتهم على كفرهم و قد بلغ من حالهم أنهم يريدون ان يتبع صلى الله عليه و آله و سلم ملتهم و الموافقة لهم فيما هم عليه- و النزول، كانت اليهود و النصارى يسئلون النبي صلى الله عليه و آله و سلم الهدنة و يرونه انه إن هادنهم و امهلهم اتبعوه، فأيسه الله من موافقتهم، فقال تعالى «وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ اى قل لهم يا محمد: ان دين الله الذي يرضاه، هو الهدى، اى القرآن و هو يهدى الى الجنة و هو الذي أنت عليه و أنت مهتديه، لا طريقة اليهود و النصارى- و قيل معناه: ان دلالة الله هي الدلالة و هدى الله هو الهداية، كما يقال: طريقة فلان هي الطريقة.

«وَلَئِنَّ آتَابِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ» و مراداتهم، قال ابن عباس: معناه ان صليت على قبلتهم «بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ»: اى من البيان من الله، او من الدين «ما لك» يا محمد «مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ» و ناصر يحفظك من عقابه «وَلَا نَصِيرٍ» و ظهير يعاونك و الخطاب للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و المراد امته، كقوله: لمن أشركت ليحبطن عملك، قال ابن عباس: جميع مثل هذه الخطابات في القرآن، المراد منه الامّة، و الذين قالوا: ان الخطاب متوجه الى الكل، له صلى الله عليه و آله و سلم و لأمته، قالوا لا بأس بالخطاب اليه مع علمه سبحانه بعصمته، لأن التكليف و التحذير مع وجود الآلات و القوى البشرية حسن

و العلم بعدم الوقوع لا ينفي الإمكان الذاتي الذي هو متعلق التكليف.

[سورة البقرة (2): آية 121]

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)

«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ»: الذين آتيناهم مبتداءً وأولئك مبتداءً ثان، يؤمنون خبره، يريد عبد الله بن سلام وأصحابه الذين اسلموا من اليهود- وإنما خصّهم بذكر الإيتاء مع ان الكلّ من اليهود مأتبون بالكتاب، لأنّهم هم الذين عملوا به «يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ»: بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل به- وقيل: المراد من، الذين آتيناهم، اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب عليه السلام من الحبشة وكانوا أربعين رجلا، اثنان و ثلاثون من الحبشة و ثمانية من رهبان الشام، عن ابن عباس قال: نزلت الآية فيهم وقيل: المراد اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى هذا فالمراد بالكتاب، القرآن «أُولَئِكَ» الموصوفون «يُؤْمِنُونَ بِهِ» اى بالكتاب «وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ» بالكتاب، سواء كان كفره بالتحريف، او بالإنكار «فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» الهالكون المغبونون.

[سورة البقرة (2): الآيات 122 الى 123]

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (123)

«يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ»: فمن جملة النعمة، التوراة و ذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان به و من جملتها نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمن ضرورة الايمان بالتوراة، الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فاعرف منعمك، انّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم، عن اصبيغ ابن نباتة: قال امير المؤمنين عليه السلام: انّ السماوات والأرض وما فيهما، من مخلوق في جوف الكرسي، و له اربعة أملاك يحملونه باذن الله فأما ملك منهم ففي صورة

الآدميين و هي أكرم الصور على الله و هو يدعو الله و يطلب الرزق لبنى آدم، الثاني في صورة الثور، و هو يطلب الرزق و السعة للبهائم، و الثالث في صورة النسر و هو سيد الطيور، يطلب الرزق لجميع الطيور، و الرابع في صورة الأسد و هو يطلب الرزق للسباع، و لم يكن في هذه الصور احسن من الثور و لا اشد انتصابا منه، حتى اتخذ الملاء من بنى إسرائيل العجل فلما عكفوا عليه و عبدوه خفض الملك الذي بصورة الثور حياء من الله ان عبد من دون الله شيء و يشبهه و تخوف ان ينزل به العذاب، ثم قال عليه السلام: ان الشجر لم يزل حصيدا مخضودا حتى دعى للرحمن ولد، فعند ذلك اقصع الشجر و صار له شوك حذارا ان ينزل به العذاب، فما بال قوم غيروا سنة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و عدلوا عن وصية صلى الله عليه و آله و سلم لا يخافون ان ينزل بهم العذاب، ثم تلا: الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله عليهم و آله و سلم، و عدلوا عن وصية صلى الله عليه و آله و سلم، ثم تلا: الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا و احلوا قومهم دار البوار.

«وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ»: اى عالمي زمانكم «وَ اتَّقُوا يَوْمًا»: اى عذاب يوم «لَا تَجْزِي»: و لا تقضى في ذلك اليوم «نَفْسٌ» من النفوس «عَنْ نَفْسٍ» اخرى «شَدِيدًا» من الحقوق التي لزمته و لا تؤخذ نفس بذنب اخرى و لا تدفع من اخرى و اما إذا كان عليها شيء، فإنه يقتص منها بغير اختيارها، بما لها من حسناتها مما عليها من الحقوق كما جاء في الحديث: ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: من كانت عليه مظلمة لأخيه من عرض او غيره، فليستحلل منه اليوم، قبل ان لا يكون دينار و لا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته و ان لم يكن له حسنات، أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه.

«وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا»: من النفس العاصية «عَدْلًا»: اى فداء، و الفدية ما يماثل الشيء قيمته و عوضه و ان لم يكن من جنسه «وَ لَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ» ان شفعت للنفس الثانية «وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ»: و لا يمنعون من عذاب الله، و لا تقع الشفاعة للكافر، و لا تنفع ابداء، لا من الملائكة و لا من الأنبياء.

و في الحديث: من اتبع قوما على أعمالهم حشر في زمرةهم و حوسب يوم القيامة بحسابهم و ان لم يعمل بأعمالهم، و ربما يكون للإنسان شركة في اثم القتل و الزنا

وغيرهما إذا رضى به من عامل، و مال إلى ذلك الفعل: كما أنّ من حضر معصية فكرها فكأنما غاب عنها و من غاب عنها فرضيها كان كمن حضرها.

وفي الحديث: سيأتي على الناس زمان تخلق فيه سنتي و تتجدد البدعة فيه فمن اتبع سنتي يومئذ صار غريبا و بقي وحيدا و من اتبع بدع الناس و جد خمسين صاحباً و أكثر.

[سورة البقرة (2): آية 124]

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)

قال القرطبي: إبراهيم بالسريانية على ما ذكره الماوردي وفي العربية على ما حكى ابن عطية: أب رحيم، وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي، قيل:

اسمه، ابراهيم، فزيد: ها، في اسمه و الهاء في السريانية: للتفخيم و التعظيم، و قرء ابراهام و انما حكى سبحانه في هذا المقام قصة ابراهيم، لأنه كان معروف الفضل، عند تمام الطوائف و الملل، فالمشركون كانوا معترفين بفضله، متشرفين بانهم من أولاده و من ساكني حرمة، و اهل الكتاب من اليهود و النصارى كانوا ايضا مقرّين بفضله، متشرفين بانهم من أولاده، فحكى سبحانه أمورا توجب على المشركين و على اليهود و النصارى قبول قول محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و الاعتراف بدينه و الانقياد لشرعه و ذلك لأنّ ابراهيم عليه السلام ما نال الى منصب النبوة و الامامة الا بقبول التوحيد و ترك التمرد، و الانقياد لحكم الله و طلب الامامة لأولاده، فقال الله: لا ينال عهدي الظالمين، فدلّ على أنّ منصب الامامة و الرياسة في الدين، لا يصل الى الظالم، فهؤلاء متى أرادوا الخير و جب عليهم ترك اللجاج و الظلم و قبول الباطل و انكار اليهود و النصارى تحويل القبلة من غير وجه، لأنّ هذا البيت قبله ابراهيم عليه السلام الذي يعترفون بفضله و يفتخرون بنسبه.

«وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ»: الابتلاء (1) على ضربين، أحدهما يستحيل على الله و الآخر جائز، فالمستحيل هو ان يختبره ليعلم ما يكشف له عنه و هذا ما لا يصحّ لأنه علام

ص: 296

الغيوب والآخراَن يبتليه حتَّى يصبر فيما يبتليه به، فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق و لينظر الناظر اليه، فيقتدى به و يكون إرشادا للغير.

المعنى: و اذكر وقت امتحان الله ابراهيم، و هو مجاز و حقيقته انه امره و كلفه و حقيقة الابتلاء من الله تشديد التكليف.

«بِكَلِمَاتٍ» و روى عن الصادق عليه السلام: أول ما ابتلاه الله في نومه، من ذبح ولده إسماعيل عليه السلام ابى العرب، فعزم عليها و سلم لأمر الله، فأتته، فقال الله ثوبا له لما صدق و عمل بما امره الله: انى جاعلك للناس اماما، ثم أنزل الله عليه الحنيفة، و فسّرت، الكلمات بوجهه، قال ابن عباس: هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه و سنّة في شرعنا خمس منها في الرأس و هي: المضمضة و الاستنشاق و فرق الرأس و قص الشارب و السواك و خمس في البدن و هي: الختان و حلق العانة و نتف الإبط و تقليم الأظفار و الاستنجاء بالماء، اى غسل مكان الغائط و البول بالماء- و المراد من فرق الرأس تقسيمه الى نصفين، و كان المشركون يفرقون شعور رؤسهم و اهل الكتاب يرسلون شعورهم على الجبين و يتخذونها كالقصة و هي شعر الناصية، قيل: و كان النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم يحب موافقة أهل الكتاب ثم نزل جبرئيل عليه السلام، فأمره بالفرق و اكثر حال النبي كان الإرسال و حلق الرأس منه معدود و كان صلّى الله عليه و آله و سلّم يقصّ شارب كل جمعة قبل ان يخرج الى صلاة الجمعة و القصّ في الشارب لا بدّ و ان يبدوا طرف الشفه و لا يبقى فيه غمر الطعام و السنة تقصير الشارب و حلقه، قيل: بدعة كحلق اللحية، و في الحديث: جزّوا الشوارب و اعفوا اللحي و الجزّ:

القصّ و القطع: و الإعفاء: التوفير و الترك على حالها، و حلق اللحية حرام و قبيح و مثله:

كما انّ حلق شعر الرأس، في حق المرأة مثله، منهى عنه و تشبّه بالرجال و تقويت للزينة، كذلك حلق اللحية، تشبّه بالنساء.

في وسائل الشيعة، عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: حقّوا الشوارب و اعفوا اللحي و لا تشبهوا بالمجوس، جزّوا لحاهم و وفّروا شواربهم، و نحن نجزّ الشوارب و نعفي اللحي و هي الفطرة و حديث آخر و في تفسير على بن ابراهيم، في قوله تعالى:

و إذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن، قال: انه ابتلاه في نومه بذبح إسماعيل، فاهمها ابراهيم و سلم لأمر الله، قال الله ثوبا له: انى جاعلك للناس اماما، ثم انزل عليه الحنيفة و هي عشرة: خمسة في الرأس و خمسة في البدن، اما التي في الرأس: أخذ الشارب و اعفاء اللحي و طم الشعر من الرأس و السواك و الخلال و لو لا هذه الاخبار ففي النهى التحريمي في مشاكلة اعداء الدين و سلوك طريقتهم و تشبه الرجال بالنساء و حكم و جوب الدية الكاملة في حلق اللحية إذا لم تنبت و إذا نبت فثلث الدية لكفى دليلا في حرمة حلق اللحية.

و اعلم: ان دية أعضاء الرجل و المرأة متساوية الى ان تبلغ الثلث من الدية الكاملة، فإذا بلغت الثلث فتضاعف دية أعضاء الرجل.

قال ابان ابن تغلب: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول في رجل قطع إصبعاً من أصابع المرأة، كم فيها من الدية، قال عليه السلام: عشرة من الإبل، قلت: قطع اثنتين، قال عليه السلام عشرة، قلت: قطع ثلاثاً، قال عليه السلام: ثلاثون، قلت: أربعاً، قال عليه السلام: عشرون، قلت:

سبحان الله، يقطع ثلاثاً، فيكون عليه ثلاثون و يقطع أربعاً و عليهن عشرون، قال عليه السلام مهلاً هذا حكم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ان المرأة تعادل الرجل الى ثلث الدية، فإذا بلغت الثلث رجعت الى نصف دية الرجل.

في تفسير روح البيان: و من تسبيح الملائكة: سبحان من زين الرجال باللحي و زين النساء بالذوائب.

و في رواية اخرى عن ابن عباس ايضاً انه تعالى ابتلاه بثلاثين خصلة من شرايع الإسلام، فأقامها كلها ابراهيم و اتمهن فكتب له البراءة، فقال سبحانه: و ابراهيم الذي وفي و هي عشرة في سورة براءة: التائبون العابدون الى اخرها و عشرة في الأحزاب:

ان المسلمين و المسلمات الى اخرها و عشرة في سورة المؤمنين: قد أفلح المؤمنون الى قوله: أولئك هم الوارثون، و روى و عشرة في سورة سأل سائل، الى قوله: و الذين هم على صلاتهم يحافظون، فجعلها أربعين و في رواية عن ابن عباس انه امره بمناسك

الحج وقيل ابتلاه الله بالكوكب والقمر والشمس والختان وبذبح الولد والنار وبالهجرة فكلهن وقاهن والآية يحتمله الجميع.

قال الشيخ ابو جعفر: يشمل الكلمات المقام اليقين الذي اتى به وذلك قوله:

وليكون من الموقنين والمعرفة بالتزويه عن التشبيه حين نظر إلى الكوكب والقمر والشمس وذلك قوله: فلما افل قال: انى لا احب الأفلين، ومنها الشجاعة بدلالة قوله: فجعلهم جذاذاً الاً كبيراً منهم، ومقاومته اعداء الله فريداً بنفسه، ومنها الحلم وذلك قوله: ان ابراهيم لحليم اواه منيب، ومنها السخاء ويدل عليه قوله: هل أتيتك حديث ضيف ابراهيم المكرمين، ثم العزلة عن العشيره وقد تضمّنه قوله: واعتزلكم وما تدعون من دون الله، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ذلك في قوله:

يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر، ثم التوكل وبيان ذلك في قوله: الذي خلقتني فهو يهديني ثم المحنة حين جعل في المنجنيق وقذف به الى النار، ثم الصبر على سوء خلق سارة، ثم الزلفة، في قوله: ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ثم الجمع لشروط الطاعات، في قوله: ان صلاتي ونسكي الى قوله وانا اول المسلمين، ثم استجابة دعوته، حين قال: رب ارنى كيف تحيي الموتى، ثم اصطفاؤه في قوله: ولقد اصطفينا في الدنيا وإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ ثم اقتداء من بعده من الأنبياء به في قوله: وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ الآيَةَ، انتهى كلام الشيخ.

فاتبع سنة من قد خلق الله نوره قبل الظهور في عالم البشرية بدهور ودع قياسات الفكرية والاستحسانات العقلية، فتكون تحرف النواميس بعقلك القاصر، فان صاحب الناموس اعرف منك ولا تكن كبعض السفهاء الذين يدعون العقل في زماننا، فانهم قاسوا بعقولهم ان قسمة الأنثى إذا كان بالعكس، كان اقرب بالعدل، لأن النساء أضعف في الاكتساب وليس لهن تدبير وعقل كما في الرجال وهذا الكلام مع قطع النظر عن مخالفة الشريعة، مخالف للعقل، لأن الرجل أفقر للمال منهن بسبب القيام بامورهن، ثم ان لهن من يقوم بامورهن

واقلاً حاجة من الرجال بسبب الأنوثة، فان لم يقبلها ذا، يقبلها ذاك، فيقوم بأمرها لكن الرجل ليس له هذه المنفعة ولا اقل من ان يقوم بأمر نفسه، فحاجته بالمال اكثر من حاجة المرأة، ثم انه في الغالب تتساوى المرأة مع الرجل في المال مع ما تأخذ نصف الرجل في الميراث، مثل ان إذا أخذ الرجل ألف درهم و المرأة خمسمائة درهم، فلما تزوجت تأخذ من الصداق مثلاً خمسمائة درهم فتساوى أخاها في المال والأخ إذا أراد أن يتزوج فلا- بدان يجعل ويعطى صداق زوجته خمسمائة درهم، فيكون مساوياً لأخته في المال وأمر آخر، لا حاجة بالاطالة، فاجعل عقلك تابعاً للشرع لا العكس، تكن مؤمناً ولا تكن زنديقاً، اما قرأت القرآن؟ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وفضل الرجال، العقل والقوة والغزو وان منهم الأنبياء والحكماء وفيهم الخلافة والامامة والافتداء بهم في الصلوات والأذان والخطبة والاعتكاف والشهادة وزيادة السهم وتحمل الدية في القتل الخطأ والولاية في النكاح والطلاق وعدد الأزواج.

«فَأْتَمَّهُنَّ»: اي وفي بهنّ وعملها بالتمام وقيل: ضمير الفاعل في اتمهنّ راجع الى الله على قول ابي القاسم البلخي «قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا»: قل اني جاعلك لأجل الناس مقتدى ياتمون بك في هذه الخصال، فهو مقتدى الصالحين الى قيام الساعة وقد أنجز الله وعده لأنه امر نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ثم أوحينا إليك ان اتبع ملة ابراهيم، واجتمع اهل الأديان على تعظيمه، كما ان أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقولون في آخر صلواتهم: اللهم صلى على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وفي الخبر: ان ابراهيم رأى في المنام جنة عريضة مكتوب على أشجارها، لا اله الا الله محمد رسول الله، فسأل جبرئيل عليه السلام عنها فأخبره بالقصة، فقال: يا رب أجر على لسان امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذكرى، فاستجاب الله دعاءه «قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي» عطف على الكاف في جاعلك و «من» تبعيضية، اي واجعل بعض ذريتي اماما يقتدى به الناس، لكنّه راعى الأدب بالاحتراز عن صورة الأمر ولم يقل، واجعل، وتخصيص البعض بذلك لبداية استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق، والذرية نسل الرجل وقد

يطلق على الآباء والأبناء من الذكور والإناث ومنه قوله تعالى: **أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ** أراد آبائهم وتطلق الذرية أيضا على الواحد، كقوله تعالى: **رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً**: يعنى ولدا صالحا «قَالَ» الله «لَا يَنَالُ» ولا يصيب «عَهْدِي الظَّالِمِينَ»: أى ان أولادك منهم مسلمون ومنهم كفارون، فلا يصل الامامة والنبوة للظالم، لأن الامام انما هو يمنع الظلم، فمن استرعى الذنب للغنم ظلم وفي الآية دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة، بل لا يقدم للصلاة ايضا وقالت الاشاعرة: أريد بالظالم، الكافر.

أقول: وفي تعبير الظالم بخصوص الكافر، تعنت وتعسف، لأن كون الكافر ظالما لا يخرج الظالم عن إطلاقه فلا ينالهما فمن اين تعين التخصيص وفي الآية أيضا دليل علي عصمة الأنبياء من المعاصي قبل البعثة و بعد البعثة، لأنه يصدق عليه أنه كان ظالما ولو وقتاما قال الطبرسي: فان قيل انما نفى ان يناله ظالم في حالة ظلمه، فإذا تاب لا يسمى ظالما فيصح ان يناله، فالجواب ان الظالم وان تاب فلا يخرج من ان تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالما فإذا نفى سبحانه ان يناله فقد حكم عليه بانّه لا يناله، لأن الآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت، فيجب ان تكون محمولة على الأوقات كلها، فلا ينالها الظالم وان تاب فيما بعد انتهى.

في كتاب السماء والعالم، بعض الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال عيسى ابن مريم في الإنجيل: يا معشر الحوارين، خلق الله الليل لثلاث امور و خلق النهار لسبع خصال، فمن مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الخصال، خاصماه يوم القيامة؛ خلق الله الليل لتسكن فيه العروق الفاترة التي أتعبتها في نهارك وتستغفر لذنبك الذي كسبتها بالنهار ثم لا تعود فيه وتقت فيه قنوت الصابرين، فثلث تنام وثلث تقوم بالعبادة وثلث تضرع الى ربك وهذا ما خلق له الليل. واما النهار لتؤدى الصلاة المفروضة التي عنها تسئل وان تبرّ بالديك وان تضرب في الأرض تبتغى لمعيشة يومك وان تعودوا فيه وليا لله وان تشيعوا جنازة كيما تنقلبوا مغفورا لكم وان تأمروا بمعروف وان تنهوا عن منكر فهو ذروة الايمان وقوام الدين وان تجاهدوا في سبيل الله.

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَدِّقِينَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)

«وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ»: أى واذكر يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقت تصييرنا الكعبة «مَثَابَةً» معاذًا و ملجأً و مأبًا و مباءة و مرجعاً يتوبون اليه في كل عام- و في الحديث: من خرج من مكة و هو ينوي الحج من قابل زيد في عمره و من خرج من مكة و هو لا ينوي العود إليها فقد قرب اجله او المعنى يحجّون اليه فيثابون عليه.

«وَأَمْنًا»: موضع أمن، لأنّ من أعاذ به لا يخاف على نفسه مادام فيه، فإنّ المشركين كانوا لا يتعرّضون لسكّان الحرم و كان الرجل منهم يرى قاتل أبيه فيه فلا يتعرّض له و هذا شيء توارثوه من دين إسماعيل، فبقوا عليه الى ايام النبي صلى الله عليه وآله وسلم او المعنى يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث أنّ الحج يجبّ و يقطع و يمحو ما وجب قبله من حقوق الله الغير المالىّة، مثل الزكاة و كفارة اليمين و أما حقوق الناس فلا يحبّها الحج؛ لكن نقل صاحب تفسير روح البيان رواية و الله عالم بصحتها و فسادها، قال:

و لكن روى انّ الله استجاب دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المزدلفة، في الدماء و المظالم و نقل عن كتابهم الكافي و تفسير الفاتحة للقونوي؛ «وَ اتَّخِذُوا»: أى و قلنا: اتّخذوا على ارادة القول، لئلا يلزم عطف الإنشاء على الاخبار.

«مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَدِّقِينَ»: أى موضع الصلاة و «من»: للتبويض و مقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه او الموضع الذي كان فيه حين دعى الناس و قام عليه، او حين رفع بناء البيت.

قال ابن عباس: الحج كلّ مقام ابراهيم و قال عطاء: مقام ابراهيم، عرفة و المزدلفة و الجمار و قال مجاهد: الحرم كلّ مقام ابراهيم و قال قتادة و الحسن و السدي: هو الصلاة عند مقام ابراهيم، أمرنا بالصلوة عنده بعد الطواف و هو المروي عن الصادق عليه السلام و هذا هو الظاهر: لأنّ مقام ابراهيم إذا اطلق، لا يفهم منه ألاّ المقام المعروف اليوم بمقام ابراهيم

الَّذِي هُوَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي الْمَقَامِ دَلَالَةً عَلَى نَبْوَةِ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَجَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ كَالطَّيْنِ حَتَّى دَخَلَتْ قَدَمَاهُ فِيهِ؟ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَزَلَتْ ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ مِنَ الْجَنَّةِ، مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحَجَرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالحَجَرُ الْأَسْوَدُ، اسْتَوَدَعَهُ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَجْرًا أَيْضًا وَكَانَ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ الْقَرَّاطِيسِ فَاسْوَدَّ مِنْ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، وَفِي قِصَّةِ مَهَاجِرَةِ إِسْمَاعِيلَ وَهَاجِرٍ: رَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّصْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ نَازِلًا فِي بَادِيَةِ الشَّامِ، فَلَمَّا وُلِدَ لَهُ مِنْ هَاجِرٍ، إِسْمَاعِيلَ اغْتَمَّتْ سَارَةُ مِنْ ذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا، فَكَانَتْ تُؤَذِي إِبْرَاهِيمَ فِي هَاجِرٍ وَتَعَمَّهُ، فَشَكَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى اللَّهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّمَا مِثْلُ الْمَرْأَةِ مِثْلُ الضَّلْعِ الْمَعْوُجِ، إِنْ تَرَكْتَهُ اسْتَمْتَعْتَ بِهِ وَإِنْ رَمْتَهُ انْتَقَمَ مِنْكَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها الا ان تقويم الضلوع انكسارها

ثم امره الله ان يخرج إسماعيل عليه السلام وهاجر عنها، فقال: اي رب إلى اي مكان؟ قال:

إلى حرمي. وأمني وأول بقعة خلقتها من ارضي وهي مكة وأنزل عليه جبرئيل بالبراق فحمل إبراهيم وهاجر. وإسماعيل عليه السلام، فكان لا يمر إبراهيم عليه السلام بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع، إلا قال إبراهيم عليه السلام الى هاهنا، فيقول لا امض حتى وافى مكة، فوضعه في موضع البيت وقد كان عاهد إبراهيم عليه السلام سارة، ان لا ينزل حتى يرجع إليها، فلما نزل في ذلك المكان، كان فيه شجر، فألقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلًا تحته، فلما سرحهم إبراهيم عليه السلام ووضعهم وأراد الانصراف عنهم إلى سارة، قالت له هاجر: لم تدعنا في هذا الموضع الذي ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع، فقال إبراهيم عليه السلام: أمرني ربي ان أضعكم في هذا المكان، ثم انصرف عنهم، فلما بلغ كدى وهو جبل بذي طوى، التفت إليهم إبراهيم عليه السلام فقال: ربنا اتى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع، الى قوله: لعلهم يشكرون؛ ثم مضى وبقيت هاجر وإسماعيل عليه السلام، فلما ارتفع النهار عطش إسماعيل عليه السلام، فقامت هاجر في الوادي، حتى صارت في موضع المسعى، فنادت. هل في الوادي أنيس، فغاب عنها إسماعيل عليه السلام، فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي، فظننت أنه ماء، فنزلت في بطن الوادي وسعت،

فلما بلغت المروة غاب عنها إسماعيل عليه السّلام، ثمّ لمع لها السراب في ناحية الصفا، فهبطت إلى الوادي بطلب الماء؛ فلما غاب عنها إسماعيل عليه السّلام، عادت حتّى بلغت الصفا، فنظرت إلى إسماعيل عليه السّلام حتّى فعلت ذلك سبع مرّات، فلما كان في الشوط السابع وهي على المروة، نظرت إلى إسماعيل عليه السّلام وقد ظهر الماء من تحت رجليه فعدت حتّى جمعت حوله رملا وإنه كان سائلا فزمته بما جعلت حوله الرمل، فلذلك سمّيت زمزم.

و كانت جرهم نازلة بذى المجاز و عرفات فلما ظهر الماء بمكّة، عكفت الطيور و الوحوش على الماء، فنظرت جرهم إلى تعكف الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتّى نظرت إلى امرأة و صبيّ نزلوا في ذلك المكان و قد استظلّوا الشجر و قد ظهر لهم الماء، فقالت لهاجر: من أنت و ما شأن هذا الصبيّ؟ قالت: أنا أمّ و لد إبراهيم خليل الرحمن و هذا ابنه، أمره أن ينزلنا هذا الموضع، فقالوا لها: أ تأذنين أن نكون بالقرب منكم؟

فقالت: حتّى أستأذن إبراهيم عليه السّلام فزارهما إبراهيم عليه السّلام يوم الثالث، فاستأذنت هاجر من إبراهيم عليه السّلام في الإذن لهم، فأذن إبراهيم عليه السّلام، فنزلوا بالقرب منهم و ضربوا خيامهم و أنست و إسماعيل عليه السّلام بهم.

فلما زارهم إبراهيم عليه السّلام في المرّة الثالثة و نظر إلى كثرة الناس حولهم، سرّ بذلك سرورا شديدا، فلما تحرّك إسماعيل عليه السّلام و كانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كلّ واحد منهم شاتا و شاتين و كانت هاجر و إسماعيل عليه السّلام يعيشان بها.

فلما بلغ إسماعيل عليه السّلام مبلغ الرجال، أمر الله إبراهيم عليه السّلام أن يبني البيت، فقال: يا ربّ في أيّ بقعة؟ فقال في البقعة التي أنزلت على آدم عليه السّلام القبّة، فأضاعت الحرم و لم تزل القبّة التي أنزلها الله على آدم عليه السّلام قائمة، حتّى كان أيّام الطوفان زمن نوح عليه السّلام، فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبّة و غرقت الدنيا و لم تغرق مكّة فسّمّي البيت العتيق لأنّه أعتق من الغرق.

و بعث الله جبرئيل عليه السّلام على إبراهيم عليه السّلام فخطّ له موضع البيت و كان الحجر الذي أنزله الله على آدم عليه السّلام أشدّ بياضا من الثلج كما ذكرنا فبنى إبراهيم عليه السّلام البيت

و نقل إسماعيل عليه السّلام الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة أذرع.

ثمّ دلّه جبرئيل عليهم السّلام على موضع الحجر في الأرض، فاستخرجه إبراهيم و وضعه في الموضع الذي هو فيه و جعل له بابين، بابا إلى المشرق و بابا إلى المغرب، فالباب الذي إلى المغرب يسمّى المستجار، ثمّ ألقى عليه الشبح و الإذخر.

فلما تمّ البناء نزل جبرئيل يوم التروية، فقال: قم يا إبراهيم فادنوا من الماء لأنّه لم يكن بمنى و عرفات ماء، فسُمّيت التروية لذلك، ثمّ أخرجه إلى منى، فبات بها، ففعل بها ما فعل بآدم.

[وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَيٰ أَمْرَاهُمَا أَمْرًا مُّوَكَّدًا وَ وَصَّيْنَا إِلَيْهِمَا، فَإِنَّ الْعَهْدَ قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْأَمْرِ وَ الْوَصِيَّةِ؛ يُقَالُ عَهْدَ إِلَيْهِ: أَيٰ أَمْرَهُ وَ وَصَّاهُ، وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ» (1)].

وقيل: سمّي إسماعيل لأنّ إبراهيم عليه السّلام كان يدعو إلى الله أن يرزقه ولدا و يقول: اسمع يا إيل و «إيل» هو الله، فلما رزق سمّاه به.

[أَنَّ طَهْرًا بَيْنِي بَأَنَّ طَهْرَاهُ عَنِ الْأَوْثَانِ وَ الْأَنْجَاسِ وَ الْمَرَادُ مِنْ «طَهْرًا» أَيٰ أَقْرَاهُ عَلَىٰ طَهَارَتِهِ وَ احْفَظَاهُ مِنْ أَنْ يَصِيبَ حَوْلَهُ شَيْءٌ مِنْهَا، وَ يَقْرَبُونَ إِلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ وَ هَذَا كَقَوْلِهِ: «وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ» (2) فَإِنَّهُمْ لَمْ يَطْهَرْنَ مِنْ نَجَسٍ، بَلْ خَلَقَهُنَّ طَاهِرَاتٍ، كَقَوْلِكَ لِلخَيْطِ: وَسَّعَ كَمَّه، وَ الْكَمُّ مَا كَانَ ضَيِّقًا حَتَّىٰ يَوْسَعُهُ، بَلِ الْمَرَادُ اصْنَعَهُ ابْتِدَاءً وَاسِعَ الْكَمِّ.

[لِلطَّائِفِينَ الزَّائِرِينَ حَوْلَهُ] وَ الْعَاكِفِينَ الْمَجَاوِرِينَ الَّذِينَ عَكَفُوا وَ أَقَامُوا عِنْدَهُ، وَ هَذَا فِي الْمَتَوَطِّنِينَ وَ الْأَوَّلَ فِي الْقَادِمِينَ لِلزِّيَارَةِ وَ الطَّوَافِ [وَ الرُّكْعِ السُّجُودِ] أَيٰ الْمَصَلِّينَ؛ جَمَعَ رَاكِعٌ وَ سَاجِدٌ. وَ لَتَقَارِبَ الرُّكُوعِ وَ السُّجُودِ ذَاتًا وَ زَمَانًا تَرَكَ الْعَاطِفَ بَيْنَ مَوْصُوفِيهِمَا.

و الجلوس في مسجد الحرام ناظرا إلى الكعبة من جملة العبادات المرضية.

ص: 305

1- يس: 61.

2- البقرة: 24.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرِينَ وَمِائَةَ رَحْمَةٍ تَنْزِلُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، سِتُّونَ لِلطَّائِفِينَ وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ وَعَشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ.

واعلم: أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: «أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتِي» دَخَلَ فِيهِ بِالْمَعْنَى جَمِيعَ بَيْتِهِ، فَيَكُونُ حَكْمُهَا حَكْمَهُ فِي التَّطْهِيرِ، وَخَصَّ الْكَعْبَةَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ هُنَاكَ غَيْرُهُ. وَفِي رُوحِ الْبَيَانِ: فِي الْحَدِيثِ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَوْحِيَ إِلَيَّ: يَا أَخَا الْمُنْذَرِينَ، يَا أَخَا الْمُرْسَلِينَ، أَنْذَرْتُكَ أَنْ لَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بَيْتِي إِلَّا بِقَلُوبٍ سَلِيمَةٍ وَأَلْسِنَةٍ صَادِقَةٍ وَأَيْدِي نَقِيَّةٍ وَفُرُوجٍ طَاهِرَةٍ، وَلَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بَيْتِي مَا دَامَ لِأَحَدٍ عِنْدَهُمْ مَظْلَمَةٌ فَإِنِّي أَلْعَنُهُ مَا دَامَ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى يَرُدَّ تِلْكَ الظَّلَامَةَ إِلَى أَهْلِهَا، فَأَكُونُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ وَيَكُونُ مِنْ أَوْلِيَائِي وَأَصْفِيَائِي وَيَكُونُ جَارِي مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ ضِدٌّ مِثْلُ أَنَّ الْمَظْلَمَةَ عَظِيمَةً، وَرَدَّهَا أَعْظَمَ مِنْهَا.

ثُمَّ أَسْعَ فِي رَدِّ مَظَالِمِ الْخَلْقِ؛ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَا عَلِيُّ رَدِّ دَرَاهِمَ مَظْلَمَةِ أَفْضَلِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَرْبَعِينَ حِجَّةً مَقْبُولَةً، أَوْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا.

وَالانْقِطَاعُ فِي الْخُلُوعِ وَدَوَامِ الذِّكْرِ إِلَى أَنْ يَنْخَرِقَ مِنْ رُوزَنَةِ الْغَيْبِ نُورٌ، وَذَلِكَ نُورُ الْيَقِينِ، فَتَكُونُ بَعْدَ حُصُولِ ذَلِكَ النُّورِ مُؤْمِنًا حَقًّا كَمَا قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحَارِثَ:

كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِكُلِّ حَقِّ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟ فَقَالَ: عَرَفْتُ عَزَّ الدُّنْيَا فَاسْتَوَى عِنْدِي ذَهَبُهَا وَمُدْرَاهَا وَكَأَنِّي بِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ، وَبِأَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَنُونَ، وَكَأَنِّي بِعَرْشِ رَبِّي بَارِزٌ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مُؤْمِنٌ نُورَ اللَّهِ قَلْبَهُ، الْآنَ عَرَفْتَ فَالزَّمْ. وَالْقَلْبُ الْمُؤْمِنُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ فَلَا بَدَّ مِنْ تَصْفِيَّتِهِ حَتَّى تَعَكْفَ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ الْإِلَهِيَّةُ وَتَنْزِلَ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ؛ فَعِنْدَ وَصُولِ الْعَبْدِ إِلَى هَذِهِ الرَّتَبَةِ فَهُوَ مِنَ الرَّكْعِ السَّجْدِ، وَنَاجِيَ اللَّهِ بِسِرِّهِ فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ.

[سورة البقرة (2): آية 126]

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)

[وَأَذَقَالَ إِبْرَاهِيمَ الْمَرَادَ مِنَ الْآيَةِ دَعَاءَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَكَّانِ مَكَّةَ بِالْأَمْنِ وَالسَّعَةِ: [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا] الْمَكَانَ وَهُوَ الْحَرَمَ [بَلَدًا] ذَا أَمْنٍ يَأْمَنُ أَهْلُهُ مِنَ الْمَخَافِ وَالزَّلَازِلِ وَالْخُسْفِ وَالْجُنُونِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَثَلَاتِ الَّتِي تَحِلُّ بِالْبِلَادِ، وَ«أَمْنٌ» مِنْ بَابِ النَّسَبِ، مِثْلُ لَابْنٍ وَتَامِرٍ، وَهَذَا الدَّعَاءُ كَانَ فِي أَوَّلِ مَا قَدَّمَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكَّةَ لَمَّا قَالَتْ لَهُ هَاجِرٌ: إِلَىٰ مِنْ تَكَلَّنَا فِي هَذَا الْبَلْقَعِ؟

[أَمِنًا] مَأْمُونًا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَرِيدُ مَحْرَمًا، لَا يَصَادُ طَيْرُهُ وَلَا يَقَطَعُ شَجَرُهُ وَلَا يُؤْذَى جَارُهُ، وَإِلَىٰ هَذَا الْمَعْنَى يُؤْوِلُ مَا رَوَىٰ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ قَوْلِهِ: مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ مُسْتَجِيرًا بِاللَّهِ فَهُوَ أَمِنَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَ مِنْ دَخَلَهُ مِنَ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ كَانَ أَمِنًا مِنْ أَنْ يَهَاجَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهِيَ حَرَامٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ.

وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ وَأَمْثَالُهَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْحَرَمَ كَانَ أَمِنًا قَبْلَ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ تَأَكَّدَتْ حُرْمَتُهُ بِدَعَائِهِ.

وَقِيلَ: إِنَّمَا صَارَ حَرَامًا بِدَعَائِهِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ كَسَائِرِ الْبِلَادِ وَاسْتَدَلَّ بِصِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ الثَّانِي بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَرَّمَ مَكَّةَ وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ.

وَقِيلَ: كَانَتْ مَكَّةَ حَرَامًا قَبْلَ الدَّعْوَةِ بِوَجْهِ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي صَارَتْ بِهِ حَرَامًا بَعْدَ الدَّعْوَةِ، فَالْأَوَّلُ بِمَنْعِ اللَّهِ إِيَّاهَا مِنَ الْخُسْفِ وَالِانْتِفَاكِ، كَمَا لَحِقَ ذَلِكَ غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ. وَبِمَا جَعَلَ فِي النُّفُوسِ لَهَا مِنَ الْهَيْبَةِ وَالْعِظْمَةِ. وَالثَّانِي بِالْأَمْرِ بِتَعْظِيمِهِ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ وَبِالْمُنَاسِكِ وَآدَابِ الْحَجِّ، فَاجَابَهُ اللَّهُ إِلَىٰ مَا سَأَلَ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ سَأَلَ الْأَمْرِينَ عَلَىٰ أَنْ يَدِيمَهَا وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا مُسْتَأْنَفًا وَالْآخَرَ قَدْ كَانَ.

[وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْمَأْكُولَاتِ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ فِي

ذلك [مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] بدل من «أهله» أي و ارزق المؤمنين خاصة [قال الله: [وَمَنْ كَفَرَ] أي قال الله: فقد استجيب دعوتك فيمن آمن، و من كفر [فَأَمَّتْهُ أَي أمد له ليتناول من لذات الدنيا [قَلِيلًا] تمتيعا قليلا و زمانا قصيرا، و هو مدّة حياته.

[ثُمَّ أَصَّ طَرَّةٌ إِلَى عَذَابِ النَّارِ] و لا شيء أشدّ من عذاب النار، و اضطرارهم وقوعهم فيها بحيث يتعدّر عليهم التخلّص منه، لأنّهم ليسوا مختارين و لا يملكون الامتناع منه [وَبُسِّ الْمَصِيرِ] و المخصوص بالذم محذوف أي بسّ المرجع و المقام المصير إلى النار.

[سورة البقرة (2): آية 127]

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)

[وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ الرِّفْعُ و الإصعاد و الإعلاء نظائر كما أنّ القواعد و الأساس و الأركان نظائر، و أصلها الثبوت و الاستقرار، و قاعدة البناء أساسه الذي بني عليه.

بين سبحانه بناء إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام البيت. و اذكر يا محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم وقت رفع إبراهيم أساس البيت التي كانت قبل ذلك لأنّ أوّل من حجّ البيت آدم عليه السلام.

قال الصادق عليه السلام: و كانت البيت درّة بيضاء، فرفعه الله إلى السماء و بقي أساسه و كان يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك، لا يرجعون إليه أبدا، قاله العياشي بإسناده.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ أوّل شيء نزل من السماء إلى الأرض لهو البيت الذي بمكة أنزله الله ياقوتة حمراء، ففسق قوم نوح في الأرض فرفعه الله.

و كان يرفع إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام أساس الكعبة و يقولان: [رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا] و في قراءة عبد الله بن مسعود بزيادة «و يقولان».

وقيل: إنّ إبراهيم عليه السلام وحده رفع القواعد و كان إسماعيل عليه السلام صغيرا في وقت رفعها، قال الطبرسي: و هو قول شاذّ غير مقبول و الصحيح: كان إبراهيم عليه السلام يبني و إسماعيل عليه السلام يناوله الحجر، و إنّما عبّر بالمستقبل إشعارا في البيان بلفظ الحال،

كانه يراه المخاطب على وجه العيان و المشاهدة و المراد برفع الأساس البناء عليه، لأنّ البناء بنقله من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع.

و كان لإبراهيم عليه السّلام أربعة بنين: إسماعيل و هو المذكور و إسحاق و مدين و مدائن، و قيل: ثمانية: زمران و يفتان و يشبق و نوح؛ و البناء الذي بنى إبراهيم عليه السّلام كان على الأساس الأوّل حسبما ذكر في الحديث.

و كان البناء الأوّل، بناء آدم عليه السّلام بإعانة الملائكة من خمسة أجبل: طور سيناء، طور زيتاء، طور لبنان، طور الجودي، طور حراء.

قال ابن عباس: حجّ آدم عليه السّلام أربعين حجّة من الهند إلى مكّة على رجله، فبقي البيت يطوف به هو و المؤمنون من ولده، إلى أيام الطوفان، فرفعه الله في تلك الأيام إلى السماء الرابعة، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك و بعث الله جبرئيل حتّى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس، صيانة له من الغرق.

و كان موضع البيت خاليا إلى زمن إبراهيم عليه السّلام ثمّ إنّ الله أمر إبراهيم عليه السّلام ببناء البيت، فسأل الله ان يبين له موضعه، فبعث الله جبرئيل فخطّ له موضع البيت فرفع البيت ابراهيم و إسماعيل عليهما السّلام حتّى انتهى إلى موضع الحجر الأسود، فقال لابنه:

يا بنيّ اتّني بحجر ابيض حسن يكون للناس علما، فأتاه بحجر، فقال عليه السّلام: اتّني بحجر احسن من هذا، فمضى إسماعيل عليه السّلام يطلبه، فصاح ابو قبيس: يا إبراهيم إنّ لك عندي وديعة فخذها فإذا هو بحجر ابيض من ياقوت الجنة، كان آدم عليه السّلام قد نزل به من الجنة، او أنزله الله قبل ذلك، فأخذ ابراهيم عليه السّلام الحجر، فوضعه مكانه.

فلما رفع القواعد جاءت سحابة مربّعة فيها رأس، فنادت: أن ارفعا على تربيعي، فهذا بناء إبراهيم و إسماعيل عليهما السّلام.

[رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا] قائلين: يا ربّ تقبّل منّا الطاعات و الدعاء. و الفرق بين التقبّل و القبول أنّ التقبّل على بناء التكلف و يطلق حيث يكون العمل ناقصا لا يستحقّ أن يقبل إلا على طريق التفضّل و الكرم و لفظ القبول لا دلالة فيه على هذا المعنى و لذلك قالوا:

«رَبَّنَا تَقَبَّلْ» اعترافا منهما بالقصور في العمل خضوعا [إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بِجَمِيعِ

[سورة البقرة (2): آية 128]

رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تُبِّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128)

[رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ أي مخلصين و منقادين بالرضاء لكل ما أمرت و قدرت، فإنهما و إن كانا مستسلمين في زمان صدور هذا الدعاء، لكنهما طلبا الزيادة في الخلوص.

[وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ أي و اجعل بعض ذرّيتنا جماعة مسلمة و خصّا البعض من ذرّيتهما لما علما أنّ منهم محسنا و ظالما، و طريق علمهما قوله تعالى «لا ينال عهدِي الظالمين» (1).

[وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا] أي بصرّنا و أعلمنا مواضع نسكنا، أو أعمال الحجّ من قبيل المواقيت و الموقف و موضع الطواف و المسعى وغيرها. و النسك كلّ ما يتعبّد به إلى الله، لكنّه شاع في أعمال الحجّ، و أصل النسيكة شاة كانوا يذبحونها في الجاهليّة.

[وَ تُبِّ عَلَيْنَا] أي ارجع إلينا بالمغفرة و الرحمة، أو تكلمّا بهذه الكلمة على وجه التسييح و الانقطاع و الخضوع إلى الله و قيل: إنهما سألا التوبة على ظلمة ذرّيتهما [إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ القابل للتوبة و الكثير القبول لها، مرّة بعد اخرى المنعم عليهم.

[سورة البقرة (2): آية 129]

رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يَزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)

[رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ الضمير في قوله «فيهم» راجع إلى الامّة المسلمة و المراد بقوله: «وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ» هو نبيّنا محمّد صَلَّى الله عليه و آله و سلّم روي أنّه أجيب بأنّه قد استجيب لك و هو في آخر الزمان؛ و في الحديث: قال النبيّ صَلَّى الله عليه و آله: إنّي عند الله مكتوب خاتم النبيّين و إنّ آدم لمحدل في طينته- أي لملقى على الأرض- و سأخبركم بأول أمري: أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السّلام و بشارة عيسى عليه السّلام و رؤيا امي التي رأت

ص: 310

حين وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام.

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيَبْلِغُهُمْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْهِ مِنْ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَ الشَّرَائِعِ [وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ الْقُرْآنَ] وَ الْحِكْمَةَ] وَ مَا يَكْمَلُ بِهِ نَفْسَهُمْ، وَ كَلَّ كَلِمَةً دَعَتَكَ إِلَىٰ مَكْرَمَةٍ أَوْ نَهَتْكَ عَنْ قَبِيحٍ فَهِيَ حِكْمَةٌ [وَيُزَكِّيهِمْ وَيُطَهِّرُهُمْ عَنْ دَنَسِ الشَّرِكِ وَ الْمَعَاصِي، ثُمَّ بَعْدَ الدَّعَاءِ خَتَمَ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ بِقَوْلِهِ: [إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ] الْغَالِبُ [الْحَكِيمُ الَّذِي لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ.

[سورة البقرة (2): الآيات 130 الى 131]

وَ مَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدْ إِصْدَقْنَا فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131)

[وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الرِّغْبَةُ: الْمَحَبَّةُ وَ الْمَيْلُ لِمَا فِيهِ لِلنَّفْسِ مَنَفَعَةٌ «مِنْ» اسْتِفْهَامِيَّةٌ، قَصْدٌ بِهَا التَّقْرِيعُ وَ الْإِنْكَارُ، وَ رَغْبٌ فِي الشَّيْءِ: إِذَا أَرَادَهُ، وَ رَغْبٌ عَنْهُ: إِذَا تَرَكَهُ.

أَيُّ لَا يَتْرُكُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَدٌ وَ لَا يُعْرَضُ عَنْ شَرِيعَتِهِ وَ طَرِيقَتِهِ [إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ جَعَلَهَا ذَلِيلًا وَ مَهِينًا، قِيلَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ سَلَّمَ دَعَا ابْنِي أَخِيهِ سَلْمَةَ وَ مَهَاجَرَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَ قَالَ لَهَا: قَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي التَّوْرَةِ: إِنِّي بَاعَثْتُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا اسْمُهُ أَحْمَدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَى وَ مَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ فَهُوَ مُلْعُونٌ فَأَسْلَمَ سَلْمَةُ وَ مَهَاجَرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ.

[وَ لَقَدْ إِصْدَقْنَا فِي الدُّنْيَا] مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْخَلْقِ بِالنَّبُوَّةِ وَ الْحِكْمَةِ [وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ] مِنَ الْمَشْهُودِ لَهُمُ بِالثَّبَاتِ وَ الصَّلَاحِ، وَ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ حَقِيقًا بِالِاتِّبَاعِ. وَ لَا يُرْغَبُ عَنْ مِلَّتِهِ إِلَّا سَفِيهٌ يَفْعَلُ أَعْمَالَ السُّفَهَاءِ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ.

[إِذْ قَالَ ظَرْفٌ لِاصْطَفَيْنَاهُ. فِي وَقْتٍ قَالَ [لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ وَ أَخْلَصْ دِينَكَ لِرَبِّكَ وَ اسْتَقِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَ ذَلِكَ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْغَارِ وَ نَظَرَ إِلَى الْكَوْكَبِ وَ الْقَمَرِ وَ الشَّمْسِ، فَأَلْهَمَهُ اللَّهُ الْإِخْلَاصَ [قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَ أَخْلَصْتُ دِينِي لَهُ.

قال أهل التفسير: إن إبراهيم عليه السلام ولد في زمن النمرود بن كنعان، و كان

النمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته، و كان له كهّان و منجّمون، فقالوا له: إنّه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغيّر دين أهل الأرض و يكون هلاكك و زوال ملكك على يديه، قالوا: فأمر بذبح كلّ غلام يولد في ناحيته في تلك السنة، فلمّا دنت ولادة أمّ إبراهيم عليه السّلام و أخذها المخاض خرجت هاربة، مخافة أن يطلّع عليها فيقتل ولدها، فولدت في نهر يابس، ثمّ لفتته في خرقة و وضعته في حلفاء، ثمّ رجعت و أخبرت زوجها بأنّها ولدت و أنّ الولد في موضع كذا، فانطلق أبوه و أخذه من ذلك المكان و حفر له سربا في الأرض كالمغارة، فواراه فيه و سدّ عليه بابه بصخرة مخافة السباع.

و كانت أمّه يختلف إليه فترضعه. و كان اليوم على إبراهيم عليه السّلام في الشباب و القوّة كالشهر في حقّ سائر الصبيان، و الشهر كالسنة، فلم يمكث إبراهيم عليه السّلام في المغارة إلّا خمسة عشر شهرا، أو سبع سنين، أو أكثر.

فلمّا شبّ إبراهيم عليه السّلام في السرب، قال لأُمّه: من ربّي؟ قالت: أنا، قال:

فمن ربّك؟ قالت: أبوك، قال: فمن ربّ أبي؟ قالت: اسكت، فأتى إبراهيم عليه السّلام أباه آزر و قال: يا أباه من ربّي؟ و كان آزر، عمّه و يطلق الأب على العمّ تغليبا؛ لأنّ العمّ أب و النخالة أمّ، لا نخراطهما في سلك واحد و هو الاخوة، لا تفاوت في أغلب الأمور بينهما، كما قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: عمّ الرجل صنو أبيه و لا تفاوت بين صنوي النخلة.

و بالجملة، لمّا قال إبراهيم عليه السّلام لآزر: من ربّي؟ قال آزر: أمك، قال:

فمن ربّ أمّي؟ قال: أنا، قال: فمن ربّك؟ قال: النمرود، قال: فمن ربّ النمرود؟

فلطمه لطمه و قال له: اسكت.

فلمّا جنّ عليه الليل، دنا إبراهيم عليه السّلام من السرب، فنظر من خلال الصخرة، فرأى السماء و ما فيها من الكواكب، فتفكّر في خلق السماوات، فقال: إنّ ربّي الذي خلقني و رزقني و أطعمني و سقاني مالي إله غيره، ثمّ نظر في السماء، فرأى كوكبا، قال: هذا ربّي، ثمّ أتبعه بصره، ينظر إليه حتّى غاب، فلمّا أفل قال: لا

احبّ الأفلين، ثم رأى الشمس والقمر، فقال فيهما كما قال في حقّ الكواكب.

واختلف في هذا البيان؛ فبعض أجراه على الظاهر وقالوا: كان إبراهيم عليه السلام في ذلك الوقت مسترشدا، طالبا لمعرفة التوحيد وكان ذلك الأمر في حال طفوليّته قبل أن يجري عليه القلم، فلم يكن كفرا ولم يضرّه ذلك في الاستدلال.

وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا: كيف يتصوّر من مثله أن يرى كوكبا ويقول: هذا ربّي معتقدا؟ وإمّا قال ذلك في مقام الاحتجاج على الخصم، ولإثبات التوحيد وإلزام الطرف وكان مستسلما لربّه الكريم وعلى الصراط المستقيم.

في كتاب السماء والعالم، في النجوم، بإسناده عن الكلينيّ -ره- في كتاب تعبير الرؤيا، عن محمد بن منام، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قوم يقولون: النجوم أصحّ من الرؤيا، وذلك كان صحيحا حتّى لم يردّ الشمس على يوشع بن نون وعليّ بن أبي طالب عليهما السلام فلما ردّ الله الشمس عليهما، ضلّ فيها علماء النجوم.

في الكافي، عن هشام الخفّاف، قال: قال الصادق عليه السلام: يا هشام، كيف نظرك بالنجوم؟ قلت: ليس بالعراق أحد أبصر منّي في النجوم، فقال عليه السلام: كيف دوران الفلك عندكم؟ قال هشام: فأخذت قلنسوتي من رأسي فأدرتها، فقال عليه السلام: إن كان كذلك، فما بال بنات النعش والجدي والفرقدين لا يرون يدورون يوما من الدهر في القبلة؟.

ثمّ قال عليه السلام: يتقابلان ملكان للحرب وحاسبان لهما، فيحسب هذا لصاحبه بالظفر، ثمّ يلتقيان فيهزم أحدهما الآخر، أو يجيء ملك آخر، فيهزم مهما، فأين كانت النجوم؟

ثمّ قال عليه السلام: إنّ أصل الحساب في النجوم حقّ ولكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق كلّهم.

قال المجلسي: وبالجملة من أدلّ الدلائل على بطلان قول المنجمين أنّا قد علمنا أنّ من جملة معجزات الأنبياء الإخبار عن الغيوب وعدّ ذلك خارقا للعادات، كإحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص ولو كان العلم بما يحدث طريقا نجوميا، لم

يكن ما ذكرناه معجزا ولا خارقا للعادة وكيف يشتبه على مسلم بطلان أحكام النجوم وقد أجمع المسلمون قديما و حديثا على تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم؟ و معلوم من دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ضرورة التكذيب بما يدعيه المنجمون. وفي الروايات عنه صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ما لا يحصى فأما ما أصابتهم في الإخبار عن الكسوف والخسوف وأمثالهما فالفرق بينها وسائر ما يخبرون به من تأثيرات الكواكب أنّ الكسوفات والافتقانات والانفصالات طريقه الحساب وسير الكواكب، وله اصول صحيحة وقواعد سديدة، وليس كذلك ما يدعونه من تأثيرات الكواكب في الخير والشر والنفع والضرر، فيقع فيها خطأ وكذب كثير.

قوله تعالى: «فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ» استشكل بعض في هذه الآية بوجهين: أحدهما أنه حكى عن بيّنة النظر في النجوم مع أنه ممنوع، والآخر قوله: «إِنِّي سَقِيمٌ» وذلك كذب.

وأجاب السيّد المرتضى في كتاب تنزيه الأنبياء بوجوه.

الأول أنّ إبراهيم عليه السلام كانت به عدّة تأتيه في أوقات مخصوصة، فلما دعوه إلى عيدهم بالخروج معهم نظر إلى النجوم ليعرف نوبة علته، فقال: إِنِّي سَقِيمٌ، أي شارفت الدخول فيها والعرب تسمي الشارف للشيء الداخل فيه، كما قال: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ». (1) فلو قيل: على هذا يكون يقول: فنظر إلى النجوم لأنّ لفظة «في» لا تستعمل إلاّ فيمن ينظر كما ينظر المنجم؛ فالجواب: إنّ حروف الصفات يقوم ويستعمل بعضها مقام بعض، مثل قوله: «وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ» (2) وإّما أراد: على جذوع النخل ويجوز أن يكون معناه: أنّه شخص ببصره إلى السماء، كما يفعل المتفكّر والمتأمل استعانة على فكره وعذره في الجواب.

قال العلامة المجلسي: ويمكن أن يقال: إنّ حرمة النظر في علم النجوم على

ص: 314

1- الزمر: 31.

2- طه: 74.

الأنبياء و الأئمة العالمين بها حق العلم غير مسلم و إنما يحرم على غيرهم لعدم إحاطتهم بهذا العلم.

و يؤيد هذا الكلام ما في كتاب الاحتجاج عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن، فسلم عليه، فردّ عليه، فقال له:

مرحبا يا سعد، فقال له الرجل: بهذا الاسم سمّيتي أمي، و ما أقلّ من يعرفني به! فقال عليه السلام: صدقت يا سعد المولى، فقال له الرجل: بهذا كنت ألقب، قال: لا خير في اللقب؛ قال الله: «و لا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ» ثم قال عليه السلام: ما صناعتك يا سعد، قال:

أنا من أهل بيت ننظر في النجوم و لا يقال: إنّ باليمن أحدا أعلم بالنجوم منّا.

فقال عليه السلام: فكم ضوء المشتري على ضوء القمر درجة؟ فقال اليماني: لا أدري:

فقال عليه السلام: فكم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة؟ فقال اليماني: لا أدري.

فقال الصادق عليه السلام: فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الإبل؟ فقال اليماني:

لا أدري.

قال عليه السلام: فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر؟ قال: لا أدري، قال عليه السلام:

فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الكلاب؟ فقال لا أدري.

قال عليه السلام: فما زحل عندكم في النجوم؟ قال اليماني: نجم نحس، فقال عليه السلام:

لا تقل هذا؛ فإنه نجم أمير المؤمنين و هو نجم الأوصياء و هو النجم الثاقب الذي ذكره الله في القرآن، فقال اليماني: فما معنى الثاقب، فقال عليه السلام: إنّ مطلعته في السماء السابعة و إنّه ثقب بضوئه حتّى أضاء في السماء الدنيا.

و الحديث طويل إلى أن يقول عليه السلام: و إنّ عالم المدينة- و المراد نفسه النفيسة- لا يقفو الأثر، أي لا يحتاج في علمه بالحوادث إلى تلك الأمور، بل يعلم في لحظة واحدة بما أعطاه الله من العلم ما يقع فيما يطلع عليه الشمس و تقطعه و اثنا عشر عالما من أصناف الخلق و منها جابلقا و جابرسا، يعني إذا أراد يعلم ما يحدث في اللحظة الواحدة، في جميع تلك العوالم.

و في كتاب الاحتجاج عن سعيد بن جبير: قال: استقبل أمير المؤمنين دهبان من

دهاقين الفرس، فقال له بعد التهنتة: يا أمير المؤمنين، تناحست النجوم الطالعات وإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء و يومك هذا يوم صعب، قد انقلب فيه كوكبان و انقدح من برجك النيران و ليس لك الحرب بمكان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

يا دهقان المنبئ بالآثار؛ المحدّر من الأقدار، ما قصّة صاحب الميزان و قصّة صاحب السرطان؟ و كم بين السراري و الذراري؟ قال: الدهقان سأنظر، و أوأ بيده إلى كمّ و أخرج أسطرلابا، ينظر فيه، فتبسّم عليه السّلام، فقال: أتدري ما حدث البارحة وقع بالصين و انفرج برج ماجين و سقط سور سرانديب و انهزم بطريق الروم يارمنيّة و فقد ديّان اليهود بإيلة و هاج النمل بوادي النمل و هلك ملك إفريقيّة، أ كنت عالما بهذا؟ قال:

لا يا أمير المؤمنين، فقال عليه السّلام: البارحة سعد سبعون ألف عالم و ولد في كلّ عالم سبعون ألفا، و الليلة يموت مثلهم و هذا منهم (و أوأ بيده إلى سعد بن سعدة الحارثي و كان جاسوسا للخوارج في عسكره- عليه السّلام- فظنّ الملعون أنّه يقول: خذوه، فأخذ بنفسه، فمات) فخرّ الدهقان ساجدا.

في كتاب الدرّ المنثور: قيل: السبب في كراهة علم النجوم لسبب الاختلاف الذي وقع فيها، كما نقله عطاء، فحينئذ لا يمكنهم الحساب و الحكم الواقعيّ على الكواكب و حركاتها فيكذبون؛ أو من جهة أنّه يصير سببا لترك الأمور الضروريّة بسبب علمهم بما يترتب على حسابهم.

[سورة البقرة (2): آية 132]

وَ وَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (132)

. [و وصّى التوصية: تقديم ما فيه خير و صلاح من قول أو فعل إلى الغير، دينيا أو دنيويا [بها] أي بالمدّة المذكورة في قوله تعالى: «و مَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ» [إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ أي أولاده المذكورين [و يَعْقُوبُ عطف على إبراهيم، أي وصّى يعقوب أيضا بنيه بهذه الوصية. و يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم، «بنيهِ» الاثني عشر: روبيل و شمعون و لاوي و يهودا و يستسوخور و زبولون و نوانا و نفتونا و كوزا و اوشير و بنيامين و يوسف.

وعاش يعقوب مائة و سبعا و أربعين سنة بأرض مصر و أوصى أن يحمل إلى الأرض المقدسة و يدفن عند أبيه إسحاق، فحمله يوسف فدفنه عنده [يا بَنِيَّ عَلَى إِضْمَارِ الْقَوْلِ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ، تَقْدِيرُهُ: وَصَّى وَقَالَ: يَا بَنِيَّ وَ ذَلِكَ جَمَلَةٌ وَ الْجَمَلَةُ لَا يَقَعُ مَفْعُولًا إِلَّا لِأَفْعَالِ الْقُلُوبِ أَوْ فَعَلَ الْقَوْلَ عِنْدَهُمْ [إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ أَي دِينَ الْإِسْلَامِ وَ لَا دِينَ عِنْدَهُ غَيْرَهُ [فَلَا تَمُوتُنَّ أَي لَا يَكُونُ يَصَادِفُكُمُ الْمَوْتُ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَ مَخْلُصُونَ بِالتَّوْحِيدِ وَ ذَلِكَ حِينَ دَخَلَ يَعْقُوبُ مِصْرَ، فَرَأَى أَهْلَهَا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَأَوْصَى بَنِيَهُ بِأَنْ يَثْبُتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَنَسَ وَ عَاشَرَ بِأَهْلِ الشِّرِّ يَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ.

كتب بعض العلماء إلى تلميذ له: أما بعد، فإنك قد أصبحت تأمل الدنيا بطول عمرك و تتمنى على الله الأمانى بسوء فعلك، و إنما تضرب حديدا باردا، و السلام.

و حسن الظنّ بالله إنما يعتبر بعد إصلاح الحال بالأخلاق و الأعمال و اليقين.

و القائلون بالطباع، هم الذين يسندون الأفعال إلى مجرد الطباع و هو قول سخيّف و كفر و باطل؛ فإنّ الطبيعة قوّة جسمانيّة، و كلّ جسم محدث؛ فكلّ قوّة جسمانيّة، و كلّ جسم محدث؛ فكلّ قوّة حالة فهي محدثة تفتقر إلى محدث غير طبيعيّة و إلاّ لزم التسلسل، فلا بدّ من القول بالصانع.

[سورة البقرة (2): آية 133]

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133)

[أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ رَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ نَزَلَتِ الْآيَةُ حِينَ قَالَتِ الْيَهُودُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ يَعْقُوبَ أَوْصَى بَنِيَهُ بِالْيَهُودِيَّةِ يَوْمَ مَاتَ؟ فَأَجَابَ اللَّهُ هَلْ كُنْتُمْ حَاضِرِينَ حِينَ احْتَضَرَ يَعْقُوبَ وَ قَالَ لِبَنِيهِ مَا قَالَ؟ أَي مَا كُنْتُمْ حَاضِرِينَ وَ قَتَلَ مَوْتَهُ لَمَّا قَالَ [لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي أَي شَيْءٍ تَعْبُدُونَهُ؟ فَلَا تَدْعُوا وَ تَتَسَبَّأُوا إِلَى رَسُلِي الْإِبْطَالِ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَ النَّصْرَانِيَّةِ، فَإِنِّي مَا بَعَثْتُهُمْ إِلَّا بِالْحَنِيفِيَّةِ، وَ إِنَّمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«مَا تَعْبُدُونَ» و لم يقل: «من تعبدون» لأنّ الناس كانوا يعبدون الأصنام.

[قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ أَي نَعْبُدُ الْإِلَهَ الْمَتَّقَ

على وجوده، وجعل إسماعيل وهو عمّه من جملة الآباء، تغليبا للأب والجدّ، فثبت بهذا أنّ العمّ يطلق على الأب كما أشرنا إليه في قصّة أزر [إلهاً واحداً] بدل من «إله آبائك» [وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] حال من فاعل نعبد.

[سورة البقرة (2): آية 134]

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)

[تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ] تلك إشارة إلى الامّة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهم؛ أي جماعة قد مضت بالموت وأصله: صارت إلى الخلا و هي الأرض التي لا أنيس بها [لَهَا مَا كَسَبَتْ] أي لها كسبها لا كسب غيرها [وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ] لا كسب غيركم [وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ] أي لا تؤاخذون بسيئات الامّة الماضية.

و حاصل المعنى أنّ اليهود لمّا كانوا مفتخرين بأوائهم فردّهم الله بأنّهم لا ينفعهم اتسابهم إليهم وإنّما ينفعهم اتّباعهم في الأعمال، فإنّ أحدا لا ينفعه كسب غيره، كما قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

و ما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة

[سورة البقرة (2): آية 135]

وَ قَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135)

[وَ قَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى] .

النزول: عن ابن عبّاس أنّ جماعة من اليهود و جماعة من النصارى من أهل نجران خاصموا المسلمين، كلّ فرقة منهم تزعم أنّها أحقّ بدين الله من غيرها، فقالت اليهود: نبيّنا موسى أفضل الأنبياء و كتابنا التوراة أفضل الكتب، و قالت النصارى:

نبيّنا عيسى أفضل الأنبياء و كتابنا الإنجيل أفضل الكتب، و كلّ فريق منهما قالوا للمؤمنين: كونوا على ديننا، فنزلت الآية.

[وَ قَالُوا] أي رؤساء اليهود و رؤساء النصارى للمسلمين: كونوا على ديننا [تَهْتَدُوا] جواب للأمر، أي: إن تكونوا كذلك، تجدوا الهداية [قُلْ يَا مُحَمَّدٌ صَلّى الله عليه وآله وسلّم لهم: [بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ] أي أهل ملّته و دينه على حذف المضاف، أي بل نتبع ملّته [حَنِيفاً] أي مائلاً

عن كل دين باطل إلى دين الحق و هو حال من إبراهيم، و تذكر «حَنِيفًا» بتأويل الملة بالدين [و ما كان من المُشْرِكِينَ تعريض بهم بالشرك، بقولهم: «عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ»].

[سورة البقرة (2): آية 136]

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ وَ مَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)

[قُولُوا] أيها المؤمنون: [آمَنَّا بِاللَّهِ وحده [و ما أُنزِلَ إِلَيْنَا] أي بالقرآن الذي انزل على نبينا، و الإنزال إليه إنزال إلى امته [و ما أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ من صحفه العشر، و ما انزل إلى [إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ إِلَىٰ [الْأَسْبَاطِ] و المراد هنا أولاد يعقوب، و السبط: أصل شجرة واحدة لها أغصان كثيرة، و سبط الرجل: ولد ولده، و الأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب و الشعوب من العجم، و الصحف و إن كانت نازلة إلى إبراهيم، لكن من بعده حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها جعلت منزلة إليهم، كما جعل القرآن منزلا إلينا.

[و ما أُوتِيَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ من التوراة و الإنجيل [و ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ جملة المذكورين منهم و غير المذكورين [مِنْ رَبِّهِمْ في موضع الحال من العائد المحذوف و التقدير: و ما أُوتيه النبيون منزلا عليهم من ربهم.

[لَا- نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ كاليهود فنؤمن ببعض و نكفر ببعض؛ لأنه اتحدوا في الأصول و كلهم على كلمة واحدة في الأصول [و نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ أي و الحال: أنا مخلصون لله و مدعونون.

[سورة البقرة (2): آية 137]

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137)

[فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ أخبر الله أن هؤلاء الكفار متى آمنوا على حد ما آمن المؤمنون به [فَقَدِ اهْتَدَوْا] إلي طريق الجنة و سلكوا طريق الاستقامة و حصل بينكم الاتفاق [وَ إِنْ تَوَلَّوْا] و أغضوا عن الإيمان على الوجه المذكور بأن أخلوا

بشيء من ذلك [فإنما هم في شقاقٍ أي مستقرّون في خلاف عظيم، بعيد عن الحقّ، فقوله: «في شقاقٍ» خبر لقوله: «هم» و جعل الشقاق لهم وهم مطروفون له مبالغة في الإخبار باستيلائه عليهم، فكان كلّ واحد من الفريقين في شقّ غير شقّ صاحبه.

ثمّ عبّ سبّحانه بتسليّة الرسول و ضمان التأييد بقوله [فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ أَمْرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، و يدفع شرّهم عنك و ينصرك عليهم، و قد أنجز الله وعده له بالقتل و الجزية و الذلّة في نصارى نجران] وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ يسمع ما تدعوه و يعلم ما في قلبك.

[سورة البقرة (2): آية 138]

صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)

«الصبغة» من الصبغ، كالجلسة من الجلوس و هي الحالة التي تقطع عليها الصبغ.

عبّر بها عن الإيمان و مستعارة لفطرة الله التي فطر الناس عليها و تقدير الكلام: صبغنا الله صبغة و فطرنا و خلقنا على استعداد الإيمان، أو ألزموا صبغة الله و تطهير الله، لا صبغتكم و تطهيركم. و عبّر عن لفظ الإيمان و الفطرة بلفظ الصبغة لوقوعه في صحبة صبغة النصارى؛ إذ كانوا يصبغون أولادهم في سابع الولادة مكان الختان للمسلمين، بغمسهم في الماء الأصفر الذي يسمّونه المعموديّة، و هي اسم ماء غسل به عيسى فمزّجوه بماء آخر و كلّما يستعملوا منه جعلوا مكانه ماء آخر و هو علامة تنصّرتهم و لا يتحقّق التنصّر إلا بهذا الفعل.

[وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً] و الاستفهام بمعنى الجحد، و «مَنْ أَحْسَنُ» مبتدأ و خبر، و التقدير: و من صبغته أحسن من صبغة الله؟ و أيّ شخص تكون صبغته أحسن من صبغة الله؟ فإنه يصبغ و يميّز عباده بالإيمان و يطهّرتهم به [وَنَحْنُ لَهُ أَيْ لِلَّهِ، أَوْلَانَا تِلْكَ النِّعْمَةُ] عَابِدُونَ و تقدّم الظرف للاهتمام و رعاية الفواصل و هو عطف على آمنّا، فإذا كان حرفة العبد العبادة فقد زينّ نفسه بصبغ حسن.

قال بعض العلماء: لا يكمل التعبّد لأحد حتّى لا يجزع من أربعة: من الجوع و العرى و الفقر و الذلّ، و للعبد أوقات، فإذا كان في الطاعة فعلية بتخليصها، و إذا كان في النعمة فعلية بشكرها و إذا كان في البليّة فعلية بالصبر عليها و الرضى، و إذا كان في المعصية

فبتدراكها سريعا بالتوبة و لكل وقت منها سهم في العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، فمن راقب الأوقات الأربع وصل إلى الدرجات.

نقل أن السري السقطي قال: مكثت عشرين سنة أفيض خلق الله، فلم يقع في شبكتي إلا واحد كنت أتكلم في المسجد الجامع ببغداد يوم الجمعة و قلت: عجبت من ضعيف عصي قويا؛ فلما كان يوم السبت و صليت الغداة إذا أنا بشاب قد وافى و خلفه غلمان و حاشية و هو راكب على دابته، فقال: أيكم السري، فأوما جلسائي إليّ فسلم عليّ و جلس و قال: سمعتك تقول: عجبت من ضعيف عصي قويا، فما أردت به؟

فقلت: ما ضعيف أضعف من بني آدم، و لا قوي أقوى من الله تعالى و قد تعرض ابن آدم مع ضعفه إلى معصيته قال: فبكى الشاب.

ثم قال: يا سري، هل يقبل ربك غريقا مثلي؟ قلت: و من ينقذ الغرقى إلا الله؟ قال يا سري إن عليّ مظالم كثيرة كيف أصنع؟ قال: إذا صححت الانقطاع إلى الله أرضى عنك الخصوم، بلغنا عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: إذا كان يوم القيامة و اجتمع الخصوم على وليّ الله، و كل لكلّ منهم ملكا يقول: لا ترؤعوا وليّ الله، فإنّ حقكم اليوم على الله، فبكى الشاب.

ثم قال: صف لي الطريق إلى الله، فقلت: إن كنت تريد المقتصدين فعليك بالصيام و القيام و ترك الآثام، و إن كنت تريد طريق الأولياء فاقطع العلائق و اتصل بخدمة الخالق فبكى حتى بلّ منديلا له، و انصرف و كان من أمره كيت و كيت من ترك الدنيا و السكون في المقابر و تغير الحال حتى توفي على تلك الحالة، قال السري: فحلمت يوما عينايا فإذا به يزمل في السنندس و الإستبرق و يقول لي: جزاك الله خيرا، فقلت له:

ما فعل الله بك؟ قال: أدخلني الجنة و لم يسألني عن ذنب. انتهى.

[سورة البقرة (2): آية 139]

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَ هُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ وَ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139)

[قُلْ يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لليهود و النصارى: [أَتُحَاجُّونَنَا] أ تُخاصموننا [فِي اللَّهِ؟] أي في دين الله، و تدعون أن دينه الحق هو اليهودية و النصرانية و تبنون دخول الجنة

عليهما و تقولون تارة: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، و تارة تقولون:

كونوا هودا أو نصارى تهتدوا [وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَ الْحَالُ أَنَّهُ لَا وَجْهَ لِلْمُجَادَلَةِ؛ لِأَنَّهُ مَالِكُ أَمْرِنَا وَ أَمْرِكُمْ] [وَلَنَا أَعْمَالُنَا] الحسنة الموافقة لأمره [وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ السَّيِّئَةُ الْمُخَالَفَةُ لِحُكْمِهِ، فَكَيْفَ تَدْعُونَ أَنْتُمْ أَوْلَى بِاللَّهِ؟] [وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ لَا نَبْتَغِي إِلَّا وَجْهَهُ وَ أَنْتُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ. وَ الْإِخْلَاصُ تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ عَنِ الشَّرْكِ وَ الرِّيَاءِ وَ الدُّنْيَا وَ مِلْحَظَةُ الْمَخْلُوقِينَ.

[سورة البقرة (2): آية 140]

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140)

[أَمْ تَقُولُونَ «أَمْ» معادلة للهمزة في قوله: «أَتَحَاجُّونَنَا» و المراد إنكار كلا الأمرين أي أتحاجونا في دين الله أم تقولون: إن الأنبياء كانوا على دينكم؟ فبأي الحجبتين تتعلقون في إقامة الحجّة على حقيقتهم و تدعون [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطَ] و هي حفدة يعقوب و هم أولاد أولاده الاثنى عشر [كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى وَ تقولون: نحن مقتدون بهم؟ و كيف تقولون في حق الأنبياء الذين بعثوا قبل نزول التوراة و الإنجيل: إنهم كانوا هودا أو نصارى و من المحال أن يقتدي المتقدم بالمتأخر و يستن بسنته؟

[قُلْ يَا مُحَمَّدُ] [أَأَنْتُمْ] و الهمزة للإنكار [أَعْلَمُ بدينهم] [أَمْ اللَّهُ أَعْلَمُ؟] [وَمَنْ أَظْلَمُ] و الاستفهام في قوله «و من» بمعنى النفي [مِمَّنْ كَتَمَ] و أخفى و ستر عن الناس [شَهَادَةً] ثابتة [عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ] أي و ما أحد أظلم ممن يكون عنده شهادة من الله فيكتمها و ادعى أن الأنبياء كانوا على دينهم، و المراد من هذا الكتمان أن الله بين في كتابه صحّة نبوة محمد صلى الله عليه و آله و سلّم و البشارة.

وقيل: المراد بالشهادة في الآية و كتمانها أن إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و أولاده كانوا حنفاء مسلمين فكتموا هذه الشهادة و ادّعوا أنهم كانوا على دينهم فهذه شهادة كانت من الله عندهم و كتموها.

وقيل في معنى الآية: إن المراد من أظلم في كتمان الشهادة من الله لو كتمها، أي إنه يلزمكم أنه لا أحد أظلم من الله إذ كتم شهادة عنده و أوقع عباده في الضلال وهو الغني عن ذلك، ولو كانوا هودا أو نصارى لأخبر بذلك.

[وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ فَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنَ الْجَزَاءِ مِنْ مَفْتِرِيَاتِكُمْ فِي دِينِ اللَّهِ.]

[سورة البقرة (2): آية 141]

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141)

قد مضى تفسيره، والوجه في تكراره أنه عنى بالأول إبراهيم ومن ذكر معه من الأنبياء، والثاني أسلاف اليهود: وإذا اختلف الأزمان والمواطن لم يكن التكرار معيبا بل يكون لازما.

وحاصل آخر للآية وذكرها: وهو أنه لو سلم لكم ما ادّعيتم من أن الأنبياء كانوا على دين اليهودية والنصرانية فليس لكم فيه حجة لأنه لا يمتنع اختلاف الشرائع بالمصالح؛ فله أن ينسخ من الشرائع ما شاء ويقر منها ما شاء على حسب ما يقتضيه حكمته وأمره.

[سورة البقرة (2): آية 142]

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142)

[سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والنصارى والمشركين، وإثما كانوا سفهاء لأنهم رغبوا عن ملة إبراهيم وقد قال سبحانه:

«وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» أي أذلها بالجهل.

وحاصل المعنى أن الذين ضعفت عقولهم من الناس: [ما ولّاهم عن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا] «ما» استفهامية إنكارية مرفوعة المحلّ على الابتداء و«ولّاهم» خبره، أي أي شيء صرفهم. والقبلة من المقابلة لأن المصلي يقابلها وحولهم عن قبلتهم وهي البيت المقدس، ثم انصرفوا منها إلى الكعبة لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى إلى البيت المقدس بعد مقدمه المدينة نحو من سبعة عشر شهرا تأليفا لقلوب اليهود ثم صارت الكعبة قبلة المسلمين إلى نفع الصور.

قُلْ يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُمْ: [لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ أَيُّ الْأَمْكِنَةِ بِأَسْرَهَا لَهُ مَلَكًا وَتَصَرَّفًا فَلَا يَسْتَحِقُّ شَيْءٌ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ لِدَاثِهِ قَبْلَةً حَتَّى يَمْتَنِعَ إِقَامَةً غَيْرَهُ مَقَامَهُ، فَلَهُ أَنْ يَأْمُرَ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى جِهَةٍ مِنْ تِلْكَ الْجِهَاتِ عَلَى حَسَبِ مَشِيئَتِهِ، فَاللاتِقُ بِالمَخْلُوقِ أَنْ يَطِيعَ خَالِقَهُ فَإِنَّ الطَّاعَةَ لَيْسَتْ إِلَّا الِامْتِثَالَ وَ لَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَحَرَّى خُصُوصِيَّةً فِي المَأْمُورِ بِهِ أَمْرًا زَائِدًا عَلَى الأَمْرِ وَأَنَّ اليَهُودَ أَحَبُّوا جِهَةَ المَغْرِبِ حَيْثُ زَعَمُوا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي جَانِبِ المَغْرِبِ، فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَوَحْيِهِ، وَالنَّصَارَى أَحَبُّوا جِهَةَ المَشْرِقِ حَيْثُ زَعَمُوا أَنَّ مَرْيَمَ حِينَ خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَالَتْ إِلَى جِهَةِ المَشْرِقِ كَمَا قَالَ اللَّهُ: «وَ اذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا» (1) وَ الْمُؤْمِنُونَ اسْتَقْبَلُوا الكَعْبَةَ طَاعَةً لِلَّهِ وَ امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ، لَا تَرْجِيحًا لِبَعْضِ الْجِهَاتِ مَعَ أَنَّهَا قَبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ وَ مَوْلِدُ نَبِيِّهِمْ.

[يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَ هُوَ التَّوَجُّهُ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ تَارَةً وَ الكَعْبَةَ أُخْرَى.

[سورة البقرة (2): آية 143]

وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِدًا وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرُّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (143)

[وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا] الكاف للتشبيه، وَ المشبَّه به الاصطفاء عن إِبْرَاهِيمَ، أَي فَمَا اصْطَفَيْنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الدُّنْيَا فَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا، وَ المشبَّه به الهداية أَي كَمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ بِالْهُدَايَةِ كَذَلِكَ أَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ بِأَنْ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.

أَوْ المَعْنَى: كَمَا هَدَيْنَاكُمْ إِلَى أَوْسَطِ القَبْلِ، كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا، وَ الوَسْطُ هُوَ العَدْلُ كَمَا رَوَى عَنْ أَبِي سَعِيدِ الخَدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: أُمَّةً وَسَطًا أَي عَدْلًا، وَ خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَطُهَا أَي أَعْدَلُهَا؛ قَالَ زَهْرِي:

ص: 324

1- مريم: 17.

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي العظام

فمدحهم الله بكونهم عدولا و لذلك جعلهم شهودا، كما قال: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» (1) و ذلك لأنهم متوسطون في الدين بين المفرط و الغالي؛ فلا قصرُوا كتقصير اليهود حيث قتلوا أنبياءهم و حرّفوا التوراة، و لم يغفلوا كما غلت النصراني فجعلوا له تعالى ابنا و إلهها.

[لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ رَوَى الْحَاكِمُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَكَانِيُّ فِي كِتَابِ شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ سَلِيمِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّا عَنِ بَقُولِهِ:

«لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» بِأَعْمَالِهِمْ، فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَاهِدٌ عَلَيْنَا وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَحُجَّتُهُ فِي أَرْضِهِ وَنَحْنُ الَّذِينَ قَالَ تَعَالَى: «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ».

أَوْ يَكُونَ الرَّسُولُ أَي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [عَلَيْكُمْ شُهَدَاءٌ] فَلَوْ قِيلَ: إِنَّ الشَّهَادَةَ إِذَا كَانَتْ ضَارَّةً تَتَعَدَّى بَعْلَى وَإِذَا كَانَتْ نَافِعَةً تَتَعَدَّى بِاللَّامِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ كَلِمَةِ «عَلَى» تَضَمَّنَ مَعْنَى الرَّقِيبِ وَ الْمَطَّلَعِ، فَحَسَّنَ التَّعْبِيرَ بَعْلَى.

[وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا] وَ هِيَ الْكَعْبَةُ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ - وَ هُوَ بِمَكَّةَ - مَأْمُورًا بِأَنْ يَصَلِّيَ إِلَى الْكَعْبَةِ، ثُمَّ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَمَرَ بِالصَّلَاةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ، ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ وَ الْمَعْنَى: مَا رَدَدْنَاكَ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ وَ عَلَى اسْتِقْبَالِهِ [إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى مَا أَمَرَ بِهِ] مِمَّنْ يَنْقَلِبُ وَ يَنْصَرِفُ [عَلَى عَقْبِيهِ الْعَقَبُ مُؤَخَّرَ الْقَدَمِ مُسْتَعَارًا لِلارْتِدَادِ وَ الرَّجُوعِ عَنِ الدِّينِ وَ الطَّرِيقِ.

أَي لِيَتَمَيَّزَ الثَّابِتُ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْمُرْتَدِّ، وَ اللَّازِمُ مِنَ الْعِلْمِ التَّمْيِيزُ وَ تَسْمِيَةُ الْمَلْزُومِ بِاسْمِ اللَّازِمِ وَ بِالْعَكْسِ شَائِعٌ، وَ لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَعْلَمْ حَالَهُمْ ثُمَّ عَلِمَ لِأَنَّهُ كَانَ عَالِمًا فِي الْأَزَلِ بِهِمْ وَ بِكُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِمُ الَّتِي تَقَعُ فِي كُلِّ زَمَانٍ مِنْ أَزْمَنَةِ وَجُودِهِمْ.

وَ نَظِيرُهُ فِي الْإِشْكَالِ قَوْلُهُ: «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ» (2)

ص: 325

1- آل عمران: 106.

2- محمد: 33.

وقوله: «الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا» (1) وقوله: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ» (2) «وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِرُ بِالْآخِرَةِ» (3) وأمثلة هذه الآيات.

وقيل: معنى العلم في مثل هذه الآيات الرؤية أي لنرى، والعرب تضع العلم مكان الرؤية، والرؤية مكان العلم كقوله: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ»* وقال الفراء وجه آخر: وهو أن حدوث العلم في الآية راجع إلى المخاطبين، ومثاله أن جاهلا وعاقلا اجتماعا، فيقول الجاهل: الحطب يحرق النار، ويقول العاقل: النار يحرق الحطب، وسنجمع بينهما لنعلم أيهما يحرق صاحبه، فكذلك قوله «إِلَّا لِنَعْلَمَ» أي إلا لتعلموا، والغرض من هذا الجنس من الكلام الرفق في الخطاب لا- يراد المعنى المراد كقوله: «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى» (4) فأضاف الكلام الموهوم للشك ترقيقا للكلام ورفقا للمخاطب والوجه الأوجه الوجه الأول انتهى.

[وَإِنْ كَانَتْ الْقِبْلَةُ الْمَحْوُولَةَ [لِكَبِيرَةٍ] أَيْ شَاقَّةً ثَقِيلَةً عَلَىٰ مَنْ يَأْلَفُ التَّوَجُّهَ إِلَى الْقِبْلَةِ الْمَنْسُوخَةِ وَ«إِنْ» هِيَ الْمَخْفُفَةُ مِنَ الْمُثْقَلَةِ وَاسْمُهَا مُحذُوفٌ وَهُوَ الْقِبْلَةُ [إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ أَيْ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَتَيَقَّنُوا أَنَّ السَّعِيدَ الْفَائِزَ مِنْ أَطَاعِ أَمْرٍ مَوْلَاهُ.

ثم بين سبحانه أنهم مثابون على الاتباع فقال: [وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ وَثَبَاتَكُمْ عَلَى التَّصَدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيِّ [إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ مُتَعَلِّقٌ «بِرُءُوفٍ» [لِرُؤُوفٍ وَذُو مَرْحَمَةٍ [رَجِيمٌ يَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَإِيصَالِ الرِّزْقِ.

روي أنه أخذ بعض الأمراء قاتلا في زمن داود عليه السلام فصلب فوق الجبل عشاء ورجع الناس إلى منازلهم وبقي على الخشبة وحده و تضرع إلى آلهته ولم يمت فلم يغنوا عنه شيئا، ثم رجع إلى الله وقال: أنت الله الحق أتيت إليك لتغيثني فأغثني برحمتك، قال الله: يا جبرئيل إن هذا عبد آلهته طويلا فلم ينتفع ففرع إليّ ودعاني،

ص: 326

1- الأنفال: 68.

2- آل عمران: 136.

3- سبا: 20.

4- سبا: 23.

فاستجبت له فاهبط وضعه على الأرض في سلامة ففعل، فلمّا أصبحوا رأوه وهي يصلي لله فأخبروا داود عليه السلام بذلك، فدعا الله فيه مستكشفا سرّه فأوحى الله إليه: يا داود إني أرحم من آمن بي ودعاني فإن لم أفعل فأبي فرق بيني وبين آلهته ومن توجه بقلبه إلى الله وادّعى المحبّة فليكن لا يكذب فعله قوله، وليكن البلوى عنده ألدّ من الحلوى فذلك صدق فيما ادّعى، وليعدّ الالتفات إلى غيره من الاحتياط ولو بأكل لقمة مشوبة في عمره وتحسبها من الموانع في الارتقاء.

[سورة البقرة (2): آية 144]

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144)

[قَدْ نَرَى مستقبل معناه الماضي أي شاهدنا و علمنا [تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ] وتردد نظرك في جهة السماء، روي عن ابن عباس أنّه قال: يا جبرئيل وددت أنّ الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، فقال جبرئيل: أنا عبد مثلك فاسأل ربك ذلك و كان صلى الله عليه وآله يحبّ التغيير لكن لا يتكلّم بذلك، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يديم النظر إلى السماء رجاء مجيء جبرئيل، فأنزل الله الآية.

و السبب في أنّه صلى الله عليه وآله يحبّ تغيير القبلة أمور:

منها أنّ الكعبة كانت قبلة إبراهيم وكان اليهود يقولون: إنّهم يخالفنا ثمّ يتبع قبلتنا ولو لا نحن لم يدر أين يستقبل.

و منها أنّه صلى الله عليه وآله كان يقدر أن يصير ذلك سببا لاستمالة العرب و لدخولهم في الإسلام.

و منها أنّه صلى الله عليه وآله أحبّ أن يحصل هذا الشرف للمسجد الذي في بلده و كان قد وعد صلى الله عليه وآله بتحويل القبلة عن بيت المقدس فكان ينقلب وجهه انتظارا للوعد و توقّعا للموعد.

[فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا] أي فوالله لنعطينكها ولنمكّنك من استقبالها واليا لها ترضاهها و تحبّها و تشوّق إليها لأنك تحبّها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله.

[قَوْلٌ وَجْهَكَ شَدَّ طَرَفَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] والمراد بالوجه هاهنا جملة البدن، و تخصيص الوجه بالذكر للتنبيه على أنه الأصل في التوجه و الاستقبال، والمراد بالشرط:

النحو، قال الرازي: الشرط لفظ مشترك بين معنيين، النصف، والجانب؛ والمتبادر من لفظ «المسجد الحرام» هو المسجد الأكبر الذي فيه الكعبة و «الحرام» أي المحرّم فيه القتال و الممنوع من الظلمة أن يتعرّضوا له و سائر امور محرّم وقوعه فيه، و في ذكر المسجد دون الكعبة إيدان بكفاية مراعاة جهة الكعبة، لأنّ استقبال عينها للبعيد متعذّر و فيه حرج عظيم بخلاف القريب.

[وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَدَّ طَرَفَ الْخُطَابِ الْأَوَّلِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهَذَا الْخُطَابُ لِكَاكِبَةِ النَّاسِ أَي فِي أَيِّ مَوْضِعٍ كُنْتُمْ وَارْتَمِ الصَّلَاةُ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ نَحْوَهُ وَطَرَفَهُ، وَ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى الْأَوَّلِ لَظَنَّ ظَانَ أَنَّ ذَلِكَ قَبْلَتَهُ فَحَسِبَهُ فِيئِنَّ سَبْحَانَهُ أَنَّ قِبْلَةَ لِجَمِيعِ الْمُصَلِّينَ.

قال ابن عباس: البيت كلّ قِبْلَةَ، و قِبْلَةَ الْبَيْتِ الْبَابِ، و الْبَيْتِ قِبْلَةَ أَهْلِ الْمَسْجِدِ، و الْمَسْجِدِ قِبْلَةَ أَهْلِ الْحَرَمِ، و الْحَرَمِ قِبْلَةَ أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهَا، و هذا موافق لما قاله أصحابنا:

إِنَّ الْحَرَمَ قِبْلَةٌ مِنْ نَأْيٍ عَنِ الْحَرَمِ مِنْ أَهْلِ الْأَفَاقِ.

[وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَرَادَ بِهِ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى [لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَيِ التَّحْوِيلِ إِلَى الْكَعْبَةِ] الْحَقُّ الثَّابِتُ [مِنْ رَبِّهِمْ] لَمَّا أَنَّ الْمَسْطُورَ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُصَلِّي إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ وَ مَعْنَى «مِنْ رَبِّهِمْ» أَي مِنْ قَبْلِ رَبِّهِمْ، لَا شَيْءَ ابْتَدَعَهُ الرَّسُولُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ.

[وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] خُطَابَ الْمُسْلِمِينَ وَ أَهْلَ الْكِتَابِ جَمِيعًا عَلَى التَّغْلِيْبِ فَيَكُونُ وَعْدًا لِلْمُسْلِمِينَ بِالْإِثَابَةِ وَ وَعِيدًا لِلْمُخَالَفِينَ بِأَوَامِرِ اللَّهِ.

[سورة البقرة (2): آية 145]

وَلِّينَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ مَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لِّئِنْ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)

[وَلِّينَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ] و لئن أتيت الذين، في الكلام معنى

القسم أي والله لئن أتيت الذين اعطوا الكتاب من اليهود والنصارى بكل برهان قاطع على أن التوجه إلى الكعبة هو الحق [ما تبعوا قبلك عنادا و مكابرة وهذا في حق قوم معينين علم الله أنهم لا يؤمنون فإن منهم من آمن و تبع القبلة.

[و ما أنت بتابع قبلتهم حتم لإطماعهم إذ كانوا تناجوا في ذلك وقالوا: لو ثبت على قبلتنا لكننا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره و طمعوا في رجوعه إلى قبلتهم.

[و ما بعضهم بتابع قبلة بعض فإن اليهود يستقبل الصخرة و النصارى مطلع الشمس، لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك؛ لتصلب كل فريق فيما هو فيه.

[و لئن اتبعت أهواءهم و وافقتهم في مراداتهم بأن صليت إلى قبلتهم مداراة لهم و طمعا في إيمانهم [من بعد ما جاءك من العلم أي الوحي الذي هو طريق العلم، أو المعنى من بعد ما علمت أن الحق ما أنت عليه من القبلة [إنك إذا لمن الظالمين و هذا الكلام مثل قوله تعالى: «لئن أشركت ليحبطن عملك» قال ابن عباس: إن أمثال هذه الخطابات في القرآن و لو أنها إليه لكانت المراد الأمة كقولهم: إياك أعني و اسمعي يا جارة.

[سورة البقرة (2): آية 146]

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (146)

[الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أخبر الله بأن أهل الفهم و الدراسة من اليهود و النصارى يعرفون النبي و صحته نبوته بأوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم كما لا يشتبه عليهم أبناؤهم [و إن فریقا منهم و هم الذين كبروا و عاندوا الحق [ليكتُمون الحق و هم يعلمون أن محمدا صلى الله عليه و آله رسول الله و أن الكعبة قبلة الله، لأنه مذكور في كتابهم: أن هذا النبي يصلي على القبلتين، و إنما قال: فریقا منهم لأن بعضهم صدقوا و آمنوا به كعبد الله بن سلام و أصحابه و كعب الأخبار و غيره و ما كتموا و أما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب و ما هم بصدد الإظهار و لا بصدد الكتم و إنما كفرهم على وجه التقليد.

[سورة البقرة (2): آية 147]

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفِرِينَ (147)

[الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ «الْحَقُّ» مبتدأ، و«من ربك» خبره. و اللام للعهد و الإشارة إلى ما عليه النبي أو إلى الحق الذي يكتمونه أو للجنس، و المعنى: أن الحق من الله لا من غيره و هو ما أنت عليه، لا ما هم عليه [فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفُرِينَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِينَ، و المراد الأمة و إن توجه الخطاب إليه كما ذكرنا سابقا، و الصحيح في معنى الآية أن الذي كتموه كتموه في قوله: «لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُوَ مِنْ رَبِّكَ».

[سورة البقرة (2): آية 148]

وَ لِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)

[وَ لِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُهَا] و لكل مضاف و حذف المضاف إليه لوضوح المعنى أي:

و لكل قوم، قيل: الكلّ يعمّ الجميع من فرق المسلمين و اليهود و النصارى و المشركين و قيل: إن المشركين غير داخلين في القوم، و التنوين في «لكل» عوض عن المضاف إليه، قال الرازي في المفاتيح: و قوله: «هو» راجع إلى اسم الله، أي: الله مولّيها إياه و قيل:

عائد إلى الكلّ، فعلى هذا لا يدخل المشركون في الكلّ، بل يعمّ اليهود و النصارى و المسلمين، فعلى القول الثاني و هو أن يكون الضمير راجعا إليهم، فتقدير الكلام أن لكل منكم وجهة من القبلة هو مستقبلها و متوجه إليها لصلاته و كل يفرح بما هو عليه و لا يفارقه فلا سبيل إلى اتفاقكم على قبلة واحدة؛ فألزموا معاشر المسلمين قبلتكم.

[فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً] فإنكم على خيرات من ذلك في الدنيا و الآخرة لانقيادكم لأمره و لشرفكم بقبلة إبراهيم، و أمّا على كون الضمير عايذا إلى الله فتقدير الكلام على قسمين:

القسم الأول أن الله عرفنا أن كل واحدة من هاتين القبلتين اللتين هما بيت المقدس و الكعبة جهة يوليها عباده على حسب ما يعلمه صلاحا فالجهتان منه تعالى في الحاليتين و هو الذي ولى وجه عباده إليهما فانقادوا أمره حسب ما أمرهم فاستبقوا الخيرات بالانقياد، و لا تلتفتوا إلى مطاعن هؤلاء الذين يقولون: ما ولاهم عن قبلتهم؟ فإن الله يجمعكم جميعا في صعيد القيامة مع هؤلاء السفهاء فيفصل بينكم.

و القسم الثاني أنّ المعنى: و لكلّ قوم منكم معاشر المسلمين ناحية من الكعبة فاستبقوا الخيرات بالتوجه إليها من جميع النواحي فإنّها وإن اختلفت بعد أن تؤدّي إلى الكعبة فهي كجهة واحدة، و لا يخفى على الله نياتهم، فهو يحشرهم و يشبههم على أعمالهم.

[إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] بما أراد من الإماتة و الإحياء و الجمع.

[سورة البقرة (2): الآيات 149 الى 150]

وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ مَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149) وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِي وَ لِأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)

قال الرازي: وجه التكرار في الآيات الثلاثة أنّ الأحوال ثلاثة:

أولها أن يكون الإنسان في المسجد الحرام.

و ثانيها أن يخرج عن المسجد الحرام و يكون في البلد.

و ثالثها أن يخرج للسفر إلى أقطار الأرض، فالآية الاولى محمولة على الحالة الاولى، و الثانية على الثانية و الثالثة على الثالثة؛ لأنّه قد يتوهم أنّ للقرب حرمة و حكما لا تثبت فيها للبعد فلاجل هذا الأمر كرّرت.

وقيل وجوه آخر.

وقيل: المراد من الآية الثانية وهي قوله: [وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ الْمَرَادُ فِي السَّفَرِ، أَي مِنْ أَيِّ مَكَانٍ وَ بَلَدٍ خَرَجْتَ إِلَيْهِ لِلسَّفَرِ] فَوَلِّ وَجْهَكَ عِنْد صَلَاتِكَ [شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ تَلْقَائِهِ فَإِنَّ وَجوب التوجه إلى الكعبة لا يتغير بالسفر و الحضر حالة الاختيار] وَ إِنَّهُ أَي هَذَا الْمَأْمُورُ بِهِ [لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ الثَّابِتُ الْمَوْافِقُ لِلْحِكْمَةِ] وَ مَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ مِنْ الْإِطَاعَةِ وَ الْمَعْصِيَةِ.

[وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فِي أَسْفَارِكَ وَ مَغَازِيكَ بَعِيدَةٍ كَانَتْ أَوْ قَرِيبَةٍ] فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ [فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ مِنْ مَحَالِّكُمْ. وَ هَذِهِ الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ كَرَّرَهَا لِمَا أَنَّ الْقِبْلَةَ لَهَا شَأْنٌ خَطِيرٌ وَ النِّسْخُ مِنْ مِطَانٍ

الشبهة و كان إنكار أهل الكتاب في هذا النسخ شديدا فبالحرى أن يؤكد.

[لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ] أي لأن لا يكون لأهل الكتاب عليكم حجة إذا لم تصلوا نحو المسجد الحرام بأن يقولوا: ليس هذا هو النبي المبشر به إذ ذاك نبي يصلي القبلتين، وذلك أنه كان مكتوبا في كتبهم أنه يأتي ويصلي بالقبلتين.

قال أبو ذوق: إن حجة اليهود أنهم كانوا قد عرفوا أن النبي المبعوث في آخر الزمان قبلته الكعبة فلما رأوا محمدا صلى الله عليه وآله يصلي إلى الصخرة احتجوا بذلك؛ فصرفت قبلته إلى الكعبة لئلا يكون لهم عليه حجة.

[إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ] يريد إلا الذين يكتمون ما عرفوا من كتبهم من أنه صلى الله عليه وآله يحول إلى الكعبة وتسمية هذه بالحجة لأنهم يوردونها موقعها، ويسوقونها مساقها فسميت مجازا حجة تهكما بهم [فَلَا تَخْشَوْهُمْ] ولا تخافوهم في توجهكم إلى الكعبة؛ فإن مطاعهم لا تضرركم شيئا، وقيل: المراد بالذين ظلموا قريش واليهود، فأما قريش فقالوا: قد علم أننا على هدى فرجع صلى الله عليه وآله إلى قبلتنا و سيرجع إلى ديننا، وأما اليهود فقالوا: لم ينصرف عن قبلتنا عن علم وإنما جعله برأيه، وقيل: المراد بالذين ظلموا العموم يعني ظلموكم بالمخالفة وقلة الاستماع [وَإِخْشَائِي] لما ذكرهم بالظلم والخصومة طيب نفوس المؤمنين فقال: لا تخافوا من مخالفتهم في القبلة و اخشوا عقابي في ترك استقبالها فإنني أحفظكم.

[وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ] علة لمحذوف تقديره أمر بكم بتولية الوجه شطره لإتمامي النعمة عليكم، وأنصركم على أعدائكم، واورثكم أرضهم وديارهم في الدنيا وفي الآخرة جنتي ورحمتي [وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] ولكي تهتدوا. و«لعل» من الله واجب.

[سورة البقرة (2): آية 151]

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151)

[كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا] مِنْكُمْ الكلام متصل بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة إتماما كائنا كإتمامي لها بإرسال رسول كائن منكم وهو محمد صلى الله عليه وآله فإن

إرسال الرسول لا سيّما منهم نعمة لم تكافئها نعمة [يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا] وهو القرآن العظيم [وَيُزَكِّيْكُمْ وَيَحْمِلُكُمْ عَلَى مَا تَصِيرُونَ بِهِ أَزْكَيَاءَ طَاهِرِينَ مِنْ دَنْسِ الشَّرْكِ وَالذُّنُوبِ الْمَكْدُورَةِ لِجَوْهَرِ النَّفْسِ].

[وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ مِنْ مَعَانِيهِ وَالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي بَاعْتَبَارَهَا وَصَفَ بِكَوْنِهِ هَدًى وَنُورًا [وَالْحِكْمَةَ] هِيَ الْإِصَابَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، مِنْ أَحْكَمَتِ الشَّيْءِ إِذَا رَدَدْتَهُ عَمَّا لَا- يَعْنِيهِ كَأَنَّ الْحِكْمَةَ هِيَ الَّتِي تَرُدُّ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَطَأِ [وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ وَيُعَلِّمُكُمْ الْعُلُومَ الَّتِي فِي الْكِتَابِ وَلَا طَرِيقَ إِلَى تَحْصِيلِهَا إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَبَعْدَ أَنْ عَمَلْتُمْ مَا عَلِمْتُمْ يَحْصِلُ لَكُمْ مَلَكَةُ الْإِعْتِدَالِ وَالسَّعَادَةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَلَكَةَ الْإِعْتِدَالِ فِي الْأَخْلَاقِ لَا تَحْصِلُ إِلَّا بِالْمَوَازِينِ عَلَى تَرْكِ الْأَفْعَالِ السَّيِّئَةِ وَإِتْيَانِ الْفَرَائِضِ وَالسَّنَنِ حَتَّى يَحْصَلَ التَّوْفِيقُ وَمَهْمَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ فِي كِرَاهَةٍ وَاسْتِثْقَالٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ وَصَعْبٍ عَلَيْكَ تَرْكِ الْمَحْظُورَاتِ فَاعْلَمْ أَنَّكَ قَاصِرُ الْبَاعِ فِي السَّعَادَةِ.

عن أبي حمزة الثماليّ قال: دعا حذيفة بن اليمان ابنه عند موته، فأوصى إليه وقال: يا بنيّ أظهر اليأس عمّا في أيدي الناس فإنّ فيه الغنى، و إيّاك و طلب الحاجات من الناس فإنّه فقر حاضر، و كن اليوم خيرا من أمسك و إذا صلّيت فصلّ صلاة مودّع للدنيا كأنك لا ترجع إليها، و إيّاك و ما يعتذر منه.

قال الصادق عليه السّلام: ما ضعف بدن عمّا قويت عليه النية.

قال علماء الأخلاق: إنّ تتمكّن أن يكون باطنك خيرا من ظاهرك فيها و نعمت، و إلّا فليكن ظاهرك و باطنك و سرّك و علنك واحدا.

قيل: إنّ شابّا من الأنصار كان يأتي عبد الله بن عبّاس و كان ابن عبّاس يكرمه و يدينه فقيل له: إنّك تكرم هذا الشابّ و هو شابّ سوء يأتي الليليّ القبور و يبتشها فقال عبد الله: إذا كان ذلك فأعلموني، فخرج الشابّ في بعض الليالي يتخلّل القبور، فأعلموا عبد الله، فخرج لينظر ما يكون من أمره و وقف ناحية ينظر إليه من حيث لا يراه الشابّ، فدخل الشابّ قبرا قد حفر.

ثمّ اضطجع في اللحد و نادى بأعلى صوته: يا ويحي إذا دخلت لحدي و حدي و

نطقت الأرض من تحتي وقالت: لا مرحبا بك ولا أهلا قد كنت أبغضك وأنت على ظهري فكيف وقد صرت في بطني؟ بل ويحي إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفا والملائكة صفوفًا، فمن عدلك من يخلّصني؟ ومن المظلومين من يستنقذني؟ ومن عذاب النار من يجيرني؟ قد عصيت من ليس بأهل أن يعصى، وجعل يردّد هذا الكلام ويبيكي إلى الصباح، فلمّا خرج من القبر التزمه ابن عبّاس وعانقه، ثمّ قال: نعم النبّاش ما أنبشك للذنوب والخطايا! ثمّ تفرّقا.

و أمثال هذه الرياضات لا تحصل إلا بالخشية و برسوخ حبّ الله في القلب و خروج حبّ الدنيا عن القلب، فمزّق نفسك ضدّ عاداتها و عوّدها بالعادات الجميلة، و العادات تقتضي في النفس عجائب، أما ترى أنّ اللاعب بالحمام لا يحسّ طول النهار بحرّ الشمس قائما على رجليه و هو ميّت من التعب و مع ذلك لا- يحسّ، و إذا كان الطبع يستلذّ من أكل الطين فكيف لا- يستلذّ من العسل؟ فروّض نفسك بمشقات الطاعة حتّى يصير التطوّع طبعًا، لكنّ لما كانت اللذات أنسب إلى مشتهاها تميل النفس إليها و النفس قابلة لقبول العادتين.

لكنّ هذه الرياضة يكون لها مدّة طويلة، فإنّ عادة عشرين سنة لا تتبدّل بقيام ليلة و لا أقلّ من المقابلة و أنّ الترياق يلزم أن يكون مساويا لوزن السمّ؛ فدم في العمل حتّى تستدرك الفيض الأقدم و الأولى في رياضتك، و تبديل أخلاقك علاج مرض القلب و أنت بزعمك ليس قلبك مريض، و من عنده شيء أحبّ إليه من الله فقلبه مريض و لا- بدّ من علاجه و إلا فيهلك؛ قال الله سبحانه: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وِ أَبْنَاؤُكُمْ وِ إِخْوَانُكُمْ وِ أَرْوَاجُكُمْ إِلَى قَوْلِهِ- أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وِ رَسُولِهِ وِ جِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» (1).

[سورة البقرة (2): آية 152]

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ (152)

[فَاذْكُرُونِي بالطاعة لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: من أطاع الله فقد ذكر الله و إن قلّت صلّاته و صيامه و قراءته، و من عصى الله فقد نسي الله و إن كثرت صلّاته و قراءته [أذْكُرْكُمْ بالشّواب و الإحسان و إفاضة الخير، و أطلق الذكر على طريق المشاكلة و المجاز لوقوعه

ص: 334

في صحبة العبد، كقوله: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ» والله تعالى منزّه عن النسيان.

[وَاشْكُرُوا لِي عَلَى مَا أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّعَمِ فَأَمْرٌ سَبَّحَانَهُ بِتَخْصِيصِ شُكْرِهِمْ لَهُ وَأَنْ لَا يَشْكُرُوا غَيْرَهُ وَيَعْرِفُوا أَنَّ النِّعْمَةَ مِنْهُ تَعَالَى وَ الْمَرَادُ: اذْكُرُونِي بِالْقَوْلِ وَاشْكُرُوا لِي بِالْعَمَلِ [وَلَا تَكْفُرُونَ بِإِنْكَارِ النِّعَمِ وَعَصِيانِ الْأَمْرِ وَفِي الْآيَةِ إِشْعَارٌ عَلَى أَنْ تَرَكَ الشُّكْرَ كُفْرَانًا.]

[سورة البقرة (2): آية 153]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ] من الناس من حمل الصبر على الصوم ومنهم من حمّله على الجهاد ومنهم من حمّله على الصبر عن المعاصي واللذائذ وحفظ النفس [وَالصَّلَاةِ] التي هي أمّ العبادات ومعراج المؤمنين، روي أنّه صلّى الله عليه وآله إذا وقع له شديدة فرغ واستعان بالصلاة. وقدّم سبحانه في الآية الترك على الفعل لأنّ التخلية قبل التحلية ولهذا قدّم النفي على الإثبات في كلمة التوحيد. وذكر الصلاة لأنّ الأمر بها مطلق لكلّ أفراد المكلفين وأما غيرها فمختصّ بأصحاب دون أصحاب مثل الزكاة فمختصّة بأصحاب النصاب ومثل الحجّ فأصحاب الاستطاعة.

[إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ] ومعنى المعية: الولاية الدائمة، وإتّما قال: «مَعَ الصَّابِرِينَ» ولم يقل: مع المصلّين لأنّ الصلاة لا تنفكّ عن الصبر، فإذا كان مع الصابرين لا جرم كان مع المصلّين.

و الصبر مبدؤ كلّ فضل؛ فإنّ أولّ التوبة الصبر عن المعاصي وأولّ الزهد، الصبر عن المباحات.

ولهذا قال صلّى الله عليه وآله: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

وقال صلّى الله عليه وآله: الصبر خير كلّ، فمن تحلّى بحلية الصبر سهل عليه ملابس الطاعات والاجتناب عن المنكرات، وكذلك الصلاة، قال الله: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ».

وفي الحديث: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق نادى مناد: أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسرعون ويسيرون إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون: إنّنا

نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ قالوا: نحن أهل الفضل، فيقولون: ما كان فضلكم؟

قالوا: كنّا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسىء إلينا عفونا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثمّ ينادي مناد: أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس يصيرون سراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكة، فيقولون: إنّنا نراكم سراعاً إلى الجنة فما أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر فيقولون: ما كان صبركم؟ قالوا كنّا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معصية الله، فيقال لهم: ادخلوا الجنة.

ثمّ ينادي مناد: أين المتحابون في الله؟ فيقوم ناس يسيرون سراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكة، فيقولون: من أنتم؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله، فيقولون: وما كان تحابكم في الله؟ قالوا: كنّا نتحاب في الله بطاعته.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ المؤمن قيّده القرآن عن كثير من هوى نفسه فالصيام جنته والصدقة فكاكه والصلاة كهفه.

أقول: يعني كما أنّ الكهف يحفظ الإنسان عن امور، كذلك الصلاة تمنع وهي بمنزلة الناهي بالقول إذا قال لا يفعل الفحشاء والمنكر، وذلك أنّ فيها التكبير والتهليل والتسييح والوقوف بين يدي الله، وكلّ ذلك يدعو إلى شكره ويصرف عن ضده، فهي كالأمر والناهى بالقول وكلّ دليل مؤدّ إلى أمر فهو داع إليه وصارف عن ضده.

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة أن ينته المصلّي عن المعاصي.

[سورة البقرة (2): آية 154]

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154)

[ولا- تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء] وجه تعلّق الآية بما قبلها أنّه لما قال: استعينوا بالصبر والصلاة في إقامة ديني، فإن احتجتم في تلك الإقامة إلى المجاهدة مع العدو بأموالكم وأنفسكم ففعلتم ذلك و تلفت نفوسكم، فلا تحسبوا أنكم ضيّعتم أنفسكم، بل اعلّموا أنّ قتلاكم أحياء؛ قال ابن عباس: نزلت في شهداء بدر وكانوا

أربعة عشر رجلاً، سِتَّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار و كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله: مات فلان و ذهب عنه نعيم الدنيا و لذاتها، فنزلت الآية أي هم أحياء.

و في كونهم أحياء أقوال:

أحدها- و هو الصحيح- أنهم أحياء على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة و هو قول جماعة كابن عباس و قتادة و مجاهد و الحسن و عمرو بن عبيد و واصل بن عطا و الجبائي و الرماني و أكثر المفسرين.

و القول الثاني- و هو بمعزل عن القبول- أنهم يحيون يوم القيامة و يشابون، و هذا القول المتروك عن البلخي وحده و لم يذكر غيره هذا المعنى، و هذا المعنى سخيف بارد لأن هذا الأمر لكل من آمن بالله و ليس فائدة في تخصيصهم بالذكر.

و الثالث أن المعنى: لا تقولوا: هم أموات في الدين، بل هم أحياء بالطاعة و الهدى، أي كالأحياء في الحكم لا ينقطع ثواب أعمالهم لأنهم قتلوا في نصرة دين الله، فما دام الدين باقياً فلهم ثواب ذلك لأنهم سنوا هذه السنة، أو المراد: ذكرهم و شرفهم باق.

[و لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ كَيْفَ حَالِهِمْ.

فإن قيل: على معنى القول الأول الذي ذكرنا نحن نرى جثة الشهداء مطروحة على الأرض لا تتصرف و لا يرى فيها شيء من علامات الأحياء.

فالجواب أن الله يجعل لهم أجساماً كأجسامهم في دار الدنيا يتنعمون فيها دون أجسامهم التي في القبور، و هذا على مذهب من يقول من أصحابنا في الإنسان: إنه النفس الناطقة، فإن النعيم و العذاب على هذا إنما يحصل للنفس التي هي الإنسان المكلف عنده دون الجثة.

و يؤيد هذا القول ما رواه الشيخ أبو جعفر في كتاب تهذيب الأحكام مسنداً إلى علي بن مهزيار عن يونس بن ظبيان، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال عليه السلام:

ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ قلت: يقولون في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش، فقال عليه السلام: سبحان الله! المؤمن أكرم على الله أن يجعل روحه في حوصلة

طائر أخضر! يا يونس، المؤمن إذا قبضه الله صيرّ روحه في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليه القادم، عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا.

وفي رواية أخرى عن أبي بصير قال: سألت الصادق عليه السلام عن أرواح المؤمنين، فقال عليه السلام: في الجنة على صور أبدانهم لورأيتهم لقلت: فلان.

وأما على مذهب من قال: إنّ الإنسان هذه الجمل المشاهدة وإنّ الروح هو النفس المتردد في مخارق الحيوان وهو أجزاء الجوّ والباطن فالقول أنّه يلطف أجزاء من الإنسان لا- يمكن أن يكون الحيّ حيّاً بأقلّ منها يوصل إليها النعيم وإن لم تكن تلك الجملة بكمالها؛ لأنّه لا يعتبر بالأطراف وأجزاء السمن في كون الحيّ حيّاً؛ فإنّ الحيّ لا يخرج بمفارقتها من كونه حيّاً.

وربما قيل بأنّ الجنة يجوز أن يكون مطروحة في الصورة ولا تكون ميتة فتصل إليه اللذات، كما أنّ النائم حيّ وتصل إليه اللذات مع أنّه لا يحسّ ولا يشعر بشيء من ذلك، فيرى في النوم ما يجد به السرور والالتذاذ حتّى يودّ أن يطول نومه ولا ينتبه.

وقد جاء في الحديث أنّه يفسح له مدّ بصره، ويقال له: نم نومة العروس وقوله:

«لا تَشْعُرُونَ» أي لا تعلمون أنّهم أحياء.

وفي الآية دلالة على صحّة مذهبنا في سؤال القبر وإثابة المؤمن فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت وتظافت الأخبار به. وإنّما حمل البلخيّ ذلك المعنى الذي انفرد به وذكرناه لإنكاره عذاب القبر، فإن قلت: إن كان المراد في الآية هذا المعنى الآخر فما وجه تخصيص الشهداء بها وهو مشترك في الجميع من إدراك اللذة والألم؟

فالمراد اختصاصهم بمزيد البهجة والكرامة والقرب، ولكنّ القول الصحيح هو الوجه الأوّل كما قال به جلّ العلماء كالشيخ والطبرسيّ.

واعلم: أنّ نفس الإنسان وذاته الذي هو مخاطب مكلف مأمور منهّي جسمانيّ لطيف سار في هذا البدن المحسوس سريان النار في الفحم وماء الورد في الورد، وهو الذي يشير إليه كلّ أحد بقوله: أنا، وهو الإنسان حقيقة، وهو كان في صلب آدم حين

سجد له الملائكة و هو المسؤول بقوله: أ لست بربكم؟ قالوا: بلى، و هو الذي يتوفى في المنام و يخرج و يسرح و يرى الرؤيا فيسرّ بما يرى أو يحزن، فإن أمسكه الله و لم يرجع جسده تبعه الروح و الجسد الكثيف المعبر عنه بالبدن.

و الروح الإنسانيّ محلّ تعينه هو القلب الصنوبريّ، و الروح الحيوانيّ محلّ تعينه هو الدماغ و يسري في جميع أعضاء البدن إلا أنّ سلطانه قويّ في الدماغ و الدماغ أقوى مظهره و الروح الحيوانيّ إنّما حدث بعد تعلق الروح السلطانيّ بهذا الهيكل فهو من انعكاس أنوار الروح السلطانيّ ليكون مبدأ الأفعال، لأنّ الحياة أمر مغيب مستور في الحيّ، لا يعلم إلاّ بآثارها كالحسّ و الحركة و العلم و الإرادة، و هذا يدور على الروح الحيوانيّ، فمادام هذا البخار باقيا على الوجه الذي يصلح أن يكون علاقة بينهما، فالحياة قائمة، و عند انتفائه و خروجه تزول الحياة، و يخرج الروح من البدن خروجا اضطرارياّ و هو الموت الحقيقيّ.

و من هذا البيان ينكشف أحوال البرزخ، و أنّ القبر روضة من رياض الجنان، أو حفرة من حفر النيران؛ فالشهداء أحياء بالحياة البرزخيّة و متعمّون بالأبدان المثاليّة و الروح الإنسانيّ، لكنّه إذا بعث و حشر، فنعيمه و عذابه على النمط الذي كان في الدنيا من روحه الإنسانيّ و الحيوانيّ و الجسميّ، من جميع أجزائه الدنيويّ، من اللحم و الشحم و العظم، و كلّ ما كان له في بدنه في الدنيا حتّى أنّ سنّه إذا كان كافرا كجبل احد.

قال معاذ بن جبل: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إن أردتم عيش السعداء و موت الشهداء و النجاة يوم الحشر و الظلّ يوم الحرور و الهدى يوم الضلالة فادرسوا القرآن، فإنّه كلام الرحمن و حرز من الشيطان و رجحان في الميزان.

[سورة البقرة (2): آية 155]

وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155)

[وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ اللام جواب قسم محذوف، أي و الله لنعاملنكم معاملة المختبر، هل تصبرون على البلاء و تستسلمون للقضاء؟ إذ البلاء معيار كالمحك يظهر به جوهر

النفس، و ذلك الاختبار لا لنعلم شيئا لم نكن عالمين به، بل ليرتّب الجزاء على المطيع و العاصي؛ لأنّ ترتّب الثواب و الجزاء لا يصحّ إلا بعد وقوع الفعل من المكلف و لا يصحّ أن يترتّب بمجرد العلم [بشّيءٍ من الخوفِ أي بقليل من خوف الأعداء و امورٍ آخر، و إنّما قلّله لأنّ ما وقاهم منه أكثر بالنسبة إلى ما أصابهم، و ما أعطاهم أكثر من ما منعهم] و الجوع أي من القحط و المجاعة، و إنّما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم و يسهل عليهم الصبر.

[و نقص من الأموال بهلاك المواشي و ذهاب بعض الأموال] و الآتفس بالموت و القتل في الجهاد و غيره [و الثمرات: بذهاب حمل الأشجار و ارتفاع البركات و موت الأولاد لأنّها ثمرات أيضا و قيل: الخوف خوف الله و الجوع صوم رمضان، و النقص من الأموال الصدقات و الزكاة، و من الأنفس الأمراض، و من الثمرات الأولاد، و الصحيح أنّه يعم الجميع] [و بشر يا محمد صلى الله عليه و آله الصّابرين على البلايا.

[سورة البقرة (2): آية 156]

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156)

[الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ] و هي ما يصيب الإنسان من مكروه، قال النبي صلى الله عليه و آله: كلّ شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة، و أصله من أصاب السهم المرمى [قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] أي نحن إلى حكمه نصير، و هذا الكلام إقرار بالبعث و النشور.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ قولنا «إِنَّا لِلَّهِ» إقرار على أنفسنا بالملك و قولنا: «وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» إقرار على أنفسنا بالهلك، قال صلى الله عليه و آله: من أصيب بمصيبة فأحدث استرجاعا و إن تقادم عهدا، كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب.

قال الصادق عليه السلام: من كان فيه أربع كتبه من أهل الجنة: من كانت عصمته شهادة أن لا إله إلا الله، و من إذا أنعم الله عليه النعمة قال: الحمد لله، و من إذا أصاب ذنبا قال:

أستغفر الله، و من إذا أصابته مصيبة قال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

[سورة البقرة (2): آية 157]

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)

[أُولَئِكَ إشارة إلى الذين وصفهم من الصابرين] عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ أي

ثناء جميل من ربهم و تركية أو بركات و مغفرة [وَرَحْمَةً وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ المصيبون طريق الحق و الهداية، و استسلموا لقضاء الله، قال ابن مسعود: لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أقول في شيء قضاها: ليته لم يكن.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: من ضرب بيده على فخذه عند مصيبة فقد حبط أجره، أقول: إن الصبر يجب عليه إذا كان من جهة العدل الحكيم، فيجب الصبر عليها لعلمه بأنه تعالى لا يقضي إلا بالحق، و إن أصابته من جهة الظلمة فلا يجب عليه الصبر، بل جاز له أن يمانعه.

[سورة البقرة (2): آية 158]

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)

[إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ] «صفا» علم لجبل بمكة و سمي الصفا لأنه جلس عليه آدم صفيي الله عليه السلام، و المروة علم لجبل في مكة أيضا و سمي المروة لأنها جلست عليها امرأة آدم حواء.

عن جعفر بن محمد عليهما السلام: و الصفا في الأصل الحجر الأملس، مأخوذ من الصفو، واحده صفاة و كل حجر لا يخلطه غيره من طين أو تراب. و هو واوي لأن تثنيته صفوان، و المرو نبت. و أصله الصلابة أيضا، و الألف و اللام للتعريف لا للجنس.

[مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ] و الشعائر جمع شعيرة، و هي العلامة، و شعائر الله معالمه التي جعلها معالم لعباده من موقف أو مسعى أو منحرف، من شعرت به أي علمت.

قيل: إنه كان على الصفا صنم على صورة رجل، يقال له: أساف و صنم على المروة على صورة امرأة يقال لها نائلة و إنهما كانا زنيا في الكعبة، فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما، فلما طالت المدّة عبدا من دون الله، و كان أهل الجاهلية إذا سعوا بين الصفا و المروة سجدهما تعظيما لهما، فلما جاء الإسلام و كسرت الأوثان كره المسلمون الطواف و السعي بينهما لأنه فعل الجاهلية فاذن في السعي بينهما و اخبر أنّهما من شعائر الله.

و الحكمة في شرعية السعي بينهما: أنّ هاجر لما ضاق عليها الأمر من العطش

وعطش إسماعيل سعت في هذا المكان إلى أن صعدت الجبل ودعت وطلبت من الله الماء فأنبع الله لها زمزم فجعلها طاعة للمكثفين إلى يوم القيامة. وفي الخبر: الصفا والمروة بابان من الجنة وموضعان من مواضع الإجابة، ما بينهما قبر سبعين ألف نبي وسعيهما يعدل سبعين رقبة.

[فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ] الحج في اللغة هو القصد على وجه التكرار، وفي الشرع عبارة عن قصد البيت بالأعمال المخصوصة من الإحرام والطواف والسعي والوقوف وغير ذلك، والعمرة هي الزيارة، مأخوذ من العمارة، لأن الزائر يعمر المكان بزيارته وهي في الشرع عبارة عن زيارة البيت بالعمل، فمن قصد البيت بالأعمال المخصوصة وزاره [فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ وَلَا إِثْمَ] [أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا] ويدور عليهما لأنهم توهموا أن يكون في ذلك جناح لأجل فعل الجاهلية.

[وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا] وأصل التطوع الفعل طوعا وميلا لا كرها، كأنه قيل:

من تبرع بما لم يفرض عليه من القربات مطلقا؛ فانتصاب «خيرا» بنزع الخافض، أي من تطوع تطوعا بخير [فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ لَهُ] مجاز بعمله، فإن الشاكر في وصف الله بمعنى المجازي بالإثابة على الطاعة، والشكر من الله، الرضى عن العبد ولازم الرضى بالإثابة [عَلَيْمٌ] بطاعة المتطوع، وفي كتاب زهرة الرياض: أن رجلا من الزهاد قال: حججت سنة وفي رأيي أن أنصرف من عرفات ولا أحج بعد هذا، فنظرت في القوم فإذا أنا بشيخ متكئ على عصا وهو ينظر إلي مليا، فقلت: السلام عليك يا شيخ، فقال: وعليك السلام ارجع عما نويت، فقلت: سبحان الله من أين تعلم نيتي؟ قال: ألهمني ربي، فوالله لقد حججت خمسا و ثلاثين حجة و كنت واقفا بعرفات هاهنا في الحجة الخامسة والثلاثين أنظر إلى هذه الرحمة وأتفكر في أمري وأمرهم أن الله هل يقبل حجهم و حجتي، فبقيت متفكرا حتى غربت الشمس وأفاض الناس من عرفات إلى مزدلفة ولم يبق أحد و جن الليل و تمت تلك الليلة، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت و حشر الناس و تطايرت الكتب و نصبت الموازين و الصراط و فتحت أبواب الجنان و النيران فسمعت النار تنادى و تقول:

اللَّهُمَّ ذِقِ الْحَجَّاجِ حَرِّيَّ وَ بَرْدِي، فنوديت النار: يا نار سلي غيرهم، فإنهم ذاقوا عطش البادية و حرّ عرفات و وقوا عطش القيامة و رزقوا الشفاعة، فإنهم طلبوا رضاي بأنفسهم و أموالهم فأنبهت و صلّيت ركعتين، ثم نمت و رأيت كذلك، فقلت في نفسي: هذا من الرحمن أو من الشيطان؟ فقيل لي: بل من الله، مدّ يمينك، فمددت فإذا على كفي مكتوب: من وقف بعرفة و زار البيت شفعته سبعين من أهل بيته، فلم تمرّ عليّ منذ حينئذ سنة إلا و قد حججت حتّى تمّ لي ثلاث و سبعون حجّة. انتهى.

و يشمل قوله تعالى: «وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا» جميع مراتب الأخلاق الحسنة و المستحبات الشرعيّة من البرّ و معاونة الضعفاء و المساكين، فإنّ الله يشكر عمله بمزيد الثواب.

في ثواب الأعمال: عن جميل بن درّاج عن الصادق عليه السّلام قال: قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الحاجّ إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً و لم يضعه إلا كتب الله له عشر حسنات و محى عنه عشر سيّئات و رفع له عشر درجات فإذا ركب بعيره لم يرفع خفّاً و لم يضعه إلا كتب الله له مثل ذلك و إذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه و إذا سعى بين الصفا و المروة خرج من ذنوبه و إذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه و إذا وقف بالمشعر خرج من ذنوبه و إذا رمى الجمار خرج من ذنوبه، و عدّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كذا و كذا موطناً كلّها يخرج من ذنوبه ثمّ قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: فإنّ لك أن تبلغ الحاجّ.

و عن أبي حمزة الثماليّ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: قال رجل لعليّ بن الحسين: تركت الجهاد و خشونته و لزمته الحجّ، قال: و كان عليه السّلام متّكئاً فجلس و قال: ويحك ما بلغك ما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في حجّة الوداع؟ إنّه لما همّت الشمس أن تغيب قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا بلال، قل للناس: فلينصتوا، فلمّا أنصتوا، قال: إنّ ربّكم تطوّل عليكم في هذا اليوم فغفر لمحسنكم و شفع لمحسنكم في مسيئكم فأفيضوا مغفورا لكم و ضمن لأهل التبعات من عنده الرضى.

و عن الصادق عليه السّلام قال: لمّا أفاض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فلقاه أعرابيّ في الأبطح، فقال: يا رسول الله إني خرجت أريد الحجّ فعاقني عائق و أنا رجل مليّ كثير المال مرني

ما أصنع في مالي أبلغ ما بلغ لحاج؟ قال فالتفت صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي قبيس فقال: لو أن أبا قبيس لك زنته ذهباً حمراء أنفقته في سبيل الله ما بلغت ما بلغ الحاج.

[سورة البقرة (2): آية 159]

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159)

المعني بالآية علماء اليهود والنصارى مثل كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وابن صوريا وزيد بن التاتوج أو التابوه وغيرهم من علماء النصارى الذين كتموا أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونبوته وعلائم خاتمته وهم وجدوها مكتوبا ومثبتا في التوراة والإنجيل.

والآية متناولة لكل من كتم ما أنزل الله، لأنه عام فيدخل فيه أولئك وغيرهم.

فحث سبحانه في الآية على إظهار الحق ونهي عن إخفائه، فقال: [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ وَيَخْفُونَ] ما أنزلنا من البينات والهدى من الحجج المنزلة في الكتب من علوم الشرع. فعمم بالوعيد في كتمان جميعها [مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ] متعلق بيكتمون أي أوضحناه [لِلنَّاسِ جَمِيعًا] في الكتاب أي التوراة ولعل المراد من قوله: ما أنزلنا، الوحي، ومن الهدى: الدلائل العقلية [أُولَٰئِكَ الْمُوصِفُونَ] يلعنهم الله ويبعدهم عن رحمته [وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ] أي الذين يتأتى منهم اللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين.

قال ابن مسعود: ما تلاعن اثنان إلا ارتفعت اللعنة بينهما، فإن استحق أحدهما وإلا رجعت على اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل: المراد من قوله: «اللَّاعِنُونَ»:

البهائم والهوام تلعن العصاة، تقول: اللهم العن عصاة بني آدم، فبشؤمهم منع عنا القطر.

[سورة البقرة (2): آية 160]

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)

[إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا] الاستثناء متصل والمستثنى منه هو الضمير في «يَلْعَنُهُمْ» أي إلا الذين تابوا من الكتمان وسائر ما يجب أن يتاب منه [وَأَصْلَحُوا] ما أفسدوا بالتدارك فإنه يجب بعد التوبة مثلا لو أفسد على تغيير دينه بإيراد شبهة عليه، يلزمه إزالة تلك الشبهة ويفعل أمورا حندا (?). الكتمان وهو البيان وهو المراد بقوله [وَبَيَّنُّوا] ما

بَيَّنَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، لِتَحْصُلَ وَتَتَمَّ تَوْبَتُهُمْ. فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِتَرْكِ كُلِّ مَا لَا يَنْبَغِي، وَبِفِعْلِ كُلِّ مَا يَنْبَغِي [فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَقْبِلُ تَوْبَتَهُمْ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ إِذَا أَسْنَدْتَ إِلَى اللَّهِ بِأَنْ قِيلَ تَابَ: اللَّهُ أَوْ يَتُوبَ، تَكُونُ بِمَعْنَى الْقَبُولِ] وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ الْمُبَالِغُ فِي قَبُولِ التَّوْبَةِ.

عن الصادق عليه السلام قال: فيما وعظ الله عيسى بن مريم عليه السلام: يا عيسى أنا ربك ورب آبائك، اسمي واحد وأنا الأحد المتفرد، أخلق كل شيء، وكل شيء من صنعي، وكل خلقي إلي راجعون، فكن إلي راغبا ومتي راغبا فإنك لن تجد متي ملجأ إلا إلي، اجعل ذكري لمعادك وتقرّب إلي بالنوافل ولا تولّ غيري فأخذ لك يا ابن البكر البتول ابك على نفسك بكاء من قد ودع الأهل وقلبي الدنيا وتركها لأهلها.

[سورة البقرة (2): آية 161]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161)

[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا] أَي الَّذِينَ اسْتَمَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ وَيَصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَمَا ارْتَدَعُوا عَنْ حَالَتِهِمُ الْكُفْرِيَّةِ وَمَاتُوا عَلَيْهِ [أُولَئِكَ] مُسْتَقَرًّا [عَلَيْهِمْ] لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ هُمُ الْمَخْصُوصُونَ بِاللْعَنَةِ الْأَبَدِيَّةِ، أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَيَلْعَنُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَاللَّهُ تَعَالَى يَلْعَنُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ النَّاسُ. وَ مِنْ لَعْنِ الظَّالِمِ وَهُوَ ظَالِمٌ فَقَدْ لَعَنَ نَفْسَهُ.

[سورة البقرة (2): آية 162]

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (162)

استئناف لبيان كثرة عذابهم أي لا يرفع عنهم ولا يهون عليهم ولا يمهلون للمعذرة وللتخفيف بل يعدّون على الدوام أو بمعنى النظر والرؤية، أي لا ينظر إليهم نظر رحمة، وإنما خلدوا؛ لأنّ تياتهم البقاء على ما كانوا عليه من الكفر. وأما اختلاف الدرجات فبتفاوت سوء الأحوال وشدّة الكفر ومراتبه.

واعلم أنّ الضلال والفساد في الطالبين من فساد مرشدهم؛ فما دام المرشد على الصراط المستقيم يحفظ الطالب من الضلال كما قال: إذا زلّ العالم زلّ بزّلته العالم، ونزول

البلاء من فساد الرئيس و متابعة العامة إياه؛ حكي أن أمنا حواء أكلت أولا من الشجرة فلم يقع شيء، فلما أكل منها آدم وقع الخروج من الجنة، فويل لأرباب الرياسة الذين ظلموا أنفسهم و تجاوز ظلمهم إلى من عداهم.

[سورة البقرة (2): آية 163]

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163)

الواحد شيء لا ينقسم؛ عددا كان أو غيره، و هو الشيء الذي لا ينقسم من جهة الوحدة، مثلا الإنسان الواحد يستحيل أن ينقسم من حيث إنه إنسان واحد إلى إنسانين، بل قد ينقسم إلى الأبعاض و الأجزاء لكنه لم ينقسم من جهة ما قيل له: إنه واحد بل من جهة أخرى.

قال ابن عباس: إن كفار قريش قالوا يا: محمد صف لنا ربك، فقال الله: [وَإِلَهُكُمْ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ [إِلَهٌ وَاحِدٌ] فرد في الإلهية لا شريك له فيها [لا إله إلا هو] تقرير للوحدانية أي لا إله موجود في الوجود- و الخبر محذوف- إلا الله. و معنى «إله واحد» أنه لا يجوز الانقسام و لا يحتمل التجزئة و ليس بذي أبعاض و كذلك واحد لا نظير له و لا يشابهه شيء و واحد في صفاته التي يستحقها لنفسه، مثلا وصفنا بأنه قديم أنه المختص بهذه الصفة لا يشاركه فيها غيره، و وصفنا بأنه قادر على أنه المختص بهذه القدرة، ففي كل صفة من صفاته واحد لا يقدر غيره تلك الصفة.

في كتاب ثواب الأعمال مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: ثمن الجنة لا إله إلا الله.

و في حديث آخر قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: ليس شيء إلا و له شيء يعد له إلا الله فإنه لا يعد له شيء، و لا إله إلا الله فإنه لها يعدلها شيء.

و عن عبد الله بن الوليد رفعه قال: قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: من قال: لا إله إلا الله غرست له شجرة في الجنة من ياقوته حمراء منبتها في مسك أبيض، أحلى من العسل و أشد بياضا من الثلج و أطيب من المسك. فيها ثمار أمثال أئداء الأبقار تفلق عن سبعين حلة.

[الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ بيان لسبب استحقاق العبادة دون غيره، و عن أسماء بنت يزيد أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم و هما:

«وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» الثانية: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ».

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)

قيل: كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فلما سمعوا قوله تعالى: «وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» تعجبوا وقالوا: كيف يسع الناس إله واحد؟ أ جعل الآلهة إلهها واحداً؟ فإن كان محمد صادقاً في توحيد الإله فليأتنا بحجة نعرف بها صدقه فنزلت الآية.

[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِبْدَاعِهِمَا عَلَى مَا هُمَا عَلَيْهِ مَعَ بَدَائِعِ الصَّنَائِعِ الَّتِي يَعْبُزُّ عَنْ فَهْمِهَا عَقُولَ الْبَشَرِ. وَإِنَّمَا جَمَعَ السَّمَاوَاتِ وَأَفْرَدَ الْأَرْضَ؛ لِأَنَّ كُلَّ سَمَاءٍ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْآخَرَى، وَفَلَكٌ كُلٌّ وَاحِدَةٌ غَيْرُ فَلَكَ الْآخَرَى. وَالْأَرْضُونَ كُلُّهَا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ وَهُوَ التُّرَابُ، وَعِنْدَ الْحُكَمَاءِ مُحَدَّبٌ كُلُّ سَمَاءٍ مِمَّا سَلَّمَ لِمَقْعَرٍ مَا فَوْقَهُ غَيْرُ الْفَلَكَ التَّاسِعِ الْمَسْمُومِ بِالْعَرْشِ؛ فَإِنَّ مُحَدَّبَهُ وَسَطِحَ فَوْقَهُ غَيْرُ مِمَّا سَلَّمَ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَفْلاكِ وَهُوَ الْمَسْمُومُ بِلِسَانِهِمْ: الْفَلَكَ الْأَطْلَسُ وَمَا فَوْقَهُ خَلَاءٌ وَبَعْدَ غَيْرِ مَتْنَاهُ عِنْدَنَا وَعِنْدَ الْحُكَمَاءِ لَا خَلَاءَ فِيهِ وَلَا مَلَأٌ.]

[وَالاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ] أي في تعاقبهما كالذهاب والمجيء يخلف أحدهما صاحبه إذا جاء أحدهما جاء الآخر خلفه. وفي الزيادة والنقصان والظلمة والنور.

[وَالفُلكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ] لا ترسب تحت الماء مع أنها ثقيلة كثيفة والماء خفيف لطيف. وتأنيث «الفلک» باعتبار الجماعة [بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ «ما»]. اسم موصول، والجملة حالية، حال كونهم ينتفعون بركوبها والحمل فيها للتجارة.

[وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ] أي إنَّ فيما أنزل الله من جهة السماء [مِنْ مَاءٍ] بيان للجنس، فإنَّ المنزل من السماء يعم الماء وغيره، و«السماء» المراد المعني المعروف أي الفلك، ويحتمل جهة العلوّ سماء كانت أو سحاباً، فإنَّ كلَّ ما علا الإنسان يسمّى يسمّى سماء لكنَّ الصحيح الأوّل [فَأَحْيَا بِهِ أَي بِمَا أَنْزَلَ] [الأرضِ] بأنواع النباتات والأزهار والأشجار [بَعْدَ مَوْتِهَا] وبعد ذهاب زرعها وتناثر أوراقها وحسن إطلاق

الحياة و الموت للأرض باعتبار الحسن و النضارة و البهاء و النماء، و باعتبار اليبوسة و التناشر [وَبَثَّ فِيهَا] أي فَرَّقَ و نشر في الأرض [مِنْ كَلِّ دَابَّةٍ] ذي روح يدبّ على الأرض من العقلاء و غيرهم [وَتَصَّ رِيْفِ الرِّيحِ فِي تَقْلِيْبِهَا فِي مِهَابِهَا قُبُولًا و دُبُورًا و شَمَالًا و جَنُوبًا، و فِي كَيْفِيَّتِهَا حَارَّةً و بَارِدَةً و عَاصِفَةً و لَيْنَةً، و فِي آثَارِهَا عَقْمًا و لَوَاقِحًا و فِي الْغُرُضِ مِنْ إِرْسَالِهَا تَارَةً بِالرَّحْمَةِ و تَارَةً بِالْعَذَابِ.

قال ابن عباس: من أعظم جنود الله الريح و الماء. و سميت الريح ريحا لأنها تريح النفوس، قال وكيع: لو لا الريح و الذباب لأنتنت الدنيا، قيل: ما هبت الريح إلا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح.

قال بكر بن عباس: لا تخرج من السحاب قطرة حتى تعمل في السحاب هذه الرياح الأربع: فالقبول و هو المعروف بالصبا تهيجه، و الجنوب تقدّره، و الدبور تلقحه و الشمال تفرّقه. و أصول الرياح هذه الأربع: فالشمال من ناحية الشام، و الجنوب تقابلها، و الصبا من المشرق تقابلها (1) و كلّ ريح جاءت بين مهبت ريحين فهي نكباء لأنها نكبت و عدلت عن مهبت هذه الأربع.

وقيل: الرياح ثمان: أربع رحمة و أربع عذاب؛ فالرحمة: الناشرات و هي الرياح الطيبة، و المبتدّرات و هي الرياح التي تبشر بالغيث، و اللواقح و هي التي تلقح الأشجار في أول الربيع، و الذاريات و هي التي تذرّوا التراب و غيره؛ و أمّا العذاب:

الصرصر و العقيم و هما في البرّ، و العاصف و القاصف و هما في البحر، و العقيم: هي التي لم تلقح سحبا و لا شجرا، و العاصف: الشديدة الهجوم التي تلقح الأشجار و الخيام.

[وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ] عطف على «تصريف»: أي الغيم المنقاد المذلل الجاري على ما أجراه الله عليه و سمّي سحبا لأنه ينسحب في الجوّ أي يسير من سرعة كأنه يسحب ذيله و يجرّ [بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ] صفة للسحاب، و السحاب اسم جنس و يوصف بالجمع باعتبار معناه بقوله: «سَحَابًا تَقَالًا» و المراد من معنى بين السماء و الأرض أي لا ينزل إلى الأرض و لا يصعد إلى السماء و هو بينهما مع أنه لو كان خفيفا لطيفا كان ينبغي أن يصعد و لو كان كثيفا ثقيلًا يقتضي أن ينزل و من طبعه يقتضي أحد هذين.

ص: 348

1- كذا في الأصل.

[الآياتِ اسم إن دخلته اللام لتأخره عن خبرها و لو كان في موضعه لما جاز دخول اللام عليه، و التنكير للتفخيم كما و كيفا: أي آيات كثيرة عظيمة دالة على القدرة القاهرة [لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و يتفكرون فيها بالعقول و القلوب فيستدلون بها على موجدتها فيوحّدونه، و فيه تعريض للمشركين الذين اقترحوا على الرسول آية تصدّقه في قوله:

«وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» إذ لو عقلوه لكفاهم بهذه التصاريف آية، قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ويل لمن قرأ هذه فمجّ بها. و معنى المَجّ قذف الريق و نحوه، استعير هنا لعدم التدبّر أي من تفكّر فيها فكأنّه حفظها و لم يلقها من فيه.

و اعلم أنّ قوله: «وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» هو توحيد الذات، و لمّا دقّ هذا التوحيد عن مبالغ أفهام الخلق بيّن سبحانه توحيد الصفات بقوله: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» ثم بيّن في هذه الآية و هي أنّ في خلق السماوات و الأرض توحيد الأفعال، يستدلّ به عليه و يتبيّن لهم أنّه الحقّ، فالعالم - بما فيه - خلق للمعرفة؛ فلو لم يكن لأجل معرفة الله خلق الإنسان العارف ما خلق العالم بما فيه، كما قال سبحانه: «لولاك لما خلقت الكون» خطابا للنبيّ العربيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، فالعالم مرآة يظهر فيه قدرة الحقّ و جلاله، و الإنسان هو المشاهد لتلك الآيات، و هذا معنى قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: من عرف نفسه فقد عرف ربّه؛ لأنّ نفسه مرآة بعض قدرته كما قال سبحانه: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا».

و ممّا يدلّ على أنّ خلق السماوات و الأرض تبع لخلق الإنسان الكامل قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لا تقوم الساعة حتّى لا يقال في الأرض: الله الله؛ لأنّه إذا لم يبق المتبوع لم يبق التابع، رزقنا الله عرفان الهدى و مجانبة الهوى.

إلى هنا تمّ الجزء الأول من الكتاب مشتملا على تمام سورة فاتحة الكتاب و 164 آية من سورة البقرة ولله الحمد

ص: 350

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

